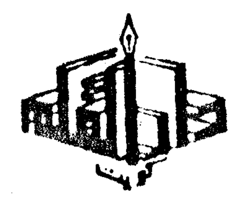
شيخ الإسلام عبد الحليم محمود

شيخ الأسلام عبد الحليم محمود
سيرته وأعماله

تأليف
الدكتور رءوف شلبي
الأستاذ بجامعتي الأزهر وقطر



الطبعة الأولى
١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

دار القلم ـــ الكويت ـــ شارع السور ـــ عمارة السور
ص.ب ٢٠١٤٦ ـــ هاتف ٤٢٥١٦٠ ـــ برقيا توزيعكو

بسم الله الرحمن الرحيم

« ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ،
الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا
وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم »
(يونس ٦٢ - ٦٤)

الإهـداء

إلى خير أمة أخرجت للناس أقـدم سيرة سبط من أسباط آل النبي ﷺ .

رجاء أن تكون ضوءا منيراً للسالكين طريق المحجة البيضاء .

رءوف شلبي

لا يبالي الأخيار في هذه الأرض
بباغ ومفتر وحسود
لو يبالون لم يشقوا طريقا
بين هذه الآفات نحو الخلود

المقـدّمـة

دلائل صدق التجرد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

دلائل صدق التجرد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعــــد ؟

فلقد كنت واحداً من تلاميذ مولانا الإمام الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود الذين ترعرعوا وشبوا على زاده ،ومنهجه، وسعدوا بعد أن تشرفوا بصحبته ردحاً طويلا من العمر ، ولفظ الصحبة هنا ليس فى محله من الأدب المطلوب من التلميذ تجاه شيخه ، ولكنه اللفظ الطبيعى الذى يصور طبيعة الارتباط بين التلميذ وهذا الشيخ بالذات فى جميع تطورات مراقى الأستاذية وتدرجه فى علو المناصب ثم لا يزال هو هو على سمته وأريحيته وطبعه الجميل الكريم .

* لقد صحبت مولانا ربع قرن من الزمان منذ عام ١٩٥٣م إلى ١٩٧٨م ، وكانت صحبته جامعة لكل التطورات ، والملابسات .

* صحبته تلميذاً وهو أستاذ ،لقد كان مع كبار جماعة علماء كلية أصول الدين زينة ومجداً ، وثناء ، وعطراً لكل من حبب إلى نفسه رسالة كلية أصول الدين ، ولقد كان الشيخ فى سنى الكلية صامتاً صمت السكون ، ولكنه كان يربى بالجاذبية الوجدانية كل من استضاءت حناياه بالمورد

الصافى لمصادر الرسالة فصدق قوله فعله ، وظهرت علامات الخير فى سلوكه فانجذبت نفسه إلى نفسه .

ولقد تخير صفوة من طلابه ليقيس مقدار نضوجهم به ومدى تأثرهم برؤيته، وتؤدته ، وسمته ، فكلفهم بالتحضير والتدريس واستمع إليهم فى هدوئه الهادىء وجلسته الرصينة ، وهو كما هو لا يتحرك ، ولا يستدير ، ولا يلتفت ولكنه يلمح كل حركة ، ويرقب كل همسة ، ويفتش عن معانى التحصيل من وجوه الطلاب ويتحسس جاذبية الطالب – المدرس – على آذان إخوانه المستمعين وفى نهاية الدرس : يعلق بما فات ، أو يصحح مالم يكن قد صح ، ويفسر ما أبهم ، أو يضيف جديداً ، ثم يضع الطالب فى دائرة قدرته، وينسى اسمه ، ولا ينسى رسمه ، ويعطيه عند الإمتحان حقه وزيادة ، وينصحه بقراءة لون معين من الثقافة .

ومن هـذه المدرسة تجمعت أحبة ليس بينهم مال يتوارثونه ولا أنساب تجمعهم ، ولا علائق تربطهم ،ولكن جمعتهم أربطة هذا المنهج حيث العلم المصفى، والمودة المؤنسة ، والأخوة المتحابة والكنف الموطأ ، والمجلس الطيب الرائحة ثم رحاب الشيخ الودود المستبشر ، الشفيق الخير ، الصديق الأستاذ ، والأستاذ الوالد ، والوالد الرحيم .

وصحبته موظفاً فكنت له عاملا يرتب له أوراقه ويستقبل ضيوفه ، وينفذ أوامره .

وللشيخ مفهوم فى الإدارة ، وهو مفهوم نابع من تصوره للقيم والأخلاق الأسلامية : إن الإدارة عنده :

* « إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين » .

* « الراحمون يرحمهم الرحمن » .

* « لا تنزع الرحمة إلا من قلب شقي » .

* « من كان في عون أخيه كان الله في عونه » .

* « طوبى لمن كان مفتاحاً للخير ، مغلاقاً للشر » .

— لقد كان يشفق على الضعاف .

— ويعتذر عند الله للكسالى .

— ويقدر العاملين والمكافحين .

— ويعفو عن المسيء .

— ويحسن إلى من يتوب .

* وكان يقدر لكل شيء قدره ، ويحسب له حسابه ، ويتروى ويفحص ويستشير كثيراً لكنه لا يحب أن تكون المشورة في جلسة يجمع فيها الناس ليبدى كل رأيه ، فانه كان يعلم أن الآراء قد تكتنفها حساسيات منها المجاملة ، أو المخاصمة ولذا فان المشورة عنده تؤتى ثمارها إذا أخذ الرأى من كل واحد على حدة ، وقد كانت مشورته غريبة ولا يدركها كثير من الخاطاء ، فانه كان يسأل الرجل عن رأيه في أمر معين ويسأل رجالا عن رأيهم في هذا الأمر،ثم يعود ويسأل السؤال نفسه لهؤلاء الأشخاص بأنفسهم ليعرف مدى ارتكاز الرأى على قاعدة في عقلية المستشار ، فمن كان رأيه صادراً عن قاعدة في التفكير لم يتغير رأيه في الأمرالذى سئل عنه من قديم ، ومن كان عاطفياً يلقى الرأى جزافاً اختلف رأيه ، وهنا يزن الإمام الأكبر مقدار العقلية ، ومدى إمكان الاعتماد عليها في المستقبل ومن هنا يظهر عدم دقة من يظن أن الشيخ كان ارتجالياً في بعض تصرفاته فان المسألة الواحدة كان يفكر فيها كثيراً ، وقد يطول تفكيره في حل مسألة معينة إلىعدة شهور أو عدة سنوات .

لم تكن مشورته في صورة لجان تدرس وخبراء يقدمون التقارير

بل كانت بأسلوب استخلاص الرأى دون شعور جماعى خوفاً من الحساسيات التى تصيب اللجان عادة .

ولهذا فلم يعد فى حاجة إلى سرية فى أعماله فرأسه هى مخزن كل شأن ، ومشورته شاملة لكل رأى ، وهو الذى يزن ، ويفهرس الآراء ، ويرتب ، ثم يأخذ بالرأى الذى ينتهى إليه وهو الجزء الذى يظن الناس أنهم فوجئوا به ، ولعل بعضهم يكون قد استشير فى هذا الشأن ، ولعل الرأى الذى انتهى إليه الإمام الأكبر بعضه من رأى هـــذا الذى يظن أنه قد فوجىء بالأمر المعين .

* ولقد كان فى إدارته لا يحب الأذى أبداً ، وكان يأخذ بأسلوب الإدارة بالأهداف ، فاذا عجز موظف عن أداء عمله وكل بهذا العمل رجلا آخر لديه كفاءة لإنجازه . ولم يقتنع قط بأسلوب الجزاءات وتغيير الموظفين ... فانه :

ه كان يتعرف على جوانب الخير فى الشخص فيركز عليها وينميها ويستثمرها لعله يطيب الجانب السلبى ، وذلك فى رأيه أفضل من تغيير العاملين .

ه وكان يقضى لكل إنسان حاجته ، وكان يود ألا يقول لأحد « لا » لأنه كان ييسر الأمور كما وصف رسول الله ﷺ طبيعة الأمة الإسلامية . « إنما بعثتم ميسرين » .

ه ولا يستطيع أحد أن يدعى أنه كان واسطة بينه وبين صاحب حاجة فلقد وسعت أخلاقه مطالب الناس جميعاً ، وفتح بابه لكل واحد ، واستمع لكل صاحب شكاية ، وأسهم فى حل كل معضلة وتشفع عند كل ذى مروءة .

* لم تكن مدرسته ومستشاروه بذات سلطة تحل وتعقد أو تسمع وتبلغ أو تشي أو تكسب لأحد خيراً أو تمنع عند أحد خيراً ، بل كانوا يعملون له ما يشاء مما يخبر الله به عليه فقد كان رضى الله عنه للمسلمين شيخاً وإماماً فالكل أمامه سواء ، حتى أن المسيء وغيره ليتساويان فى أحقية كل منهما برعايته .

المسيء بالنصيحة والعطاء .

والمحسن بالمحبة والغبطة والتقدير .

* وصحبته فى السفر : قريبة وبعيده فكان كما هو فى حاله لا يتغير فى منهاجه شيء .

* فهو يأوى إلى فراشه بعد صلاة العشاء تواً .

* ثم يقوم إلى تهجده ليلا ما شاء الله له أن يصلى ويقرأ القرآن .

* ثم يصلى الصبح ، ويأخذ فى قراءة أوراده وترتيل قرآن ربه .

* ثم يستمع إلى الإذاعات العالمية ، ويقرأ الصحف اليومية .

* ثم يبدأ فى الكتابة ، فما كان ليترك الإطلاع أو التأليف لا فى الحضر ولا فى السفر ، ولا فى الطائرة ، ولا فى الباخرة ...

* ثم يستقبل أعماله اليومية حسب برنامجه المرسوم فى السفر أو فى الحضر .

* وكان يحيط كل مرافقيه بالعناية والرعاية والسؤال عن أحوالهم .

* * ولقد كان من أهم مناهجه : العمل الدءوب ، لقد كان يخطط حسب منهجه ويجمع الآراء ثم يبوبها ، ويغربلها ، لاستخلاص الرأى الصائب منها ثم يحدد مجال التنفيذ ، ويبحث عن التمويل .

وأهم مناهج عمله : تهيئة الأمة المصرية لتطبيق الشريعة الإسلامية عن طريقين : —

الأول : الطريق التربوى وحدد لذلك أسلوب نشر المعاهد الدينية التى تلتزم بتعميم العلوم الإسلامية للفتيات ، والفتيان .

ونشر الكليات الأزهرية ليسهل على المسلمين طلب العلم فى كل محافظة .

الثانى: الطريق التشريعى عن طريق مجلس الشعب فأعد القوانين الإسلامية ثم قدمها إلى مجلس الشعب وراح يطلب بتنفيذها فى وقار وثبات وأدب جم دون جعجعة أو إعلان أو تشهير ، بل فى صمت دءوب وكتمان مصمم .

فلم يكن من صفاته الإعلان عن خططه ومناهجه ومن ثم كان بعض الذين لا يفهمون أسلوبه العملى لا يدركون الهدف العالى لسياسته فى نشر المعاهد ، والكليات ، ولا أدرى أهى بقية من بركاته أو هى دفاع الله عنه : إذ لا تزال دفعة إنشاء المعاهد قوية ، ولا زالت موجة بناء الكليات تجرف ، فسيول من الناس تنهمر على إدارة الأزهر والجامعة لإنشاء معاهد بالجهود الذاتية ، وكليات جمع لها مال وأعدت لها المبانى والتبرعات وكان الذين لا يتمنون لهذه السياسة أن تسير قد إندمجوا فى موكبها يفتحون المعاهد ، ويرسون قواعد الكليات فنالهم حظ من الثواب والرضوان .

أهى بقية من بركاته ؟ أم هى دفاع من الله عنه فان الله يدافع عن الذين آمنوا ؟ أم هما معا .. ؟؟

* * *

* * ربع قرن لم يعهد تلاميذ الشيخ أنه تغير قيد أنملة عن سمته الذى عهد عليه فهو لا يزال فى بيته ٢٤ شارع العزيز بالله بالزيتون ، إنه سكنه هو وقد

ملأه بالركوع وبالسجود ، وملأ أجواءه بالتسبيح ، والتحميد ، والتهليل، والتكبير ، وسعت إليه آلاف أقدام الطالبين والمحتاجين ، وأهل الرأى والجاه والسلطان من بعيد ومن قريب ، ولكن البيت كما هو منذ سكنه إثر عودته من فرنسا عام ١٩٤٢م إلى أن صار للمسلمين إماماً وللأزهر شيخاً ، وللشريعة الغراء منافحاً وللدعوة مرشداً ، وللقضايا المصرية مدافعاً ، والأثاث هو الأثاث والمنزل هو المنزل .

لم يتغير فى البيت شىء ما ، فقد عزم على التجرد من علائق الحياة لا للتزهد والتصوف رغبة فى شهرة أو تمنياً لإستشراق جاه أو مكانة ، بل ليكون حقاً عبداً لله رب العالمين .

ولقد أخذ نفسه بالمنهاج الصارم فى التجرد فباع ضيعة كان يملكها لتبرأ ذمته من ملكيته فى الأرض وقال لولده الأكبر — رحمه الله — الدكتور محمد لا تنتظر من ورائى ميراثاً ، وراح يوزع ماله الكثير على الطلاب المحتاجين ، والأرامل العجزة ، والمرضى الفقراء ، وإنه ليعطى عطاء يذهل العقول ، لقد رتب للبعض مائتى جنيه فى الشهر لأن حاجته كانت تستحق هـذا القدر من المعونة ، فما ضاع من ماله درهم فى إسراف ، فقد أدخر كل قرش جاءه ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

والسؤال الآن : هل كان هذا التجرد صادقاً ؟

الإتفاق الإجماعى فى الحكم على مثل هذه الأحوال هو : أن العبرة بالخواتيم فكيف كانت خواتيم أعماله ؟

* لقد سافر رضى الله عنه إلى عمرة قبيل وفاته بعدة أيام ، ثم عاد من بعدها ليدخل المستشفى ، فكان آخر عهد له بالسفر هو زيارة النبى ﷺ ، وإستلام الحجر الأسود ، والتمتع برؤية البيت العتيق .

* ومن قبل ذلك توفيت زوجه فى ١٨ مارس سنة ١٩٧٨ م ، فلم يعد خلفه أحد يستحق عليه معاشاً : لقد تفرغ قلبه من حب المال وكان التفرغ خالصاً لوجه الله فبين الله لأولى الأبصار كيف يقبل أعمال الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه ، إذ لو بقيت زوجه من بعده لكان لها معاش مستحق وكان له سمة بعد موته وذكر فى كراسات المال ، شاء الله تبارك وتعالى أن يجعل تجرده نقياً فاستقدم من قبله زوجه حتى يطهر اسم وليه النقى من شبهة معية المتعلقين بالدنيا ولو بالورثة المستحقين من بعدهم حق المعاش .

* وإذا كان الله قد أعلن صدق التجرد بهذه الخاصة فلم يترك الشيخ من بعده درهما ولا فلساً ، لقد ترك علماً ينتفع به وذرية صالحة لا نزكيها على الله ، وأدخر الله لوليه أعماله الصالحة مثوبة عنده وأجراً كريماً .

* وكان يقول لولده محمد رحمه الله لا تنتظر من بعدى ميراثاً فيكفى أنك تعلمت إلى أرقى درجات المعرفة — الدكتوراه — فدعنى ولا تسألنى ورثاً من بعدى . . . . وتحققت النبوءة فلم يلبث ولده الأكبر الدكتور محمد حتى لحق بوالده فى ٢٠ يوليو سنة ١٩٧٩ م ، فكانت علامة على صدق التجرد الذى قبله الله .

* وكان الشيخ رضى الله عنه خلية نحل تعمل للعلم ولم تخل مطبعة إلا وله فيها مقال أو كتاب ، ولم تخل إذاعة إلا وله فيها حديث أو فتوى ، فهل كانت كتاباته لوجه الله ! لقد كان آخر كتاب دونه ولما يطبع فى حياته لأنه كان آخر ما كتب ، لقد كان آخر كلماته كتاب بعنوان : وربك الغفور ذو الرحمة .

وتقبل الله منه كل دعوة دعا بها إلى الله فلقد صاحبت روحه وهى تصعد إلى الله تسجيلا له بالإذاعة عنوانه : « وهو الذى ينزل الغيث من بعد ماقنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميد » .

وقد دفن قبيل آذان المغرب فصاحب دفنه إذاعة تسجيل نفس الحديث ، فانظر كيف كانت مكرمة الله له عند خروج الروح يذاع له الحديث عن فضل الله الواسع ورحمته الفسيحة ويتكرر إذاعة الحديث لحظة دفنه أليست هذه علامة من علامات صدق التجرد ! !

* وكان له في المجلات صفحات وصفحات فهل كانت مخلصة كتاباته فيها لوجه الله ؟

لقد كان آخر مقال له في مجلة الأزهر عدد أكتوبر سنة ١٩٧٨ بعنوان : الإسلام هو التوحيد : ذكر فيه .

أن جوهر الإسلام هو التوحيد ، والتوحيد هو إخلاص الوجه لله .

وأشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله هي رسالة السماء الخالدة .

وتوحيد الإنسان معناه : أن تكون صلاته ونسكه ومحياه ومماته لله رب العالمين لا شريك له .

ويقترب الإنسان من المثل الأعلى الإسلامي بمقدار قربه من هذه المعاني : عقيدة ، وأخلاقا ، ونية .

وانتهى في المقال إلى نتيجتين :

الأول : إن الدين وإسلام الوجه لله والتوحيد والإسلام كلها بمعنى واحد يفسر بعضها بعض ، وكلها مطلقة لا يحدها زمان ولا مكان وكلمة الإسلام خير ما يعبر عنها في جوها وكمالها : قول الله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ». صدق الله العظيم

الثانية : هي أن جوهر الشخصية الإسلامية أو شخصية المسلم إنما هي إسلام الوجه لله أو التوحيد أو التدين الصادق أو الاسلام .

وبمقدار قرب المسلم من الإسلام يكون كمال شخصيته .

وكانت آخر كلمة قالها وهو على سريره النظيف الشفاف :
« الله حق ، الله حق » .

فكانت دلائل صدق التجرد واضحة ، وسماتها مضيئة لمن شاء أن يتأسى عنه إسلام الوجه لله فى صدق صادق صدوق .

وما زالت علامات صدق التجرد تدفع عجلة سياسته التعليمية في الأزهر فقد فتح الله قلوب الأمة إلى بناء مزيد من المعاهد ، وعديد من الكليات يستمر عمله الصالح موصولا تحمله الملائك مع الكلم الطيب والعمل الصالح كل يوم إلى الله رب العالمين .

اللهم ارض عن شيخنا ، وعوض الإسلام والمسلمين فيه خيراً وأحال من بركاته على الأزهر حتى يستمر فى أداء الرسالة فتطبق الشريعة ، ويعم الصدق وتزكوا الأخلاق الفاضلة وتنشر مبادىء الإدارة الرحيمة العادلة الميسرة ، وترتفع راية التوحيد فى الآفاق .

وأسكن اللهم شيخنا رياض جنتك مع محبيه مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . وحسن أولئك رفيقاً والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

رءوف شلبى

المنصورة فجر يوم الأربعاء الموافق : ١١ من ربيع الآخر سنة ١٤٠٠ هـ
٢٧ من فبراير سنة ١٩٨٠ م

نشأته العلمية

* أسرته .
* دراسته .
* الزواج المبكر .
* سفره إلى أوربا .
* العودة إلى الأزهر .

أسرته

والده :

هو العالم الجليل ، الحسيب ، النسيب ، الشيخ محمود على أحمد من نسب الحسين بن على رضى الله عنه ، فهو من تلك العترة النقية الطاهرة له من خصائصها ما تمتاز به تلك الدوحة المصطفاة من الطهر والشرف وكمال النبل .

لقد كان الشيخ محمود النجم اللامع للأسرة مشهوداً له بالرأى السديد وحسن المشورة وصدق النصيحة ، وكان ذا همة عالية يعطف على الفقراء والمحتاجين وله أريحية عالية ورجولة ذات شهامة وحزم : إذا عاهد وفى ، وإذا قال صدق ، وإذا استشير أشار بخـــير رأى ، وإذا استجير أجار بكل صدق .

لقد كان صاحب دين وخلق وعلم .. حضر على علماء الأزهر .. وكانت له ماتخصصات فى التفسير .

وكان الوالد يسكن فى عزبته على الساحل الشرقى لترعة الإسماعيلية قريباً من مدينة بلبيس وتسمى الآن « قرية السلام » .

وهى عزبة بناها جده لوالده الحاج أحمد بناها بيتا بيتا ، وأصلح أرضها فداناً فداناً ، فهى الخضرة السندسية التى تصل بين صحراء الشرقية وترعة الإسماعيلية . فى هذه القرية ذات الخضرة اليانعة والمـاء الجارى والسماء الصافية والصحراء الملساء والمنشرحة الآفاق كان يعيش والد أمامنا الأكبر ومواكب الناس من طالبى المشورة والحاجة تروح وتغدوا . . . . وكان من بين هؤلاء أولئك القوم الذين كانوا يزرعون فى ضيع الباشوات والبكوات المجاورة

وكانوا يأتون إلى الشيخ محمودعلى ليقضى لهم حاجاتهم ويعينهم على نوائب دهرهم . فلقد كان رضى الله عنه أحق الناس بتحقيق قول سيدنا رسول الله ﷺ

« إن لله عباداً أختصهم بحوائج الناس يفزع الناس إليهم فى حوائجهم أولئك الآمنون من عذاب الله »(١) .

ولهذه الأريحية النبيلة والشهرة المشهورة فى إغاثة الملهوف وإقامة العدل والإحسان فقد اختارته الحكومة قاضياً فى المحاكم التى كانت تؤلفها فى ذلك الزمن من وجهاء الناس وكبار القوم وأصحاب الرأى والمشورة لفض المنازعات وحل الخصومات بين أهالى البلاد .

فوالده : حسينى ، أزهري ، ومصلح ، وقاضى ، وصاحب مشورة ، ومحل ثقة وتقدير وحب من أهل دائرته(٢) .

أمه :

فى إيجاز حيى يجب أن يلتزم فى مثل هذه الظروف أقول : إن والدة عالمنا الأجل وإمامنا الأكبر هى من نفس العشيرة وفرع من فروع الشجرة الطيبة إنها كذلك حسينية تحمل من صفات آل البيت ما هم له أهل بما أكرمهم به الله وعطرهم به من كريم الأخلاق وكما يقول مولانا رضى الله عنه فى شأنها .

« وقد وهبت حياتها فى سماحة لوالدى ولأبنائها ، ولم تأل جهداً فى توفير الراحة لهم وكانت كريمة بالنسبة للفقراء والمساكين تعطف عليهم ، وتبرهم ، وترسل إليهم من الطعام والكسوة وما تثمر الأرض من خضروات وبقول وفاكهة »(٣) .

---

(١) رواه الطبرانى فى الكبير من طريق ابن عمر حديث حسن .

(٢) الحمد لله هذه حياتى ، كتاب الأستاذ إبراهيم البعثى — الفصل السابع من كتاب شخصيات إسلامية معاصرة .

(٣) هذه حياتى ص ٣١ .

فالأسرة نسبا أسرة شريفة ، والأسرة اجتماعياً أسرة عريقة فى الكرم والقضاء ، والأسرة مالياً من أعيان الريف الذين لهم يد طولى فى الكرم والعطاء واستقبال حاجات الناس بالسماحة والتيسير .

فى هذه الأسرة ومنها ولد أمامنا الأكبر رضى الله عنه فى مايو سنة ١٩١٠ وكان مولده مثار لهفة على الإنجاب فقد سبقه أخ وأختان اختارهم الله وهم فى سن الرضاع .

لقد كانت ولادته مصحوبة بلهفة ، وكانت مصحوبة كذلك بالأمل والرجاء كأنما البيئة قد هيئت للترحاب به من عمق القلوب وأطراف المشاعر وأغوار الأحاسيس .

لقد استقبلته الأسرة كلها رجالا ونساء باللهفة والحب والحنان والعطف وأحاطوه بكامل الرعاية والأنس والمودة كل يتحسس لذة حبه فى فؤاده ويحس بمسرى مودته تجرى فى مشاعره فنشأ فى بيت الكل فيه يحبه ويتمناه ويحن إليه.

دراسته

إلى كتاب القرية ثم إلى الأزهر :

ولم يكن فى الذهن من مستقبل مرموق لواحد من آل البيت الكريم الشريف إلا أن يذهب إلى الأزهر فأدخلوه كتاب القرية حتى أتم حفظ القرآن الكريم وكان يومها يوم الفرحة العارمة والبهجة البهيجة والسرور التام الشامل فقد ذبحت الذبائح وأكل الشارد والوارد وأقيمة حفلة الذكر شكراً لله تعالى .

أما الشيخ الذى تعهد مولانا بحفظ القرآن الكريم فقد ظفر بما لم يكن فى حسبانه .

وقد أتم الإمام الأكبر حفظ القرآن الكريم فى سن صغيرة لم تسمح له بعدها بالإلتحاق بالأزهر الشريف فالتحق بالمدرسة الأولية (الإلزامى الآن) حتى ناسب سنه دخول الأزهر .

وفى عام ١٩٢٣ سافر مع والده إلى القاهرة ليدخل الأزهر وكانت الدراسة فى ذلك الحين داخل المسجد نفسه .. وفى هذا يقول الإمام رضى الله عنه :

« وكان المسجد منذ بدأ الإسلام إلى عهد قريب يرتبط بالمعهد برباط وثيق » .

وكان المعهد شديد الارتباط بالمسجد لقد فقدنا نحن الآن فكرة

المسجد المعهد ، أو المعهد المسجد ويجب أن نحييها من جديد ونعود إليها فإنه فرق هائل بين أن تدرس تفسير القرآن الكريم ، والحديث النبوى الشريف والفقه فى المسجد ، وأن تدرس ذلك فى غرفة لا يشع منه ما يشع فى المسجد من نور الإيمان وجلال المكان وعبير العبادة[1] .

ودام الإمام فى الأزهر يدرس زهاء عامين افتتح بعدها معهد الزقازيق فانتقل إليه وهو بالسنة الثالثة الإبتدائية (الإعدادية الآن) وكان شيخ المعهد فى ذلك الوقت هو الشيخ ابراهيم الجبالى رحمه الله وكان رحمه الله ذا صوت جهورى وسمت مهيب فارع القامة ممتلىء الجسم فضفاض الملابس وكان عالماً وأديباً ومتحدثاً لبقاً وكاتباً بارعاً .

عقبات فى الطريق :

لم يكن للأسرة من أمل فى ولدها عبد الحليم إلا أن يكون عالماً من علماء الأزهر لا سيما وللاسرة نسب زكى يحتم عليها أن توجه ولى العهد فيها لهذه الغاية الكريمة .. لكن المقادير تجرى بأمر الله وإرادته فقد فتحت وزارة المعارف آنذاك مدارس المعلمين وهى دراسات مسائية فتقدم إليها الشيخ عبد الحليم مع طائفة من أصحابه ورفاقه ونجح وجاءته الوظيفة ليكون مدرساً فى المدارس الأولية وهى فى ذلك الوقت أمل مرموق لكثير من عامة الناس ولكن والده رفض .

كذلك افتتحت تجهيزية دار العلوم وأراد الشيخ عبد الحليم أن يدخل دار العلوم فكم كانت فى ذلك الوقت مركز جاذبية لكثير من الأزهريين وغيرهم ...

---

(١) هذه حياتى ص ٧٥ .

ولكن هذه العقبات لم تحل دونه ليستمر فى دراسته بالأزهر بل منحته فرصة أوسع وأقصر .

فبعد أن نجح فى الشهادة الإبتدائية من الأزهر فصل نفسه من معهد الزقازيق نظراً إلى أنه قد حصل على معلومات فى مختلف العلوم أثناء استعداده للدخول فى تجهيزية دار العلوم ، وامتحان شهادة المعلمين وكانت هذه المعلومات فوق مستوى نظائره فى معهد الزقازيق فوجد نفسه فى مرحلة علمية متقدمة على الدراسة فى الصف الأول الثانوى وإذن فهو يضيع الوقت عبثاً إذا سار على الوضع الطبيعى من الأولى الثانوية حتى الخامسة الثانوية .. وكانت نظم الأزهر إذ ذاك تسمح للطالب أن يتقدم للثانوية من الخارج ما دام حاصلا على الشهادة الإبتدائية .. وفكر الشيخ عبد الحليم وفصل نفسه من معهد الزقازيق عام ١٩٢٨ م وتقدم لدخول امتحان الشهادة الثانوية .. ولأجل هذا اعتكف فى منزله وواصل الليل بالنهار فى المذاكرة وجاء يوم الإمتحان وما أمرعه وانتهت أيامه وما أطولها وظهرت النتيجة وما أثقلها من ثوان تمر على القلب فلم ينجح أحد إلا واحداً كان هو الشيخ عبد الحليم محمود لكنه نجح وله دور ثان فى النحو والصرف .

وعاد إلى ألفية ابن مالك ليحفظها وليتقن حفظها حتى يأتى على كل مسائل النحو والصرف من أصولها وجاء الدور الثانى وكانت مسائل الإمتحان سهلة لينة بعد هذا الاستعداد ونجح الشيخ عبد الحليم محمود وقفز القفزة الواسعة من الإبتدائية إلى الثانوية فى عام واحد وعاد إلى القاهرة إلى المسجد الأزهر من جديد .

فى القسم العالى :

حتى هـذا التاريخ لم يكن الأزهر قد تحول إلى كليات متخصصة فان

الأزهر كأزهر قد تخصص فى الحفاظ على الدين لغة وأصولا ونشراً للرسالة ولا يمكن الفصل بين هذه الأمور الثلاثة فهى متلازمة ومتكاملة : أصول الدين ولغة القرآن وشريعته ونشر الدعوة بمناهجها وأساليبها .

وكان القسم العام هو الأزهر الذى يحمل كل هذا العلم ، والأزهر بهذه المثابة يشع بالعلم : إن جدران الأزهر وأعمدته ، وأرضه وكل شيء فيه يشع بالعلم منذ مئات السنين .

فى داخل المسجد الأزهر يحيا الإنسان فى جو الإيمان وفى جو العلم وجو الجهاد وكان شيوخ أمامنا الأكبر فى هذا الجو المشبع بالعلم والإيمان والجهاد هم :

* الشيخ محمود شلتوت : يقول عنه الإمام الأكبر : إنه عالم مفكر قوى الحجة متحدث لبق .

* الشيخ حامد محيسن : عالم مستقل التفكير لا يعرف التقليد فى الرأى ، ولا يسوق الرأى دون برهان .

* الشيخ سليمان نوار : أديب ، له ذوق راق فى البلاغة وكان طاهر القلب .

* الشيخ محمد عبد اللطيف دراز : ثائر مناضل خطيب ممتاز لا يسأم من مساعدة الآخرين ، ولا يتوانى عن السعى فى مصالح الضعفاء ، حديثه ممتع ، وفى أسلوبه عذوبة .

* الشيخ الزنكلونى : قمة اللامعين من رجال الأزهر ، من كبار العلماء فيه جرأة نادرة ، له فى المشاورات السياسية سهم ، وفى النضال العلمى له أسهم مرموقة . كان يعتبر نفسه أبا لكل من سمت به آماله وارتفع به طموحه عن مرتبة الإمعات يأخذ بيده ويدفع عنه مكر الماكرين .

* الدكتور محمد عبد الله دراز : الخلق الكريم ، يتدفق أسلوبه فى البيان عذباً شهياً وأراؤه موفقة .

* الإمام الأكبر الشيخ محمد مصطفى الراغى :

كان فى الآفاق العليا التى تتطلع إليها في احترام وتقدير ،عالم ذكى مهيب ، صاحب رأى فى العلم والسياسة ، بليغ الأسلوب ، لصوته فى الخطابة وفي الدرس نغمة موسيقية عذبة .

* الإمام الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرزاق :

وفى هذه الآفاق العليا أيضاً مصطفى عبد الرازق عالم فيلسوف حيى حليم كريم بماله ووقته ، خرج جيلا من النابهين فى الجامعة . وأسهم فى الحركة العلمية بجهود عظيمة ، ألف ، وحاضر ، وكتب ووجه التلاميذ .

هؤلاء قلة من أساتذة الشيخ يصفهم لا على سبيل الحصر ، بأنهم كانوا يمتازون بالجد فى تحصيل العلم ولكن الذى يركز عليه أمامنا فيما يتعلق بالأثر العلمى الواضح فى حركة الفكر الإسلامي هو الإمام الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق لأنه انتهى من تفكيره إلى نتائج ثلاث وهى :

١ — أن منطق المسلمين هو أصول الفقه (ولهذا السبب نفسه أثرت إلا أن أجعله مادة فى خطة كلية أصول الدين بالمنصورة) .

٢ — المنطق الأرسطى لا فائدة فيه .

٢ — الاستفاضة فى الجدل الكلامى غير محمودة .

مع جمعية الشبان المسلمين وجمعية الهداية الإسلامية :

وأيام طلب العلم فى الأزهر كانت هناك جميعات علمية لها نشاط صادق

فى توجيه الشباب وكانت جمعية الشبان المسلمين محط أنظار الشباب المسلم فى ذلك الوقت .

وكذلك كانت جمعية الهدايا الاسلامية التى يرأسها الشيخ محمد الخضر حسين لها عناية بالشباب والفكر الاسلامى ومواجهة التيارات الضالة والشيخ محمد الخضر مؤمن صادق مجاهد مناضل وهو تونسى المنبت جاء إلى مصر فاراً من أعداء الله الذين حكموا عليه بالاعدام وهو عالم ثبت فقية لغوى أديب وكاتب من الطراز الأول وقد أرضى بنزعته المعتدلة ومحبته اللغوية جميع الطوائف المشتغلة بالحركة الفكرية فى مصر لأنه يستند فى أدلته على الدليل الواضح المتين المقبول .

مع محمد فريد وجدى :

كان وجدى مهتما بالتصدى للنزعات الالحادية والمادية يرد عليها ويهاجمها وقد ألف فى هذا كتابه النفيس : « على أطلال المذهب المادى » تعرف عليه مولانا الأمام الأكبر أثناء دراسته بالقسم العالى بالأزهر فقد كان فريدوجدى يستقبل رواده من طلبة العلم كل يوم بعد صلاة المغرب لمدة ساعة يتحدث إليهم ويجيب على أسئلتهم . لقد كان أمة وحده كما يقول شيخنا : كان قلمه يصول ويجول فى كثير من المعارك الفكرية وكان لإتجاهه الإسلامى يتعرض لكثير من الهجوم العنيف من الملحدين والماديين .

وفى مقدمة الماديين الملحدين المهاجمين للاتجاه الاسلامى جماعة وهبوا أنفسهم للضلالة من أمثال :

جورجى زيدان الذى لم يكن مصريا بل كان من النازحين الذين أوتهم مصر وكرمتهم .

وشبلي شميل ، ويعقوب صروف ، وأصحاب المقتطف والهلال الذين لم يرعوا حرمة ولا كرامة للبلد الإسلامي الذى رحب بهم وآواهم فارتموا فى أحضان الاستعمار وعاشوا فى كنفه ونشروا تشكيكه وسمومه وماديته والحاده .

أن مصر بلد مؤمن طيبة الطبيعة سليمة الفطرة وكل من دعا فيها إلى الحاد أو مادية فستجده إذا امعنت النظر واحداً من ثلاثة :

— نازحا إلى مصر من بعيد .

— عميلا للاستعمار خائنا للوطن والقلب والمشاعر .

— صديقا لأعداء الاسلام لحقد فى قلبه على الاسلام ومصر والمصريين والمسلمين .

شهادة العالمية :

كان الشيخ عبدالحليم يذاكر دروسه في جو هادىء متنسم عبير الحدائق وأريج الأزهار .. إنه يتحدث عن ذلك فيقول :

أمام بيتنا حديقة صغيرة من أشجار الليمون والمانجو تحفها أشجار النخيل يفصلها عن البيت جدول من المياه يسمى فى الريف عادة (الخليج) .

لقد قضيت أياما من أجمل أيام حياتى فى هذه الحديقة تحت شجرة ضخمة من أشجار الليمون كانت كأنها خيمة تظلنا فى فراغها المتوسط ، وتحنو علينا بأفرعها وغصونها وكانت للحديقة عبير منعش وكان فيها جمال وهدوء كنت أحمل كتبي فى أوائل الصيف وأحمل الفرش المناسب ، وأترك الكتب والفرش فى المساء لأعود إليها فى الصباح أقضى الساعات فى قراءة متنوعة

تشرق علي الشمس وأنا فى الحديقة ، وتغرب الشمس وأنا فى الحديقة ، ولم يفصلنى عن هذه العادة فى الصيف ألا سفرى إلي فرنسا .

أما إذا كان فى الأزهر فقد كان فى صحن الازهر له متعة يسير فيه جيئة وذهابا يقرأ ويدرس .

فهو إما فى الروض بالحديقة وإما فى روض الأزهر فى صحنه المبارك وإما فى جمعية الشبان المسلمين أو الهداية الاسلامية أو عند الكاتب الاسلامى الكبير فريد وجدى فنزهته للعلم ، وحله وترحاله فى الجو الاسلامى يحفظ أو يفهم أو يقيم أو يسافر الغاية واحدة الاسلام : الجو الاسلامى والفكر الاسلامى ، والبيئة المسلمة . وكانت خاتمة هذه الحياة حصوله على شهادة العالمية .

وكان والده رحمه الله يلازمه فى الايام الاخيرة من طلب العلم خاصة تلك التى سبقت امتحان العالمية فقد كان الوقت فى حينها رعب وغلظة، اللجنة تتكون من خمسة من كبار العلماء وكان الامتحان الشفوى أصعب ما يكون فى المواجهة والتحدى مع ما كان للشيوخ من هيبة وما كان لهم من قسوة .

ونجح والحمد لله وكأن والده قد أحس ببرد الراحة فى صدره فقد صار ولده الأكبر من علماء الأزهر وغاية ما يتمناه أن يراه مدرسا بالأزهر .

الزواج المبكر :

قضية الزواج المبكر قضية عسيرة الهضم عند كثير من الناس بغض النظر عن القدرة المالية وعدمها .

فالبعض يراها متعارضة مع طلب العلم حتى ولو كان الوالد غنياً لأن طالب العلم له مقوماته ووقته والحياة الزوجية لها ظروفها وأحوالها وقد تتعارض مصلحة طلب العلم مع حاجات الأسرة .

وهذا البعض محق فى حالتين :

(أ) حالة الفقر .

(ب) وحالة انشغال الولد بزوجته عن طلب العلم .

والبعض الآخر يرى أن الزواج المبكر عصمة من الذلل لا سيما إذا كان الحال ميسوراً .

والحديث الشريف يقول :

(يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء)[1] .

غير أن حالة مولانا الإمام الأكبر حالة خاصة فقد تزوج وهو فى السنة الأولى الابتدائى بالأزهر ومع هـذا فقد تخطى كثيراً من الزملاء ودخل فى مسابقتين نجح فى مدرسة المعلمين ، وتجهيزية دار العلوم ، وحصل على العالمية دون تعثر أو صعوبة إنها واحـدة من رعاية الله له لا يقاس عليهـا ولا يعالل لهـا بيسار والده أو غناه ولنستمع لمولانا وهو يتحدث عن قصة زواجه : يقول :

فى منتصف العام زارنى والدى رحمه الله فى المعهد المسجد ولعله جاء إلى المعهد ليقف على مدى انتظامى فى الدراسة ، ولعله أخذ يراقبنى عن بعد ، ثم التقى بى وشرع يحدثنى عن الزواج وعرض على أسماء فتيات واستطاع رأيى .. وكانت سنى آنذاك ثلاث عشرة سنة ، وكان رأيى الذى قلته له : الأمر لك ولوالدتى .

---

(١) الباءة : القدرة على النفقة .
الوجاء : الحفظ والصون .

وعاد والدي إلى (العزبة) ومضت فترة جاءنى بعدها خطاب يقول فيه والدي :

« إن الأسرة كلها فى شوق إليـــك فاحضر لتراك ولتطفىء غلة شوقهـا إليك » .

وعدت إلى العزبة فى مساء الأربعاء .. وتم عقد زواجي فى يوم الخميس .. وعدت إلى القاهرة فى يوم الجمعة .

هذا الزواج المبكر عصمة وعفة وهما صنوان يحثان على الطاعة والتقوى وطلب العلم يحتاج إلى الطهارة والنقاء والبراءة من الدنس فقد شكا الشافعى إلى وكيع شيخه سوء الحفظ فقال له أترك المعاصى . .

شكوت إلى وكيع سوء حفظى

فأرشـــدنى إلى ترك المعـاصى

وأفهمنى بأن العـــلم نور

ونـــور الله لايهدى لعاصى

ونجح شيخنا فى الإمتحان من السنة الأولى وعاد ليقضى أجازته الصيفية وكانت فرصة للاسرة لإتمام زواجه بالزفاف وحسب عادة الريف وأسر اليسار والخير أركبوه الفرس وطاف به الموكب فى شوارع العزبة وحولها.. وتعالت الزغاريد ودقت الطبول ، وصدحت المزامير ، وأطلقت الأعيرة النارية بكثرة غير معهودة وإرتفعت أصوات التهانى ومدت الموائد وإجتمع الناس على طعام كثير وخير وفير .

ثم كانت سهرة ظل طيفها ماثلا فى الأذهان سنوات طويلة فقد سهر الناس ليلتهم يذكرون الله ، ويستمعون إلى القرآن الكريم من كبار القراء المشهورين

ومضت الحياة بهذه الأسرة المبكرة على الرخاء الرخي والرضوان الرضي إلى أن إجتمعا في رياض الجنة مع الصديقين والصالحين .

السفر إلى أوربا :

كان الشيخ محمود على في نشوة الفرحة بنجاح ولده الأكبر في شهادة العالمية وكانت فرحته متعددة النواحي .

إنه فرح لأن ولده أصغر الحاصلين على العالمية من الأزهر سنا .

وهو فرح لأن ولده أجتاز إمتحانها بتفوق .

وهو فرح لأن ولده سوف يكون مدرساً بالأزهر .

وسط هذه النشوة المتعددة الدوافع فوجىء الشيخ الوالد برغبة ولده الأكبر في السفر إلى فرنسا ، وعلى عادة الآباء حاول أن يقنعه بالعدول عن رأيه ولكن التصميم قد أخذ حده فلم يأل الوالد جهداً عن تحقيق رغبة ولده الأكبر ورافقه إلى الاسكندرية مودعاً إياه إلى فرنسا .

في مارسيليا :

لقد خرج الشيخ عبد الحليم من مصر وهو :

(أ) محصن عفيف .

(ب) عالم معتز بأزهره .

(ج) فاهم لكل مخططات الإستعمار .

(د) مدرك لأبعاد المعركة ضد التيار الإسلامي في مصر .

(ه) مدرك لنواحي الضعف في نفوس بعض الناس .

وفى المركب تعمق شعوره فى الإيمان بالله حيث يجد الإنسان نفسه بين السماء والماء كأن الحدود قد ضاعت واللانهائية بلا شواطىء فأستقر فى الوجدان عند المسافر عمق الإيمان وأذكى شعوره الدينى .

وفى مارسيليا نزل ووطئت قدمه أرض فرنسا فى أكتوبر سنة ١٩٣٢ فلاحظ على شعبها للتو مسألتين :

الأولى : السرعة .

الثانية : النظافة .

يقول الشيخ : يبدو أن الوقت الذى نزلنا فيه كان وقت إنصراف العمال للغذاء ، لقد رأيت السرعة فى كل إتجاه ، ونشاط الحركة فى كل ناحية .. إن كل شىء هنا يوحى بالنشاط والحركة والسرعة .. وهذا الذى رأيته فى « مارسليا » رأيته فيما بعد فى كل مكان توجهت إليه .

وإنطبع فى نفس الشيخ أمل لأمته العربية المسلمة فهى أحق بهذا اللون من النشاط فان الرسول ﷺ كان يعدو إذا مشى ، وعمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يسرع إذا مشى.. ونهضة الأمم لاتكون بالكسل والخمول بل بالحركة والسرعة والنشاط وتوجه الشيخ إلى الله أن يكتب لأمتنا أن تنفض عنها غبار الكسل والخمول ، وأن يوجهها إلى أداء الأعمال فى أوقاتها وألا تؤخر عمل اليوم إلى الغد .

أما عن النظافة فانه وجد الشوارع نظيفة والمحال العامة نظيفة والناس جميعاً ذكوراً وإناثا نظفاء .

وتحرك فى خاطره أن دين الإسلام هو دين النظافة وهو دين الجمال والطهر .

« إن الله جميل يحب الجمال ، إن الله طيب لا يقبل إلا الطيب »
« خذوا زينتكم عند كل مسجد » (الأعراف)

ثم الوضوء والغسل وفرض طهارة الجسد والثوب والمكان .. إن كل ذلك وغيره يوجه المسلم فى قوة وإستمرار إلى أن يكون نظيفاً بل يوجهه إلى التنسيق والجمال .

ودعا ربه : اللهم يسر لأمتنا التزام توجيهك .

مشكلة اللغة :

التحق الشيخ عبد الحليم بجامعة السربون وتعرف فيها بأساتذة الإستشراق ماسينيون و «موسيه» ذلك الذى أهتم به إهتماماً كبيراً حينما علم أنه من الأزهر وكان « موسيه » عارفاً بلهجات البلاد العربية المختلفة فضلا عن اللغة العربية الفصحى .

جلس الشيخ عبد الحليم مع المستشرق موسيه يتحدث معه وفجأة نادى موسيه على فتاة وقال لها :

إن هذا الأزهرى لا يعرف الفرنسية ويريد أن يتعلمها وأنت لا تعرفين العربية وتريدين تعلمها فاذهبي إليه في غرفته وباد ليه درساً بدرس فالدروس هنا لا تسعفه ..

وأحس الشيخ عبد الحليم بالخجل كيف يتأتى أن يسمح له عفافه ودينه بأن يخلو بفتاة فى غرفة ويغلق عليه وعليها الباب .. فتخلص من هذا المأزق باعتذاره عن هذه المساعدة لأنه بعد لم يستأجر غرفة مناسبة .. لم تكن هناك عقبة فالتحق بمدرسة ليلية عاونته على التقدم السريع فى الفرنسية .

مشكلة التقاليد الأوربية :

بعد وصول الشيخ عبد الحليم إلى فرنسا ذهب في صباح اليوم التالى إلى

مكتب البعثة المصرية فتلقاه المدير وعلى العادة قدم له النصائح خاصة وأنه شاب أزهري ومن وجهة نظر مدير البعثة أن التقاليد في فرنسا لا تتفق مع الجو الإسلامي وإذن فلا داعي للتزمت على حد تصور الدبلوماسي .

وكان الشيخ قد وضع لنفسه إطاراً للتعامل في هذه البيئة وهو أنه سيسخر في نفسه من كل مالا يعجبه دون إبداء رأي . . . فلم يرد بالموافقة أو المخالفة على نصائح السيد مدير البعثة .

نشاط إسلامي في باريس :

ولكن الظروف تضع الشيخ فجأة في مأزق ذلك أن رجلا مسلماً من يوغسلافيا قد تعرف على الشيخ أول نزوله وكان يسمى «الطيب» وكان الشيخ قد ارتاح له وأنس به فقد التقيا في المسجد الجامع بباريس وتعرفا ودعاه لمقابلة محمود بك سالم .

وذهب الشيخ عبد الحليم مع المسلم اليوجوسلافي الطيب وقابلا محمود سالم وأحس الشيخ عبد الحليم عند لقائه بمحمود سالم هـــذا بالضيق وعدم الارتياح معاً .

لقد كانت نظراته تنعكس تماماً في داخل نفسه واستقرت على أفكاره ، ولم يبد حفاوة بالمصري الجديد الذي نزل لأول مرة بفرنسا . . . وفاجأ الشيخ عبد الحليم بقوله : موعدنا الليلة في المحطة الساعة الخامسة لنستقبل الأستاذ خالد شلدريك .

من هو خالد شلدريك هذا ؟ ولم نستقبله ؟ وهل من الضروري أن يذهب الشيخ عبد الحليم لاستقباله ؟ أسئلة عديدة طافت بذهن الشيخ دون أن يجد لها جواباً وكادت أن تعوقه عن الذهاب في الموعد المضروب غير أن الشعور

بالغربة الذى يدفع إلى حب التعرف بالآخرين وحب الإستطلاع دفعا الشيخ إلى إستقبال خالد شلدريك .

ووصل خالد شلدريك وكانت السيارات معدة لنقله إلى حيث ينزل ووصل الركب وفيه الشيخ عبد الحليم إلى قصر فخم وإذا بسيدة أنيقة تستقبل الضيوف فى صالون غاية فى الفخامة والأبهة . . . إنها أميرة سرواك إحدى ولايات ماليزيا الشرقية حالياً وهي أميرة إنجليزية أسلمت وكتبت كتاباً عن سبب إسلامها نشرته على نطاق واسع وفى الحفل رأى الشيخ أمرين أحدهما كاد يخرجه من القاعة والثانى أدهشه لكثرة الذين دخلوا فى الإسلام عن دراسة وتمعن .

أما الأمر الأول : فهو تلك التقاليد الأوربية التى تتنافى مع الأخلاق والمثل العليا والنخوة الشرقية .

لقد رأى الرجال يحنون رؤسهم إنحناء شـــديداً لصاحبة القصر ثم يقبلون يدها .

ورأى نساء عاريات الظهر وهو أمر تمجه الفطرة الزكية لا سيما من رجل أعفه الله منذ الصغر وعاش فى بيئة كلها طهر ونقاء وطاعة وتقوى .

أما فيما يتعلق بمصافحة سيدة القصر فانه لم ينحن ولم يقبل يدها مما أثار تساؤلات الموجودين ، وكأنما قد ثأر لكرامة الرجال بهذه الجرأة فى هذا المجتمع .

وأما فيما يتعلق بالنساء العاريات فقد هم بالإنصراف من الحفل حتى انتبه الجميع إلى حركته ، ولكن المسلم اليوجوسلافى (الطيب) حاول أن يقنعه بأن هذا اللون موجود فى بلاد العالم كله حتى القاهرة . . . . وبقى الشيخ وقد وطن نفسه أن يسخر من كل ما لا يليق بالأخلاق الفاضلة دون إبداء رأى . .

وأغض بصره عن تلك الظهور واستمر فى الاحتفال الذى ألقت فيه أميرة سروالك محاضرة عن سبب إسلامها .... وهي أنها عرفت أن الإسلام دين سماحة .

وأما الأمر الثانى : فهو هذا الجمع من الأجناس الشتى التى دخلت فى الإسلام عن مطالعتها وقراءتها دون مبشر أو داعية أو مبلغ واعظ ، إنها على اختلاف جنسياتها تجتمع اليوم لتحتفى بمسلم جديد هو خالد شلدريك الذي أسلم ثم كرس حياته لخدمة الإسلام ونشره .

وأخذت هذه الصورة تعتمل فى نفس الشيخ يفكر فى :

(أ) العوامل التى جعلت هؤلاء يتخلون عن المسيحية .

(ب) والعوامل التى دفعتهم إلى اعتناق الإسلام على الخصوص دون غيره من الأديان .

مشكلة المنهج الأوربى :

جلس الشيخ عبد الحليم محمود فى فصول جامعة السربون يدرس علم الاجتماع وعلم النفس والفلسفة ومقارنة الأديان .

لقد أدهشته هذه الديكتاتورية التى يمليها الأساتذة على الطلاب أنهم يبثون الآراء كأنها قضايا مسلمة وخاصة إذا كانت المسائل تتعلق بأمور فى الإسلام إنهم يجعلون من شكهم حقيقة ، ولا يتركون فرصة للمناقشة ولا يعرضون الوجهة الثانية للفكرة حتى ولو من غير أدلة .

لقد كانت الصعوبة النفسية التى واجهها الشيخ عبد الحليم فى السربون هى مشكلة منهج الفكر الأوربى فى معالجة قضايا الإسلام على الخصوص ، ولكنه وطن نفسه من أول الأمر منذ وطئت قدمه أرض فرنسا أن يقابل كل شىء

لا يتفق مع الأخلاق الفاضلة بالسخرية دون إبداء رأى . . وفعل واستمر فى دراسته على حساب نفسه ونفقته التى تأتيه من عزبة أبو أحمد من الشرقية حتى حصل على الليسانس عام ١٩٣٧ م ، وكان الأزهر قد فكر في إيفاد بعثات إلى أوربا ، وسواء كانت الفكرة صحيحة أو غير صحيحة ، ولكن الأزهر أرسل بعثات إلى فرنسا ليتزودوا مع علوم الإسلام بثقافة أوربا .

فكانت إلى هذا الوقت جاذبية « عقدة الخواجة » تتحكم فى شئون مناهجنا ولما علم الأزهر بالنشاط العلمى الذى يقوم به الشيخ عبد الحليم فقد ألحقه بالبعثة الرسمية للأزهر فى فرنسا عام ١٩٣٨ م فأخذ يفكر بعد حصوله على الليسانس فى التحضير لدرجة الدكتوراه واختار موضوعا يتعلق بالفن والجمال ولكن المختصين رفضوه فاختار موضوعا آخر يتصل بمناهج البحث فرفضه المختصون كذلك ، وكان فى كل مرة يقتنع بأسباب الرفض التى أبداها المتخصصون ، وأخيراً توصل مع المستشرق الفرنسى « ماسينيون » إلى أن يكتب عن قضايا التصوف من خلال دراسته للحارث بن أسد المحاسبى .

وشمر عن ساعد الجد وطلب المخطوطات من هنا وهناك وجاءته من مصر مخطوطات من مكتبة الأزهر ودار الكتب المصرية بالإضافة إلى ما قدمه المستشرق ماسينيون من مخطوطات وكتب ، وسارت جهود الدراسة رتيبة ميسرة وفجأة أعلنت الحرب العالمية الثانية فى سبتمبر ١٩٣٩ واستدعى المشرف على الرسالة المستشرق « ماسينيون » إلى الجيش وارتدى الزى العسكرى ، وأصبحت مقابلته متعذرة .. .. ودخل هـذا الجو فى دخان الحرب وأهوال التدمير ثم جاءت لحظة فرج من عند الله تبارك وتعالى فتحدد يوم ٨ يونيو سنة ١٩٤٠ لمناقشة الرسالة عن الحارث المحاسبي وقدر المناقشون للرسالة مرتبة الشرف الأولى وطبعت الرسالة فى فرنسا باللغة الفرنسية .

وبهذه الرسالة تحددت معالم الشخصية للشيخ عبد الحليم محمود على نحو ما سنعالج إن شاء الله فى مكانه .

العودة إلى مصر :

من أكتوبر ١٩٣٢ م إلى يونيو ١٩٤٠ م ثمانية أعوام جمع فيها الشيخ عبد الحليم محمود بالإضافة إلى علوم الأزهر التى حصل بها على العالمية عام ١٩٣٢م مجموعة من المعارف من أهمها :

(أ) أن الحركة والنظافة التى تعيش فيها أوربا هى أصلا فكرة إسلامية أخذ بها الغرب الذى كان يعيش قديماً فى المستنقعات وتركتها الأمة الإسلامية بعد أن حلت فيها أساليب السياسة العلمانية .

(ب) أن جمهرة من مثقفى أوربا يدخلون الإسلام ويرفضون المسيحية لمجرد أنهم قرءوا عن الإسلام وفهموا حقيقته .

(ج) أن منهج الجامعات الاوربية فيما يتعلق بأمور الإسلام منهج ديكتاتورى لا يعرض القضايا من وجهتى النظر الموافقة والمخالفة .

(د) أن رسالته انتهت إلى أن أفضل ما يوضع فى الميزان للانسان يوم القيامة حسن الخلق .

(هـ) وأنه عاش هذه السنين كما كان من قبل عفيفاً . طاهراً . مستقيماً . عابداً . وأن جاذبية الحياة الفرنسية تعطلت مغناطيسيتها فلم تقدر على التأثير فيه بشىء مطلقاً .

فأى شىء له بعد الحصول على الدكتوراه بامتياز .. ؟

إنه لا شىء له فى فرنسا فقرر السفر يوم ٩ يونيو سنة ١٩٤٠ وهو اليوم التالى لحصوله على درجة الدكتوراه ، وسافر إلى مرسليا يوم ٩ يونيو سنة ١٩٤٠ لعله يلحق بالباخرة المسافرة يوم ١٠ يونيو إلى مصر ، ولكن إيطاليا أعلنت الحرب فى نفس اليوم ، فأصبح السفر عبر البحر الابيض المتوسط

مستحيلا . وإنه من الغريب هـذه الجرأة في الشيخ عبد الحليم فيتخطى دول أوربا سفراً وهي في حالة حرب ، إنه ذو شخصية تضعف أمامها الأحداث الكبار ... وأضطرته حالة الحرب التي أعلنتها إيطاليا إلى الحياة عاماً ونصف عام بين فرنسا وأسبانيا باحثاً عن سبيل يوصل إلى مصر والأزهر وعزبة أبو أحمد بالشرقية وفي مجازفة ليست عليه بالجديدة قرر أن يسافر عن طريق رأس الرجاء الصالح وشقت الباخرة أيام الحرب الثانية طريقها في المحيط زهاء أربعة أشهر ورأى في سفرهذا وقاحة الرجل الابيض وهو يدوس على الرجل الإفريقي الأسود بحذائه لما في دمه من التفرقة العنصرية ، لقد كان يسمع عن التفرقة أما في سفره حول الرجاء الصالح ، فقد شاهد عملياً كيف يتصرف الرجل الأبيض مع الرجل الأسود بأسلوب ممتهن حقير لا تقره طبيعة ولا يحترمه عرف عاقل .

ورجع الشيخ عبد الحليم محمود بهذه الثقافات والتجارب المتعددة وبعقلية إسلامية صافية . . رجع وفي رأسه أفكار عن الحركة . . والنظافة . . ونشر الإسلام .. وحقوق الإنسان .. وواجب الأزهر ..

أعماله الصّالحة

* أستاذيته .
* فى الأمانة العامة للمجتمع .
* مشيخته الزهراء .

(أ) أستاذيته : الفكرة والتجربة :

« هل تنهض الأمم بالكسل والخمول ؟

إن النشاط والحركة من صفات المؤمنين فهما عنوان القوة :

(المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف) .

ومن آثارنا المتداولة :

فى الحركة بركة .

البركة فى البكور .

وأرجو الله مخلصاً أن يكتب لأمتنا أن تنفض عنها غبار الكسل والخمول ، وأن يوجهها إلى أداء الأعمال فى أوقاتها وألا تؤخر عمل اليوم إلى الغد » .

عبد الحليم محمود

أستاذيته

(أ) فى كلية اللغة العربية :

عين الدكتور عبد الحليم محمود مدرساً لعلم النفس فى كلية اللغة العربية أثر وصوله إلى مصر واستمر فى هذه الكلية عشرة أعوام يقول عنها :

مكثت فى كلية اللغة العربية عشر سنوات مرت شبه مجدبة في الإنتاج العلمى فلم أنتج فيها إلا كتاب : وازن الأرواح ، وترجمة كتاب فى الأخلاق من جزأين :

الأول : المشكلة الأخلاقية والفلاسفة .

الثانى : الأخلاق فى الفلسفة الحديثة .

وازن الأرواح تأليف أندريه مورا .

والكتابان الآخران من تأليف أندريه كرسون .

وشارك فى ترجمة الكتابين الأخيرين الشيخ أبو بكر ذكرى الذى يقول عنه فضيلة الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود : وهو مثل كريم للخلق الكريم .

لقد كانت حياة الأزهر فى هذه الفترة بالذات صعبة فقد أثرت الحرب العالمية الثانية فى مصر تأثيراً بعيد المدى ، وانخرط كبار علماء الأزهر فى السياسة فانقسموا إلى طوائف كل حزب بما لديهم فرحون ... وليست هذه هى الصورة التى تروق عالما مثل الشيخ عبد الحليم محمود وقد عاد من فرنسا وفى رأسه آمال للدعوة والإسلام والأزهر والمسلمين ، إن صورة المجتمع الأوربى الذى يدخل فى الإسلام ويرفض المسيحية ما زالت قائمة فى مخيلته والأسئلة ملحة على فكره

لماذا يرفض هؤلاء المسيحية ويدخلون الإسلام . . . وبالتالى أين الأزهر فى هذه الساحة ؟

حالة الأزهر هذه استحقت من الدكتور عبد الحليم تفكيراً يهيء الأزهر به إلى أداء الرسالة ففكر فى الإصلاح وروحه مشحونة بكثير من التجارب الماضية وقد كانت أعاصير الغارات وأزيز الطائرات ورعد المدافع لا يخيفه نخاطر وسافر وسط معمعة المعارك فما تكون هى حركة إصلاح الأزهر إذن ؟ وكتب للمسئولين فى الدولة يومها مذكرة ضافية مطبوعة طباعة جيدة وكانت تحت عنوان : الأزهر فى دور الاحتضار .

وتدور حول : كرامة عالم الأزهر :

إذ يقول : وكانت النتيجة أن هـذا الأزهر الذى كان يجب أن يكون شعاره الإيمان الراسخ والثقة بالله والتحمس للدعوة الإسلامية والصمود ضد الباطل ، والتضحية فى سبيل الحق ، والذى كان يجب أن يكون هادياً ومرشداً وداعياً إلى الله ، ومبشراً ، ونذيرا ، والذى كان يجب أن يزلزل الجبال إذا شاء ..أصبح هذا الازهرى وكل همه أن يتكفف الناس على أبواب الوزارات ليستجدي رحمة القلوب لمظهر البؤس فى ملبسه ولمظهر اليأس المرتسم فى عينيه لينال ما يسمى بالوظيفة . . أين هـذا من رجل الله الداعى إلى الحق ، ومن أصفياء الله الذين ينيرون السبيل أمام البشرية الضالة ، أين هذا من هؤلاء الذين تبعث ثقتهم فى الله الثقة فى نفوس الضعفاء ، وأملهم فى الله الأمل فى نفوس اليائسين ، ورجاؤهم فى روح الله الرجاء فى نفوس القانطين ، أين هؤلاء من أولئـك أو أين علمـاء اليوم ممـا ينبغى أن يكون عليه العلماء الصادقون .

كذلك تدور حول : جهل قيادته برسالته :

يقول :

ولكن الفساد لا يكمن فقط فى هذا وإنما هو أيضاً بين كثير من هؤلاء الذين يديرون دفة الأزهر ولا يفهمون مطلقاً رسالته ولا يعنيهم إلا التشبث بمناصبهم والمحافظة عليها وليس فيهم ذلك الذى يسأل نفسه فى جنح الليل أو فى رابعة النهار عن رسالة الأزهر ، بل إن هذا سؤال الواجب الطبيعى لا يدور بخلدهم فضلا عن أن يضعوه أو أن يجيبوا عليه ..

كذلك تدور حول فساد الخطة التعليمية لتكرار مواد الدراسة فى الكلية ، وفى تخصص التدريس مما يجعل الطالب فى هذا التخصص عاطلا ....

يقول الشيخ :

إذا كان الأمر كذلك وأردت على ضوء ما سبق أن نتساءل ما فائدة هذا القسم فانى أقول بصراحة إن نتيجته شيئان : الكسل والضعف ... إلخ .

كما تدور حول نقل المدرسين من المعاهد إلى الكليات بدون ضابط ، وعدم تحديد مادة لكل مدرس فى الكلية مما يجعل التخصص الدقيق معدوما ... إلخ .

وقد يسأل سائل ، ولم تخطى الدكتور عبد الحليم قيادة الأزهر وقدم مذكرة إلى الدولة ؟

وهو سؤال وجيه ووارد والإجابة عليه فى نفس المذكرة يقول :

.. لأنك إذا أردت أن تتفاهم فانك لا تجد أحداً تتفاهم معه إذ الكل فى الأزهر متواكل يحب دائماً أن يلقى التبعة على غيره ...

وكان المفروض أن توقظ هذه المذكرة قيادات الأزهر لولا أن الاسلوب كان على العكس فقد قرر رؤساء الأزهر محاكمة الدكتور عبد الحليم محمود وكان ذلك بقرار من مجلس الأزهر الأعلى فى ١٤ من صفر سنة ١٣٦٤ هـ الموافق ٢٨ من يناير سنة ١٩٤٥ وتكونت هيئة التأديب من :

فضيلة الاستاذ الشيخ عبد الرحمن حسن: مدير الجامع الأزهر والمعاهد الدينية

الاستاذ محمد الشافعى اللبان بك : مدير قسم قضايا وزارة الاوقاف .

والاستاذ سعد الله هاشم : مفتش العلوم بالمعاهد الدينية :

وفى ٢٢ فبراير سنة ١٩٤٥م أعلن الدكتور عبد الحليم محمود بقرار الإتهام وتحدد يوم السبت ٢٨ من ربيع الأول ١٣٦٤ هـ الموافق ٣ من مارس سنة ١٩٤٥م لمحاكمته وانعقدت المحكمة فى اليوم المحدد — وقال الدكتور عبد الحليم محمود فى دفاعه عندما سئل عن الدافع الحقيقى لكتابة المذكرة :

الدافع هو الإصلاح للأزهر وما كتب فى المذكرة يشمل نواحي ثلاث:

الناحية الخلقية ، والناحية العلمية ، والناحية الإدارية ، ولا يمكن الكتابة فى الإصلاح وتبين أسباب الفساد إلا إذا كتبنا عن تلك النواحى الثلاث ، قد يكون الفساد في التنفيذ وتكون النظم صالحة ، وقد يكون العكس ، وقد تكون الاخلاق هى الفاسدة فلابد من أن نكتب فى تلك النواحى الثلاث وهذا هو الوضع الطبيعي للكتابة فى الإصلاح وأوجه نظر المجلس إلى أن هذه ليست الاولى فى كتاباتى وليست أول محاولة للتوجيه وإنما سبقها كثير .

فى عام ١٩٤٢ م كتبت ثلاثة تقريرات عن علم الفلسفة وعلم النفس وعلم تاريخ الاديان ، وكانت عنيفة إلى أقصى حد العنف وهى فى عنفها لا تقل بل تزيد عن المذكرة التى بين أيدينا . . . هذه التقريرات قدمت إلى فضيلة الشيخ عبد الرحمن حسن وقرأها واستحسنها ، ونقل عن فضيلة الشيخ

عبدالمجيد سليم مفتى الديار المصرية الذى كان موجوداوقت قراءة فضيلة المدير للتقريرات أنه من عهد الشيخ الزنكلونى لم نر مثل تلك الجرأة المستحسنة .. هذه التقريرات كتبت عقب منحى الدرجة الخامسة بأسبوع وأنا أطالب أن يقرأ المجلس تلك التقريرات » ..

واستمرت الاجابات على الأسئلة وانتهى الأمر إلى لا شىء انتهت المحاكمة .. لا بالاستجابة للاصلاح ، ولا بالتخلص من المصلح بل بانذاره[1]

ورحمه الله الأمام الأكبر فلقد كان يتولى عهد مشيخته كل شىء بنفسه خوفا من أن يعوق عهد اصلاحه هذا التواكل المضيع للوقت والمميت للعزائم ..

أهمية كتاب : وازن الأرواح :

من المدهش فى ذلك الوقت أن يقرأ الناس فى مصر والعالم العربى المسلم قصة مترجمة عن الفرنسية لعالم أزهرى .

لكن أهمية ترجمة هذه القصة ترجع إلى الغاية العلمية المنشودة منها ، ذلك أن الفكر فى هذه المرحلة التى ترجمت فيها القصة كان يتلذذ من كتابات الأوربيين وكان الفكر الأوربى المادى هو المطل من نافذة الترجمة العربية ، وكانت الأحاديث عن الروح وخلودها لها أفانين شتى فى المقالات والمناقشات فاذا ما ترجمت قصة وازن الأرواح : بفكرتها الأوربية عن خلود الروح وعن وجودها وسعادتها.. ألخ . فقد ألقم الماديون أحجاراً فى أفواههم وانتصرت

---

(١) نقلا عن أوراق خاصة بفضيلة الأمام الأكبر اطلعت عليها فى منزل الدكتور محمد عبدالحليم محمود السفير بوزارة الخارجية وهو النجل الأكبر لفضيلة الإمام رضى الله عنه .

العقيدة الاسلامية التي نادت بخلود الروح إما في النعيم وإما في الجحيم .. يقول عنه الأمام الأكبر :

كتاب وازن الارواح ، كتاب كنت قد قرأته في باريس وأعجبت به كان يروقني دائما كتب « اندريه موروا » الأديب الفرنسي الكبير .

ترجمة كتاب : وازن الارواح على الخصوص لما فيه من الحديث الممتع عن الروح ولهذا النقاش العميق الخاص باثبات وجود الروح ، والرد على الماديين في ذلك بأدلة خرجت بموضوع الروح من الشطط العقلي الذي يسير بالإنسان في سهولة إلى الإيمان بوجودها .

والقصة بايجاز : أن طبيبا قرأ في بعض الصحف أثناء الحرب العالمية الأولى أن زميلا له من الأطباء قد اكتشف أن وزن الجسم ينخفض بعد الموت انخفاضاً مفاجئا .. وأنه جرب ذلك مرة حتى استيقن من الظاهرة فاستنبط من هذا الانخفاض دليلا قاطعا على وجود الروح وأن الجسم انما ينخفض وزنه لان الروح فارقته .

قرأ جيمس الطبيب هذا الخبر في الصحف فعني بالمسألة وراح يقيم التجربة ونجحت وأغراه النجاح إلى أبعد من هذا فمضى يجرب حتى استطاع أن يحصر هذا الذي يفارق الجسم بعد الموت في حيز ضيق فاستخلص شيئا من النور حصره في أنبوبة زجاجية ضيقة وعرف أنه الطاقة التي تمنح الإنسان الحياة .. ثم أغراه النجاح فاستمر يجرب حتى وصل إلى أن هذا النور إذا استخلص من شخصين متحابين وجمع بينهما في حيز واحد كان هناك ابتهاجا هائلا في هذا الضوء .

وكان هذا الطبيب يحب فتاة ملكت عليه كل أقطار نفسه حتى أنه لم

يفكر إلا فى كل ما يسعدها فيحياتها . فذهب هذا الطبيب إلى صديقه وأطلعه على تجربته وعهد إليه أن ينفذ هذه التجربة فى شخصه وشخص فتاته عندما يدركهما الموت .

وكانت حبيبته مريضة بحيث لا يرجى شفاؤها ، وكان هو قد نذر أن يموت إذا ماتت حتى تجرى التجربة . وقد فعل غير أن صديقة الطبيب كانت بعيداً عن فرنسا فلم يصل إلى الحبيبين الميتين إلا بعد فوات الأوان ولم يستطع الطبيب الباحث اليائس أن يسعد هو ببحثه بعد موته لان الروح من أمر الله عز وجل وما أوتيم من العلم إلا قليلا .

وانتهت الاعوام العشرة فى كلية اللغة العربية على هذا الانتاج القليل ...

(ب) فى كلية أصول الدين :

يحدثنا الشيخ الامام الاكبر عند نقله إلى كلية أصول الدين فيقول :

فى يوم من الايام فوجئت وأنا فى الطريق إلى القاهرة عائداً من الاقصر وعند أسيوط أن الصحف تحمل نبأ نقلى استاذ للفلسفة فى كلية أصول الدين وكان ذلك فى عام ١٩٥١م .

لقد كانت ترقية كبيرة ، وكانت كلية أصول الدين أملى منذ كنت طالبا فى القسم العالى بالأزهر ، وليسمح لى القارىء أن أعود إلى أيام التلمذة مرة أخرى — حينما دخلت القسم العالى بعد الثانوى فكرت فى التخصص الذى ينبغى لى فى مستقبل حياتى ورأيت بادىء ذى بدء أن أكون أديبا فأخذت أدرس فى اللغة نحوا وصرفا وبلاغة ، وأخذت أحفظ فى الشعر وأتابع الأدباء... ثم رأيت أن مستواى لا يتفق مع جو التخصص فى الأدب واتجهت إلى تخصص آخر هو تخصص الفقه وأخذت أدرس الفقه وأتعمق فيه ثم تبين

لى أن تطلعى دائما إلى الجانب الفلسفى وأشعر بنفسى وهى مشدودة إلى التيار الفلسفى ، وحينما أعلن عن مناهج الكليات — عند البدء فى انشائها — كانت كلية أصول الدين هى ما أتمنى ، ولم أدخل كلية أصول الدين لأنى كنت منقولا إلى السنة الثالثة فى القسم العالى .

وزاد حبى لكلية أصول الدين بسبب عميدها المرحوم الشيخ عبد المجيد اللبان . لقد كان شخصية مهيبة تحمل قلبا طيبا و نفسا إنسانية .

لقد أصبحت الكلية بموادها ومناهجها وشيخها وأساتذتها من أحب الناس إلى نفسى . وها آنذا انقل اليوم إلى كلية أصول الدين استاذا للفلسفة ومع ذلك فقد ضقت ذرعا بذلك النقل : انى لم أطلبه ، ولم أسع إليه لكن خيل إلى أنى حملت قسراً من كلية اللغة العربية وقذف بى إلى كلية أصول الدين .

ومع أنها كانت أملى فى حياتى وكانت الوضع المناسب لى فاننى ضقت بطريقة النقل وكيفيته ... غير أن العواقب كانت تجعلنى أومن بأن الحق يختار لى الأفضل « وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم »(١) .

وبدأ العمل فى كلية أصول الدين :

(ا) المناهج .

(ب) المكتبة .

(حـ) اللجنة السلفية .

(د) الإنتاج العلمى .

---

(١) نقلا عن الأوراق الخاصة بفضيلة الإمام الأكبر .

(ا) أما عن المناهج : فقد أخذ الأمام الأكبر فى تهذيب خطة الدراسة وتعديل المناهج للوصول بالكلية إلى الغاية الجامعيه الإسلامية التى كان يرجوها وينشدها وغير قسم الفلسفة والاجتماع إلي قسم العقيدة وكان يحاول أن يجعل من كلية أصول الدين كلية خالصة للقرآن الكريم وعلومه ، والسنة وعلومها والدعوة والدفاع عن العقائد الإسلامية ، وقد تخرج على منهجه جمع كبير من أبنائه الذين مازالوا فى كل أقسام الكلية يحملون له جليل التقدير العلمى والأخلاقى والأدبى .

(ب) أما عن المكتبة : فقد أخرجها من سباتها ونفض عنها غبارها وقد مكثت عشرات الأعوام حبيسة المخازن لم تر النور ولم تتداولها الايدى إلا بعد أن وجه فضيلته عنايته لها وأسس قاعات للمطالعة وأشار باعداد الفهارس المطلوبة وزودها بالمال الكافى .

(حـ) اللجنة السلفية : كانت الحياة بعد الميثاق الأحمر تعج بسطو مراكز القوى الناصرية التى خططت لإفساد الحياة الإسلامية فى مصر وكان من ضمن الافتراءات التى تنشرها الفئة الباغية .

- أباحة البيرة .

- بنك اللبن (وتقوم فكرته على جمع لبن الأمهات ثم تجفيفه ثم بيعه) .

- بيع الدم .

فألف الأمام الأكبر لجنة مهمتها أن ترجع الفتوى إلى عهد السلف الصالح حيث المعين الأصيل للحكم الإسلامى وفى يوم ١١ من ربيع الأول عام١٣٨٣ه الموافق أول أغسطس ١٩٦٣ تشكلت هذه اللجنة من أساتذة الكلية وجاء فى محضر انعقادها الأول :

اللجنة على استعداد لتقبل جميع المسائل المتعلقة بالشئون الإسلامية لبحثها والرد عليها بما يتفق وأصول الدين الإسلامى الحنيف .

كما أنها على أتم استعداد لعقد صلاة الإخاء الإسلامى مع جميع الهيئات والأفراد الذين يهمهم أمر الإسلام ونشر هديه القويم ، وأن شعار هذه اللجنة دائماً هو قوله تعالى :

« إن أريد إلا الاصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله »(١) .

وأصدرت اللجنة فتواها :

بتحريم بنك اللبن لأنه يترتب عليه افساد الحياة الأسرية إذ الكل سيصير أخا للاخرى دون أن يعلما فاذا تزوجا وقع المحظور ..

وتعقبت مراكز القوى فتاوى اللجنة وأوعزت إلى ممثلها فى الصحافة لمناهضتها فكتب السيد / عبدالحميد سرايا يهاجم الفتوى واللجنة فى جريدة الجمهورية الصادرة فى ١٩٦٣/٨/٢٥ بأسلوب متفق مع صورة السطو الذى كان يعيش فيه خنافس الحكم الناصرى .

وانهالت الردود على الكاتب المدسوس تنصر رأى الإسلام وترد كيد مراكز القوى الضالة ، ولقد كنت من ضمن الذين ردوا عليه رداً مطولا غير أننى لم أحتفظ بصورة من هذا الرد ، ويكفينى فى هذا المقام أن أسجل رداً لفضيلة الشيخ على محمد السماحى أحد رجال الأزهر الاجلاء :

---

(١) نقلا عن الاوراق الخاصة لفضيلة الامام الاكبر وهى بخط يده .

بسم الله الرحمن الرحيم

رد على مقال حول اللجنة السلفية وتحريم لبن الأم نشر الأستاذ عبد الحميد سرايا مقالا فى جريدة الجمهورية ٦ ربيع الثانى الموافق ١٩٦٣/٨/٢٥ يحمل فيه على اللجنة السلفية التى تم تأليفها فى كلية أصول الدين بتاريخ ١١ من ربيع الأول سنة ١٣٨٣ هـ الموافق ١٩٦٣/٨/١ وينتقد فتواها فى مسألة نشر الحرمة بلبن الأم وأنه يحرم ما يحرم النسب .

ولو أن الأستاذ سرايا كان مؤدبا والتزم الصراط المستقيم فى نقده وناقش اللجنة مناقشة علمية لاستطاعت اللجنة أن تناقشه وترد عليه فإما كان الحق لها أو كان الحق له،ولكن من الغريب أن يهاجمها هجوماً قاسياً متطاولا ومتهكما وما هكذا ياعبد الحميد تورد الإبل ولا هكذا تشهر الرماح ليست اللجنة ولا أساتذتها ولا دكاترتها الكبار كما تسميهم والذين تستغفرهم ممن يغفرون الذنوب ولاعندهم صكوك الغفران ، وإنما يغفر الذنوب رب العالمين ـ ولست أنت ياعبد الحميد من الذين لهم الحق أن يعتبوا على اللجنة ولا ممن يلومونها على تكوين لجنة دينية هى من أول اختصاصات أفرادها كعلماء دين يحملون شهادة الدولة المعترف بها ، وكأساتذة فى كلية أصول الدين كلفهم الله بأداء النصيحة لله ورسوله ولكتابه ، ولأئمة المسلمين وعامتهم ، فهو ليس تطوعا كما تفهم ولكنه أمر واجب مقرر فى الإسلام بقوله تعالى :

(ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) .

وما هى إلا واحـدة من الوحدات التى تعدها من مشيخة الأزهر ودار الإفتاء وهيئة كبار العلماء وكان الأليق أن تدع الأمر لواحدة من هذه الجهات أن ترد على اللجنة إذ الكل صاحب (اختصاص) لـكن دهشتى أن تلوم الغير بما تقع فيه أنت وإلا فقل لى من أعطاك الحق فى الرد على اللجنـــة بهذا الإسلوب الشاذ ، وما الذى دس أنفك فى أمر ليس لك به اختصاص .

ألا ترى أن ردك على اللجنة فى الحكم الثالث من أحكامك الاستنتاجية إلزاماً لا مفر لك منـه حيث تقول : الضرورات العلمية ليس من حقكم أبدا أن تتحدثوا فيها بل الذى يتكلم فيها العلماء فقط علماء الطب والتغذية لا علماء أصول الدين .

ومن حقنا أن نقول لك بالمثل ليست الفتاوى الدينية من حقك ولا من حق أمثالك إنما هى من حق العلماء فقط علماء الشريعة وعلماء أصول الدين. لا المهرجين فى الصحف والمطبلين والمزمرين فى كل عرس .

لسنا نحن ياعبد الحميد الذين احتكروا لأنفسهم الآراء ، وجعلوا أى قول مخالف لهم أو لما يصدر عن رءوسهم قولا مريضاً وشاذاً ـــ كما تقول ـــ إنما نقول للامة الإسلامية التى تدين بشرائع الإسلام كما فهمها مشرعوه . مالك وأتباعه ، وأبو حنيفة وأتباعه ، والشافعى وأتباعه ، وأحمد وأتباعه وأسلاف الأمة وأخلاقها .

ـــ الحكم الذى فهمه كل هؤلاء من كتاب الله ومن سنة رسوله ، وحذرناهم من قول شاذ لبعض المتأخرين يقول به الظاهرية مخالفين فيه جمهور الأمة ، وتركنا الناس وحريتهم فيما يختارون لأنفسهم لكن حينما يكون الحكم ليس فردياً بل هو متعلق بالأمة جميعها وفيهم المتمسك بدينه

المحتاط فيه وفيهم المتساهل وفيهم الجافى عن دينه فلابد من البيان (حتى يحيا من حى عن بينة) ويهلك من هلك عن بينة كذلك ، واللجنة لم تتعد اسمها ولا ما اختارته لنفسها فقد بينت الحكم عند السلف كما سمت نفسها اللجنة السلفية .

أما ما أستنتجته من الفتوى وأردت أن تلزم به اللجنة فى استهتار وتنكر ، فاسمح لى أن أناقشك فيه مناقشة علمية وأن كنت لا تطبق ذلك كما قلت فى آخر مقالك (وخاصة أنى لا قبل لى بمواجهة الأزهريين القدامى) تقول وأين هم رحمهم الله الذين كانت تدين لهم الدولة ويقبل أيديهم الأمراء .

١ - استخلصت الحكم الأول وهو أن الأطفال الذين يرضعون لبن هذا البنك يصبحون أخوة فى الرضاعة وبهذا يكون الزواج حراماً بينهم ، وبما أن الأطفال لايعرفون من لبن أى أم قد رضعوا يكون هذا البنك مانعاً شرعياً لأى زواج يتم بعد إنشائه وعلقت عليه فقلت :

أما فيما يختص بالحكم الأول فهناك شرط واضح وصريح أن الزواج بين الأخوة فى الرضاعة حرام قطعاً عندما تكون هذه الإخوة ثابتة وصريحة ومعروفة أما إذا كانت هذه العلاقة غير معروفة وغير ثابتة فيكون الزواج مشروعا . وقولك فى الاستنتاج (وبما أن الأطفال .. ألخ) من زعمك أنت لا من رأى اللجنة واللجنة إنما ذكرت حكم اللبن وأنه ناشر للحرمة كالانساب ويبقى التصرف الذين يريدون إنشاء البنك ، فأما أن يمنعوه ولا يوقعوا الأمة فى التشكك والبلبلة ، وأن يبينوا على كل وعاء أو علبة أسماء أمهات اللبن ومشخصاتهن وأنسابهن وأسماء أزواجهن وأنسابهم ومشخصاتهم وكما يبينون فى شهادات الميلاد للأطفال ، ويكون هناك أيضاً سجل فيه أسماء الرضع وأنسابهم ومشخصاتهم حتى لا يوقعوا الناس فى الجهل بأمهاتهم وآبائهم ثم يقولون لهم الشرط أن تعرفوا أمهاتكم ، إذ بجانب الشرط المذكور

أنه يجب على الأمهات أن يعلن عن الرضاع ويشهدن عليه وينشرنه حتى لا يقع الأطفال فيما حرم عليهم بعد الكبر وليسوا بعالمين فالله تعالى لم يشرع الحكم لنضلل الناس عنه ونقول : أنه لاعبرة بهذا التحريم ما دمتم لا تعلمون وإنما شرعه لينفذه وليبينه من فعله وتسبب فيه للرضع الصغار عندما يكبرون فالخطاب فيه ليس للرضع فقط بل للرضع عند كبرهم وللأمهات والآباء عند ارضاعهم ولأولياء الأمور عامة .

٢ — استخلصت الحكم الثانى وهو أن إنشاء هذا البنك جريمة إنسانية لأنه سيشجع أمهات كثيرات على احتراف بيع لبنهن وهذه حرفة غير كريمة تجعل الأم مثل البقرة التى تربيها لبيع لبنها .

وعلقت على هذا الاستنتاج فقلت : والحكم الثانى أن أنشاء هذا البنك فيه إهدار لكرامة المرأة ويجعلها فى مرتبة البهيمة التى نربيها لبيع لبنها ، وأنا لا أرى هـذا الرأى أبداً قياساً على ذلك نستطيع أن نقول : أن تشغيل الناس حرام لأنه يضعهم فى مرتبة الحيوانات التى تحمل الأثقال والتى تجر الساقية والمحراث والنورج .

ثم تساءلت هل الإنسان الذى يبيع دمه لبنك الدم إنسان جدير بالإحتقار أبداً لم يقل أحد ذلك ثم هل أنت تحتقر البهيمة التى تدر اللبن ثم إذا كنت تحتقرها فلماذا تتعامل معها وتشرب لبنها ثم هل بيع المرأة لبنها لبنك اللبن فيه امتهان لآدميتها أما بقاء المرأة داخل البيت وليس لها وظيفة إلا خدمة زوجها ليس فيه امتهان لآدميتها .

لقد أسرفت على نفسك وفيم هذا الإسراف ؟

أن اللجنة تقول :أنه غير متفق مع الأوضاع الدينية أى إذا لم يكن هناك بيان كامل ورأت اللجنة أن البيان الكامل تعذر أو متعسر فلم تعول عليه فى فتواها .

وقالت :(إذ أن من المؤكد أن فيه تشكيكا لكل مؤمن من حيث الزواج بل وصرف له عنه إذا أراد أن يحتاط لدينه) وهذه حقيقة لا شك فيها بعد أن يقول الرسول الكريم : (كيف وقد قيل)(١) ؟ وبعد أن يحكم في مسألة ابن وليدة زمعة يقول : (واحتجبي عنه يا سودة)(٢) ، إذ الاحتياط مقصد للشارع لاشك فيه ، يقصده ويريده كل من يريد دينه نقياً لا شائبة فيه للشك ثم تقول اللجنة : (هـذا فضلا عما فيه من امتهان لآدمية الأمومة وإنسانيتها إذ يجعلها تستغل كما تستغل البهيمة إدراراً للبن) وتريد اللجنة أن تنبه على إحدى حكم التحريم وتقول : إن الله حرم بلبن الأم كما حرم بالنسب تكريماً للانسانية وأفراد الإنسانية ، فحيث انتقل اللبن انتقل التكريم معه بحكم هذا التحريم .

وهذا التكريم يترتب عليه ألا يباع اللبن كما يباع لبن البهيمة إذ يترتب عليه حكم مقصود للشارع فلابد من مراعاته ، فلا يستعمل إلا عند الضرورة وعند البيان فذهب كل ما يقوله هباء ولا نكلف أنفسنا مناقشة .

---

(١) الحديث (أخرج البخارى عن عقبة بن الحارث قال : تزوجت امرأة فجاءتنا امرأة سوداء فقالت : أرضعتكما فأتيت النبي ﷺ فقلت : تزوجت فلانة بنت فلان فجاءتنا امرأة سوداء فقالت لى : إنى قد أرضعتكما وهي كاذبة فأعرض عنى فأتيته من قبل وجهه وقلت : إنها كاذبة قال : كيف بها وقد زعمت أنها قد أرضعتكما دعها عنك) وفى رواية للبخارى عنه قال ﷺ (كيف وقد قيل ؟ ففارقها ونكحت زوجاً غيره) .

(٢) أخرج البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت: اختصم سعد وابن زمعه فقال النبي ﷺ (: هو لك ياعبد بن زمعه الولد للفراش واحتجبه عنه ياسوده) فسوده بنت زمعه وهى أخت عبد بن زمعه فالمحكوم به هو أخوها حكما ولكن الرسول أمرها بالاحتجاب عنه احتياطاً فما رآها حتى لقى الله تعالى .

٣ — استخلصت الحكم الثالث : فقلت : (إنه لا توجد ضرورة علمية أو طبية لإنشاء مثل هذا البنك لوجود الألبان الصناعية) وعلقت عليه فقلت : هذا ليس من حق اللجنة ، الضرورات العلمية ليس من حقكم أبداً أن تتحدثوا فيها ، الذى يتحدث فيها العلماء فقط علماء الطب والتغذية لا علماء كلية أصول الدين .

وحسبت نفسك أنك فارس الميدان وليس كما زعمت فان اللجنة لم تدع لنفسها أنها تعرف ما يعرف الطبيب ولا تعرف ما يعرف عالم التغذية والله تعالى يقول : (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) ولم تقل اللجنة إن لبن الأم ليس أصلح من اللبن المجفف بل قالت : إن الأمة الإسلامية من عهد الإسلام إلى اليوم لم تصنع مثل هـذا البنك وفيهم فى كل جيل أطباء وعلماء تغذية وأن الأطفال الصغار الذين وقعوا تحت حكم الضرورة كانت تستعمل لهم الألبان المجففة أو لبن الأمهات من أمهاتهم وهو الاسترضاع وحيث إن هناك فرجة عن أمر فيه ضيق وحرج فلا لزوم للضيق والحرج الذى يوقع المسلمين فى البلبلة والتشكك .

٤ — استخلصت الحكم الرابع فقلت : إن حكم اللجنة السلفية هو الصحيح وكل ما عداها باطل وشاذ ومريض مخالف لروح الدين ولروح التراث الدينى فسوف تأتى غداً لجنة أخرى دينية تناقض رأيكم وتستند هى الأخرى فى أحكامها إلى السلف الصالح .

ولا أدرى كيف نتكلم ؟ أهى سياسة وتهويش أم هو علم يترتب عليه حكم شرعى من الله تعالى يحاسب عليه المفتى به والناقل له ، واللجنة تقول : إن الحكم عند السلف هو كذا ، وعند جمهور العلماء قديماً وحديثاً هو كذا وليس هو من عند أنفسهم ، بل هو المدون فى تراث ديننا نقلا عن الأجيال المتعاقبة حتى وصل إلينا ، فكيف تأتى لجنة وتنقل عن السلف أن هذا ليس

حكم جماهير علماء الأمة سلفاً وخلفاً إلا إذا تغير الوضع وجعل علماء الأمة أمثال عبد الحميد سرايا ، ولو كان كل حكم دينى يغالط بمثل هذه المغالطات ماثبت حكم قط حتى ولا فى غير الدين مثل علم الطب والتغذية إذ يقال لعلمائها فى أى رأى ولم لم تأت لجنة أخرى تحكم بغير رأيكم هذا ؟

إن القول فى الدين لا يصح أن يكون عن الهوى وإنما يكون بالأدلة الشرعية المعتبرة ولا يكون الرائد كاذباً ولقد تساءل الأستاذ عبد الحميد سرايا قائلا (فى أثناء تعليقه على ما استخلصه فى حكمه الأول) ما هى الحكمة من تحريم الزواج بين الإخوة فى الرضاعة ؟ ثم أجاب بلغة الحازم المؤكد كأن جبريل نزل عليه من السماء وأخبره فقال : إنها حكمة إنسانية ثم أكد مرة أخرى إن التشريع يريد أن يقول : إن العشرة بين الناس والألفة والصداقة ترقى إلى مرتبة الإخوة ، ولهذا السبب وحده جعل الإمام ابن حزم الذى لم تأخذ اللجنة برأيه مص الثدى شرطاً فى الحرمة ، لأن أى طفل يرضع ثدى أم لابد له من يختلط بأبنائها وقد يعاشرهم عندما يكبرون ويصادقهم ، وهكذا كان الإمام ابن حزم يستعرض روح التشريع لا شكله فقط ، وأشهد أنه كان رجلا مثقفاً وواعياً .

ونفس هذه الحكمة الإنسانية التى تكمن وراء تحريم الزواج بين الإخوة فى الرضاعة هى التى دعت جبريل إلى أن يوصى النبى بالجار حتى ظن محمد عليه الصلاة والسلام أنه سيورثه .

ثم إذا كان مجرد رضاعة لبن أم لا يعرفها أحد بعد أن يمر بعدة عمليات علمية معقدة يحرم الزواج على أى فتى وفتاة فما بالكم والسؤال هنا موجه إلى الأساتذة والدكاترة أعضاء اللجنة السلفية ببنك الدم ؟ إنه هو الآخر قياساً على فتواكم مانع شرعا للزواج بين أى شخصين استوجبت ظروفهما

الصحية نقل الدم لها ، إذ ربما يكون الدم الذى يجرى فى عروقهما من شخص واحد وهذا يجعلهما فى مرتبة الإخوه الذين من صلب واحد .

ونقول له مرة أخيرة : إذا كان كل اجتهاد لأحكام الله كما تجتهد فلماذا تتعب الدولة نفسها وتصرف أموالها على كلية الشريعة وكلية أصول الدين أغلقوها واستريحوا ولكن المصير معلوم هو جهنم وبئس المصير .

لم يرض الأستاذ عبد الحميد أن تتدخل اللجنة فيما يخص علماء الطب والتغذية وإذا به يتدخل فيما لا يسع أفذاذ العلماء التدخل فيه ، بل يقطع هو فيه ويسند إلى ابن حزم ما لا يخطر له على بال ، بل ويسند لجبريل ويدعي عليه كذباً أن الحكمة الإنسانية التى اخترعها هى التى دعته إلى أن ينزل على النبي عليه السلام يوصيه بالجار ثم من قال : إن العشرة بين الناس والألفة والصداقة ترقى إلى مرتبة الإخوة ؟ ملزماً اللجنة بهذا العلة التى ما أنزل الله بها من سلطان .

إن العشرة والصداقة تكون سبباً داعياً إلى الزواج والمصاهرة أم تكون سبباً داعياً إلى التحريم ؟ ثم ما هى العشرة والألفة والصداقة فى زمن الرضاع وهو نحو حولين على الخلاف فى تحديده إن العلة التى قالها العلماء هى إنبات اللحم وانشاز العظم للأحاديث الواردة فى ذلك مثل حديث ابن مسعود (لا يحرم من الرضاعة إلا ما أنبت اللحم وأنشز العظم) وحديث (إنما الرضاعة من المجاعة) ونحوها فانها تومىء إلى أن العلة هى انبات اللحم وانشاز العظم ولا يكون ذلك إلا بوصول اللبن المغذى إلى محل التغذية عند الطفل ، ولما كان إنبات اللحم وانشاز العظم خفيا ضبط بلازمة وهو الوصول المذكور .

أما قوله إن ابن حزم كان يأخذ بروح التشريع فى اشتراطه مص الثدى فى التحريم بالرضاعة ، ولهذا كان مثقفاً وواعياً ، فهى أكذوبة كبرى وجهل

مطبق ولو علم أن ابن حزم إنما جاءته بلواه لأنه لم يقر بروح التشريع ولم يعترف بالعلة ولا بالحكمة ولا بالقياس وإنما أخذ بظاهر عبارة القرآن لما أشاد الأستاذ عبد الحميد بابن حزم هذه الإشادة لكن ابن حزم غفل عن قول القرآن (وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة) والقرآن لم يعبر بلفظة واحدة حتى يمكن التمسك بها بل قال : (أرضعنكم) فلو تمسكنا بها لكان المحرم الإرضاع وهو (قصد المرأة إرضاع الطفل) ثم قال : (من الرضاعة) ولم تمسكنا به لألغينا قصد الإرضاع ويكفى أن يلتقم الطفل الثدى ولو كانت نائمة أو ذاهلة فأيهما يعتبر ، ومن هنا كان سند الإجماع واتفاق الجماهير عليه وهو أنه لا دخل للارضاع فى التحريم ولا للرضاعة أيضاً دخل فى التحريم وإنما المعول عليه وصول اللبن مكان التغذية واستدلوا عليه بجملة أدلة منها ما أخرجه البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت : جاء عمى من الرضاعة فاستأذن علي فأبيت أن آذن له حتى أسأل رسول الله ﷺ فجاء رسول الله ﷺ فسألته عن ذلك فقال : أنه عمك فأذنى له . قالت : فقلت يا رسول الله إنما أرضعتنى المرأة ولم يرضعنى الرجل . قالت : فقال رسول الله ﷺ : إنه عمك فليلج عليك قالت عائشة وذلك بعد أن ضرب علينا الحجاب قالت عائشة : «يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة» ووجه الاستدلال به أنها قالت للرسول : إنما أرضعتنى المرأة ولم يرضعنى الرجل فألغى الرسول سببية الإرضاع واعتمد سببية اللبن الذى أحدثه لقاح الزوج .

ومنها أن ابن عباس سئل عن رجل له امرأتان أرضعت إحداها طفلا وأرضعت الأخرى بنتاً أيحل أحدها للاخر ؟ فقال : لا ، اللقاح واحد ، يريد أن لقاح الرجل لكل من امرأتيه هو الذى سبب اللبن لهما فيكون كل من أرضعته المرأتان أخوة لأب واحد .

وعليه فلا فرق بين أن يصل اللبن بطريق من الأم أو بالرضاع من البزازة كما يقولون أو بطريق الشرب أو نحوه .

على أننا لو اتبعنا العلة التى يقول عليها الأستاذ عبد الحميد سرايا لحرمنا الأطفال الذين يتربون فى دار حضانة واحدة لأنهم صاروا كالإخوة ولا دخل للارضاع فى ذلك ، ولو عملنا بما يقول لحرمنا الأطفال الذين تشرف عليهم المربيات ولو لم ترضعهن وهكذا مما لا يقول به مشرع أصلا .

ثم لو كان قصد جبريل هو الحكمة الإنسانية التى تكمن وراء تحريم الزواج بين الإخوة فى الرضاعة فى توصيته بالجار ، فلم لم يحرم أولاد الجيران وهم يتصادقون كالإخوة .

أما قياسه اللبن بالدم الذى أراد أن يلزم به اللجنة فقد برهن على جهله حتى فى الثقافة العامة إن اللبن يا سيد عبد الحميد تفرزه غدد الثديين وهى غدد حية فى جسم المرأة ويؤثر عليها افراز الغدتين الجنسيتين اللتين هما المبيضان ـ (الهرمون) ثم ينتقل اللبن من الثديين الى معدة الطفل فتمتصه المعدة ويحمله الدم وينقله لبقية خلايا جسمه فيتحول الى خلايا حية من لحم وكبد وطحال وكلية وقلب كما يتحول الى عظام ومخ ... أ لخ .

فاللبن يشبه فى بنائه الخلايا التى تكون جسم الجنين ، الخلايا الذكرية والأنثوية من الاب والام اللاتى تحمل خصائص الوراثة من كل منهما ثم يتكون منهما بعد التلاقى فى الرحم جسم الجنين بطريق الإنقسام ، أما الدم فوظيفته أنه ناقل لتلك المواد الغذائية من اللبن بعد هضمه فى معدة الطفل الى الخلايا لتحوله فلا يتحول الدم إلى خلايا حية بانية للحم والعظم والكبد والقلب . . . أ لخ ـ فقد ظهر الفرق بين اللبن والدم ، ثم أن اللبن فى القول الصحيح أنه لا يحرم إلا فى زمن الرضاع ، أما رضاع الكبير فهو محل اختلاف فلا يتأتى القياس فى كل حالات نقل الدم كما تزعم فلا لزوم لتحدى اللجنة بالجهل ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه .

أما اثارة مسألة هل يصح بيع الدم أو لا يصح وهل يصح نقله أو لا يصح؟

فهذه محل نظر يجب أن تعرض على مشيخة الأزهر ودار الإفتاء وهيئة كبار العلماء ، لأن الدم نجس ولا يحل بيع النجس عند بعض المذاهب ولأنه مضر بصاحبه ، فهل يصح أن يضر المرء نفسه لمصلحة الآخرين أو لا ؟ كل هذا محل نظر .

أما لجنة الفتوى فلا أدرى أتصدر فى ذلك فتوى أم ترضى من الغنيمة بالإياب؟

(والله يتولى شئوننا بمنه وكرمه) .

علی محمد السماحی

الأحد : ٢٥ / ٨ / ١٩٦٣ — المدرس بمعهد طنطا الدينى[1]

(١) وجد هذا المقال وهو بخط الشيخ على السماحى فى الأوراق الخاصة بفضيلة الإمام الاكبر رضى الله عنه .

هذا ونسجل هنا الفتوى التى أصدرها الشيخ رحمه الله حول رأى الإسلام فى البيرة .

بسم الله الرحمن الرحيم

فتـــوى

للدكتور عبد الحليم محمود عميد كلية أصول الدين بشأن : البيرة

أذيعت هذه الفتوى فى درس الجمعة بالإذاعة المصرية

السـؤال

ماحكم شرب البيرة والإتجار بها ، وشرب الكينا للتقوية والتداوى بالخمر ؟

الإجـابة

جاء فى تقرير المؤتمر الدولى لمكافحة المسكرات عام ١٩٣٦ عن البيرة قوله :

إن انتاج هذا الشراب وغيره من أنواع الخمور لا يستفيد منه إلا صانعه وبائعه أما ضحاياه فهم أولئك الذين أغرتهم الأهواء بادمانه وتعاطيه .

لقد اعتبر هذا المؤتمر أن البيرة من أنواع الخمر ، وهى على كل حال حسبما تذكر التقارير تحتوى على نسبة من الكحول تتفاوت كثرة وقلة وإذا لم يكن قليلها مسكراً فكثيرها لا شك مسكر ، وقد قال صلوات الله عليه فيما رواه الإمام أحمد وابن ماجه والدارقطنى : « ما أسكر كثيره فقليله حرام » .

وقد روى البخارى ومسلم : أن رسول الله ﷺ حرم المزر : وهو شراب كان يتخذه أهل اليمن من الذرة والشعير ينبذ حتى يشتد .

وهذا نص فى البيرة فيقول صلوات الله عليه فيما رواه ابن ماجه : إن من الحنطة خمراً ، ومن الشعير خمراً .

وروى مسلم وغيره عن ابن عمر : أن رسول الله ﷺ قال : كل مسكر خمر ، وكل مسكر حرام[1] .

من هذا يتبين أن البيرة : خمر ، وأنها حرام .

وكذلك حكم الكينا المخلوطة بالخمر ولا عبرة باختلاف الأسماء ، فقد قال صلوات الله عليه : يشرب ناس من أمتى الخمر يسمونها بغير اسمها[2] .

أما الإتجار فيها فهو داخل فى نطاق اللعنة التى صبها رسول الله ﷺ فيما يقول : لعنت الخمر على عشرة أوجه : بعينها ، وعاصرها ، ومعتصرها ، وبائعها ، ومتباعها ، وحاملها ، والمحمولة إليه ، وأكل ثمنها ، وشاربها ، وساقيها .

أما شربها للتداوى . فقد سأل طارق بن سويد الرسول ﷺ عن الخمر يصنعها للدواء ، فنهاه رسول الله ﷺ وقال هذه الكلمة التى هى الحكمة كل الحكمة « إنه ليس بدواء ولكنه داء »[3] .

وفيما رواه ابن ماجه فى صحيحه كقوله صلوات الله عليه : إن الله لم يجعل شفاءكم فى حرام .

هذا وبالله التوفيق .

---

(١) الحديث رواه مسلم فى كتاب الأشربة .
(٢) الحديث رواه أحمد بن حنبل فى مسنده جـ ٥ .
(٣) الحديث رواه أبو داود والحاكم بلفظ آخر .

(د) الانتاج العلمى :

يقول الإمام الأكبر رضى الله عنه :

بدأت العمل بكلية أصول الدين بجد ونشاط ليس بعدها من مزيد . . ومضى العـام الأول ولم يكن لى إنتاج علمى ، أما العـام الثانى فقد أخرجت(١) .

(أ) المنقذ من الضلال للامام الغزالى مع مقدمة موجزة عن التصوف .

(ب) قصة حى بن يقظان مع مقدمة عن المؤلف (ابن طفيل) .

(جـ) الفيلسوف المسلم « الشيخ عبد الواحد يحيى » .

غير أن هذا الإتجاه له من قبل أصل أصيل وقاعدة ثابتة فى حياة الإمام الأكبر لقد كانت حياته الشخصية فى فرنسا على المستوى الأعلى من النقاء والطهر والنظافة وكانت حياته العلمية على قدم وساق من الجد والإجتهاد . . وكانت وجهته فى الدراسات العليا هى قضايا التصوف من خلال دراسة المحاسبي .

فالسلوك سابق فى الطهر والنقاء .

وطلب العلم لم يهدأ ثانية ولم يسر زمنيا بل قفز هندسيا .

والصعاب لا تذهل ولا تفت فى العضد .

والطريق قد انفتح بالدراسة فى المحاسبي .

فالدراسات العليا فى المحاسبي هى التى ركزت وجهة الشيخ الأكبر فى انتاجه

---

(١) نقلا عن الأوراق الخاصة بفضيلة الإمام الأكبر فى الإضمامة التى كان يعد فيها موضوع الجزء الثانى من كتاب : الحمد لله هذه حياتى .

العلمى ثم السلوكى ، ومن هنا كانت أستاذيته فى العلم ، وفى السلوك ومن المستحسن أن نعرض لخلاصة الدراسات التى انتهى إليها إمامنا الأكبر فى رسالته عن المحاسبى . . . وألجأ إلى مخطوطاته رضوان الله عليه ليصف لنا بقلمه الحلو الشفاف خلاصة ما انتهى إليه من دراسة وما كان له قاعدة فيما بعد إن كان علمياً أو سلوكياً .

يقول رحمه الله وهو يتحدث عن مكانة المحاسبى فى الجو الإسلامى المحيط به وعن منهجه الذى سلكه ، وعن الإتباع الذى يحق أن يتأسى به الأصفياء المخلصون لدين الله الحنيف .

— ١ —

ينقسم التاريخ — سياسياً كان أو فكرياً — بفترات ، تبدو فيها الحيوية الجارفة ، وهذه الحيوية ، تتركز فى شخص أو أشخاص نابغين يلقون بأنفسهم فى مجرى الحياة الهادى الوديع ، فتضطرب الحياة وتموج ، ويعلو موجها وينخفض ، وتصطرع القوتان — قوة الشعب الذى يتبع التقاليد — وقوة المصلحين النابغين — فترة تطول أو تقصر ، ثم تنحسر الأمواج وتهدأ الأمور ، فاذا بالحياة تأخذ لوناً جديداً ، وإذا بالقيم قد تغيرت ، فى قليل أو كثير .

ومهما يكن من شىء ، فان عظماء الرجال — على أى وضع قضوا نحبهم — لا يتركون هذا العالم ، إلا وقد تركوا أثراً لا ينمحى أبد الدهر .

وقد ينشأ النابغة ، فيجد نفسه فى ميدان المعركة ، مختاراً أو مضطراً ، وتشرع نحوه الأسنة ، وتتجه إليه السيوف المهندة ، فيدافع ويهاجم ، ويغلب أو يغلب ويترك على كل حال أثراً مؤثراً .

— ٢ —

ونشأ المحاسبي ، وفي العالم الإسلامي قوتان هائلتان تصطرعان :

١ — أهل السنة ويمثلهم الإمام أحمد بن حنبل .

٢ — المعتزلة ولهم ممثلوهم في البصرة ، والكوفة ، وبغداد .

وهذا الصراع بين المعتزلة ، وأهل السنة : صراع طبيعي لا يخلو من مثله دين من الأديان :

إنه الصراع الخالد بين النصيين والعقليين .

إنه النزاع الأبدي بين الذين يقولون :

إن الدين نص تفسره أسباب النزول ، واللغة ، والرواية ، والذين يقولون :

إن الدين نص : يفسره العقل ويوضحه :

ويظن بعض الناس — للوهلة الأولى — أنه لا يمكن أن يكون هناك طرف ثالث في هذه الخصومة .

فالإنسان إما : نصي ، وإما عقلي ، ولا يحتمل الأمر حلا ثالثاً .

— ٣ —

ونشأ المحاسبي ليعلن هذا الحل الثالث ، أو بتعبير أدق ، ليذكر بهذا الحل الثالث :

لقد هاجم المعتزلة هجوما عنيفاً ، وألف كتاباً خاصاً في الرد عليهم ، سماه « فهم القرآن » .

لقد رأى في نزعتهم العقلية طغياناً ، لا يتناسب ومقام العبودية ، ورأى أن نزعتهم تحكم العقل فى القرآن ، وتجعله يسيطر على النص ، ولو كان الأمر كذلك لكان القائد فى الحقيقة وواقع الأمر هو : العقل ، لا الكتب المقدسة ، وإذا كان المعتزلة قد خدموا الدين خدمات جليلة تتمثل فى دفاعهم المجيد عنه ورد هجمات أعدائه ، وتأييده منطقيا وعقلياً ، فانه مما لا شك فيه : أن العقل لو ترك وشأنه لا يمكنه أن يتسلل إلى عالم : « ما وراء الطبيعة » فيفسر لنا ، غامضه ، ويوضح لنا من أمره ما أبهم .

لابد إذن أن يخضع العقل للنص .

ومذهب المعتزلة ، إذن لا يسير فى عالم : « ما وراء الطبيعة » على النهج الصواب .

— ٤ —

هناك ، إذن إفراط وتفريط .

والعبودية الحقة — فيما يرى المحاسبي — : هى النهج الصحيح للوصول إلى المعرفة الحقة .

ودخل المحاسبي المعركة ، وسلاحه فيها : عبودية حقة ، وإخلاص لا حد له ، وتقوى تغمر كل الجوارح ، ومن قبل ذلك ومن بعده : دراسة مستفيضة للدين : وسائله وغاياته ، جزئياته وكلياته .

التقوى والعلم ، إذن : كانا سلاحه فى المعركة .

واحتدم النزاع ، وكان لابد من أن يحتدم ، وثار الفقهاء على المحاسبي ، وكان لابد أن يثوروا ، فقد كان المحاسبي ينهج فى درسه نهجاً آخر غير الطريق العادى التقليدى .

كان يتحدث فى الإخلاص ، وفي الورع ، وفى الزهد ، وفى الخشوع الخالص لله .

وكان يتحدث فى محبة الله ، والأنس به ، والقرب منه .

وكان يتحدث فى هيبته وجلاله وعظمته .

وكان حديثه عذباً ، طلقاً ، سامياً ، فكانت تخشع له الأفئدة ، وتلين له القلوب ، وتسيل له الدموع ، ويتذكر الناس ما لله من فضل ، فترق قلوبهم ، ويعاهدون على الاستقامة .

وملأت سمعة المحاسبي أرجاء بغداد ، ثم عبرتها إلى جميع أرجاء المملكة الإسلامية المترامية الأطراف ، وكلما أخذت شهرته فى الازدياد كلما كثر خصومه وشانئوه !

ولكنه كان يسير فى طريقه ، ثابت الخطى لا يعنيه سوى أن يكون الله راضيا عنه !

وتكشف له الحجب ، وزالت عنه المساتير ، ووصل إلى المعرفة الحقة فأعلن طريقها .

وطريقها ليس حسا يخطىء ، وليس عقلا يضل ، وإنما هو : بصيرة وضاءة ، وروح صاف .

— ٦ —

واستمرت الخصومة بين :

النصيين ، ويمثلهم الأمام أحمد .

والبصيريين ، ويمثلهم الأمام المحاسبي .

والعقليين ، ويمثلهم المعتزلة .

ومن غريب الأمر : أن أية قوة من هذه القوى ، لم تخر صريعة بل بقيت قوية ، واستمرت فى كفاح ونضال ، حتى يومنا هذا .

تسلسلت فكرة المحاسبى ، وتمثلت خير تمثل فى الأمام الغزالى ، ثم فى بقية الصوفية من بعده ، حتى كان العصر الحاضر ، فكان يمثلها فى أسلوب جديد وتعبير صادق المرحوم « الشيخ عبدالواحد يحيى » الذى توفى منذ سنوات .

وتسلسلت فكرة الامام أحمد ، فتمثلت فى الامام « بن تيمية » الذى وضع لها المنطق وأرسى لها القواعد والأصول وانحرف بها إلى الشكل أكثر من الجوهر واستمرت قوية إلى عهدنا الحاضر ، وكان يمثلها المرحوم « الشيخ رشيد رضا » تمثيلا قويا .

وتسلسلت فكرة المعتزلة ، راكدة حينا ، وقوية حينا آخر ، حتى كان « جمال الدين الأفغانى » ، فدفعها قوية إلى عالم الظهور .

وكان الشيخ « محمد عبده » من أهم العوامل فى نشرها ، ملطفة خفيفة تكاد تخفى ، أو تكاد تلبس ثوب السلفية الأولى الأصلية التى كانت قبل بن تيمية والتى لا يمثلها بن تيمية .

وحمل اللواء من بعده المرحوم « الشيخ المراغى » والمرحوم « الشيخ مصطفى عبدالرازق » .

وفكرة الامام محمد عبده « تتمثل فيهما حقيقة ، لا فى الشيخ رشيد رضا كما يظن كثير من الناس .

— ٧ —

لا تزال تلك القوى الثلاث تتصارع حتى عهدنا هذا ، ونعتقد أنها ستستمر ، ذلك أنها تمثل نزعات فطرية فى بنى الإنسان : فبعضهم : واقعى يتجه إلى النص

ولا يريد ، أولا يمكنه أن يسير إلى أبعد منه وبعضهم : يحتفظ بشخصية قوية جارفة لا تلين ، فهو عقلي أو اعتزالي .

وبعضهم : رقيق الشعور ، مرهف الحس ، ملائكي النزعة ، فهو بصيري أو صوفي .

نزعات ثلاث تقوم على فطر مختلفة ، وهذه الفطر ستستمر في بني البشر مادام على وجه الأرض أفراد من النوع الإنساني ، ومن هنا كان خطأ هؤلاء الذين يحاربون التصوف ، أو الاعتزال ، أو النصيين على أمل أن يقضوا على اتجاه من هذه الاتجاهات قضاء تاما .

* * *

من هنا كان انطلاقه العلمى فى هذا الاتجاه — الاتجاه الذى يثبت الاتصال بالخالق عن طريق العبادة لا عن طريق العقل ولا على الوقوف عند النص دون عمل .

(أ) وعن كتاب المنقذ من الضلال يقول فيه :

كتاب المنقذ من الضلال من الكتب التى نالت على مر العصور شهرة تكاد تكون منقطعة النظير .

لقد طبع باللغة العربية عدة طبعات : كل طبعة منها لها سمتها الخاص وترجم إلى عدة لغات ، وفى بعض اللغات ترجم مرتين ، ومازال الاحتمال فى ترجمته أكثر من مرة فى كثير من اللغات موجوداً .

أما السر فى ذلك فهو أن الأمام الغزالى يحكى تجربة شخصية فى موضوع أثار ويثير الكثير من الجدل .

وهو موضوع يثير فى كل عصر التساؤل والتطلع والطموح والرغبة فى تنسم نسائم عالم الغيب .

إن كل إنسان عنده نوع من شفافية الروح يحب ويرجو ويأمل أن يعرف شيئاً من هذا الذى يقول عنه الأمام الغزالى :

قد كان ما كان مما لست أذكره

فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر

ما هذا الذى لم يذكره الأمام الغزالى ؟

إن طبيعة الكثير من البشر حب الاستطلاع ، والسؤال عن الكيفية ... ومن هنا كانت شهرة كتاب المنقذ من الضلال والاقبال عليه .

(ب) أما عن قصة حي بن يقظان فانها اختصار للطريق الشاق الذى سلكه ذلك الطفل الذى انتهى بعد أن عقل ورشد إلى أن الله موجود وأن ما وجده بعد طول مشقة كان مساويا لما عرفه من الشيخ الفانى الذي جاء هاربا من متاعب الحياة ليقضى بقية عمره فى هذه الجزيرة النائية .

ونستمع إلى مولانا رضى الله عنه وهو يتحدث عن أهداف هذه القصة .

إن ابن طفيل رسم فى نفسه أهدافاً أحب أن يصل إليها عن طريق قصة: « حى بن يقظان » .

وهذه الأهداف هى الاجابة عن مجموعة من الاسئلة تدور فى أذهان الفلاسفة وفى أذهان علماء الدين وهى :

* هل يستطيع الإنسان بتفكيره المجرد أن يصل إلى : اثبات وجود الله عقليا ؟

* وهل يستطيع الوصول إلى معرفته روحيا ؟

* وهل معرفة الله عقليا تلتقى مع معرفة الله روحيا فى انسجام وتطابق ؟

أينسجم العقل مع البصيرة فى وحدة وألفة ؟ أم أن نتيجة العقل تختلف مع النتيجة البصيرية فى معرفة الله تعالى ؟

* وهل يلتقى كل ذلك مع التعاليم الدينية الموحاه ؟

* وإذا كانت الحياة الآخرة هى الحياة الأبدية الخالدة فهل يستطيع إنسان أن يصرف الناس عن العمل للدنيا إلى العمل للاخرة .

عن هذه الأسئلة أراد ابن طفيل الاجابة عنها بواسطة قصة هي : قصة حي بن يقظان .

وحي بن يقظان : انسان هيأت له المقادير أن ينشأ في جزيرة منعزله منذ طفولته المبكرة ، وأخذ بن طفيل يتدرج معه في حياته قبل أن يميز وبعد الإدراك والتمييز .. وقد أخذ حي بن يقظان في التدرج بصورة منطقية قوية فأثبت وجود الله .

ومن النصوص المعبرة عن هذا المعنى قوله :

ثم أخذ بطريقة بصيرية نافذة يتدرج إلى أن أثبت حقيقة القرب من الله تعالى عن طريق الروح .

* أما عن السؤال الثالث فانه يقول :

وكما هيأت المقادير وصول حي بن يقظان إلى هذه الجزيرة فانها هيأت أيضاً وصول رجل شيخ أحب أن يعتزل العالم ويعيش في هدوء بقية حياته .

والتقى حي بهذا الرجل المتدين بدين صحيح فعلمه الرجل اللغة ثم أخذ معا يتدارسان ما وصل إليه حي ، وما تعلمه الرجل من الدين وكانت النتيجة تفاهمهما فقد رأيا أن كل ما وصل إليه حي مطابق تماماً لما جاء به الدين .

* وأما عن السؤال الأخير فكانت الاجابة علمية عن طريق التجربة .

وذلك أن المقادير هيأت أيضاً سفر حي مع صاحبه إلى المدينة التي نشأ فيها هذا الصاحب ، وأخذ حي يدعو الناس إلى الانصراف عن الدنيا والعمل للاخرة وكان نتيجة ذلك هي ما عبر عنه بن طفيل بقوله .

فلما رأى سرادق العذاب قد أحاط بهم ، وظلمات الحجب قد تغشتهم ،

تغشتهم ، والكل منهم إلا اليسير — لا يتمسكون من ملتهم إلا بالدنيا ، وقد نبذوا أعمالها على خفتها وسهولتها وراء ظهورهم ، واشتروا بها ثمنا قليلا ، وألهاهم عن ذكر الله تعالى التجارة والبيع ، ولم يخافوا يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ، بان له وتحقق على القطع أن مخاطبتهم بطريق المكاشفة لا يمكن وأن تكليفهم من العمل فوق هذا القدر لا يتفق وأن حظ أكثر الجمهور من الانتفاع بالشريعة انما هو حياتهم الدنيا ليستقيم له معاشه ، ولا يتعدى عليه سواء فيما اختص هو به ، وأنه لا يفوز منهم بالسعادة الأخروية إلا الشاذ النادر وهو من أراد حرث الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن(١) .

(حـ) هذه الغاية نظريا فى فلسفة بن الطفيل مرحلة تمهيدية لغاية عملية سلوكية سوف يخوضها الأمام الأكبر رضى الله عنه فيما بعد ... وفى الطريق إلى هده الغاية ومن قديم وهو فى الطريق إلى مناقشة رسالة المحاسبي بجامعة السربون بفرنسا في يونيو سنة ١٩٤٠ نقل إلى أسماعه همسات عن الشيخ عبد الواحد يحيي ذلك الفيلسوف المسلم الذى كتب عنه مولانا فى بدء حياته العلمية كتابه الذى أشار اليه .

وعن الشيخ عبدالواحد يحيى المسلم الفرنسى الذى عشق مصر وعاش ودفن فيها يقول مولانا رضى الله عنه ...

---

(١) فلسفة بن الطفيل ص ١٢٩ .

بسم الله الرحمن الرحيم

كيف عرفت عبد الواحد يحيى

إنى لأذكر ذلك اليوم المشمس الجميل من شهر يونيه سنة ١٩٤٠ : قد صحوت من نومي مبكراً ، أتأهب لخوض غمار معركة عملية هي : مناقشة رسالة الدكتوراه في جامعة السوربون . سرت في طريقي يميناً شطر الجامعة وكنت أينما التفت لا أجد إلا وجوهاً يجللها الوجوم ، ونفوساً يعروها الذعر ، ويطاردها الخوف : فقد كان الألمان يسرعون الخطى إلى قلب باريس ، ويدكون ، في عنف ، كل ما يعترضهم من قلاع وحصون ، ولكنني كنت مشغولا عن هـذا كله بما يتردد في نفسي ويجول بذهني من اعتراضات ستاقى ونقد سيوجه . ووصلت إلى فناء السربون ، فاذا بي أجد صديقي بول ريفو اين — هو من الروس البيض الذين هاجروا إلى باريس — ينتظرني وبيده كتاب هو « تصوف دانت » وطلب إلى أن أوصله إلى الشيخ عبد الواحد يحيى في مصر إذ كان من المقرر عندي أن أسافر غداة ذلك اليوم الذي تناقش فيه رسالتي . حاولت أن أعرف من صديقي من هو الشيخ عبد الواحد يحيى فآثر الصمت متعمداً .

وانتهت المناقشة ، ومرت الأيام بخيرها وشرها وحلوها ومرها ، ووصلت إلى القاهرة . ولم يكد يستقر بي المقام فيها حتى يممت شطر ضاحية الدقي باحثاً عن الشيخ عبد الواحد . وفي شارع (نوال — فيلا فاطمة) طرقت الباب : طلت الخادم التي أعطيتها الكتاب ، وطلبت إليها أن تستأذن في مقابلة الشيخ . ثم وقفت أنتظر الأذن بالدخول فاذا بي أجد الخادم

مقبلة نحوى ، وبيدها مقعد من الخشب عليه مسحة الخشونة والشظف وتطالب إلى أن أنتظر هنيهة من الزمن .

وجلست أمام الباب في الشارع أنتظر الدقائق التى تمر والانتظار يطول أرى الخادم مقبلة فأتهيأ للدخول ، ولكنها تطلب منى أن أنصرف اليوم ، غير مطرود ، وأحضر فى الغدفى الساعة الحادية عشرة . فانصرف متراخيا ، وفى نفسى دهشة ، وعلى وجهى شىء من طابع الخجل ، ومع ذلك فقد أفادت هذه الحادثة رغبتى فى أن أرى هذا الشيخ الذى يضع الكرسى فى الشارع للزائرين والذى يأمرهم بالإنصراف اليوم ليحضروا إليه فى الغد .

وحضرت من الغد فى الموعد المضروب . وكنت دقيقاً كالساعة . وطرقت الباب وفى قلبى إشفاق ، وفى نفسى تطلع إلى الدخول ، ولم يكن حظى في هذا اليوم بأسعد منه فى اليوم السابق ، فقدصرفت ولكن لا إلى موعد يبعث فى النفس الأمل ، بل أبلغت عن لسانه بأن أكتب إليه ما أريد وهو يتولى الرد على ما أحب . وانصرفت بعد أن أضعت يومين في محاولة لقائه . لم أكتب إليه : فلم يكن يهمنى رده وإجابته بقدر ما كان يهمنى لقاؤه . ثم لم أكتب إليه . وفيم أكتب إليه ؟ ومرت الأيام ولم يزل فى نفسى هذا التساؤل .. من هو هذا الشيخ عبد الواحد يحيي ؟

وفى يوم من الأيام كنت أزور مسيو كومنين مدير البعثة العلمانية الفرنسية بمصر وهو شخص له خطورة وأثره ومكانته فى الأوساط المصرية : وجرى الحديث على العادة فى فنونه وشئونه : وإذا به يسألنى هل أعرف رينيه جينو . فلما أجبت بالنفى أخذ يحدثنى عنه وعن اسمه الإسلامى : عبدالواحد يحيى فحدثته بما كان بينى وبينه : فرجانى أن أعود إلى محاولة لقائه من جديد ، وأن استأذن له كذلك فى لقائه . ولكننى مع ذلك لم أجد فى

نفسى عزيمة إلى إعادة المحاولة فقد كان الكرسى الخشبى لا يزال ماثلا أمام ناظرى ومرت الأيام أيضاً ..

وفى ذات يوم يحمل إلى البريد خطابا من أستاذ جليل يقول فيه : أن « مسيو هيكور ماديرو » وزير الأرجنتين المفوض فى مصر قد زاره بمكتبه، ورجاه أن يرشده إلى شخص يمكنه أن يتحدث معه عن الفلسفة الإسلامية ، والتصوف الإسلامى ، ولم أجد من يصلح لهذه المهمة سواك وطاب إلى أن أقابله ..

والتقيت بالوزير فكان أول ما يستفسر عنه : أتعرف رينيه جينو ومر بذهنى مرة أخرى الكتاب والكرسى الخشبى وحديث مسيو دى كومنين ، وذكرت كل ذلك للوزير . وقال الوزير :

إنك قد وصلت إلى نقطة حاسمة ، هى معرفة رينيه وفى هذا نصر عظيم إذ أن الصحفيين الفرنسيين والسويسريين وغيرهم يأتون إلى مصر فيجعلون من بعض مهامهم البحث عنه ويتجهون أول ما يتجهون نحو حى الأزهر وحى سيدنا الحسين أو السيدة زينب ولكنهم لا يعثرون له على أثر فيعودون وفى نفوسهم حسرة ، لأنهم لم يفضوا وطرا شهيا من زيارة مصر وصح منا العزم ذات يوم ، أنا ومسيو ماديرو ، على أن نخترق الحجاب المضروب بيننا وبين الشيخ عبد الواحد .

لا أزال أذكر ذلك اليوم — وكان يوم « أحد » حيث وقفنا أمام باب (فيلا فاطمة) ندق الجرس ، وبعد برهة إذا شيخ طويل القامة يكاد وجهه يضىء نوراً عليه سمت المهابة وطابع الوقار والجلال . تشع عيناه ذكاء وتنطق قسماته بالصلاح والتقى ، إذ بهذا الشيخ يفتح الباب بنفسه ، ويقف أمامنا وجهاً لوجه : فالقينا إليه بالسلام فرد التحية . ثم سألنا عن مقصدنا فأبلغه

الوزير سلام أحد أصدقائه ، فما أن سمع اسم صديقه حتى أذن لنا بالدخول ودخلنا والتزم الشيخ الصمت . وقد كان من الممكن أن يكون الموقف حرجا لولا دبلوماسية الوزير الذى أخذ يتحدث ويتحدث ذاكراً آراء الشيخ عبد الواحد . مثنياً عليها مشيراً إلى دقتها،كل ذلك والشيخ عبد الواحد صامت لا يكاد ينبس ببنت شفه ، وانتهت الجلسة وطلبنا إليه أن يسمح لنا بأن نعود لزيارته مرة أخرى : فأذن فى تلطف ورقة .

وحين عدنا إلى المفوضية بعد لقائه قال الوزير لعقيلته متبسطاً :

— لقد قابلنا اليوم شخصية هامة جداً ؟ فمن تظنين ؟

— أحد الوزراء ؟

— أعظم .

— رئيس الوزراء ؟

— أعظم .

— ملك ؟

— أعظم .

— ربنا ؟

— إنه على كل حال شخصية الهية . إنه رينيه جينو .

فقالت فى دهشة واستغراب : أحقاً ؟ يالكما من سعيدين .

وعدنا وتكررت الزيارة ، وتحدث الشيخ عبد الواحد ، وأفاض فى الحديث . وذكر لنا أن عزلته هذه إنما هي عزلة بالنسبة للمتطفلين الذين لا يرغبون إلا فى إضاعة الوقت بالأحاديث الشخصية التافهة ، ولكنه قد رأى فينا رغبة صادقة فى المعرفة ، فليس بيننا وبينه اذن حجاب واستطعنا بعد ذلك أن

نخرجه من وكره وأن نصحبه إلى مسجد السلطان أبى العلا ، وفى الليلة الكبيرة من مولده ، وجلسنا فى حلقة من حلقات الذكر ، فأخذ يهمهم فى نفسه ويهتز ثم أخذ كلامه يبين واهتزازه يشتد . وإذا به يذكر مع الذاكرين فى نبرة واضحة وفى همهمة رتيبه ، ثم إذا به ينغمس فى الذكر ويستغرق . ولم أكد أنبهه بعد فترة حتى انتفض انتفاضة العائد من آفاق قضية مجهولة .

وتتابعت الأيام .. وسافر الوزير .. ومات الشيخ عبد الواحد .. ولم يبق فى نفسى سوى الذكريات الجميلة .

* * *

وحياة جينو أو الشيخ عبد الواحد قد حظيت بدراسة مستفيضة من مولانا تارة فى كتب مستقل وتارة أخرى فى كتبه الكبرى .

ولقد كتب عنه فى المدرسة الشاذلية لأن جينو كان شاذلياً ، وفيه يقول مولانا الإمام الأكبر :

ولد جينو فى بلدة بلوا الفرنسية على نهر اللوا على بعد ١٧٢ ك.م من العاصمة باريس فى ١٥ من نوفمبر سنة ١٨٨٦ م ، من أسرة فرنسية كاثوليكية محافظة كانت تعيش فى يسر ورخاء ، فقد كان والده مهندساً ذا شأن .

وحياة جينو لا تتسم بحوادث معينة فقد كان هادئاً وديعاً ، وكانت تلوح عليه منذ الطفولة مخايل الذكاء الحاد .

بدأ تعليمه في الإقليم الذى نشأ فيه وكان دائماً متفوقا على أقرانه وانتهى به الأمر سنة ١٩٠٤ إلى نيل شهادة البكالوريا ، ثم سافر إلى باريس لتحضير الليسانس ولكن باريس لم تدعه يستمر فى دراسته المحدودة فقد فتحت له أبواباً أخرى كلها لذة وكلها نعيم .

وإذا كانت باريس تمنح للمادين لذة حسية فانها تمنح لذة روحية ونعيما وجدانياً لمن لم تغرهم الدنيا وزينتها .

ولقد كان جينو من هـذا النمط الأخير ، كان متطلعاً إلى المعرفة بمعناها الصوفى . وقد كان مثله إذ ذاك مثل الإمام الغزالى بالضبط وأخذت باريس تقدم له الكثير من النواحى الثقافية الروحية . . كان فيها الروحانيون على اختلاف ألوانهم ومشاربهم ونزعاتهم ، بل كان فيها الذين يعالجون بالسحر وبالتنجيم وتحضير الأرواح .

ولكن جينو بعد أن أخذ ينهل من هـذه المنابع كلها أدرك الطيب منها والخبيث وهدته بصيرته النقاوة وهداه رأيه القويم إلى أنها كلها شكلية وسطحية وأن ما وراء الغيب ليس هـذا طريقه ، وانفصل عنها شيئاً فشيئاً حتى أنشأ عام ١٩٠٩ م مجلة اسمها المعرفة ، وكان يساهم فيها عالم فرنسى اسمه : شمبرينو .

أعتنق شمبرينو الإسلام وتسمى باسم عبد الحق واستمر يساهم فى إصدار المجلة التى أخذت تنشر أبحاثاً عن الإسلام وعن الديانة الهندية وعن البوذية ، وكانت فى نفس الوقت تنقد ماتراه غير مستقيم . وفى عام ١٩١٢ أعتنق جينو الإسلام وتسمى باسم عبد الواحد يحيى ، وكان إسلامه على يد عالم مغربى جليل اسمه : الشيخ عبد الرحمن عليش الذى كان شيخ المذهب المالكى بالأزهر وشيخ فرع الطريقة الشاذلية : تلك الطريقة التى أسسها فى القرن السابع الهجرى الشيخ أبو الحسن الشاذلى وتقلبت الأحوال فى فرنسا بالشيخ عبد الواحد وفى ٢٠ فبراير سنة ١٩٣٠ م سافر إلى مصر لقضاء بضعة أشهر للوقوف على الثقافة الصوفية فيها لكن الأحوال جعلته يستقر فى القاهرة فى حى الأزهر ، وفى عام ١٩٣٤ م تزوج من كريمة الشيخ محمد إبراهيم فمهدت له حياة من

الطمأنينة والهدوء ، وانتقل من الأزهر إلى حى الدقى واستمر يرسل المقالات إلى فرنسا وينشر الكتب مستريحاً إلى عطف زوجته ورعايتها ورزقه الله بفتاتين سمى إحداها خديجة والأخرى ليلى ثم رزقه الله بولد سماه أحمد وكان له قرة عين وبعد وفاته بأربعة أشهر أتت زوجته بولد سمته عبد الواحد ومات هذا المجاهد المسلم الغيور فى ٧ من يناير سنة ١٩٥١ .

وما أن علمت صحافة فرنسا بوفاته حتى صدرت المقالات تتحدث عنه تحت عناوين :

حكيم كان يعيش فى ظل الأهرامات .

فيلسوف القاهرة .

البوصلة المعصومة .

الدرع الحصين .

وخصصت له مجلة « أتيد ترادمسيونل » عدداً ضخماً كتب فيه الكثيرون من كتاب فرنسا أروع المقالات .

وبقية الحديث عنه وعن آرائه فى الباب الثانى من كتاب : المدرسة الشاذلية الحديثة وإمامها أبو الحسن الشاذلى[1] .

والنتيجة التى نحب أن نصل إليها :

أن تجارب الصالحين — منذ عصور متطاولة — دلت على أن تزكية النفس وتطهيرها والالتجاء إلى الله ، والتقرب إليه . . كل ذلك يسمو بالإنسان إلى عالم من الروحانية تستشرف فيه النفس إلى الملأ الأعلى فتفيض عليها منه

---

(١) من ص ٢٣٣ ، ٣٤١ .

نفحات والهامات ومعرفة لاتتأتى لذوى النفوس المادية الذين شغلوا بالدنيا عن الدين وبالمادة عن الله .

وإلى الذين يشكون فى هذا الطريق نقول لهم مقالة الشيخ عبد الواحد يحيى التي وجهها لأساتذة جامعة السربون وعلماء باريس :

« سيتساءل قوم » : من الممكن أن نتخطى الطبيعة فنصل إلى ما وراءها ؟

إننا لا نتردد فى أن نجيبهم فى وضوح واضح ليس ذلك ممكناً فحسب ، ولكن ذلك واقع موجود.سيقولون : تلك قضية تفتقر إلى برهان ؟

ولكن أى برهان يمكن أن يقدمه الإنسان على وقوع هـذا الأمر ووجوده ؟

إنه لمن الغريب حقاً أن يطلب البرهان على إمكان نوع من المعرفة بدلا أن يحاول الإنسان أن يصل إليها بتجربته الشخصية سالكا إليها ما تتطلبه من سبل .

إن الشخص الذى وصل إلى هذه المعرفة لا يعنيه ـ فى قليل ولا فى كثير ـ ما يثور حولها من جدل و نقاش .

وأنه لمن البين الواضح : أن احلال « نظرية المعرفة » محل المعرفة نفسها إعلان صريح عن عجز الفلسفة الحديثة[1] .

وإذن :

(أ) فتزكية النفس طريق صعب المرتقى .

---

(١) راجع ص ٢٠٦/٢٠٧ المنقذ من الضلال الطبعة الرابعة .

(ب) ولذلك كان طريق التصوف طريقا خاصاً لا يمكن سلوكه إلا لطائفة قليلة من الناس[1] .

وإلى هنا تكتمل أستاذية الشيخ عبد الحليم فى الإنتاج العلمى من حيث المعرفة ويبقى فى أستاذيته جانبان :

(أ) جانب الإنتاج العلمى للتوجيه والريادة : أستاذيته ومدرسته .

(ب) جانب سلوكه الشخصى وتجربته الذاتية .

---

(١) راجع المنقذ من الضلال الطبعة الرابعة ص ٣٠٩ .

أولا : أستاذيته ومدرسته

يعقب الثورات العسكرية دائماً نوع من التخلخل فى المجتمعات ، ذلك أن سرعة التغير الذى تسلكه الثورات يؤدى بالحتم إلى استثناءات يضطرب معها مألوف الناس وعاداتهم ، لا سيما إذا غاب الأمان وضعفت آمال الأمن فى نفوس الناس .

وكانت مصر والعالم العربى والعالم الإسلامى جميعاً فى حالة يأس من إصلاح الفساد الذى عم البلاد ، والاستعمار الذى وطن أقدامه على ربوع القارات . . . وراح يصنع لنفسه حكومات ويلفق لسياسته توليفات وأحزابا ويجمع لمذاهبه الآراء الشتى ، ويدس أصابعه فى قاعات البحث العلمى ليلوى الأقلام ويمدها بمداد من محابر حقده ويقدم لها قراطيس من هوى بغضه للشرق العربى والأمة الإسلامية .. ولم تلبث الحال أن قامت عدة دعوات للاصلاح .

كان الأفغانى مسعر لهيبها .

وكان الشيخ محمد عبده معقل شطحاتها .

وكان الشيخ رشيد رضا مسجل نهضتها .

ثم كانت أمور وأمور لم يهدأ فيها الشرق الإسلامى ولا الأمة العربية . . حتى اندلعت ثورات فى عدة اتجاهات ، وكان نصيب مصر بعد فشل الجيش المصرى فى حرب ١٩٤٨ م . واتهام القصر والأحزاب بالتجارة فى السلاح الفاسد . . . كان نصيب مصر بعد هذا قيام ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢م . . . وأيما كان الرأى فى هذه الثورة . . . فقد كانت تغييراً أحس الناس بأنه

مطلوب فى تلك الفترة . . غير أن الإجراءات الاستثنائية التى شطحت بالثورة عن مبادئها الأساسية قد تولد عنها غياب القيادة الدينية المرغوب فيها من الشعب .

وراح التعبد يذكر بالخوف لأنه صار مثار فتنة . . . والخائفون على أنفسهم من البطش معذورون . . فالتفت نفوس كثيرة من المشتغلين بالفكرة الدينية حول رجال الحكم حتى أصبح من العسير عند الشباب أن يعرف من عالمهم ومن مضللهم .

والحركة الإسلامية إذا بعدت عن الأزهر الشريف ضلت وخابت لأنه مؤئلها وعزتها وشيخها ، والأزهر إذا تقاعس عن رسالته فالأمر خارج عن طاقته فقد عصرته السنون أيام الاحتلال الفرنسى والإنجليزى فعصرها ، وبقى شامخاً كالطود الذى يوهن القرن الوعل .

وفى سنوات الاضطراب حيث كان المد والجزر بين الفقه الأوربى كأسلوب تصاغ به حياتنا هنا فى مصر ، والجو الإسلامى الذى يريد الشباب أن يتضوع من أريجه العطر الفياح .

فى هذه السنوات من البلبلة كانت المكتبة المصرية وقاعات المحاضرات : يورت ، والجمعية الجغرافية ، والشبان المسلمين ، وغيرها قد عجت بصخب المحاضرين والمستمعين ، وكانت الخطة مبيتة لتؤول مصر إلى ثقافة حوض البحر المتوسط من شاطئه الشمالى حيث أوربا وفكرها وتقاليدها وجاذبيتها . .

ونشأت مدارس تغذى هذا الاتجاه . تلبس تارة ثوب المصرية وأخرى ثوب العلمانية ، وأخرى ثوب الحضارة والتقدم . . فتصدى الأزهر الشريف

لهذه المدارس ونشأت فكرة (تحديد المفاهيم) فى محاولة منها لإثبات أن دعوى التقدم والتطور فى شرقنا الإسلامى لا ينبغى أن تنفصل عن أصول العقيدة وحقائق التشريع، فليست المادية الصناعية هى التى تستطيع وحدها وبمفردها أن تحقق وحدة المجتمع ورفعته ورقيه ... إذ يمكن أن يكون ذلك إنتكاساً إلى طفولة الإنسان أو انحرافاً عن المستوى الفاضل وذلك يوم أن ينحرف مفهوم التطور إلى المادية الصناعية التى تشيد بها أوربا فى ذلك الحين[1].

ولكن الموقف كان يحتاج إلى أب يتخذ قـــــدوة فى العلم وفى السلوك.

وكان المجتمع العربى والإسلامى فى حاجة إلى معمم، يقوم للناس بخلقه، وبره، وعلمه، وفضله فهذا هو الإسلام، وهذا هو الطريق إلى الله..

وفجأة يخلع الشيخ عبد الحليم محمود حلته الأفرنجية بعد يوليو سنه ١٩٦١ ويتعمم ويأخذ فى القيادة رويداً رويداً.. لا بطلب منه. ولا بقصد من عنده وإنما هيأه الله تبارك وتعالى ليجمع من حواليه الشباب الذى تحير فى تلك الظلمات، ويؤمن الخائف فى بيئة ارتفع فيها الأمان وظن فيها السوء بكل شخص..

وعلى طول السنين تحددت أستاذية الإمام الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود فى التوجيهات التالية:

---

(١) راجع رسالة: تحديد المفاهيم أولا: للدكتور محمد البهى — مطبعة الأزهر.

(أ) إخفاق الفلسفة وانتهاء دور علم الكلام القديم .

(ب) تحديد موقف المسلم من الحضارة الحديثة .

(جـ) موقف الإسلام من العلم .

(د) تنظيم المجتمع .

(هـ) المعرفة والسلوك .

أولا : اخفاق الفلسفة وانتهاء دور علم الكلام

فى استفاضة واسعة تشمل عمراً طويلا من الزمن راح فضيلة الشيخ الإمام الأكبر فى عمق عميق ، وبحث علمى متين الأركان والقواعد يثبت فشل الفلسفة فى :

(أ) استخدام العقل وحده دون الوحى فى معرفة ما وراء الطبيعة .

(ب) وفشلها كذلك فى المنطق الذى وضع ليضبط التفكير .

(ج) وفشلها فى الضمير كميزان للأخلاق .

وحول هذا يقول :

هل هناك رأى يسمى : رأى الفلسفة ؟

إن البحث فى هذا الموضوع : يستلزم إيجازاً موجزاً خاصة ببيان بعض الأمور التى تتعلق به : كتعريف الفلسفة مثلا : وبيان نشأتها ومقاييسها التى تلجأ إليها ، لفض الخلاف ، إذا ما ثار حول موضوع من الموضوعات .

ولعلنا لا نكون بعيدين عن الصواب إذا ما عرفنا الفلسفة البحتة فى وضعها الراهن : بأنها : البحث العقلى فيما وراء الطبيعة : وفى الأخلاق ، والبحث فى قيمة المعرفة : وسائل ونتائج . وهـذا التعريف من المرونة بحيث يضيق ويتسع تبعاً لضيق موضوع الفلسفة أو اتساعه فى عصورها المختلفة .

متى نشأ هذا النوع من البحث ؟

ربما لا يكون الإنسان مخاطراً إذا زعم أنه نشأ مع نشأة الإنسان ، نشأ

كخطرات تمر عابرة ثم تنتهى ، وتلح تارة ثم تزول ، وتكثر فى فترات محدودة وتقل فى أخرى غير أنها فى كل أحوالها وظروفها المختلفة عابرة لاتدوم ، ولكن البحث الفلسفى العقلى المنظم المرتب المحكم : إنما نشأ فى اليونان ، ونشأ فى اليونان بالذات لأن الدين اليونانى : لم يكن له من الثبات واليقين ، ومن القوة والسيطرة ومن التمكن فى النوس ، والتغلغل فى الأرواح ، مايجعل الناس يطمئنون إليه ويستسلمون ، فيما يختص بالعقيدة أو الإيمان وراء الطبيعة ، وفيما يختص بالأخلاق أو بتحديد الخير .

والظاهرة الملاحظة فى كل الأوساط على مر التاريخ : أنه كلما كان الدين يقينا ثابتاً ، وكلما كان الإيمان مسيطراً ، قل النزوع إلى الفلسفة وقل البحث العقلى فى مجالات الغيب .

أما السبب فى ذلك : فهو من الوضوح بحيث لايحتاج إلى بحث عميق ، وذلك أن موضوع الفلسفة هو نفسه ، على التقريب ، موضوع الدين : فالدين يجيب ، فى أختصار أو فى إستفاضة عن أسئلة الفلسفة . يجيب عنها فى صورة حاسمة عازمة لاتعرف التردد ولا الشك .

والمؤمن الذي غلب عليه الإيمان ، وسيطر على نفسه الدين . لايستسيغ أن يتجاوزه ويتفلسف ؟

ولماذا يتفلسف ؟

إنه مؤمن ، وإنه مؤمن بقضايا دينه ، لايخالجه الشك قط فى صحة هذه القضايا فهل يعقل ، والأمر كذلك ، أن يترك اليقين ؟ أعنى قضايا الوحى المعصومة ليحاول عن طريق العقل البشرى أن يدرس الموضوع من جديد ؟ .

إنه ، إن فعل ذلك ، فمعناه أنه يشك فى قضايا دينه ، شاعراً أو غير شاعر ، معناه أنه يترك التمسك بهداية الله ، ليتمسك بهداية البشر ، ومعناه

أنه يترك اليقين إلى الظن : لأن نتائج العقل البشرى فى مجالات ماوراء الطبيعة ظنية كلها .

ونشأ التفلسف فى صورة نظرية منظمة ، فى اليونان لأول مرة فى عهدها بالحضارة الثقافية لضعف التدين فيها ، ولم ينشأ التفلسف فى البيئات الإسلامية لأول عهدها بالتحضر الثقافى لقوة التدين فى الأمة الإسلامية الناشئة .

ودراسة تاريخ التفلسف ، ونشأته ، والعوامل المؤثرة فيه فى الأمة اليونانية والأمة الإسلامية : تفيد كل الإفادة ، إذا أردنا ملاحظة ظاهرة الإيمان من حياة القوة والضعف ، وأردنا ملاحظة ظاهرةالتفلسفمن ناحية الأزدهار أو الذبول . فالأمة الإسلامية فى نشأتها لم تعرف التفلسف ، وإنما إستسلمت للدين إستسلاماً مطلقاً .

ومضى القرن الأول بأكمله والمسلمون يلتمسون في كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ ، جميع الحلول للأمور التى تعرض لهم ، والأسئلة التى تثور في نفوسهم .

وحين بدؤا فى ترجمة التراث الأجنبي —فيما بعد— بدؤا يترجمون الكتب التى تتصل بالجانب العملي كالطب مثلا ، أو الكيمياء ، أما ماوراء الطبيعة ، وأما الأخلاق فانهم كانوا يتحرجون كل التحرج من ترجمتها إكتفاء وإعتزازاً بما عندهم فى ذلك من وحى معصوم .

واستمروا على ذلك إلى أن كان عهد المأمون فبدؤا بأمر منه . يترجمون فى مجال ماوراء الطبيعة ، ومجال الاخلاق ، وبدأ التفاسف البحث ، وبدأنا نلتمس فتور الإيمان كأساس من أسس التفلسف وكنتيجة من نتائجه أيضاً .

وبداية التفلسف عند المتفلسف هي بداية التمرد الديني . وبداية التوفيق بين الدين والفلسفة : هي بداية النفاق في المحيط الفلسفي .

وما من شك في أن محاولة التوفيق بين النتاج الانساني في مجال ما وراء الطبيعة وهو الفلسفة . وبين الوحي الالهي : إنما هي مهزلة من المهازل الكبرى التي تلجأ إليها الانسانية حينما تريد تغطية إنحراف صارخ أرضت به كبرياءها وغرورها ؟ .

إن تفلسف المسلم : نوع من الكبرياء والغرور ، ونمط من الاعتداد بالنفس إعتداداً يجعلها لاتستسلم للغير ، حتى ولو كان ذلك الغير هو الوحي الالهي والمبادىء الربانية .

والتوفيق معناه أن تضع الطرفين موضع التساوي من حيث القيمة الاعتبارية ثم تبدأ تجر أحدهما إلى الاخر تحت ستار من التأويل والتفسير والشرح وعدم إعتبار المعنى الظاهر والالتجاء إلى معان باطنية ، قد لاتقرها اللغة أو العرف أو النظرة السليمة .

أو تحاول ــ بطريق آخر ــ أن تجعل كلا منهما يتنازل للآخر عن بعض مجالاته أو بعض ألوانه ، أو بعض مفاهيمه حتى يلتقيا وقد أختصر كل منهما في جانب من جوانبه .

وموقف المؤمن الصحيح يتمثل في المبادىء التي حددها الرسول صلوات الله وسلامه عليه تحديداً تاماً « أتبعوا ولاتبتدعوا ، فقد كفيتم » .

لقد أنزل الله في ما وراء الطبيعة وفي الاخلاق مافيه كفاية تامة للمؤمن . والمؤمن غير محتاج لما وراء ذلك .

«اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا» .

وأول مادة فى الإسلام إنما هي المادة التى تؤخذ من تسميته نفسها : هي إسلام الوجه لله ، والقاء القياد له ، والأذعان التام لما جاء به ، والخضوع الكامل لتعاليمه ومبادئه فى الأخلاق ، وفى ماوراء الطبيعة .

فاذا ماتمرد المؤمن على هذه المبادىء وبدأ يلقى بقياده إلى عقله ، حتى ولو كان يريد أن يصل عن طريق ذلك إلى نفس النتيجة التى أتى بها الدين ، فانه منحرف عن هدي العبودية لله ، إلى هدى العبودية للعقل . وهو يفعل ذلك تقديساً لنفسه . وذلك نوع من عبادة الذات أو نوع من غرور العقل !

ونأتى الآن إلى نتائج الفلسفة ، فنتساءل ناظرين إلى الواقع التاريخى : ماذا الفلسفة ؟ إننا إذا نظرنا إلى النتائج فى صورة عامة شاملة وفى صراحة لاتلبيس بها : فاننا نجد نتائج الفلسفة تصور تصويراً تاماً جميع أنواع الضلال والإنحراف والوهم والخداع والزيف والباطل ، كما تصور فى خلال ذلك الحق والصواب أحياناً ولكن الأوهام فى هذه النتائج أكثر من الحقائق : ذلك أن الفلسفة نتاج شخصى يرتبط بالشخص ، من حيث البيئة ، والعصر ، والثقافة ، والذكاء ودرجة التدين .

فهى إذن ، لهذه الاعتبارات ، نتاج نسبي يتسم بالنسبية منذ المبدأ .

ومادام الأمر كذلك فانه لامناص من الاختلاف والتعارض ، والتناقض والتضارب ! .

ونحن إذا نظرنا فى تاريخ الفلسفة ، منذ نشأتها نجد أنه لايوجد فى أي موضوع من الموضوعات مايمكن أن نسميه بالرأى الفلسفى ، وهذه ظاهرة لها مغزاها العميق . وليس بشطط أن يؤكد الإنسان أنه لاتوجد مسألة واحدة إتفقت آراء الفلاسفة على حل موحد لها .

إن الرأى الفلسفى معدوم فى المحيط الفلسفى ، والمسائل التى بدأ قدماء

فلاسفة اليونان يبحثون لها ــ عقليا ــ عن حل لاتزال معلقة للان ، يحاول الفلاسفة المحدثون بعد مضى أكثر من خمسة وعشرين قرناً إيجاد حل لها .

ومن سخرية الأقدار بالفلاسفة : أن ما سماه أفلاطون بـ « اللهو الجدى » وهى المسائل التى وضعها زينون الايليائى يبرهن بها على أن الوجود ساكن لايتحرك ، وملأ لاخلاء فيه ، هذه المسائل التى تتنافى مع بديهة الحس البديهية ، ومع شعور الفطرة السافر ... من سخرية الأقدار أن الفلاسفة : لايزالون يحاولون إلى الآن إيجاد حل عقلى لهذه المسائل ، يوفقون فيه بين العقل والحس ، أو بين المنطق والفطرة السليمة ، مجرد الفطرة ، الفطرة فى أى مكان وجدت ... فلا يجدون إلى ذلك سبيلا .

من أين ؟ وإلى أين ؟ ولم ؟ لاتزال للآن ، وربما إلى الغد ، بل ربما إلى أن ينتهى العالم ، معلقة تطلب الحل عقلياً .

وما دام فى الفلاسفة من ينكر إنكاراً تاماً ماوراء الطبيعة ، ولايعترف بالخير العام والفضيلة المحددة ، وفيها من يثبت كل ذلك ، فلا أمل قط فى أن يوجد الرأى الفلسفى .

ولكن ، أما يوجد مقياس عقلى يقيس به الفلاسفه الآراء فيهتدون بواسطته إلى الصواب وبذلك يزول الخلاف ويوجد الرأى الفلسفى ؟ عن ذلك نريد أن نتحدث[1] .

---

(١) نقلا عن كتاب : الإسلام والعقل .

إخفاق الفلسفة

فى ميزان للتفكير

إن الإنسان يبحث ـ منذ أن وجد ـ عن الغيب ، ويجرى وراء المجهول إنه يريد أن يكشف القناع ، ويرفع الحجب التى تحجبه عن عالم الغيب ، إنه يريد أن يصل إلى الله ، ويتصل به اتصالا مباشراً ، وينغمس بنفسه فى عالم الإلهية ، ويحس بروحه أنوارها .

وكان الطريق أمامه مرسوماً واضحاً ، رسمه الأنبياء عن طريق الوحى ووضحه الرسل ، عليهم الصلاة والسلام ، لقد صورته الرسالات الإلهية ، إنه اتجاه العبد إلى الربانية حتى يصير ربانياً ، إنه التخلق بأخلاق الله ، والوقوف ببابه ، سبحانه ، حتى يتقبله الله ويدخله فى جنات المعرفة وفى رياض الحقائق .

وسار الأمر على ذلك فى الحضارات القديمة .

لقد كان هذا النمط هو الذى يسير عليه كهنة عين شمس ، مثلا ، فى الحضارة المصرية . وكان هذا النمط هو الذى يسير عليه البراهمة فى الديانة الهندية .

وكان هذا النمط هو الذى يسير عليه طلاب المعرفة الحق فى العصور القديمة على اختلاف الأزمنة والأمكنة .

وما كان يتأتى قط أن يدور بخلد أحد فى هذه الحضارات أن يكون هناك طريق آخر لمعرفة ما وراء الطبيعة غير هـذا الطريق ، أنهم كانوا يرون أن عالم الغيب من الأسرار الإلهية ، يمنح الله معرفته لمن يشاء من عباده

وهو لا يمنح هـذه المعرفة إلا لهؤلاء الذين اتبعو الصراط المستقيم الذي رسمه الله سبحانه .

فلما كان العهد اليوناني بدأ بـ (الأورفية) التي سارت على نفس الطريق القديم وبنفس الإسلوب الشرقي في الوصول إلى المعرفة .

وتلقف ذلك الإسلوب ، وتلك الطريقة « فيثاغورس » ، فكون «المدرسة الفيثاغورية » التي رأت أن معرفة ما وراء الطبيعة : لا تأتي عن طريق الذهن يعمل ، والعقل يفكر ، والخيال يحلق ، كلا ، إنما تتأتى عن طريق الطهر الكامل في الأخلاق وللزهد المتبصر في الماديات حتى لا يصير الإنسان عبداً لها ، إنها لا تتأتى إلا عن طريق العبودية التامة لمانح المعرفة وواهب الخير .

ولقد سارت المدرسة الفيثاغورية إلى أسلوب الصفاء : كوسيلة ، ووقفوا في ذلك حتى لقد شمل مذهبهم نوع الملابس ولونها ، وهو البياض ، وأنواع المأكولات ومقاديرها ، وأوقات الصيام ، وكيفيته ، ولقد أسلمت الفيثاغورية علمها إلى الأفلاطونية التي أسلمته إلى الأفلوطونية الحديثة .

ولكنه بجوار هذا الأسلوب في المعرفة الخاصة بعالم الغيب نشأ أسلوب آخر أسلوب مبتدع ، أسلوب لم يكن موجوداً من قبل وهو أسلوب يعد في ذلك الزمن إنحرافاً عن الأسلوب التقليدي المعروف .

ذلك الأسلوب : هو محاولة معرفة عالم الغيب عن طريق العقل : يتروى ، ويفكر ، ويبحث ، ليصل عن طريق ذلك إلى الفكرة الصحيحة عن عالم الإلهية سلبا وإيجابا ، بدأ بذلك طبيعيو اليونان ، فلما جاء أرسطو مثل هذا الإتجاه كأقوى ما يكون التمثيل .

وبدأ منذ ذلك الحين ولأول لحظة الفرق واضحاً بين الأسلوبين .

فالأسلوب الأول يؤمن إيماناً تاماً بعالم الإلهية وكل رجاء أن يصل إلى أنواره وأن يحصل على قبس منه ، وأن ينغمس فى محيط رحمته .

أما الأسلوب العقلى المبتدع ، فانه لا يؤمن بشيء ، ولا يعتقد شيئاً ، ويفرض تساوى الأمور ، ولا يرجح سلباً ولا إيجاباً ، ويلقى بقياده إلى عقله ، ويستسلم إلي ذهنه .

ولكنه منذ العهد الأول لهـذا الاتجاه العقلى : لاحظ أصحابه ، ولاحظ الباحثون على وجه العموم : أمرين ، ربما كان أحدهما نتيجة للآخرة .

أما أولهما : فانه هذا الاختلاف التام بين الباحثين عقلياً ، أو المتفلسفين ، فيما وصلوا إليه من نتائج أنهم اختلفوا حتى مع اتحاد البيئة ، واتحاد الزمن !

لقد جهل بعضهم بعضاً ، وخطأ كل منهم الآخر ، وجزم كل منهم بأنه هو وحده على الصواب وأن غيره على الخطأ ، واحتقر كل منهم الآخرين .

ولقد وصل الأمر بالفيلسوف : « هرقليطس » إن كان الناس فى رأيه على ما يذكر كتاب : قصة الفلسفة اليونانية « قطعانا من الغنم حقت عليهم الضعة والمهانة » ، بل جنح به الكبرياء إلى احتقار أعلام الفكر من أسلافه : « أكزنوفنس » و « فيثاغورس» فهما نكرتان جديرتان بالإهمال ، و « هوميرو » قذم غبي يجب أن تلهب ظهره عذبات السياط . و « هزيود » لا يرتفع كثيراً عن غمار السوقة فهو واحد منهم « لا يفرق بين الليل والنهار » فاذا كان ينزل قادة الفكر تلك المنزلة . فأين يقع الشعب من نفسه ؟ !

هم عنده : « الأنعام تؤثر الكلأ على الذهب » وهم : « كلاب تنبح كل من لا تعرفه .

أما الأمر الثانى الذى لاحظه الباحثون : فهو أن العقل : يختلف من شخص

لآخر ، وإذا كانت قد وضعت في العصور الحديثة مقاييس للذكاء تشبه أن تكون محدودة ، فان اختلاف العقول في بني البشر : لا يحتاج إلى ملاحظة مرواة .

ويمكن إجمال الأمرين في عبارة مختصرة ، وهي : أن اختلاف العقول : أدى إلى اختلاف النتائج .

على أن اختلاف العقول في الأفراد يتضاعف بالمؤثرات الخارجية : فالبيئة ، والوسط ، والثقافة ، والأصدقاء ، والجو والمصالح : .. كل ذلك وغيره : يؤثر إلى ما شاء الله في العقول ، وفي النتاج الذي تنتجه .

ومع توالي الزمن تكثر المذاهب ، ويتعدد الفرق ، ويمكن أن يقال بدون مبالغة : إن المذاهب تتعدد بمقدار ما يكون في العالم من فلاسفة عقليين .

وبمجرد أن أسفر هذا الأسلوب العقلي ، في معرفة ما وراء الطبيعة ، كان اختلاف العقول واختلاف النتائج .

يقول الإمام ابن تيمية :

واضع المنطق أرسطو طاليس ، رجل من اليونان ، وهو أول من قال بقدم العالم، قال : وكان اليونان مشركين كفاراً يعبدون الكواكب والأصنام سراً من اليهود والنصارى بعد النسخ والتبديل بكثير ، وكانوا قبل المسيح بأكثر من ثلثمائة سنة ، ثم لما بعث المسيح تمسكوا بدينه ، ثم لما غير ملة المسيح صاروا في دين مركب حنيفية وشرك بعضه حق و بعضه باطل ، وهو خير من الدين الذي كان عليه أسلافهم .

أخذ أنصاره يبحثون عن مقياس عقلي يضبط العقل ويعصمه عن الخطأ . وتمخض عن هذا المقياس : عقل أرسطو فوضع مقياساً تعصم مراعاته الذهن عن الخطأ في الفكر ، وذلك هو : « المنطق » .

بيد أنه سرعان ما لوحظ أن المنطق : لم يعصم ذهن الذى ابتدعه وأن هذا الذى ابتدع طريق العصمة : أخطأ ، وأخطأ ، وأخطأ !

ثم لوحظ أن جميع الذين فتنوا بالمنطق فى العصر اليونانى : واستخدموه كتاباتهم لم تعصم عن الخطأ :

وأخذ الباحثون قديماً وحديثاً : يفكرون فى الخلل الذى أدى إلى عدم قيام المنطق بما يراد منه ، وهو: العصمة ، فوجدوا الخلل ولاحظوه ، وحاولوا له علاجاً فلم يتأت لهم ذلك .

لقد كان الخلل فى المنطق من ناحية الشكل ، ومن ناحية الجوهر ، وأصبحت كل قيمته : أنه مران عقلى على أشكال عدة وضروب منتجة أو غير منتجة ، ولا نتيجة له ، اللهم إلا إذا كانت السياحة الذهنية فى الأشكال والضروب.

وقد وضح ذلك ـ بما لا يحتاج إلى مزيد ـ علماء النهضة الحديثة أمثال : « بيكون » و « جون أستيوارت ميل » ، وأصبح المنطق الصورى الآن لا يساوى شروى نقير فى مقاييس الحقيقة أو فى عصمة الإنسان ، وضاع الأمل العذب الذى تعلقت به الإنسانية زمناً طويلا متخيلة أن الإنسان سيصل بالمنطق إلى العصمة المطلقة(١).

وكما تعلقت أعين الإنسانية بمنطق أرسطو زمناً فقد تعلقت أعينها بمنهج « ديكارت » زمناً آخر . ولقد طنطن ديكارت بمنهجه وأشاد بأنه تلقاه ذات ليلة ، فغمره فرح لا يوصف ، وأعتقد أن مشكلة المعرفة الإنسانية قد حلت ، سواء أكان ذلك فى الدين أم فى الطبيعة .

واستخدم ديكارت منهجه ، وتحدى به ، ولكن سرعان ما تبين خطؤه فى الطبيعة وخطؤه فى كثير من النتائج التى وصل إليها .

---

(١) نقلا عن كتاب الإسلام والعقل .

وضاع مرة أخرى أمل الإنسانية الذى مدت إليه أعينها فترة من الزمن .

ونتساءل الآن : أحقاً لم تصل الإنسيانية إلى مقياس عقلى صحيح للفصل الفاصل بين الصواب والخطأ فى عالم ما وراء الطبيعة ، وفى عالم الأخلاق ؟

والجواب عن هـذا السؤال : حاسم جازم : وهو أن الإنسانية : لم تصل إلى مقياس عقلي تفرق به بين الهدى والضلال فى عالم ما وراء الطبيعة ، وأن هذا العالم : لا يزال — بالنسبة للعقل — من المساتير المحجوبة التى لم يرفع الحجاب عنها إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عن طريق الوحى الإلهى ومما لا شك فيه : أن جميع مذاهب الفلسفة — فيما يتعلق بعالم الغيب — ظنية إن لم تكن وهمية .

أما عالم الأخلاق ، أما دنيا السلوك ، فإنه كما أخفق المنطق فى مجالاتها فقد أخفقت جميع المقاييس البشرية ومن بينها مقياس الضمير .

« إخفاق الفلسفة »

فى خرافة الضمير

(أ)

إذا بحثنا فى معاجم اللغة العربية ، عن معنى كلمة « الضمير » فاننا لا نجد من بين معانيها ، المعنى الأخلاقى ، الذى نفهمه من هذه الكلمة فى العصر الحاضر ، ونستعملها فيه ونطلقها عليه ، وهى لم ترد بهذا المعنى فى القرآن ، أو الحديث ، أو فى الشعر العربى القديم ، أنه معنى محدث ، أخذناه عن الغرب فى العصور الحديثة .

وقد استعمله الغرب كثيراً ، وأشاد به ، حينما أراد أن يضع للأخلاق أساسا ومقياسا منفصلين عن الدين .

وكان ذلك على الخصوص ، حينما أراد الغرب ، أن يتخلص من سيطرة الكنيسة ، وأن يخرج على سلطانها ، ويثور على قواعدها وأوضاعها ، ويفرق أو يفصل بين الدين والدولة . وكان الدين ، إذ ذاك أساسا ومقياسا للأخلاق ولا مناص إذا أريد التخلص من الدين من البحث على أساس ومقياس للأخلاق فلابد لاستقرار المجتمع ، وهدوئه وأمنه من أن تستقر الأخلاق وتقوم على دعامة قوية ، وإلا ، لانهار المجتمع ، وناله الفساد من جميع أقطاره .

وتلفت زعماء الثورة على الكنيسة يميناً وشمالا لعلهم يجدون ما يقوم مقام الدين وقد تخلوا منه بالنسبة للأخلاق ، فوجدوا — كسراب يتألق — الضمير ، فتشبثوا به ، وأثنوا عليه ، ورفعوا من شأنه ، واعتبروه أساسا ومقياسا للأخلاق .

وما من شك كما يقول العالم الفرنسى الكبير الأستاذ « أندريه كرسون » أن الأكثرية من الناس ، بل ربما جميعهم ، يكون لهم ضمير متى أدركوا سن الرشد . فحينما يشرعون فى عمل ، فانهم يشعرون بأن هذا العمل ، إما أن يكون واجب التنفيذ ، وإما أن يكون واجب الترك ، وإما أن يكون من قبيل المباح . وحينما يقومون بالعمل سواء أراعوا الضمير أم لم يراعوه : فانهم يشعرون ، أثر القيام به بمشاعر مختلفة . فاذا كانوا قد خضعوا لحكم الضمير ، فيما أوجبه ، فانهم يشعرون بتقدير لأنفسهم تصحبه لذة ظاهرة : الرضا الأخلاقى .

أما إذا كانوا لم يستجيبوا لصوت الضمير ، فانهم يشعرون باحتقار لأنفسهم شديد الإيلام « تبكيت الضمير »[1] .

ورأى القائمون ، على الثورة ضد الكنيسة إذن : أن يستعيضوا عن الدين بوحى الضمير ، وأن يتخذوا من وحى الضمير ، الأساس الذى لا يخطىء ، والمقياس الذى لا ريب فيه بالنسبة للأخلاق .

(ب)

وحينما هدأت الأمور فى الغرب ، وعادت الحياة إلى مجراها الطبيعى ، بعد الصراع العنيف ، بين الكنيسة والثوار ، الذى دام فترة طويلة من الزمن ، أخذ العلماء ، يراجعون أنفسهم ، ويدرسون ، فى هدوء ودعة المبادىء التى قامت عليها الثورة المنتصرة ، والأهداف التى حددت ، والغايات التى رسمت ، والقواعد التى خططت ، ثم هذبوا فى كل ذلك وغيروا وبدلوا . وكان مما راجعوا أنفسهم فيه مسألة « الضمير » .

---

(١) انظر المشكلة الأخلاقية والفلاسفة .

ولما استعرضوا التاريخ والوقائع والمشاهدات ، يستنيرون بها فى أمر الضمير رأوا : « أن الناس فى كل العصور ، وفى جميع الأقطار ، يستشيرون ضمائرهم . ولكنها لا تسمعهم جميعاً ، لحنا واحداً إذ أن مايظهر عدلا وخيراً ، لبعض النفوس المخلصة فى عصر خاص ، لا يظهر عدلا ولا خيراً لنفوس أخرى ، هى أيضاً مخلصة ، ولكنها عاشت فى عصر آخر ، أو مكان آخر »[1] .

أما إذا أردنا أمثلة على ذلك فإننا سنجدها كثيرة ، عندما نوازن بين أحوال الضمير خلال مختلف العصور .

ويضرب لنا الأستاذ — أندريه كرسون — الأمثلة الكثيرة :

ففى العصور القديمة اليونانية اللاتينية كان نظام الرق مشروعاً :

إن أشرف القلوب ، إذ ذاك كانت تجد من الطبيعى أن يباع الرجال والنساء والأطفال وأن يعاملوا معاملة السوائم .

وكانت القوانين الرومانية القديمة ، تجعل من المرأة والأطفال ملكا للزوج كما لو كانوا أمتعة وأنعاماً : لهذا كان للأب من بين الحقوق الأخرى الحق فى أن يعرض ابنته المولودة حديثاً ، فى السوق العام ، إذا كانت له بنت أخرى . ولسنا بحاجة إلى أن نذهب بعيداً .

فهاهم أولاء أسلافنا ، كانوا يرون شرعية تطبيق العقوبة على مجرد ظن الجريمة . وكانوا بلا أدنى قلق يشاهدون الفرد مشنوقاً من أجل اختلاس تافه[2] .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق .

ولكننا عندما نوازن بين أحوال الضمير ، فى العصر الواحد فى أقطار مختلفة ، فاننا نجد أيضاً فروقاً لا تكاد تحصى ولا تعد .

فالشعوب التي يسود فيها ، نظام تعدد الزوجات لا تعتبر من يتزوج بعدد منهن بريئاً فقط ، بل إنها ، فوق ذلك ، لتعد هذا العمل منه ، ساميا ومشرفا إلى حد كبير ، وأن مشاعر الحياة القومية جداً عند الشعوب المتحضرة لا تهز قليلا ولا كثيراً : مثل زنوج الكنغو ، وسكان جزائر « تايتى »[1] .

ومن ناحية أخرى ، فانه لا شيء أغرب من مشاهدة بعض الالتزامات التى تقتضيها حياة البدائيين . وليس من المجهول ، ما يعد من المحرمات الدينية عندهم : مثل تحريم بعض أنواع اللحوم ، أو بعض أنواع الأشربة ، أو خروج النساء بدون حجاب .

وأمر الطقوس السائدة فى البلاد « الأوقيانوسية » معروف مشهور .

فهى تعتبر من الآثام ، ما قد يظهر لنا طبيعياً ، بل فوق ذلك ، ما يظهر ضرورياً : إنها تحرم تناول الطعام تحت السقف ، والمكث فى المسكن إذا كان المرء مريضاً ، واستعمال الأيدى فى التغذية ، بعد فراغ المرء من حلق شعره ، أو بعد فراغه من صنع زورق .

على أن الدلالة العميقة،إنما هى مظاهر اختلاف الضمير فى البيئة الواحدة، وفى الجماعة الواحدة ، المتحضرة المتمدينة .

وهل الرأسمالى ، الذى يدافع عن نظام الميراث، أقل إخلاصاًمن الشيوعى الذي يهاجمه ؟ أم هل الديموقراطى ، الذى يقرر ضرورة الانتخاب العام ، أقل إخلاصاً من الأرستوقراطي الذى يعلن ، عدم ملاءمة هذا النظام ؟

---

(١) المصدر السابق .

وهل (فيلانت) ، عندما يبيح أنواعاً من الكذب ، أقل اقتناعاً برأيه من (ألسست) عندما يحرمها ؟

أن « شارلوت كردى » عندما قضت على حياة (مارا) كانت ترى ، ولا شك ، أنها إنما تقوم ، بعمل أخلاقي عظيم بلا مراء . فهل المواطنون ، الذين ساقوها إلى المقصلة ، كانوا أقل إيماناً منها بالقيمة الأخـــلاقية لعملهم هذا ؟

هـذه الأمثلة ، التي ذكرها الأستاذ « أندريه كرسون » : إنما هي قطرة من بحر ، مما يمكن أن يبرهن به ، على اختلاف الضمير ، بحسب اختلاف الزمن ، أو اختلاف الثقافات في البيئة الواحدة .

وهناك أمثلة لا تحصى إذا قارنا ضمائر العرب في العصر الجاهلي ، بضمائرهم في العصر الإسلامي ، أو ضمائر الوثنيين في مكة بضمائر المسلمين فيها عند نشأة الإســلام ، أو إذا ماقارنا ضمائر المتفرنجين في مصر العصر الحاضر ، بضمائر المحافظين فيها !!

والنتيجة لكل هذه المقارنات ، هي : أن اتخاذ الضمير كأساس للاخلاق أو كمقياس لها ، إنما هو مجرد حماقة وعبث .

ومن الشبه ، التي جعلت الناس يؤمنون ، بمنزلة كبرى للضمير ، ويرفعونه : أنه قد شاع بين بعض الطوائف ، أن الضمير قوة فطرية معصومة بطبيعتها ، ولكن هذه الدراسة السابقة تؤدى بنا لا محالة إلى أن الضمير قوة فطرية حقاً ولـكنها قوة غـــير معصومة لأنها تربى وتكتسب فيما يتعلق باللون الذي نتخذه .

وهي وإن كانت قوة فطرية إلا أنها تتلون حسب ما تتغذى به من ثقافة ، ومن وراثة ، وهي تختلف في الفرد الواحد بحسب اختلاف سنه ،

وبحسب تنقله من بيئة إلى بيئة وبحسب الكتب التى تمده بالثقافة العقلية ، أو التهذيب الروحى ، وبحسب اختلاف الأصدقاء الذين يلازمهم الإنسان فى حياته الواحد تلو الآخر .

والضمير إذن متأرجح متقلب ، لا يستقر له قرار ، لأنه حتى لو مكث على حالة واحدة تجاه مسألة معينة فانه فى هذه الحالة النادرة يتأرجح أيضاً ، قوة وضعفاً ، وإتزاناً وإسرافاً .

والوضع الصحيح إذن بالنسبة لأساس الأخلاق : أن نلجأ إلى الدين نستمد منه الهداية والإرشاد ، فانه هو وحده : المعصوم .

والدين الإسلامى قد أتى فى الجانب الأخلاقى بكل ما تتطلبه النفوس المرهفة ، والأفئدة المتعطشة للاستقامة . لقد أقر بذلك كبار الفلاسفة الإسلاميين « كابن سينا وغيره » .

لقد رأى ابن سينا ، أن الدين الإسلامى ، أتى بأكمل نظام أخلاقى تشريعى بالنسبة للمجتمع وبالنسبة للأسرة وللفرد .

وتحدث ابن سينا عن ذلك غير مرة فى مختلف كتبه :

أما صلة الدين بالضمير ، فانها صلة هيمنة وتوجيه وإرشاد وسيطرة ، إنها صلة هيمنة تستمر مدى الحياة ، وإذ ما زالت هذه الهيمنة فى أي فترة من فترات الحياة ، فان الضمير يختل إتزانه ، وتوازنه ويتأرجح ويتذبذب ، لأنه محتاج باستمرار إلى القائد المربى، وليس هذا القائد المربى إلا الدين .

* * *

وإذا كان هذا هو حظ الفلسفة .

إنها عاجزة عن اعلان رأى لها يسمى رأى الفلسفة وأنها عاجزة عن وضع معيار يعصم العقل عن الخطأ . وانها عاجزة عن وضع ضابط الأخلاق .

فان علم الكلام كذلك فاشل فى أداء رسالته التى يدعى أنه شمر عن ساعد الجد لأدائها .

فيتحدث مولانا رضى الله عنه عن :

* علم الكلام وصلته بالفلسفة .

واذا كانت الفلسفة فاشلة فهو مثله فاشل .

* ثم يتحدث عن تطوره حتى مولد الأحزاب الدينية .

* ثم يتحدث عن المذاهب الفقهية ليبين أن الإجتهاد فى الفقه طريق الى الإتباع والتحقيق للطريق وهو الغاية التى جاءت من أجلها الملة السمحاء .

فشل علم الـكلام

« الفلسفة وعلم الكلام »

« اتبعوا ولا تبتدعوا : فقد كفيتم »[1].

(أ) وقد اتبع سلفنا الصالح هذه النصيحة النبوية المعللة : فلم يحاولوا قط الابتداع وما يتأتى قط ، أن ينشأ الابتداع فى الأوساط الدينية السليمة ، الأوساط التى تكون لديها الشعور الدينى الحى بالأسوة الحسنة ، والفهم الواعى للروح الدينية الخالصة .

وقد تهيأ لسلفنا الصالح التأسى بالرسول ، صلوات الله وسلامة عليه ، وتهيأت لهم تلاوة القرآن ، فى تدبر وفهم ، ففصلوا ، فى صورة حاسمة ، بين ما يتأتى للانسان أن يسير فيه على ضوء التجربة ، وأن يبتدع فيه ويخترع ، وينسق ويؤلف . وهو الأمور التى تتصل بالمادة والحس ، وتتصل بعالم الطبيعة : أرضه ، وسمائه : وما بين أرضه وسمائه . وبين مالا يتأتى للانسان أن يصل إلى معرفته إلا ظنا ، أو وهما ، وهو عالم ما وراء الطبيعة ، وعالم الخير والشر .

وهذان العالمان — عالم ما وراء الطبيعة وعالم الأخلاق — كانا باستمرار موضوع جدل ، ومثال نقاش بين الذين يريدون أن يصلوا إلى حقائقهما عن طريق العقل المجرد الذى لا يستند إلى دين .

وانقسم العقليون ، منذ أن دار البحث فى هذه المسائل عقليا إلى فريقين : فريق يثبت بما وراء الطبيعة والأخلاق ، وفريق ينكرها .

---

(١) نقلا عن كتاب : الاسلام والعقل .

وانقسم المثبتون إلى طوائف لا تكاد تحصر . وكل طائفة تنتسب إلى زعيم ترى أنه العبقرى على الاطلاق ، الموفق فى كل ما يأتى وما يدع ، المصدق فى كل ما يشير به أو يعلله .

وكان من الطبيعى - والأمر كذلك - أن تعلن كل طائفة ، الحرب على الطائفة الأخرى ، مكذبة لها مستجهلة لها ، رامية زعيمها بالغباء والجهل .

ومن البديهى أن السبب فى هذا النزاع : هو أن كل زعيم يختلف عن الآخر فى الصورة التى يرسمها بعقله ، لعالم ما وراء الطبيعة ، ولأسس الأخلاق ومبادئها .

(ب) ومن البديهى أن سبب هذا الاختلاف فيما وراء الطبيعة والأخلاق إنما هو اختلاف العقول فى فطرتها وجبلتها ، واختلافها بسبب الفطرة الموروثة وبسبب البيئة الطبيعية، البيئة المنزلية ، واختلافها بحسب الثقافة : كمها وكيفها واختلافها بحسب مؤثرات وظروف وملابسات لا تكاد تدخل تحت حصر .

إن نوع الطعام ودرجة الحرارة ، ودرجة نقاء الهواء ، ودرجة ارتفاع المكان الذى يعيش فيه الإنسان ، وقربه أو بعده عن شاطىء البحر والوظيفة والعمل ، والأصدقاء إن كل ذلك له تأثير على تفكير الإنسان ارتفاعا وانخفاضا وعمقا وضحالة ومن الطبيعى والأمر كذلك ، أننا لو ربطنا المعرفة الخاصة بعالم ما وراء الطبيعة وعالم الأخلاق بالعقل وشأنه كما بينا لو ربطناها بأساس يتأرجح ويتذبذب ولا يستقر على قرار .

(حـ) وقد حاولت الإنسانية - منذ أن بدأت تفكر عقليا فى الالهيات والأخلاق ، أن تخترع مقاييس ، وموازين - عقلية - تقيس بها الصحة والخطأ فى هذين العالمين ، فكانت النتيجة اخفاقا متتابعا .

لقد أخفق منطق أرسطو ـ منطق القياس ـ في معرفة حقائق الالهيات والأخلاق . وكانت أخطاء أرسطو في هذين الميدانين : لا تحصى، ولكثرتها ولعنف الهجوم عليها : يئس تلاميذ أرسطو ، وهم أيضا فلاسفة، من اصلاحها وانهزموا في ميدان الدفاع عنها .

وأخفق منطق فرنسيس بيكون ـ منطق الاستقراء ـ في الكشف عن عالم الغيب وعالم الخير والشر . وما كان يتأتى له : أن يكشف عنهما ، وهو منطق الكشف عن القوانين المادية ، وتبين الحقائق في عالم الحس : عالم الكون والفساد ، ولم يتطاول قط إلى كشف الحقائق في عالم البقاء والخلود .

وأخفق منهج ديكارت ، ولم يرض عنه كثير من معاصريه من الفلاسفة ، ولم يرض عنه كثير ممن أتى بعده منهم ، وهاجموه في حياته وبعد مماته .

وبقيت حقائق ما وراء الطبيعة والأخلاق ، بعد ديكارت ، كما كانت قبله ، موضوعا للجدل العقلي الذى لا ينتهى .

والملاحظ على كل حال منذ أن بدأ التفكير العقلي في الالهيات والأخلاق : أن السنوات تتوالى ، وعشرات السنوات ، وعشرات القرون ، ولم تنته الإنسانية « عقليا » إلى حل هذه المسائل .

أنها لم تنته إلى حلها « عقليا » في الغرب ، ولم تنته إلى حلها « عقليا » في الشرق « ، ولم توفق إلى حلها فوق قمم الجبال ، ولم تصل إلى حلها على شواطىء البحار .

(د) إن المعنى الذى نستنتجه من ذلك كله وهو استنتاج يقرب من أن يكون بديهيا : أن حل مشاكل ما وراء الطبيعة والأخلاق ، عن طريق العقل : مستحيل .

وأن وضعها إذن موضع البحث العقلي : خطأ .

وأنه يجب أن تعيد الانسانية النظر في اختصاصات القوى ، والملكات البشرية .

وإذا أعادت الانسانية النظر في اختصاصات القوى والملكات البشرية ، فانها ستجد لا محالة — أن الوضع القديم — الوضع الذي كان قبل نشأة هذا اللون من البحث العقلي عند الاغريق ، هو الحكمة بعينها .

وهذا الوضع القديم : هو الذى أعاده الاسلام ، واتبعه المسلمون ، فى القرن الأول الاسلامى ، واستمر منذ بدأ الاسلام الى نشأة المعتزلة .

أما هذا الوضع فهو أن لكل قوة من القوى الانسانية اختصاصا معينا لا يتأتى أن تتعداه ، فقوة الحس ميدانها الطبيعة ، بل الظاهر المحس من الطبيعة .

إن ميدانها : الألوان ، والأصوات ، والروائح ، والطعوم .

إن ميدانها : الاحساس الجسمانى في الجسم البشرى وفى خارجه .

وهو ميدانها فى الحدود التى رسمها الله تعالى لها .

وميدان العقل ودائرته ، انما هو الفهم الواعى لما يلاحظ ويشاهد ويحس ، ثم الاستنتاج والاستنباط مما يلاحظ ويشاهد ويحس .

فاذا كان الأمر أمر غيب ومساتير ، فليس للعقل فى ذلك رأى ولا اختراع ولا ابتداع ، وكل ضرب من ذلك يقوم به العقل ، انما هو خبط عشواء ، وسير فى متاهات ، وسياحة فى صحراء — دون مرشد — لا علامات فيها ، ولا أدلة .

ومن هنا كان هذا النتاج الفلسفى الضخم فى ما وراء الطبيعة والأخلاق يشوبه الوهم فى الكثير من أسسه . وفى الكثير من نتائجه .

ولا يمكن الاهتداء « عقليا » إلى ما فيه من الصواب الثابت ، أو الخطأ والانحراف .

ولكن الإنسان ، ليس حسا وعقلا وحسب ، بل ليس الإنسان انسانا بحسه وعقله . فقد ينزل به حسه وعقله إلى المستوى الحيوانى البحت ، فيعيش عيشة السائمة ، بل قد ينزل به حسه وعقله إلى مستوى أقل من المستوى الحيوانى ، ويصير من هذه الطائفة التى ينطبق عليها قول الله تعالى :

« ان هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا » .

والإنسان إذن إنسان بروحه الشفافة ، ونفسه الزكية ، وبصيرته المضيئة إنه ذلك الذى تزكى ، إنه الذى صفت روحه صفاء يقربه من الملائكة .

وإذا ما صفت الروح ، وتزكت النفس . زال عن البصيرة ما تراكم عليها من صدأ كان يحجبها باستمرار عن أداء وظيفتها ، وإذا ما تزكت النفس ، أصبحت محلا للالهام وللمعرفة المستنيرة فى عالم ما وراء الطبيعة . وعالم الخير والشر .

وفهم الحكماء القدماء — قبل العصر اليونانى — ذلك فلم يستعملوا قط الجدل أو القياس أو الابتداع العقلى ، والاختراع المنطقى وإنما استعملوا — من أجل معرفة الالهيات — التنسك والعبادة والذكر ، واستخلاص النفس لله أو بالتعبير القرآنى التزكية .

كانت تزكية النفس إذن : وسيلتهم إلى المعرفة وكلما زادت تزكية النفس ، كلما أصبح الشعور بعالم ما وراء الطبيعة وأصبح التمييز بين الخير والشر :

ميسوراً واضحاً .

(هـ) وسبيل تزكية النفس هذا من أجل المعرفة : سبيل فهمه الكثير من الألمعيين فى العصر اليونانى ، ومما لا شك فيه ، أن بذوره الأولى جاءتهم من الشرق .

لقد كانت فرقة الأورفية فى العصر اليونانى الأول تمثل هذا الاتجاه تمثيلا واضحا .

وكانت الفيثاغورية من بعدها تسير فى هذا الطريق ، وتؤمن أنه الوسيلة الصحيحة الموصول الى عالم الغيب : لقد كان الجانب التنسكي ، وكانت العبادة وكان الذكر ، كان كل ذلك وغيره مما يتصل بوسائل استخلاص النفس لله شيئاً عادياً فى الفيثاغورية .

لقد كانت الفيثاغورية تصفية نفس وتطهراً أخلاقياً ، كانت ابتعاداً عن الرجس ، وانغماساً فى عالم الخير ، وكانت بعبارة مختصرة ، تطهيراً للباطن والظاهر .

وجاءت الأفلاطونية :

وكان أفلاطون يصطفى من تلاميذه ، ذوى النفوس الشفافة ، والشعور المرهف ، وهم قليلة ، فيسلك بهم سبيل التنسك ، سبيل التزكية .

وعلى أثر ذلك جاءت الأفلوطونية الحديثة التى تنتسب الى أفلوطين المصرى والتى بلغت . بطريق التنسك والتزكية شأوا بعيداً .

ولكن الجانب الحيوانى فى الإنسان كان يجره باستمرار الى الأخلاد الى الأرض ، واتباع الهوى ، ولم يكن طريق التطهير والتزكية من السهولة بحيث يلجه كل طارق .

ان الارتفاع بالنفس سبيل شاق ، ومن أجل ذلك عدل الشطر الأكبر من

اليونان عن طريق التزكية الى طريق الجدل العقلي ، فكانت الفلسفة العقلية اليونانية ، وكان الإنحراف عن الطريق السليم .

والذى تولى كبر ذلك ، ودعم أركانه ، وبلغ به القمة ، انما هو أرسطو

ومما لا مماراة فيه ، أن الانحراف فى البحث عما وراء الطبيعة يدين بالكثير أو بالأكثر الى أرسطو .

وأخفق أرسطو فيما وصل اليه من نتائج عما وراء الطبيعة . وأخفق الذين تابعوه .

وأخفق الذين أتوا من بعدهم .

وترى الإنسانية هذا الاخفاق المتتابع ، ولكن المحاولات ، لمعرفة الغيب عن طريق العقل ، لم تنته بعد .

ومع ذلك فقد كان عند الكثير من مفكرى اليونان حدس صادق بالوضع الصحيح فى مثل هذه الأمور ، لقد كانوا يؤمنون بأن الفكرة الصحيحة عن معالم الغيب ، وعن الاخلاق انما تتأتى عن طريق رسول يتلقى عن الله الوحى ليبلغه الى بنى البشر . والقصة التالية توضح هذا الشعور لديهم .

فقد اجتمع ـ كما يقص أفلاطون ـ سقراط واثنان من الفيثاغوريين هما سمياس ، وقابس ، وأخذوا يتحدثون عن خلود النفس ، والاستدلال ـ عقليا ـ على بقائها ، فلا يكاد يستقيم لهم الدليل فى وضوح وثبات ، ثم « يسكت سقراط ويسكت الجميع » .

وبعد هنيهة يقول سمياس : ان العلم بحقيقة هذه الأمور ممتنع أو عسير جداً

فى هذه الحياة ، ولكن من الجبن واليـأس من البحث قبل الوصول إلى آخر مدى العقل فيجب أما الاستيثاق من الحق ، وأما — أن امتنع ذلك — استكشاف الدليل الأقوى ، والتذرع به في اجتياز الحياة ، كما يخاطر المرء بقطع البحر على لوح من خشب ، ما دام لا سبيل لنا إلى مركب أمتن، أعنى إلى وحى الهى » .

المركب الأمتن الآمن إذن ، إنما هو الوحى الإلهى ، أما العقل فمثل من يتذرع به كمثل من يخاطر بقطع البحر على لوح من خشب .

لقد حاول اليونانيون إذن البحث العقلى ، لاجتياز خضم ما وراء الطبيعة لأنه لم يكن لديهم وحى يرجعون اليه فى الهداية والارشاد ، ولو كان لديهم هذا الوحى لما اختاروا العقل به بديلا ولما كانت الفاسفة اليونانية العقلية ، ولبقى توزيع اختصاصات القوى الإنسانية والملكات البشرية على استقامته الأولى :

— الحس لعالم الطبيعة :

— والعقل للاستنتاج مما يأتى به الحس .

— أما الروح والبصيرة فانها لعالم الغيب ، وعالم الخير .

ولقد تأثر علم الكلام الإسلامى بالتيار العقلى اليونانى فى نهجه العقلى ، وفى اتجاهه الاختراعى الابتداعى ، وكان علم الكلام بذلك فلسفة يرتطم بكل ما يعترض الفلسفة من عقبات ، وأوضاع — بمقدار قربه من الفلسفة — ما كان ينبغى له من قداسة ، وكان بابتعاده عن النهج القرآنى السليم النظرى

مثيراً لكثير من المشاكل التى تفرق المسلمين وتجعلهم فرقا واشياعا متنافرين متخاصمين .

ومع ذلك فان العودة إلى النهج السليم ميسورة ، وعلى قادة المسلمين فكريا ودينيا أن يساهموا فى ايضاحه[1] .

---

(١) راجع المنقذ من الضلال ، الاسلام والعقل ، التفكير الفلسفى فى الإسلام .

تطور علم الكلام

لقد ابتعد علم الكلام – على مر الزمن – عن القرآن مقتربا من الفاسفة ، حتى أنه ليوشك أن يصير فلسفة عقلية بحتة ، ونريد أن نرسم صورة موجزة كل الإيجاز ، صورة هيكلية بالغة الإختصار ، لما ينبغى أن يكون عليه علم التوحيد ، وذلك يقتضى أمرين : الهدم والبناء ، لذلك سنتحدث أولا عما يجب أن يزول عن مباحث علم الكلام ، ثم نتحدث عما يجب أن يتجه إليه .

لقد كانت الدعوة الإسلامية — منذ نشأتها — دعوة إلى التوحيد ، وقد عمل الرسول صلوات الله وسلامه جاهداً فى أن يوطد أركان هذه العقيدة فى نفوس الذين اتبعوه ولم يفعل ذلك عن أمره ، وإنما فعله منفذاً للوحى المعصوم ، وللايات القرآنية الكريمة ، ذلك أن القرآن فى جميع أجزائه قد جعل هذه العقيدة ، أولى العقائد الجوهرية : « لا إله إلا الله » : إنها كلمة التوحيد ، وهى الإخلاص ، وهى أول ما ينطق به الشخص حينما يعتنق الإسلام . وتوحيد الله هو جوهر وحدة الدين .

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً ، والذى أوحينا إليك ، وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى : أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه ، الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب »[1]

---

(١) الشورى : ١٣ .

ولقد كان الهدف الأول لجميع الرسل السابقين هو: التوحيد. والقرآن: صريح فى هذا المعنى وفى تأكيده، وفى إظهاره:

« ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه إنى لكم نذير مبين: ألا تعبدوا إلا الله..»

« وإلى عاد أخاهم هودا قال: ياقوم أعبدوا الله مالكم من إله غيره » .

« وإلى مدين أخاهم شعيباً قال: ياقوم أعبدوا الله مالكم من إله غيره » .

ويبين القرآن أن هذه العقيدة عامة مطلقة، إنها العقيدة الأولى التى أكدها جميع الرسل:

« وما أرسلنا من قبلكم من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون[1] .

وحينما يقول الله، سبحانه وتعالى:

« وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً »[2] .

فانه آثر أن يقول: « أمة » بالأفراد لا أمما، ولا يعنى شيئاً آخر غير الأمة الإسلامية الواحدة الموحدة.

والتوحيد إذن سار فى جميع أجزاء الرسالة الإسلامية، ولاشك أن وحدة العقيدة ووحدة الأخلاق: من أهم العوامل التى تتجه بالمؤمنين إلى الوحدة الشاملة:

« المؤمن أخو المؤمن » .

---

(١) الأنبياء: ٢٥ .

(٢) البقرة ١٤٣ .

« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » .

« مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد » .

« أحب لأخيك ماتحب لنفسك ... »

والإنسان لايحتاج إلى تعمق كبير ليرى أن الدين الإسلامى إنما هو دين التوحيد ودين الوحدة ، وأن النزاع ، والاختلاف ، والتفرق والشذوذ ، ليس لها فى دين الله من مكان .

ومع ذاك فقد تفرق المسلمون .

ولسنا الآن بصدد البحث عن أسباب تفرق المسلمين وأختلافهم فى شىء من التفصيل ولكننا بصدد البحث عن وحدة العقيدة وعن الأسباب التاريخية القديمة التى أخذت ولاتزال تهدم فى الأساس المتين الذى أقامه وعمل على تمكينه رسول الله صلوات الله وسلامه عليه .

وإذا ماتبينا هذه الأسباب تبينا فى الوقت نفسه طريقة تلافى الأختلاف فى العقيدة وربما تبينا من ذلك بعض أسباب تفرق المسلمين ، وبعض العلاج لإزالة هذا التفرق ، فمما لاشك فيه أن الاختلاف فى العقيدة من دواعى التفرق فى الأمة الواحدة وأن الإتفاق فى العقيدة من دواعى الوحدة .

وقد أتى على هذا الأختلاف فى العقيدة أمد من الدهر طويل فتمكن من النفوس ، ولامناص إذن من أن نستفيض فى شرح الداء حتى يمكن العلاج فى شىء من التوفيق إن شاء الله تعالى .

بيد أننا سوف لانقتصر على ذلك، فان الأقتصار على ذلك نصف المرحلة. ولو أقتصرنا عليه لكنا مقصرين ، ونريد إذن ـ والله المستعان ـ أن نحاول فى المرحلة الثانية بيان طريقة السلف الصالح فى الإعتقاد وفى الإستدلال

عليه ، وأن نضرب أمثلة لبعض مظاهر ايمانهم القوى الذى غير وجه العالم ونشر كلمة الله .

ومما لاشك فيه : أن الاختلاف في العقائد ، وتفرق الامة الواحدة الى فرق متعددة : له آثار سيئة ونتائج وخيمة .

ولاريب أن المسلمين ، على بكرة أبيهم : يودون أن تعود الوحدة في العقيدة الى ما كانت عليه فى الصدر الاول ، وأنهم ليتلمسون الوسائل لإحياء الشعور الدينى الذى يأبى التفرق والتنازع فى مجالات الإيمان .

وقد ترك الرسول — صلوات الله وسلامه عليه — وصاحباه : أبو بكر وعمر ، رضى الله عنهما الأمة الإسلامية ، وكان يتمثل فيها خير تمثيل : الآية القرآنية الكريمة :

« ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون[1] » .

والآية الكريمة :

« وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون[2] » .

بيد أن الأمة الإسلامية تفرقت بعد وحدة ، وتنازعت بعد اتفاق .

نعود فنتساءل ، ما العوامل التى أدت الى الاختلاف فى العقيدة ؟

وليس بعسير تبيين هذه العوامل وتوضيحها ، فان القرآن الكريم والسنة الشريفة قد بينا ذلك فى وضوح ، وفي أسلوب لا لبس فيه ، وبينا أيضاً

---

(١) الأنبياء : ٩٢ .
(٢) المؤمنون : ٥٢ .

العلاج الذي ينجح ، وقد وضح سلفنا الصالح نهج الكتاب والسنة في أمر العقائد .

والاساس الاول في القرآن هو التمييز الحاسم الذي ميز به القرآن بين ميدانين أطلق لنا الحرية في أن نبحث في أحدهما ما شاء الله لنا أن نبحث ، مؤيدين أو شارحين أو متفهمين : وذلك هو ميدان الآيات المحكمات . أما الآخر الذي ليس لنا أن نبحث فيه فانه المتشابه ، يقول الله تعالى :

« هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ، فأما الذين في قلوبهم زيغ : فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، ومايعلم تأويله الا الله ، والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ومايذكر الا أولوا الألباب(١) » .

أما الاحاديث الشريفة التي ترسم للمؤمنين الطريق الذي يجب أن يتبعوه إحتفاظاً بالوحدة ، وإتباعاً للنهج الصحيح ، وإبتغاء للطمأنينة القلبية : فانها كثيرة ، وسنذكر منها الكثير في أثناء هذا البحث ان شاء الله تعالى . أما الآن فسنكتفي بثلاثة :

قال ، صلوات الله وسلامه عليه : « أتبعوا ولاتبتدعوا : فانما هلك من قبلكم بما ابتدعوا في دينهم ، وقالوا بآرائهم ، وخالفوا سنن أنبيائهم ، فضلوا وأضلوا » .

وقال صلوات الله وسلامه عليه ، في أحكام دقيق ، وفي ايجاز محكم :

« أتبعوا ، ولاتبتدعوا : فقد كفيتم » .

وعن علي ، رضي الله عنه : قال سمعت رسول الله ، ﷺ ، يقول

---

(١) آل عمران : ٧ .

« أتانى جبريل ، عليه السلام . فقال : يامحمد ، إن أمتك مختلفة بعدك ، قال : فقلت : فأين المخرج ؟ فقال : كتاب الله .

رسمت الآية القرآنية الكريمة ، ورسمت الاحاديث النبوية الشريفة طريق الوحدة فى العقيدة والاطمئنان إجمالا وعموماً وسبيلنا الان أن نبين ، المراد بالمحكم والمتشابه ، ونبين طريق الإتباع وطريق الإبتداع ، ونشرح كيفية التزام كتاب الله حتى تخرج من الاختلاف لتنضوى تحت راية الإعتصام بكتاب الله ، فى وحدة متناسقة . وبالله التوفيق :

مشكلة القدر

« إتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم » .

هذا الحديث الشريف يلخص المنهج الذى نحب أن يسير عليه العالم الإسلامى فى أمر العقيدة .

نحب أن يسير عليه رأيا وفكرة ، ونحب أن يسير عليه ـ من قبل ذلك ـ أستعداداً وتأهلا .

وهذا الإستعداد والتأهل يتأتى على الخصوص بواسطة دور التعليم فى جميع مراحله وبوساطة الصحافة والكتب التى تنشر .

وهذا الحديث الشريف يسانده فى معناه مالا يكاد يحصى من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية ، والآثار التى وردت عن كبار الصحابة وكبار التابعين . يقول الله تعالى :

« اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا » .

لقد كمل الدين ، فكفانا الله كل ابتداع ، واذا كان الدين كاملا فما علينا الا الإتباع . أما طريقة الاتباع ، فقد حددها الله فى الآية الكريمة التى سبق أن ذكرناها[1] والطريقة اذن أن نتبع الآيات المحكمات فى فهم ووعى وتأييد ،

---

(١) وهو قوله تعالى : « هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هى أم الكتاب ، وأخر متشابهات ، فأما الذين فى قلوبهم زيغ : فيتبعون =

وهى ليست مثار جدل ولا خصومة ،وليست مجال نزاع يحتدم ، أو أهواء تثور ، وأن نؤمن بالمتشابه كما ورد ، وألا نتبعه متأولين .

فان تتبع المتشابه : إنما ينشأ عن القلوب التى تلونت بالزيغ والانحراف ، وهى التى تتبعه ابتغاء الفتنة ، وتتبعه لتأويله وتأويله إنما يعلمه الله .

ولكن ما هو هذا المتشابه ؟

لقد اختلف فيه أئمتنا ، ولا نريد أن نتعرض لهذا الاختلاف ، وإنما نريد أن نقول ، فى اطمئنان وثقة :

إن المسائل التى نهى الرسول عليه الصلاة والسلام ، عن الخوض فيها ، والمسائل التى كان الاتجاه العام فى عهد الخلفاء الراشدين ينفر من الخوض فيها هى من المتشابه . فالمتشابه إذن : هو ما تنفر منه الروح العامة للدين الإسلامى فى عهده الأول : عهد الرسول ، صلوات الله وسلامه عليه ، وخلفائه الراشدين وتتحرج من الخوض فيه .

مثل ماذا ؟

أما أولى مسائل المتشابه التى نريد أن نتحدث — بتوفيق الله — عن شىء من تاريخها فهى : مسألة القدر .

لقد شغلت مسألة القدر . أو الجبر والاختيار ، أو أفعال العباد ، عقول الإنسانية منذ أن كان الدين ، أى منذ ابتداء تاريخ الإنسان على ظهر الكرة الأرضية .

وإذا أثيرت مسألة القدر فى أى وسط كان ، قليل العدد ، فإنها تقسمه إلى قسمين : يقول أحدهما بالجبر ، والآخر يقول بالاختيار .

= ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله،وما يعلم تأويله الا الله . والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولوا الالباب » .

لقد أثارها اليهود في دينهم ففرقت بينهم : وقال بعضهم بالجبر ، وقال الآخرون بالاختيار .

وأثيرت في الديانة النصرانية على مجرى التاريخ فكان النزاع والجدل وكان التحيز لرأي والتعصب له . وانقسم رجال المسيحية إلى فريقين يختصمان وأراد رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه ، أن يتلافى انشقاق الأمة بسبب إثارة هذه المشكلة . فكان ينهى دائماً عن إثارتها وعن الجدال فيها .

روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : « خرج رسول الله ﷺ، على أصحابه ذات يوم ، وهم يتراجعون في القدر ، فخرج مغضبا حتى وقف عليهم ، فقال : ياقوم : بهذا ضلت الأمم قبلكم : باختلافهم على أنبيائهم ، وضربهم الكتاب بعضه ببعض ، وأن القرآن لم ينزل لتضربوا بعضه ببعض ، ولكن نزل القرآن فصدق بعضه بعضا ، ما عرفتم منه فاعملوا به ، وما تشابه فآمنوا به .

وعن أبي هريرة ، قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتنازع في القدر ، فغضب حتى أحمر وجهه ، ثم قال :

أبهذا أمرتم ، أم بهذا أرسلت إليكم ؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر . عزمت عليكم ألا تنازعوا .

واتخذ رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه ، موقفاً حاسما جازما بالنسبة لمنع الخلاف في هذه المسألة ، أو حتى مجرد إثارتها .

ومضى رسول الله ﷺ ، راضيا مرضيا ، وهو لا يسمح ، حتى النفس الأخير من حياته الشريفة ، بأن تثار هذه المسألة .

ولم تثر هذه المسألة في عهد سيدنا أبي بكر لانشغال المسلمين بتوطيد دعائم الأمة الإسلامية ، منصرفين بذلك عن العبث في دين الله .

وكانت درة سيدنا عمر كفيلة برد كل من تحدثه نفسه بإثارة هذه المشكلة إلى جادة الصواب .

ومسألة القدر إذن : من المتشابه ، إنها من أهم مسائل المتشابه .

وهي فضلا عن ذلك عصية على الحل ، انها ليست قابلة للحل ، وهي ليست قابلة للحل سواء أثيرت في الشرق أو في الغرب ، وسواء أثيرت في القديم أو في الحديث ، أو أثيرت في البادية أو في الحضر ، انها في مفرق بين الباحثين فيها ، ومهما طال الجدل بينهم فسوف لا ينتهون الى نتيجة : ومن أجل ذلك كانت الروح الإسلامية العامة تحرم الخوض فيها .

ومع ذلك فقد بدأت هذه المشكلة تتسلل ، شيئاً فشيئاً الى المجتمع الإسلامى حتى لقد احتلت يوما ما مركز الصدارة في الفكر الإسلامى النظرى .

ولقد مهدت السياسة أولا لهذا التسلل ، وكانت السياسة أول عامل من عوامل افساد التفكير النظرى الدينى فى المجتمع الإسلامى السليم !

كتب معاوية بن أبي سفيان – بعد أن تولى الملك – الى المغيرة بن شعبة يطلب منه أن يكتب اليه بالحديث الذى كان يقوله ، صلوات الله وسلامه عليه أحيانا ، وهو على المنبر فكتب اليه المغيرة أن رسول الله ﷺ كان يقول : فى دبر كل صلاة اذا سلم .

« لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد . وهو على كل شىء قدير ، اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطى لما منعت ، ولا راد لما قضيت ولا ينفع ذا الجد منك الجد » .

وأخذ معاوية يذيع هذا الحديث الشريف من فوق المنابر مؤمنا بأنه من عوامل توطيد مركزه فى الأمة .

هذا الاستعمال السياسى للأقوال الشريفة ، أثار بعض الضمائر التى لم تطمئن الى هذه الصورة التى اعتبروها استخداما للدين والتى لم يروا فيها مظهراً للخضوع والانقياد له ، فهبوا يعارضون فكرة الجبر التى أخذ معاوية يبشر بها مستنداً الى هذا الحديث الشريف .

ولسنا الآن بصدد التأريخ الكامل لهذه المشكلة ، ولقد بنينا الآن ، على الأقل ، أمرين :

أحدهما : هو أن هذه المشكلة من المتشابه ، لأن الرسول ﷺ نهى عن الخوض فيها .

ثانيهما : أن السياسة هي التى بدأت بادخال هذه المشكلة في البيئة الإسلامية.

أما النتيجة التى نريد أن نصل إليها من وراء كل ذلك ، فهى : أن البحث فى هذه المسألة : يجب أن ينتزع كلية من محيط الفكر الإسلامى ، وأن تنتزع المسألة مما يسمونه علم الكلام فاذا ما فعلنا ذلك فاننا نكون قد أزلنا سببا هاما من الأسباب التى تفرق المسلمين بسبب الاختلاف فى العقيدة ، ونكون بذلك قد ساهمنا بقسط وافر فى سبيل التوحيد . وبالله التوفيق .

مشكلة الصفات

١ — يقول الله تعالى : « سبحان ربك رب العزة عما يصفون » . ويقول سبحانه : « ليس كمثله شيء » . ويقول ابن عبد البر المتوفى سنة ٤٦٣ هـ — مستنتجاً ومرشداً : « إن الله ليس كمثله شيء ، فكيف يدرك بقياس أو بإنعام نظر » .

أما حكماء المصريين القدماء : فإنهم يقولون فى حكمة حكيمة :

« محال على من يفنى : أن يكشف النقاب الذى تنقب به من لا يفنى » .

ومن يفنى : هو الإنسان . ومن لا يفنى هو الله الباقى . وسواء نظرنا إلى التراث الدينى الصحيح من قرآن أو سنة . أو نظرنا إلى أصحاب الآراء السليمة التى فهمت الأوضاع الدينية فهماً يتلاءم مع الروح الصحيح للتدين : فإننا نجد أن الاتجاه العام فى ذلك كله يبتعد بالإنسان إبتعاداً تاماً عن أن يقول فى الله سبحانه ذاتاً وصفات برأيه .

« تفكروا فى آلاء الله ، ولا تفكروا فى ذاته فتهلكوا » .

إن هذا الأثر يرسم النهج السليم ويعبر عما يجب أن يكون عليه الإنسان إذا أراد النجاة وابتغى السلامة .

وما من شك فى أن البحث فى الذات والصفات الإلهية : من ناحية الصلة بينهما توحيداً أو تغايراً ، والبحث فى الصفات الموهمة للتشبيه نفياً أو تأويلا إنما هو تهجم من الإنسان على مقام لا يرقى إليه وهم متوهم ولا خيال متخيل ، وإنه لحق : أن كل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك .

وقد كان من الطبيعي : أن يقدر الباحثون أنفسهم باعتبارهم من البشر حق قدرها وأن يقدروا الله ، حق قدره .

ولو سار الأمر على هذا النسق لما تطاول البشر إلى مقام الله ، ولما تجاوزوا حدودهم . وبالتالي لما كان هناك اختلاف وتنازع وافتراق في موضوع الصفات الإلهية .

ولكن بعض الباحثين لم يلتزموا حدودهم كأفراد من البشر وغرهم عقلهم ، وخدعهم شيطانهم : فحاولوا بعقولهم أن يفتروا على الله ما لم ينزل به سلطاناً ، فكانت المشكلة الثانية في علم الكلام ـ مشكلة الصفات ـ التي أثارت الجدل والخصومة والتفرقة بين المسلمين ، وجعلتهم فرقاً تتنابز وتتخاصم ، ويرمي بعضها بعضاً بالإنحراف والضلال .

(ب) ونشأت المشكلة : حينما بدأ الباحثون يتعرضون للآيات التي وردت في القرآن الكريم ، والتي توهم التشبيه ، كاليد والوجه ، والاستواء ، أو التي وردت في الأحاديث : كالنزول ، والصورة ، والأصابع .

بدأت المشكلة : حينما تعرض بعض الباحين لهذه الألفاظ وأمثالها ، تأويلا لها أو نفياً لمعناها ، أو تفسيراً وشرحاً :

ومنذ أن بدأ الحديث فيها بدأ الجدل حولها والنزاع ، واستمر خلال العصور عصراً تلو عصر ، ولايزال للان يثار الجدل بين أنصار الإمام الأشعري وأنصار الإمام ابن تيمية .

وكان النزاع حول موضوع الصفات وصلتها بالذات على وجه العموم يسير في هدوء أحياناً ، وفي عنف أحياناً أخرى .

وقد تولد عنه كثير من المشاكل الدامية « كمشكلة خلق القرآن » . والمشاكل المبلبلة للأفكار والخواطر ، كمشكلة : « الصلاح والأصلح » .

وجدت هذه المشاكل و كثرت و تعددت ، كدليل واضح على عجز العقل البشري تجاه العظمة اللانهائية الإلهية .

ومع الإخفاق المتتابع فى البحث فى هذا الموضوع ، منذ الآماد المتطاولة .

فان البشرية لم ترعو ولم تتعظ ، ولا تزال مستمرة فى البحث ، تتخبط فيه وتتنازع و تتجادل وتختصم ؟؟

(جـ) والحكمة كل الحكمة إذن ، إنما هى فى موقف سلفنا الصالح ، رضوان الله عليهم ، فقد هدتهم نزعتهم الدينية السليمة إلى الموقف السليم ، و « قدروا الله حق قدره » وقدروا أنفسهم حق قدرها ، فسلموا من البلبلة ، والاضطراب ، وسلموا من التنازع والاختلاف و كانوا فرقة واحدة .

لقد اتخذوا مبدأ أساسياً ، وقاعدة لا مراء فيها ولا شك ، هى قوله تعالى: « ليس كمثله شيء » .

وهذه الآية تنسف كل تشبيه نسفاً مطلقاً ، فاحترز سلفنا الصالح عن التشبيه حتى لقد قالوا : من حرك يده عند قراءة قوله تعالى: « خلقت بيدى» أو أشار بأصبعه عند رواية الحديث الشريف : « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » وجب قطع يده ، وقطع أصبعه .

احترز السلف عن التشبيه ، ولكنهم احترزوا عن التعطيل أيضاً : فهم يثبتون لله — إتباعا للقرآن — الإرادة ، والعلم ، والصفات الكريمة التي ورد بها القرآن الكريم .

والموقف الذى يقفه من أراد متابعة السلف الصالح إذن ، تجاه كلمات : الصورة ، واليد ، والنزول ، إنما هو : الإيمان بها مع التنزيه لله تعالى ، عن الجسمية وتوابعها ، وليس معنى ذلك أن هذه الألفاظ معطلة عن المعنى ، بل لها معنى يليق بجلال الله وعظمته ، مما ليس بجسم ، ولا عرض فى جسم .

وأن يؤمن بأن ما وصف الله تعالى به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ : فهو كما وصفه ، وحق بالمعنى الذى أراده ، وعلى الوجه الذى قاله .

وأن لا يحاول لها تفسيراً ولا تأويلا :

وشعار السلف معروف فى أمثال هذه الكلمات : إنه أقروها كما جاءت .

وكانوا يذكرون فى هذه الظروف الآية القرآنية الكريمة :

« هو الذى أنزل عليك الكتاب ، منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات » .

« فأما الذين فى قلوبهم زيغ : فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله . وما يعلم تأويله إلا الله . والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا . وما يذكر إلا أولو الألباب » .

ولا مناص ، لمن يريد أن يحترز عن الزيغ ، من أن يمتنع عن التأويل والتفسير ، وأن يمرر هذه الكلمات كما جاءت .

ويلخص الإمام الرازى فى كتابه : « أساس التقديس » المذهب الفلسفى فى كلمات موجزة دقيقة كل الدقة فيقول :

إن هذه المتشابهات ، يجب القطع فيها بأن مراد الله تعالى فيها شىء غير ظواهرها ، ثم يجب تفويض معناها إلى الله تعالى . ولا يجوز الخوض فى تفسيرها .

هذا هو مذهب السلف فى الصفات ، وهو مذهب لا يثير جدلا ولا خصومة وليس من طبيعته ذلك . إنه مذهب العبودية الصحيحة .

وهو المذهب الذى يتمذهب به كل من عنده نزعة التدين السليمة . وهو

مذهب الإمام مالك ، والإمام الشافعى ، والإمام أحمد بن حنبل ، والسلف الصالح ، رضى الله عنهم .

ومن الطبيعى أن يكون مذهب الفرقة الناجية .

ويجب على كل المسلمين الفاقهين لدينهم أن ينشروه في جميع أنحاء المملكة الإسلامية فهو أمانة فى عنقهم ، وهو رسالة يجب عليهم نشرها منعاً للحيرة والاضطراب عند الأفراد ، ومنعاً للاختلاف والتنازع بين الجماعات . ونشراً للاسلام ، وتوحيداً للكلمة بين الأفراد والجماعات الإسلامية . ويجب أن ينتزع بحث الصفات كلية من محيط الفكر الإسلامى وأن تنتزع المسألة مما يسمونه علم الكلام . فاذا فعلنا ذلك فاننا نكون قد أزلنا سبباً آخر هاماً من الأسباب التى تفرق المسلمين بسبب الاختلاف فى العقيدة ، ونكون بذلك قد ساهمنا بقسط وافر فى سبيل التوحيد .

وجود الله

مشكلة القدر : من المباحث التى يجب ألا يبحث فيها المسلمون . ومشكلة الصفات من المباحث التى يجب ألا يبحث فيها المسلمون . ويجب أن تنتزع هاتان المشكلتان من مباحث علم الكلام . يجب أن تنتزعا بكل ما لهما من فروع ومن شعب .

أما المسألة الثالثة التى يجب أن تنتزع أيضاً : فهى البحث فى وجود الله ، سبحانه وتعالى .

والواقع أنه حين بدأ رسول ﷺ ، الجهر بدعوته ، بعد نحو ثلاث سنوات من الأسرار بها : فانه ، صلوات الله وسلامه عليه : لم يبدأ باثبات وجود الله ، وإنما بدأ بالبرهنة على صدقه هو . وتحدى العرب بصدقه . ومن قبل ذلك : حين فاجأ الملك فى الغار ونزل الوحى لم يبدأ الملك أو لم يبدأ الوحى . باثبات وجود الله ، وإنما بدأ بالأمر بأن يقرأ الرسول . صلوات الله وسلامه عليه ، باسم ربه :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق » :

ومضى القرن الأول كله ولم يحاول إنسان قط : أن يتحدث حديثاً عابراً أو مستفيضاً عن إثبات وجود الله تعالى ، ومضى أكثر القرن الثانى والمسألة — فيما يتعلق بوجود الله — لا توضع موضع البحث :

ذلك أن وجود الله : إنما هو أمر بدهى لا ينبغى أن يتحدث فيه

المؤمنون نفياً أو إثباتاً ، ولا سلباً أو إيجاباً . إن وجود الله : من القضايا المسلمة التي لا توضع في الأوساط الدينية موضع البحث : لأنها فطرية .

وإن كل شخص يحاول وضعها موضع البحث إنما هو شخص في إيمانه دخل وفي دينه انحراف فما خفي الله قط حتى يحتاج إلى أن يثبته البشر ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً ومن المعروف أن الدين الإسلامي لم يجيء لإثبات وجود الله وإنما جاء لتوحيد الله . وإذا تصفحت القرآن ، أو التوراة حتى على وضعها الحالي ، أو الإنجيل حتى في وضعه الراهن : فانك لا تجد أن مسألة وجود الله قد اتخذت في أي سفر منها مكانة تجعلها هدفاً من الأهداف الدينية أو احتلت مكاناً يشعر بأنها من مقاصد الرسالة السماوية .

والقرآن الكريم : يتحدث عن بداهة وجود الله حتى عند ذوي العقائد المنحرفة : يقول سبحانه : « ولئن سألتهم : من خلق السماوات والأرض ليقولن الله » .

إنهم يقولون : إن الخالق هو الله ، مع أنهم مشركون أو منحرفون بوجه من الوجوه في إيمانهم بالله ، تعالى ، ومانزلت الأديان قط لإثبات وجود الله وإنما نزلت لتصحيح الإعتقاد في الله أو لتصحيح طريق التوحيد .

أما الآيات الكثيرة التي يظن بعض الناس أنها نزلت لإثبات الوجود : فليست من ذلك في قليل ولا في كثير ، إنها تبين عظمة الله وجلاله وكبرياءه وهيمنته الكاملة على العالم ، ماعظم من أمره ودق منه ، ولا تفوت هيمنته صغيرة ولا كبيرة ، ولا يخرج عن سلطانه مادق وما جل .

وقد أتت على هذا الوضع لتقود الإنسان إلى إسلام وجهه لله إسلاماً كاملا بحيث لا يصدر ولا يرد إلا باسمه سبحانه ، ولا يأتي ما يأتي أو يدع ما يدع إلا في سبيله تعالى .

ومضى القرن الأول على ذلك . ومضى القرن الثانى أو أكثره على الفطرة ثم كانت الفلسفة اليونانية .

والفلسفة اليونانيه فلسفة وثنية . لأنها تصدر عن العقل لا عن الوحى ، وكل فكرة تصدر عن العقل لا عن الوحى فى عالم ما وراء الطبيعة ، أى فى عالم العقيدة : إنما هي فكرة وثنية ، أى أنها لا حق لها فى الوجود ، لأن عالم العقيدة إنما هو من اختصاص الله . يبينه على لسان رسله وكل تدخل من الإنسان فى هذا العالم . إنما هو تدخل فيما ليس للانسان التدخل فيه ، لأنه اقتحام لساحة محرمة مقدسة، لا ينبغى أن يدخلها الإنسان الا دخول الساجد الخاشع الخاضع المسلم لما جاء به الوحى الإلهى .

ان الفلسفة اليونانية فى عالم العقيدة : فلسفة وثنية ، أنها وثنية حتى حين تثبت وجود الله ، ولا يخرجها اثباتها وجود الله عن أن تكون وثنية أنها وثنية بالمبدأ الذى قامت عليه ، وهو مبدأ تأليه العقل البشرى ، ويستوى بعد ذلك أن تكون قد أثبتت وجود الله أو أنكرته .

وهي حينما تثبت وجود الله عقلياً ليس فى ذلك كبير فائدة ، ولا يبرر ذلك وجودها ، ولا قيمة لما تثبته . واثباتها والعدم سواء . ذلك أن العقل الذى أثبت . هو العقل الذى يمكنه أن ينكر وهو العقل الذى ينكر بالفعل .

ولا لزوم إذن للطنطنة والتصفيق الذى نحيي به كل عبقرية فكرية فى الشرق أو فى الغرب تحاول فكرياً ، أن تثبت وجود الله .

أننا لا نقيم عقيدتنا على فكر بشرى مهما كان هذا الفكر عبقرياً . ويجب على المؤمن أن لا يقيم وزناً — أى وزن - لأى نتاج فكرى فى عالم ما وراء الطبيعة ، سواء خالف معتقده أو وافقه ، إنه فى معتقده يدين لله وحده وكفى بالله مصدراً وكفى بالله هاديا ، وكفى بالله مرشداً ، ومن

يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم ، ومن يعتصم بالله فهو حسبه إن كل ماعدا الهدى الإلهى فى عالم الدين ، إنما هو وثنية وضلال .

كانت الفلسفة اليونانية فلسفة وثنية بشرية ، وقد أرادت أن تجد لجاماً يعصمها من الخطأ فاخترعت فنا وثنياً آخر . هو فن المنطق ، فما أجدى ولا أغنى ولا تقدم بالفكر الوثنى فى عالم الصواب شروى نقير .

وبقيت هـذه الفلسفة الوثنية — عبر القرون — على ماهى عليه ، فيها كل سمات الوثنية من ضلال وخرافات .

ولقد كانت الأمة اليونانية : معذورة بعض العذر ، فما كان فى ربوعها دين منزل من السماء تلجأ إليه مهتدية مسترشدة ، وما كان مثلها فى ذلك إلا كمثل العصر الجاهلى فى الجزيرة العربية : فلجأت إلى العقل وألهته ، وأخذت تلبت به وتنكر ، فضلت وأضلت .

وجاءت الديانة النصرانية مصححة للوضع ، فعزلت فكرة الألوهية من تدنيس الوثنية وسمت بالله جل جلاله عن أن تضع وجوده موضع البحث ، ثم تسللت إليها كمكروب خبيث وثنية اليونان ، فجعلت من وجود الله ــ مجرد وجود الله ــ بابا ضخماً من أبواب البحث أو من أبواب اللاهوت الكنسى ، ونزلت بذلك الفكرة الدينية المقدسة عن الله إلى مستوى الجو الوثنى البشرى !

وجاء الإسلام تطهيراً كاملا للعقيدة وتزكية تامة للايمان وأعلن بمجرد التسمية « الإسلام » الحرب على التدخل البشرى فى دين الله ورسالته فما « الإسلام » إلا الإستسلام المطلق لله سبحانه وتعالى : إنه الإسترسال مع الله على ما يرضيه ، وهل للانسان غير هذا بالنسبة لله ، وهل للمؤمن أن يتصرف تصرفا آخر ؟ وهل إذا تصرف تصرفا آخر سمى مؤمناً ؟ إن الإسترسال مع الله على ما يحب هو الإسلام ، وهو الدين ، لا دين غيره ، يقول الله تعالى :

« إن الدين عند الله الاسلام » .

ويقول سبحانه :

« ومن يبتغ غير الإسلام دينا : فلن يقبل منه » .

وإن كل من لا يستسلم لله في وحيه استسلاما مطلقا: فانه يبتغي ـ في قليل أو في كثير حسب انحرافه ـ غير الاسلام دينا .

لقد كان الإسلام توجيهاً ، وكان مبادىء .

ومن توجيه الاسلام . أن وجود الله لا ينبغي أن يوضع موضع البحث ، وكل من وضعه موضع البحث:فانه بذلك يعدل عن توجيه الله تعالى إلى توجيه بشري،إنه يبتغي غير الإسلام موجها .

وابتغى المسلمون الأول الإسلام توجيها ، كما ابتغوه مبادىء ، وسار الأمر على ذلك إلى أن تسللت الفلسفة اليونانية ـ كمكروب خبيث ـ إلى الجو الإسلامي تسللت في عهد المأمون ، وتولى كبر هذا التسلل المأمون ، وشجعه على ذلك معتزلة عصره ، وقابل المؤمنون ذلك بكثير من النفور ، وحق لهم ذلك ، فما كان منطق الدين ولا منطق الفطرة السليمة يقضي بأن تكون راية العصمة ، راية الدين الالهي مرفوعة ترفرف على ربوع الأمة الاسلامية في محيط العقيدة ، فنميل بهذه الراية ، قليلا أو كثيراً ، لنرفع بجوارها راية أرسطوا ، أو راية أبيقور .

ورفع المأمون رايه الانحراف والوثنية بجوار راية الهداية المعصومة ، وعارض المؤمنون واحتجوا وبينوا أن الوثنية ولو وافقت الدين : فهي وثنية .

ولكن النهج الوثني أخذ يقوى شيئا فشيئاً ، ثم طلب التصريح بالاقامة واستوطن . ومعاذ الله أن تكون عقائد الإسلام الكبرى ـ الإيمان بالله

وبالرسالة وبالبعث ـ قد تلوثت بالوثنية ، كلا ، وإنما الذى تلوث بالوثنية ـ وإلى حد كبير ـ إنما هو النهج والنزعة والإتجاه فى البحث ومنهج البحث ، وليس ذلك بالأمر الهين ، أو الذى لا يؤبه له كلا فذلك له خطورته فى جانب قوة الإيمان وضعفه .

وفرق بين أن تأخذ قضايا الوحى مأخذ المستسلم المسترسل معها على ماتريد وأن تأخذها محكما فيها عقلك مؤولا لها أو عادلا بها إلى إتجاه خاص ، أو شارحاً لها على نزعة معينة .

وبتعبير آخر : فرق بين أن تصدر عن الوحى متفهما له بعقلك وبين أن تصدر عن عقلك متفهما للوحى ولعل بعض الناس لايرى فرقا فى التعبيرين ولكن الفرق كبير إذ نظرنا إلى الوضع الإنسانى : فهو إما أن ينطلق عن الوحى قائداً العقل إلى الخضوع له ، وإما أن ينطلق عن العقل محاولا تأويل الوحى بما يوافق النتائج التى وصل إليها العقل .

والأول طريق المؤمنين المسلمين ، والثانى طريق الفلاسفة أو نهج الوثنيين.

والنهج الوثنى ـ نهج إثبات وجود الله عقلياً ـ هو الذى أتاح الإنحراف الكامل ، أى إنكار وجود الله ، لما دام النهج الوثنى قد أعطى حق الوجود : فان الوثنية كنهج تأتى بالوثنية كنتائج .

إن وضع مسألة وجود الله موضع البحث : هو الذى هيأ لذوى الفطر المنحرفة أن يلحدوا فى دين الله ، وأن يكفروا به سبحانه . هذه نتيجة .

أما النتيجة الثانية فانها: ضعف الإيمان وإذا كنت تضع الوجود الإلهى ـ مجرد الوجود ـ موضع بحث : فمعنى ذلك أنك وضعته موضع شك وريبة ولو لم يكن كذلك لما وضع موضع البحث .

وإذا كان الوجود الإلهى ــ مجرد الوجود ــ موضع شك وريبة فماذا بقى من أمور الدين لايوضع موضع شك وريبة ؟ إن الإيمان فى هذه الأوضاع الوثنية : لايتأتى له إلا أن يخبو شيئاً فشيئاً حتى يصبح إيمان :

وهذا هو ماحدث فى الأمة الإسلامية : لقد وصل إيمانها إلى درجة يشبه أن يكون معدوما . وما ذلك إلا لتغلغل النهج الوثنى في بحث قضايا الدين ومبادئه لقد أصبحت قضايا الدين ، كل قضاياه ، موضع بحث وهل يتأتى أن تبقى قضية من قضايا الدين فى مجال اليقين بعد أن وضع وجود الله مجرد وجوده سبحانه موضع البحث ؟ نستغفرك اللهم ؟ ونتوب اليك .

ونعود فنقول : ان الدين فى نفسه محفوظ بحفظ الله لكتابه العزيز .

« انا نحن نزلنا الذكر وأنا له لحافظون » .

ولكن الذى نشكو منه انما هو النهج أو المنهج أو النزعة أو الإتجاه فى البحث ، ان الذى نشكو منه انما هو :

منهج البحث الوثنى . واذا شئت قلت : انما هو منهج البحث اليونانى سئل أحد العارفين عن الدليل على الله فقال : الله .

فقيل له فما العقل فقال ؟ العقل عاجز لايدل الا على عاجز مثله .

أما الإمام الكبير العارف بالله ابن عطاء الله السكندرى الذى جمع بين رئاسة الشريعة ورئاسة الحقيقة فانه يقول :

« إلهى كيف يستدل عليك بما هو فى وجوده مفتقر اليك . أيكون لغيرك من الظهور ماليس لك حتى يكون هو المظهر لك ؟ متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك ؟ ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التى توصل اليك .

كيف يتصور أن يحجبه شىء ، وهو الذى أظهر كل شىء » ؟

« كيف يتصور أن يحجبه شيء ، وهو الذى ظهر كل شيء » ؟
» » » » » » ، وهو الذى ظهر فى كل شيء » ؟
» » » » » » ، وهو الظاهر قبل وجود كل شيء » ؟
» » » » » » ، وهو أظهر من كل شيء » ؟
» » » » » » ، وهو الواحد الذى ليس معه شيء » ؟
» » » » » » ، وهو أقرب اليك من كل شيء » ؟
» » » » » » ، ولولاه ما كان وجود شيء » ؟

« شتان بين من يستدل به أو يستدل عليه ، المستدل به الحق لأهله ، فأثبت الأمر من وجود أصله ، والاستدلال عليه من عدم الوصول اليه ، وألا فمتى غاب حتى يستدل عليه ، ومتى بعد حتى تكون الآثار هى التى توصل اليه[1] » .

(١) راجع الإسلام والعقل ، المدرسة الشاذلية الحديثة ، التفكير الفلسفى فى الاسلام .

« الأحزاب الدينية »

فى عصر الإسلام الأول كان كل شىء مصطبغا بالصبغة الدينية ، وينبثق عن جو مصطبغ بالصبغة العامة للدولة : صبغة الدين .

ولا غرابة فى هذا ، فان الاسلام ليس عقيدة قلبية فحسب ، ولكنه نظام يتضمن جميع قوانين المجتمع ..

إنه عقيدة وعبادة وأخلاق ، كما أنه تشريع ونظام للمجتمع ، ومبادىء عن الاتجاه العام للدولة ، بحيث تكون فى اطار الوحى . أمة تسلم نفسها لله سبحانه ، محكمة كتابه ، وسنة نبيه .

من أجل ذلك قلنا : «الأحزاب الدينية» ولم نقل : «الأحزاب السياسية». وما كان لكلمة السياسة ، وجود بمعناه الحالى فى ذلك العصر .

هذه الأحزاب نشأت نشأة ميسرة تشبه أن تكون طبيعية .

لقد نشأ عقب انتقال رسول الله صلى الله علية وسلم إلى الرفيق الأعلى سؤال عادي ينشأ فى كل مجتمع .

من الذى يتولى الأمر بعد الرسول صلى الله عليه وسلم ؟

إن الإسلام لا يعترف بطبقية أساسها النسب فقط ، والشرف فى الاسلام والفضيلة إنما يتبعان التقوى .

وفى الاسلام مبادىء - أشرف ما تكون المبادىء - بالنسبة لذلك :

« أن أكرمكم عند الله أتقاكم[1] » .

« إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » . رواه مسلم وابن ماجه عن أبى هريرة .

« فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون[2] » .

« رب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره » رواه أحمد ومسلم والحاكم وغيرهم .

وأن الجو الإسلامى كله يوحى بأن فضل الشخص لا يرجع إلى مال ولا إلى جاه ولا إلى منصب ولا إلى نسب .. وإنما إلى صلته بالله :

ومن أجل ذلك لم تتجه الجمهرة العظمى من المسلمين إلى أسرة بذاتها لتولى الحكم .

إن الحكم فى الإسلام خلافة . والخلافة اتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنها خلافة له ، ومن أجل ذلك كان الخليفة يتحرى ما كان يفعله ﷺ ويسير على نسقه .

والأمر شورى :

« وشاورهم فى الأمر[3] » . « وأمرهم شورى بينهم[4] » .

وقد غرس رسول الله ﷺ مبادىء الشورى بسلوكه فى غزوة بدر حينما استشار المسلمين فى حرب المشركين ، وكانت نتيجة الشورى ترجيح فكرة الحرب .

---

(1) الحجرات : ١٣ (2) المؤمنون : ١٠١ .
(3) آل عمران : ١٦٠ (4) الشورى : ٣٨

وأشير على رسول الله ﷺ فى موضع نزله فى هـذه الغزوة ، وأخذ بالمشورة واستشار المسلمين فى موضوع الأسرى .

واستشار المسلمين فى غزوة الأحزاب وانتهت المشورة بحفر الخندق .

واستشار المسلمين فى أمور أخرى كثيرة .

ولما انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى اجتمع الصحابة فى سقيفة بنى ساعدة ، وتشاوروا فى الشخصية المثلى لتولى الخلافة ، وانتهى بهم الرأى إلى أبى بكر رضى الله عنه .

ولقد كان أبو بكر - رضوان الله عليه - جديراً بها . ولقد قام رضوان الله عليه بها خير قيام . ورأى أبو بكر رضى الله عنه أن خليفة رسول الله ﷺ ، وقد اختارته الأمة لمصلحتها الدينية والدنيوية ، وهذا معناه التفويض فى اختيار من يخلفه ، وتلك وجهة نظر لا غبار عليها .

إن المسلمين اختاروه خليفة : أى ألقوا إليه قيادهم ، واثقين به فى أمور مصالحهم ، فاختار لهم - وقد أسلموا إليه الأمر - من يخلفه .

وتحرى هو الأمر ، واستشاروا واستخار ، ولم يأل جهداً فى النصيحة ، واختار فى نهاية حياته وهومقبل على ربه : اختار عمر رضى الله عنهم . ولكن البعض من الصحابة لم يأخذوا بوجهة النظر هـــذه ، وأخذ منطقهم وضعاً آخر .

إن الأقرب إلى رسول الله ﷺ أولى بحمل الرسالة إذا كان يصلح لها فاذا لم يكن فى الأقربين من يصلح فيكون الخليفة فى من يليهم : وهكذا .

إنها القربى والصلاحية ، ولا يخرج الأمر عن ذلك إلا إذا انعدمت الصلاحية الحقة تماماً .

وكان هذا الفريق يتخذ من سيدنا علي — كرم الله وجهه — مثلا كريماً لتولي الخلافة .

ولقد كان سيدنا علي مثلا كريماً للخلافة ، ومن الذي يعارض في ذلك ؟

لقد كان مثلا أعلى في الصلاح والتقوى ، وفي الشهامة ، وفي العلم . .

ولكن الأمور سارت على غير ما يحب هؤلاء .

إنها سارت على غير ما يأملون حينما أختير سيدنا عمر ، وسارت على غير ما يحبون حينما اختير سيدنا عثمان .

وكان هـذا الفريق يقوى على مر الزمن ويكثر عدده ، خصوصاً في أواخر عهد عثمان رضي الله عنه .

وعثمان رضي الله عنه هو : « ذو النورين » وهو الذي قال عنه رسول الله ﷺ : « اللهم أرض عن عثمان فاني عنه راض » . رواه ابن هشام

وقال عنه ﷺ عندما وضع في حجر رسول الله ﷺ مبلغاً من المال هو من الكثرة بحيث أفاد المسلمون منه فائدة كبرى في حربهم ، قال عنه :

« ما على عثمان ما فعل بعد اليوم » . رواه أحمد والترمذي

ثم هو من العشرة المبشرين بالجنة .

وانتهت حياة عثمان بهذه المأساة التي لا نحب الخوض فيها مراعاة لحرمة الصحابة ، ولكن الذي نستطيع أن نؤكده هو أن سيدنا علي براء من دم عثمان ، وكذلك كبار صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وتولى سيدنا علي الخلافة ، تولاها عن طريق الشورى ، وكانت خلافته صحيحة .

ولكن حدث ماحدث من المأساة الكبرى ، والحرب التى سقط فيها تسعون ألفاً من فرسان الصدر الأول للاسلام .

وتولى معاوية الحكم ، وتغيرت صورة الحكم ، فبعد أن كان خلافة أصبح ملكا عضوداً .

وبعد أن كان ترسماً دقيقاً لخطوات رسول الله ﷺ أصبحت شخصية الحاكم لها دخلها فى الأمر . ومنذ أن حدثت هـــذه الأحاديث وجد فى الأمة أحزاب: حزب العلويين أو الشيعة . وحزب الخوارج . وحزب الأمويين وحزب المرجئة .

وأصبح النزاع نزاعا يدور حول أشخاص ، ومن أجل أشخاص، وأصبح فى الأمة أحزاب تدين بالولاء لأشخاص .

والإسلام لا يعترف بأشخاص ، إنما يعترف بمبادىء ، وأخلاق وصفات عليا ، وشعاره : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

إن الإسلام يعترف بأنبياء ورسل ، ومن بينهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وغيره من المسلمين فان لا عصمة لهم فى نظر الإسلام .

إن الإسلام يهتم بالمبادىء والمثل العليا والقيم الكريمة ، ومكارم الأخلاق ، أما الأشخاص فلا يتأتى أن تكون سبباً فى التفرقة بين الأمة .

ويجب على المسلمين جميعا أن يعلموا حق العلم أن الإسلام ليس من عقائده ما يتصل بالشخصيات ، اللهم إلا الرسول صلى الله عليه وسلم .

فاذا أخرجنا الشخصيات من محيطنا الإجتماعى فان كل الأحزاب التى تقوم على الشخصيات إيماناً بها أو معارضة لها تسقط من نفسها .

ومامن شك فى أن البطولات تفرض التقدير على المجتمع ، وهذا أمرجرى

عليه العرف وتناسقت العواطف مع العرف ، وشعور الإنسان المتزن يسير مع العرف ومع العواطف .

لأن الإنسانية تحترم البطولات التي تقدم لها أعمال الخير : سواء أكانت بطولات علمية أم بطولات أخلاقية تهدى إلى الرشد ، وتدعو إلى سبيل الله ، للإنسان مطلق الحرية في أن يقدر فلان أو أن يفضله على فلان . أما أن الأشخاص — غير الأنبياء والرسل — في العقائد فان ذلك أمر بعيد عن الجو الإسلامي الذي من شعاراته قوله تعالى : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

وأول قواعد التقريب أن نسقط من عقائدنا ما يتصل بالأشخاص ، ولنا أن نحترم منهم من نشاء ، وأن نصرف النظر عمن نشاء .

ولكن ذلك وحده غير كاف في السير بالفرق إلى الوحدة ، وإذا كان ذلك يلغى الأحزاب الدينية فانه لا يقضى على الفرق الدينية .

الفرق الدينية

إن الله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه العزيز عن القرآن الكريم :

« هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ، فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم إلا الله ، والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب »(١) .

أما الآيات المحكمة فانها سهلة . ميسر فهمها .

وأما الآيات المتشابهات فانها الآيات التى تتصل بالغيب .

ولقد مدح الله سبحانه فى أوائل كتابه المؤمنين بالغيب فقال :

« ألم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون »(٢) .

وإذا سألت عن المتشابهات فانها — إذن — الذات الإلهية من حيث هي غيب ، وأسرار الذات الإلهية من حيث هى قضاء وقدر ، وصفات الله من حيث صلتها بالذات العلية .

---

(١) آل عمران : ٧ .

(٢) البقرة ١ ــ ٥ .

ومهما اختلف علماء الكلام وعلماء التفسير في المتشابه ما هو ؟ فانه لا يتأتى الاختلاف في أن ما نهى رسول الله ﷺ عن البحث فيه هو من المتشابه .

ولقد نهى رسول الله ﷺ كثيراً عن البحث في القضاء والقدر . وصلة ذلك باختيار الإنسان أو عدم اختياره .

إن البحث في مسألة الجبر والاختيار والقضاء والقدر ، يثير كثيراً من العقول .

أهي مقادير تجرى فى أعنتها ، والإنسان في محيطها كالريشة في مهب الرياح ؟

أم أن الإنسان له إرادته وحريته واختياره ؟

إنه البحث الخالد الذي أثار وما زال يثير جدلا حاداً بين المتكلمين ، وبين الفلاسفه ، وهو بحث يقسم الباحثين – منذ اللحظات الأولى – إلى فريقين:

الفريق الذى يقول بالجبر . والفريق الذى يقول بالاختيار :

ولقد فرق هذا البحث بين علماء اليهود منذ أن نشأت اليهود ، وما زال إلى الآن يفرق بينهم في الرأى . وفرق بين الفلاسفة منذ نشأة الفلسفة في اليونان القديمة وفرق بين النصارى وما زال يفرق بينهم في الرأى .

وتكلم المسلمون الأوائل منذ العهد المدنى ، وكان الرسول ﷺ ينهاهم نهيا حاسما عن البحث في هذا الموضوع ، وكان من أوامره ﷺ : « إذا ذكر القدر فأمسكوا » رواه الطبرانى وابن ماجه .

وكان رسول الله ﷺ ينذر ويهدد ويتوعد كل من يثير هذا الموضوع ، وله ﷺ أحاديث كثيرة في ذلك .

ولكن كثيراً من الناس لا يستجيبون لنداء الهداية ، وتغلبهم نزعاتهم ، أو نزعاتهم على أنفسهم فيسيرون في طرق من البحث نهوا عن السير فيها . .

ولم يأخذ هؤلاء عظة وعبرة من نتائج هذا البحث عند اليهود وعند النصارى، تلك النتائج التى كانت التفرقة المستمرة على مر القرون، وعدم الوصول إلى حل للمشكلة . .

وسار بعض المسلمين فى الطريق الذى سار فيه من قبلهم، وافترقوا كما افترق من قبلهم، ونشأ بسبب ذلك فرق تنازعت وتشاحنت .

إن مسألة الجبر والاختيار مسألة عصية على الحل، أبية على الاتفاق . .

إنها كذلك شرقا، وهى كذلك غرباً، وهى كذلك قديما، وهى كذلك حديثاً ولا مفر للعاقل من أن يقول فى ذلك مع الراسخين فى العلم :

« آمنا به كل من عند ربنا » . وتأمل معى سؤالين سألهما عالمان من كبار العلماء كل لصاحبه : أتقول أن الله يحب أن يعصى ؟ «مذهب الجبر» .

أتقول أن الله يعصى رغما عنه ؟ « مذهب الاختيار » .

والله سبحانه وتعالى لا يحب أن يعصى، وهو سبحانه لا يعصى رغما عنه ماذا إذن ؟

« آمنا به كل من عند ربنا » .

ويجب — إذن — أن نسقط البحث فى الجبر والاختيار، فذلك من أسرار الله سبحانه، فاذا ما سقط البحث فى الجبر والاختيار سقط جانب كبير من عوامل التفرقة بين المسلمين .

البحث فى الذات والصفات :

إن كنه ذات ما - أيا كانت هذه الذات - لم يصل بعد البحث إلى بيانه، ورسول الله ﷺ يقول :

« تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى ذاته فتهلكوا » ورواه الطبرانى فى الأوسط وابن عدى والبيهقى فى الشعب . .

والله سبحانه وتعالى يقول :

« سبحان ربك رب العزة عما يصفون »(١) .

ويقول : ليس كمثله شيء »(٢) .

ولقد ذكر القرآن الكريم لله سبحانه وتعالى صفات تشترك فى الاسم مع صفات الإنسان .

لقد وصفه سبحانه بالعلم والإرادة والقدرة .

وقال سبحانه : « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيما »(٣) .

وقال : « كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام »(٤) .

هذه الصفات من إرادة وقدرة . . . ما صلتها بالذات ؟

أهى هى ؟ . . أهى غيرها ؟ . .

وبحث فى ذلك المتكلمون والفلاسفة . . . واختلفوا ، وكان لا مفر من الاختلاف ، لأن ذلك غيب ، والغيب يثير الاختلاف دائما . . . وكان على

---

(١) الصافات : ١٠٨ .
(٢) الشورى : ١١ .
(٣) الفتح : ١٠ .
(٤) الرحمن : ٢٦ ، ٢٧ .

المسلمين أن يتفكروا فى آلاء الله ، وفى التفكير فى آلاء الله استثارة للشكر والتقوى والخشية .

ولكن المتكلمين والفلاسفة تعدوا حدودهم فبحثوا فى صلة الذات بهذه الصفات فاختلفوا . .

وهذه الصفات من يد ومن وجه ، ماذا تعنى ؟ أتعنى يدا ووجها أم قدرة وذاتا ؟ .. أنأخذها على ظاهرها أم نؤولها ؟ . .

وبحث المتكلمون والفلاسفة فى ذلك ، واختلفوا ، وجروا وراءهم فى الاختلاف الكثيرين ، وتعدوا حدودهم . .

ولم يكن ذلك مطلوبا فى العقيدة ، ولن يتأتى أن يقول قائل أن تحديد معنى : « الرحمن على العرش استوى » فى الاستطاعة الإنسانية ، أو هو مطلوب فى العقيدة . .

وما من شك فى أن أسلافنا قد وقفوا من ذلك موقف المستبصر المستنير ، إنهم كانوا يقولون فى كل ذلك .

آمنا بذلك على مراد ربنا .

أو يقولون : « آمنا به كل من عند ربنا » .

وكل ذلك من المتشابه ، بل فى مركز الدائرة من المتشابه .

« فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله » . .

وإذا رأيت الباحث المجادل الذى يجرى وراء تحديد الغيب فاعلم أنه من الذين فى قلوبهم زيغ » .

وإذا سقط البحث فى ذلك وقلنا : آمنا به على مراد ربنا ، سلمنا ، وسلمت عقائدنا ، واسترحنا ، وأرحنا الأمة من اتباع ما تشابه منه .

وتأمل معنى قول رسول الله ﷺ :

إن المقسطين عند الله يوم القيامة عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين ، الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا »[1] .

وتأمل : « وهو معكم أينما كنتم »[2] .

وتأمل : ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ، ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم »[3] .

« وهو الله فى السماوات وفى الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون »[4] .

وهو سبحانه ليس كمثله شيء .

إننا إذا أسقطنا البحث فى المتشابه أنهار صرح الاختلاف الذى يعمل كل أعداء الإسلام على أن يستمر وأن يتسع .

وإذا ما سرنا دائما فى هذا التيار فان أعين أعداء الإسلام تقر ، ويفرحون لتحقيق أمانيهم فى إثارة النزاع والتفرقة بين المسلمين .

ولكن الله غالب على أمره ، وسنعتصم به سبحانه :

« ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم » .

سنعتصم به فلا نجعل الأشخاص يفرقون بيننا ، وسنعتصم به فلا نبحث فى المتشابه وبذلك نرضى الله سبحانه ورسوله ﷺ .

---

(١) رواه أحمد ومسلم والنسائى .
(٢) الحديد : ٤ .
(٣) المجادلة : ٧ .
(٤) الأنعام : ٣ .

وكلتا يديه يمين

يقول رسول الله ﷺ : فيما رواه أحمد ومسلم والنسائى عن عبد الله ابن عمرو رضى الله عنهما .

« إن المقسطين عند الله يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين : الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وماولوا » .

وكيف نتصور : وكلتا يديه يمين ؟

إن الأوضاع العادية ترينا دائماً أن إحدى اليدين يمين والأخرى يسار ، ونحن بعقلنا المحدود نتصور دائماً الأمر كذلك ، ولكن الحديث الشريف ينبثق عن قاعدة عامة تتمثل فى قوله تعالى :

« ليس كمثله شىء » - وتتمثل فى قوله تعالى : « سبحان ربك رب العزة عما يصفون » والواقع أن الذات الإلهية أعز وأمنع من أن يصل إلى وصفها العقل البشرى بمقاييسه وموازينه .

إن الذات الإلهية غيب ، والغيب يؤمن به الإنسان دون تصور له ، اللهم إلا إذا شبهه بشىء رآه أو سمعه : أحس به على وجه العموم .

والإنسان هكذا خلق : إنه لايمكنه أن يتصور إلا مشاهده أو حسه باحدى حواسه :

والله سبحانه غيب . ولقد قال الإمام بن عبد البر كلمة فى غاية العمق :

إن الله ليس كمثله شىء ، فكيف يدرك بقياس أو بانعام نظر ؟

إن الله لايدرك من حيث ذاته بقياس ، ولايدرك من حيث الذات بانعام النظر ، انه : ليس كمثله شىء » .

هذه النظرة المؤسسة على القرآن والسنة هى النظرة التى وصل إليها الفلاسفة المؤلهون .

ولقد وصل الأمر ببعض الفلاسفة المؤلهين إلى أنهم لايتحدثون عن الله ألا بالسلب فهم إذا أحبوا أن يقولوا : الواحد . . يقولون « اللا اثنين » مثلا ، أو تعبيراً سلبياً يؤدى معنى الواحد .

وذلك أن كل وصف إنما هو تحديد، وكل تحديد هو تقييد ، وكل تحديد هو حصر ، والله سبحانه لاحاصر له .

ومن هنا كانت حتمية الالتزام بما ورد فى النص الإلهى ، وهذا الالتزام لايفسر ولايؤول ، ولايترجم الي تصور معين ، وانما يقال : آمنا به على مراد الله سبحانه ، فاذا قال الله سبحانه : « يد الله فوق أيديهم » — فان الموقف الحتمي أن نقول : آمنا به على مراد الله ، ولاشيء غير ذلك ، وكل تفسير، وكل تأويل ، هو انحراف عن الصراط المستقيم .

وفى مقابلة الفوقية حينما ترد فى نص ، نقول : آمنا به على مراد الله ، وفى هذه الحالة لايتأتى أن يتساءل انسان عن الجهة التى تقتضيها الفوقية ؛ وذلك أن مادام الأمر : آمنا به على مراد الله ، لايتأتى هذا السؤال .

والإستواء : آمنا به على مراد الله .

و . . . « فانك بأعيننا ».. آمنا به على مراد الله . ولقد عبر الله سبحانه بأعيننا ولم يقل بعيننا ولا بعينينا .

وهكذا فى كل مايرد عن الذات الإلهية .

وما من شك فى أن الحديث فى الذات الإلهية انما هو من المتشابه ، ومهما قال المفسرون فى تفسير المتشابه فانه مما لاشك فيه أن الحديث فى الذات الإلهية انما

هو من المتشابه ، بل هو مركز المتشابه ، ونحن نعلم الموقف القرآني من المتشابه ، يقول سبحانه عن القرآن الكريم :

هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله ، والراسخون في العلم يقولون : آمنا به كل من عند ربنا ، وما يذكر إلا أولوا الألباب »[1] .

لقد نهينا في قوة عن البحث والجدل في المتشابه .

فاذا لم نبحث ولم نجادل واتبعنا التوجيه القرآني ، فانه لا يكون بيننا ـ أعنى أمة الإسلام ـ فرقة مصدرها المتشابه ، الاستواء ، الفوقية ، اليد الخ .

« والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا » .

وشيء آخر لا ندري كيف جرؤ الباحثون من أهل السنة ومن المعتزلة على البحث فيه ، وذلك هو موضوع ، الذات والصفات .

ولقد وصل الأمر بالباحثين في تطاولهم وجرأتهم وكبريائهم أن يبحثوا في هل الذات الإلهية والصفات الإلهية شيء واحد ، أم أن الذات غير الصفات؟

هل هي هي ، أو هي غيرها ، أو لا هي هي ولا هي غيرها ؟

إن الإنسان حينما يكون الأمر متصلا بالله ليس له إلا الانكسار والخشية ، والخضوع والتضرع إلي الله سبحانه في أن يهبه التواضع ، وأن يرزقه الرغبة إليه ، والرهبة منه ، وأن يقول مع الشاعر الرقيق اسماعيل صبرى :

يارب أهلني لفضلك واكفني   شطط العقول وفتنة الأفكار

(١) آل عمران ٧ .

أما أن يصل الأمر إلى هذا الحد من التطاول على المجال الأقدس ، فان ذلك لا يكون الموقف منه إلا الموقف الذى التزمه الأئمة : مالك والشافعى وأحمد بن حنبل وسفيان الثورى وأهل الحديث : التحريم .

لقد حرم هؤلاء الأئمة الأفاضل الحديث فى ذلك تحريما مطلقا ، وكانوا على حق رضى الله عنهم .

لقد كانوا متناسقين مع القرآن والسنة ، ومع العقل والمنطق ، ونحن يجب علينا وجوبا مطلقا أن نسير فى ذلك على هدى من القرآن والسنة ، وعلى سنن أئمتنا رضى الله عنهم .

وبعد ، فاننا إذا فعلنا ذلك أمنا من الزلل ، وأدينا لله حقه من القداسة ، وأزلنا الكثير من الخلاف فيما بيننا ، وهذا هدفنا من المقال .

ونرجو الله أن يهدى له وأن يهدى به . إنه سميع قريب مجيب .

المذاهب الفقهية

لقد طبق رسول الله ﷺ الإسلام كما أحبه الله سبحانه وتعالى ، طبقه في مختلف مواقفه : طبقه بكلامه ، وطبقه بعمله ، وطبقه بمشاعره .

وكان الصحابة رضوان الله عليهم يسيرون حسبما يرسم ، ويتخذونه قدوة ويعملون كما يعمل ، وبذلك تواترت سنته صلى الله عليه وسلم العملية ، وكانوا رضى الله عنهم يشرحون هده السنة وكانوا يروون ماتحدث به صلى الله عليه وسلم في مواقفه المتنوعة .

ولقد حفظ بعض الصحابة ما لم يحفظه الآخرون ، ثم تفرقوا فى البلاد فى الأمة الإسلامية ، وحفظت الأمة الإسلامية فى مختلف البلاد عن هؤلاء الصحابة الكثير ، وأخذوا يروون ما حفظوا . ونشأ قوم اتجهوا إلى جميع هـذه الأحاديث فى صحاح وفي مسانيد ، وتحروا فيها الصدق ، نافين عنها كل ما يمكن أن يناله الشك ، وقاموا فى سبيل ذلك بما لم يصل إلى مثله المؤرخون الحديثون من أساليب النقد ، وتحرى الصحة .

وكان رسول الله ﷺ له أوضاع تسير على نسق واحد فى بعض المسائل وتختلف في بعضها الآخر .

إنه صلي الله عليه وسلم كان يلتزم سلوكاً واحداً فيما هو فرض كالقراءة والركوع والسجود والجلوس للتشهد فى الصلاة . وكصيام شهر رمضان ، والإمساك الكامل فيه عن الطعام والشراب ... وهكذا .

أما فيما يتعلق بالسنن فان رسول الله صلي الله عليـه وسلم ما كان

يلتزم بصورة حتمية سلوكا واحداً ، وإنما كان يأتى فى بعض الأحيان ما لم يأته فى أحيان أخرى .

ومن أمثلة ذلك ما كان يقوله صلى الله عليه وسلم بعد تكبيرة الإحرام قبل قراءة الفاتحة .

وما كان يقوله ﷺ من دعاء فى سجوده .

وهل كان ﷺ فى وقوفه بين يدى الله للصلاة يرخى ذراعيه أو يقبضهما واضعاً اليمنى على اليسرى .. وهكذا .

ومثل هـذه الأمور تحدث فى أعمال العبادة ، كما تحدث فى البيع والربا والإجارة وغيرها من أعمال التعامل بين الناس .

ومذاهب الفقهاء تدور فى هـذا الفلك : إنه لا اختلاف بينهم فى الركوع والسجود مثلا ، ولكن الإختلاف بينهم فى غير الفروض الواجبة الأداء .

ولكن هـذه الأمور الهينة التى ليست بفروض ولا واجبات قد استغلتها جهات يسرها التفرقة بين المسلمين . وجهات أخرى مهمتها التفرقة بين المسلمين حتى تصرفهم الفرقة عن الأخذ فى مهام الحياة الكبرى ، وحتى تضعفهم هـذه الفرقة فتصرفهم عن الإصلاح الحقيقى للمجتمع .

ولقد اخترع لهم أعداء الإسلام مسائل للاختلاف :

فمسألة : « السدل والقبض » : «والسدل» : هو إرخاء اليدين فىالصلاة ، « والقبض » هو وضع اليد اليمنى على اليسرى حينما يكون الإنسان واقفاً بين يدى الله .

لقد اختلف فيها بعض العلماء فى بعض الأقطار إلى درجة حادة ، ويعجبنى موقف عالم مستنير وقف فى جلسة احتد فيها النقاش حدة سيئة فقال :

يا علماء الإسلام ، أسألكم بالله : إذا وقف الإنسان في الصلاة ومد يديه تماماً أمامه ، هل تفسد صلاته ؟

قالوا : لا . فقال : فاذا رفع يديه تماماً إلى أعلى هل تفسد صلاته ؟

قالوا : لا . وأخذ يسألهم : فاذا أرخاها ؟ فاذا ضمها إلى بعضها ؟

وهكذا . . . أخذ يسألهم عن الأوضاع المختلفة لليدين ويقولون : إنها لا تفسد الصلاة .

فقال لهم في النهاية : علام اختلافكم يا علماء الإسلام ، علام شقاقكم ونزاعكم واختلافكم ؟ إنها فتنة ، فجنبوا الإسلام عنها ، وجنبوا المجتمع شرها.

وهدأ الجميع ، وعرفوا أن حدتهم في الخلاف إنما تقوم على غير أساس صحيح .

وعلى كل حال ، فان منشأ الاختلاف بين الفقهاء هو استناد بعضهم إلى ما روته الأحاديث من حالات رسول الله ﷺ ، من أمر السنن ، واستناد البعض الآخر إلى ما روته الأحاديث من حالات أخرى :

وكلهم من رسول الله ملتمس .:. غرفا من البحر أو رشفاً من الديم

وكل مذاهب الفقه إنما هي آراء في مدرسة واحدة هي المدرسة الإسلامية ، أو هي مدرسة رسول الله ﷺ .

بيد أن ضيق الأفق عند بعض المتأخرين هو الذى جعلهم يقيمون من هذه الآراء « مذاهب » منفصلة : منفصلة الاتباع ينتصر كل منهم لمذهبه .

ويوشك هذا الانفصال أن يزول الآن في واقع المسلمين ، وليس له على كل حال الحدة التى كانت له في الماضي .

وإذا كانت المذاهب آراء مجتهدين في مدرسة رسول الله ﷺ ، وهذا

يشبه أن يكون بدهياً ، فان الذى ما زال غامضاً نوعاً ما فى أذهان بعض الناس إنما هو أمر : « الاجتهاد » .

ولقد حاول البعض أن يشيع بين الناس أن باب الاجتهاد قد أغلق ، وأن المجتهدين هم هؤلاء الذين نبغوا فى الماضى من أمثال الإمام مالك والإمام الشافعى رضى الله عنهم .

وأخذ آخرون يجادلونهم فى ذلك ، يرون أن باب الاجتهاد مازال مفتوحاً ولكنهم يتحدثون عن الاجتهاد وكأنه ميسر لكل من يريد .

والواقع أنه لايتأتى لشخص مستنير ذى بصيرة مضيئة أن يقول إن فضل الله قد اقتصر على عدد محدود من الناس هم المجتهدون السابقون ، وذلك أنه من البديهى أن كل من تتوافر فيه شروط الإجتهاد يمكن أن يكون مجتهداً .

أما شروط الإجتهاد فهى :

١ — معرفة متمكنة للغة العربية ، ولقد كان الإمام مالك رضى الله عنه ، وكان الإمام الشافعى رضى الله عنه ، وكان غيرهما من المجتهدين من فحول اللغة العربية الأفذاذ .

٢ — حفظ القرآن الكريم حفظاً متقنا ، وفهمه فهما لا يقل عن فهم كبار المفسرين ويتضمن ذلك معرفة أسباب النزول فى الآيات التى كان لها أسباب نزول ، وذلك أنه وإن كانت العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، فان معرفة أسباب النزول تساعد على فهم الجو الذى نزلت فيه الآية ، كما تساعد على التعمق فى فهمها .

٣ — معرفة الأحاديث معرفة لا تقل عن معرفة المحدثين ، وخصوصا الأحاديث التى تتصل بالأحكام ، وذلك أن الأحاديث الخاصة بالأحكام تفسر الكثير مما لا تفصله بعض الآيات القرآنية .

٤ — معرفة السنة العملية لرسول الله ﷺ ، والسنة العملية متواترة لأن الذين لازموا رسول الله ﷺ في مكة ، ثم الذين لازموه في المدينة كانوا كثرة كثيرة ولقد شاهدوا ما فعله رسول الله ﷺ وتابعوه عمليا فيما قام به ، ونقلوا ذلك لمن شاهدهم من بعد ، وهكذا .

٥ — معرفة سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورة واضحة .

وهذه الأمور التي ذكرناها يقرنا عليها كل من كان عنده صورة للاجتهاد: ما هو ؟ وكيف يكون ؟

وهي وإن كانت متعددة فان بعضها يدخل في بعض ، وبعضها يفسر بعض ، وبعضها أسباب وبعضها نتائج . وكل منها يساعد على فهم الآخر : فهي - إذن - ميسورة ولكن لابد من اتقانها .

والأمر الهام الذي نحب بتوفيق الله تعالى أن نأخذ في الحديث فيه الآن هو : هدف الإجتهاد .

يظن بعض الناس أن هدف الإجتهاد إنما هو تيسير الأمور ، أو اختراع رأي ، أو ابتداع فكرة ، أو إبداء رأي شخصي .

لو كان الأمر كذلك لما كان هناك من حاجة إلى شروط ، أو كد في التحصيل ، أو جهد في المعرفة كلا ، إن الإجتهاد ليس كذلك .

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيما رواه الشيخان :

« من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا . رواه مسلم .

وعن إبراهيم بن عبد الرحمن العذرى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين » رواه البيهقى .

وعن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » رواه فى «شرح السنة » وقال النووى فى « أربعينه » هذا حديث صحيح رويناه فى « كتاب الحجة » باسناد صحيح .

إن هدف الإجتهاد أمران :

الأمر الأول : هو الإجتهاد فى المسائل التى كانت فى عهد رسول الله ﷺ للوصول إلى ما كان عليه النبى ﷺ فى هذه المسألة أو تلك . إنه بذل الجهد للوصول إلى حكم يقينى فى مسألة أو فى مسائل كانت على عهد الرسول ﷺ وهذا لا يتصل من قرب أو من بعد بالابتداع أو الاختراع أو الرأى الشخصى.

وأما الأمر الثانى : فهو الإجتهاد فى مسألة أو مسائل حدثت بعد عهد النبى ﷺ من أجل ربطها بقاعده عامة من قواعد الدين الإسلامى محللة أو محرمة .

إن القرآن الكريم ، وإن السنة النبوية الشريفة ، فيهما قواعد عامة يدخل فيها ما لا يحصى من الجزئيات ، ومهمة المجتهد هى أن يربط المسألة الحديثة بالقواعد العامة . وهو فى هذا لا حرية له إنه مقيد بالقياس وبالقواعد العامة ليس له فى هـذا حرية الإنطلاق كيفما يريد : كلا إنه فى كل ظروفه متبع لامبتدع ، ورسول الله ﷺ يقول فى نوعى الإجتهاد : « اتبعوا ، ولا تبتدعوا فقد كفيتم » .

والذى نريد أن ننتهى إليه هو :

١ — المذاهب الفقهية آراء فى مدرسة الرسول ﷺ ، وهى بهذا الاعتبار لا تفرق ولا تفضل بين فرد وفرد ، ولا بين جماعة وجماعة .

٢ - باب الإجتهاد مفتوح إذا توافرت الشروط ، والمسألة ليست مسألة جدل في هذا ، وإنما هي مسألة اجتهاد من تتوافر الشروط فيه .

٣ — الاجتهاد لا ابتداع فيه ، وهو ليس رأياً شخصياً .

وبعد كل ذلك نقول :

إننا قبل هذا الحديث وبعده نشترط في المجتهد أن يكون متحليا بفضيلة التقوى

إن قمم الفقهاء جميعا من الأولياء ، والاجتهاد الصادق عند المجتهدين القمم هو فتح من الله ، ونور من لدنه سبحانه .

ونحن نزور الإمام الشافعي مؤمنين بأنه من أولياء الله . وأهل العراق يزورون الإمام أبا حنيفة مؤمنين بأنه من الأولياء .. وهكذا .

ولن يأتي فتح الله إلا لمن تحلى بالتقوى . والله سبحانه وتعالى يقول : « ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم »[١] .

---

(١) الإسلام والعقل .

ثانياً- تحديد موقف المسلم

من الحضارة الحديثة(١)

صخبت الحياة بالإنجذاب إلى حضارة أوربا وفتن أتباع المستشرقين من موجهى المجتمع العربى والإسلامى بدعاية أوربا وتناسوا أنهم الأصل الأصيل فى هذه الحضارة ، وكادت الشخصية العربية والإسلامية تماع فى الحياة الأوربية ، وكان الفكر العربى الإسلامى يصير فكراً غربياً لا عربياً مسلماً فنهض الشيخ الجليل أعز الله جاهه ومدرسته وبارك فى آله وذريته ليوقظ الفكر العربى الإسلامى لحدد الحدود التى يلتقى فيها المسلم بالحضارة الحديثة والأمور التى لا ينبغى أن ينشد إلى تيارها .

وراح فى كل مصر وبلد يزوره يدعو إلى هذه اليقظة فكانت هذه المدرسة الميمونة المباركة .

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة فى معهد الدراسات الإسلامية بجامعة أم درمان الإسلامية مساء الأربعاء ٢٧ من ذى القعـــدة سنة ١٣٨٦ ، ٨ من مارس سنة ١٩٦٧ كما ألقيت فى السفارة السعودية بماليزيا .

كما ألقيت فى مركز البحوث الإسلامية بمسجد نكارا بماليزيا يوم الأحد ٢٧ من شعبان سنة ١٣٩١ الموافق ١٧ أكتوبر سنة ١٩٧١ وألقاها فى نيلم فورى بولاية كلانتن فى رمضان سنة ١٣٩١ هـ راجع كذلك مقدمة كتاب : الإسلام والإيمان .

« بسم الله الرحمن الرحيم »

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد / :

فأني أشكر السيد كامل الباقر على هذه الكلمات الطيبة وأرجوا الله أن يجزيه عني خير الجزاء. وأشكر للأخ الشيخ مهدى قراءته وترتيله للقرآن، فقد كان لصوته الأثر الكبير على الحاضرين امتاعاً لآذانهم، وقلوبهم في آن واحد .

أما فيما يتعلق بموضوع المحاضرة فانه كما أعلنه السيد الدكتور كامل : موقف المسلم من الحضارة الحديثة » والواقع أن هذا الموضوع أثار كثيراً من الجدل . ما موقف علماء الإسلام من الحضارة الحديثة ؟

ما موقف المسلم على وجه العموم من الحضارة الحديثة ؟

وكانت الآراء متعددة ، منها آراء هؤلاء الذين يرون أننا نأخذ الحضارة الحديثة كاملة دون نقص فيها .

ومنذ عهد ليس ببعيد وقف أحد كبار الشرقيين في ندوة جمعت كبار رجال الفكر وكبار رجال الدين وأعلن : لم نتنكر للحضارة الحديثة وقد ركبنا منها الطائرات ، واستعملنا فوائدها في كثير من الأجواء وفي كثير من الحالات فلم نتنكر لها في غير ذلك .

يجب علينا عرفانا بالجميل أن نأخذ الحضارة الحديثة كـكل . نأخذها بما لها وما عليها . وليس هذا رأى هذا المفكر وحده ، وإنما هو رأى طائفة كبيرة فى الشرق تدعو إلى أخذ الحضارة الحديثة ككل دون استثناء شيء منها.

إن الحضارة الحديثة فى رأيهم حضارة متكاملة : مادة ومعنى ، شـكلا وجوهراً ، فلنأخذها ككل .

ويعارض هؤلاء كثيرون يرفضون الحضارة الحديثة جملة ، وهذا الرفض قد يكون كثيراً فى الأفراد بيد أن بعض الدول تبنته أيضاً . حاولت بعض الدول فى الماضى أن ترفض الحضارة الحديثة كلية ، وأن تغلق فى وجهها الأبواب . ولم توفق الدول ولم يوفق الأفراد أيضا فيما يتعلق بهذه المحاولة .

والرأى الثالث يرى : أنه علينا أن نأخذ الحضارة المادية ، أما الحضارة النظرية فاننا نأخذ منها الصالح ونترك منها غير الصالح .

وهذا الرأى يبدو أنه رأى الأغلبية .

هذه هى مجموعة الآراء فيما يتعلق بالموضوع بل هى مجموعة الاحتمالات الفعلية فى ذلك ومع هذا فاننى ـ أنا شخصيا ـ لم أرتض بعد رأيا .

أما فيما يتعلق بأخذ الحضارة كلا لا يتجزأ ، فأظن أن المسألة فى الجو الإيمانى وفى الجو الإسلامى السليم لا تحتاج إلى مناقشة كثيرة .

هذه الحضارة الأوربية فيها الكثير مما يخالف المبادىء الإيمانية والمبادىء الإسلامية فلا يتأتى أن يسود رأى كهذا فى الجو الإسلامي .

أما فيما يتعلق برفضها ككل فان هذا واقعياً ، لم يتحقق ، لا فى الأفراد ولا فى الجماعات ، ولا فى الدول ، ولا فى الأقطار أيا كانت .

ليس هناك قطر لم يستفد من الحضارة الحديثة ، وليس هناك إنسان لم

يستفد من الحضارة الحديثة الإنسان والقطر والأقطار بل بنى آدم كلهم قد استفادوا من هذه الحضارة الحديثة . فلا يتأتى قط أن يسود الرأى القائل برفض الحضارة الحديثة كلية وهذه الفكرة لم تتحقق فى الواقع .

ويأتى الرأى الوسط الرأى الوسط الذى ساد ويسود فى كثير من الأوساط والذى يبدو لكثير من الناس أنه الرأى السليم الصحيح . نأخذ من الحضارة الحديثة الصالح ونترك من الحضارة الحديثة الضار والفاسد .

وبكلمات بسيطة يمكننا أن نرى أن هذا الرأى فاسد أيضاً إذ يعتمد على الفكر ، على العقل ، على الإنسان، دون ملاحظة للدين. إذا قلنا بأخذ الصالح فما هو الصالح ؟ وفى رأى من ؟

إن الصالح يختلف من إنسان إلى آخر

إذا قلت مثلا ٦ ٪ فائدة فى البنوك ثم تساءلت أهـــذا صالح أم غير صالح ؟

يقول لك كثير من الناس بحسب عقولهم وأفكارهم وآرائهم يقولون لك أنه لا بأس ، لا بأس بستة في المائة فى البنوك ، ويرفض ذلك آخرون .

فهل ٦ ٪ فى البنوك صالح أخـذها أم ليس بصالح ، يختلف الناس . وتأتى إلى مسائل أخرى متحدثين بأسلوب العقل لا بأسلوب الدين ونقول شرب قليل من الخمر ، هل هو صالح أو ليس صالح .

وستجد لا محالة من يقول لك أنه لا بأس بشرب قليل من الخمر .

الإستحمام على الشواطىء هل هو صالح أو ليس بصالح ؟

هل نأخذه من الحضارة الغربية أم لا نأخذه من الحضارة الغربية ؟ سنجد

أيضاً أصحاب الأهواء الشيطانية وأصحاب الآراء الجنسية يقول لك أن هذا صالح .. الجسم صحته تتوافر فى ضوء الشمس ويستفيد من الفيتامينات التى فى إشعاع ضوئها !!

هذه القضايا وكثير غيرها مما لا يقرها الدين سنجد لها أتباعا يقرونها من هؤلاء الذين يتبعون أهواءهم ، ستجد من يقول أن ذلك صالح .

إذا أخذنا الناحية الصالحة فى الحضارة الحديثة ورفضنا الناحية غير الصالحة فان الرأى لا يستقيم : لأن الناس يختلفون فيه اختلافا كبيراً ولا يتأتى مطلقا التحديد : تحديد الصالح وتحديد غير الصالح .. لا يتأتى الإتفاق على التحديد ما دمنا فى مجـال العقل فحسب ما دامت المسألة آخـذة وضعها العقلى الفكرى فقط ..

ما المخرج إذن من هذا ؟ ما هو اذن موقفنا من الحضارة الحديثة إذا كنا لا نقبلها ولا نرفضها . ولا نقبل التوسط فيها ؟

وأريد أن آخذ الآن فى إبداء رأيى الشخصى فيما يتعلق بالموضوع .ونحن فيما يتعلق بمجال الحضارة الحديثة نرى كما يرى غـيرنا والآراء فى ذلك لا تختلف تقريباً .

إن الحضارة الحديثة تنقسم إلى قسمين القسم المادى : قسم المعامل والمصانع ، قسم الطب ، قسم الكيمياء ، قسم الطبيعة ، هذه الناحية المادية البحتة التى تتأتى عن طريق الملاحظة والتى تحكمها التجربة ، هذه الناحية المادية من الحضارة الحديثة لا يتأتى لنا قط أن نقول أن أوربا ابتدعتها ابتداعا أو اخترعتها اختراعاً .

وهذه الناحية نفسها الناحية المادية لها جانبات ، جانب المنهج ، وجانب الموضوع .

أما فيما يتعلق بجانب المنهج فانه منهج الاستقراء ، وهو منهج تتبع

الجزئيات للوصول إلى نتيجة كلية . هذا المنهج الإستقرائى . أو المنهج العلمى أو منهج السمع والبصر : أى منهج الملاحظة . هو المنهج الإسلامى . لقد سار عليه الإسلام وسار عليه المسلمون قبل أن تنشأ الحضارة الأوربية .

« إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » .

السمع والبصر أساسا الملاحظة والتجربة أو عنهما تنشأ الملاحظة والتجربة. عدم اتباع الظن . والسير وراء الملاحظة ووراء التجربة هذا منهج الإسلام . اتخذه المسلمون منذ زمن بعيد . وقد اعترف الغربيون أنفسهم بأن الإسلام هو الذى بدأ بوضع المنهج التجريبى . واعترفوا بأن « روجيه باكون » الذى يعتبر فى أوربا المؤسس الأول للمنهج التجريبى . اعترفوا بأنه أخذه عن العرب وبأنه لم يكن إلا طالباً فى مدرسة العرب اعترفوا بهذا صراحة يقول أحد كتابهم فيما يتعلق بالمنهج الخاص بالتجربة . بمنهج الملاحظة الذى بنيت عليه الحضارة المادية الحديثة وهو الأستاذ بريفولت فى كتابه (بناء الإنسانية) .

يقول: ليس لروجيه باكون ولا لفرنسيس باكون الذى جاء بعده الحق فى أن ينسب إليهما الفضل فى ابتكار المنهجى التجريبى فلم يكن روجيه باكون إلا رسولا من رسل العلم والمنهج الإسلاميين إلى أوروبا المسيحية وهو نفسه لم يمل قط من التصريح بأن تعلم معاصريه فى أوروبا اللغة العربية وعلوم العرب . هو الطريق الوحيد للمعرفة الحقة ويقول فى مكان آخر من كتابه : ولقد كان العلم أهم ما جادت به الحضارة العربية على العالم الحديث .

ويقول أيضاً : ولم يكن العلم العربى وحده هو الذى أعاد إلى أوروبا الحياه بل إن مؤثرات كثيرة من الحضارة الإسلامية بعثت باكورة أشعتها إلى الحياة الأوربية ويستفيض المؤلف فيما يتعلق بما للعرب وبما للمنهج العربى من أثر فيما يتعلق بالحضارة الحديثة .

لا أريد أن أطيل فى قراءة نصوصه وهى كثيرة كلها تثبت أن هذا المنهج التجريبي إنما هو المنهج الذي قامت عليه الحضارة العربية . وأن أوربا إنما أخذته من العرب . ولم تبتدعه إبتداعا ولم تكتشفه إكتشافاً . هذا فيما يتعلق بالمنهج . أما فيما يتعلق بالموضوع فان المؤلف نفسه الذى ألف هذا الكتاب الذى تحدثنا عن بعض آرائه . يقول فى صراحة لا لبس فيها أن العلم الأوربى مدين للعلم الإسلامي العربى فى كثير من موضوعاته أنه ليس لدينا فى المنهج فحسب وإنما فى الموضوعات أيضاً .

ومما هو معروف أنه كان فى الحضارة الاسلامية أفذاذ فيما يتعلق بالعلم الطبيعى ،كان هناك ابن الهيثم وكتابه فى البصريات وفى الأضواء .

ويرى كثير من المؤرخين للحضارة الأوربية أن كتاب « باكون » نفسه فى الحرارة والضوء ماهو إلا نسخة من كتاب بن الهيثم فى البصريات . كان عندنا بن الهيثم فى الطبيعة ، وكان عندنا الرازى وابن سينا فى الطب ، وكان عندنا جابر بن حيان فيما يتعلق بالكيمياء وكان عندنا الكندى فيما يتعلق بالرياضيات .

كان عندنا كل هؤلاء العلماء الأفذاذ الذين تعترف لهم أوربا إلى الآن فيما يتعلق بمنهجهم التجريبي المبنى على الملاحظ وعلى التجربة .

وفيما يتعلق بالموضوعات التى تطرقوا إليها واستنتجوا منها النتائج التى لاتزال لها قيمتها للآن .

هذا الموضوع:موضوع الطبيعة إذا أردنا التعبير الإسلامي عنه أنه على حد الكلمة التى أطلقها الشيخ محمد عبده وهى الكلمة التى تعبر التعبير الصحيح الإسلامي : « سنن الله الكونية » .

فالطبيعة وقوانينها وإكتشافاتها وموضوعاتها يكون البحث فيها إنما هو البحث فى سنن الله الكونية . وإكتشاف قوانينها إنما هو إكتشاف لسنة الله الكونية . هذا الجانب المادى من الحضارة أنه جانب إسلامي فى موضوعه

جانب إسلامي في منهجه إنه منهجاً وموضوعاً ناحية إسلامية . على أن الإسلام قد حثنا على كشف سنة الطبيعة .. وحث «أن نتبين كيف أثر في المسلمين فساروا على المنهج التجريبي، وكيف أثر على المسلمين فاخترعوا الموضوعات الجمة في الطبيعة أن الله سبحانه يمن علينا في القرآن ، بأنه سخر لنا البحار والأنهار وسخر لنا الأرض ، وسخر لنا السماء . وسخر لنا الكواكب ، وسخر لنا القمر وسخر لنا الشمس ، وسخر لنا الكون كله، لقد سخره للانسان وهو بهذا الإمتنان يطلب من الإنسان أن يجوب الفضاء ، وأن يغوص في الماء وأن يخترق كل المعميات في هذا الكون حتى يتسنى له الإيمان والإقرار في خضوع وفي خشوع بعظمة الله العظيمة وبهيمنته هذه التي لايند عنها شيء في هذا العالم المسخر .

تتبع آيات الله في الأنفس وفي آفاق كل هذا دعوة إسلامية . وتتبع آيات الله والتسخير لايتأتى إلا عن طريق الملاحظة وعن طريق التجربة . المنهج التجريبي ، المنهج الحديث هذا هو منهج الإسلام . ويدعونا الاسلام أيضاً إلى أن نكون في هذا الجانب المادي أقوى مانكون .

« وأعدوا لهم ما أستطعتم من قوة » .

والاستطاعة لاتكاد تحد وكلما وصل الانسان إلى حد من الاستطاعة انفتحت أمامه آفاق إستطلاعات جديدة : يجب عليه أن يلجها فهو في كل آونة مترق في عالم الطبيعة وهو في كل آونة متتبع لهذه القوانين مترق فيها حتى يظل دائماً في القمة ، حتى يكون مركزه دائماً وباستمرار في القمة من القوة المادية .

وإذا كان المسلمون قد تأخروا في هذا الجانب فليس ذلك ذنب القرآن ولا ذنب الاسلام . وإنما هو ذنب تكاسلهم وخمولهم .

وهم بهذا التأخير آثمون إسلاميا إنهم آثمون فى نظر الاسلام وفى نظر القرآن – الكريم فهم أصحاب دعوة، والقرآن أعدهم من قديم إلى هذه الدعوة هم أصحاب رسالة وأصحاب الرسالات إن لم تكن عندهم القوة القوية إن لم يكن عندهم السلطان المسيطر، إن لم تكن عندهم السيطرة المتحكمة من أجل الخير، ومن أجل العدل ، ومن أجل الحق : إن لم يكن عندهم هذا فان رسالتهم تستمر حبراً على ورق ولم يرد الاسلام أن تكون الرسالة الاسلامية أو أن تستمر الرسالة الاسلامية حبراً على ورق . فالاسلام يدعو المسلمين إلى أن يكونوا أقوى دولة فى العالم فاذا ماضعفوا كانوا آثمين فى نظر الاسلام كانوا آثمين وكانوا مقصرين فى حق رسالتهم التى كلفهم سبحانه وتعالى بها .

أنها آخر الرسالات ، أنها الرسالة الأبدية ، أنها الرسالة الدائمة : ولابد من قوة دائمة فى هذا العالم تسندها إذا لم تكن هذه القوة فلايكون لهذه الرساله من التأثير ومن النفوذ مايريده الاسلام منها ومن أصحابها .

الجانب المادى إذن جانب فى الاسلام ، وماعلينا إلا متابعة الاسلام فى هذا الطريق بكل وسيلة ممكنة وبكل طريقة تتيسر .

ولا يقال إذن حينما نسير فى الحضارة المادية مكتشفين ومخترعين ومتبنين الاكتشافات والاختراعات أننا أخذنا عن الحضارة الأوربية ، وإنما يقال أننا تابعنا الخطوات التى تابعها وسار فيها أسلافنا . وإذا كنا فى هذا المجال نستعين بهذا أو ذاك : فان هذه الاستعانة ليس معناها أخذ من حضارة ، لأن هذا الجانب لا لون له ، أى أن الرقى المادى لا لون له . لايقال هذه الكيمياء ألمانية أو فرنسية ، أو إنجليزية ، وإنما هي الكيمياء أينما كانت وأينما وجدت لاتتسم بلون فاذا إستعنا بهذا أو بذاك فى سبيل متابعة أسلافنا فيما يتعلق بهذا المجال فلسنا متابعين وإنما نحن نواصل هذه المجهودات التى بدأها أسلافنا وإنقطعنا عنها فترة ونريد أن نعود إليها من جديد . ويأتى بعد ذلك القسم الآخر من أقسام الحضارة الأوربية وهو القسم الثقافى .

وهذا القسم الثقافي نبتدىء فيه بشيء من تاريخ الإسلام نفسه أو ببعض الحوادث التي حدثت في ربوع الإسلام .

من أول هذه الحوادث التى نلاحظها ما رواه الحافظ أبو يعلى من أن الرسول ﷺ رأى مرة ورقة في يد سيدنا عمر فقال له ما هذه الورقة ؟

ونقول الحديث بالمعنى - فقال سيدنا عمر أنها من التوراة . . وغضب الرسول ﷺ — وقال لو كان موسى حيا ماحل له إلا أتباعي . تعبير صادق ، ماحل له إلا أتباعه .

ونسير مع التاريخ ونرى سيدنا عمر بن عبد العزيز يرى أن حاجة المسلمين إلى الطب حاجة ماسة . لكنه أخذ يتحدث إلى نفسه : هل ذلك مباح هل من المباح أن يترجم كتاب من كتب الطب ؟

هل يجوز له أن يفعل ؟هل يجوز له أن يعمل عملا لم يعمله رسول الله ﷺ ؟ ويستخير الله في ذلك وينتهى به الأمر إلى أن يترجم كتاب الطب ولم ير بأساً بذلك . .

كتاب الطب كتاب من كتب الحضارة المادية أو كتاب من الكتب ذات الطابع المادى . ولا بأس أن يترجم كتاب من هذا النسق . أو أن يتابع أو أن يقتبس منه ، أو أن يؤخذ في الجو الإسلامى من مبادئه .

وتسير الحياة بالمسلمين هادئة فى جوانبها الحضارية إلى أن يأتى العصر العباسى وتبدأ الترجمة : والترجمة لم يعترض عليها معترض فيما يتعلق بجانب الطب . وبجانب الطبيعة أو بجانب الكيمياء ، ولكن المسلمين فى أول العهد العباسى كانوا نافرين كل النفور من أن تترجم ما وراء الطبيعة اليونانية . أن ما وراء الطبيعة : تعنى الأبحاث التى تتصل بالعقيدة .

وقال المسلمون . وأجمعوا على أنه اذا كانت عقيدة اليونان حقا فعندنا

ما هو أحق منها وهو القرآن الكريم في الأسلوب الالهى وإذا كانت باطلا فاننا في غنى عنها . وكذلك كان شأنهم وموقفهم فيما يتعلق بالأخلاق كانوا يعتزون بأخلاقهم ويعتزون بعصبيتهم لعقيدتهم وأخلاقهم المنزلة الموحاة إلى درجة أنهم لا يرون أن يكون هناك أى كتاب ، أو رأى يقوم بجوار هذه المبادىء الإلهية الاسلامية سواء أكانت عقيدة أم أخلاقا . ولم يترجموا كتب الأخلاق ، إلى أن جاء المأمون .

والمأمون بتربيته الفارسية كان عنده من التهاون، القليل أو الكثير ولم يكن عنده من التحرج ما كان عند غيره . فأمر بترجمة الكتب التى تتصل بما وراء الطبيعة . والكتب التى تتصل بالأخلاق وقام بترجمة هذا على الرغم من النفور العام من المسلمين المؤمنين المتدينين .

وترجمة كتب ما وراء الطبيعة وترجمة كتب الأخلاق على الرغم أو على نفور هؤلاء الذين يرون أن العقيدة الإسلامية يجب أن لا يكون بجوارها شيء آخر وإن الأخلاق الإسلامية يجب أن تكون مستقلة لا يكون بجوارها شيء ولا تدنس ولا تتلوث بما يتوهم أنه حق بجانب الحق . لكن الترجمة : ترجمة ماوراء الطبيعة أخذت مجالها ، وترجمة الأخلاق أخذت مجالها بل أصبحت مألوفة وأصبحت وكأنها شيء عادى وليست ترجمة الأخلاق وليست ترجمة ما وراء الطبيعة أقل شأناً فيما يتعلق بالجو الإسلامي الصحيح من الورقة التى كانت بيد سيدنا عمر .

إن العقيدة الإسلامية والأخلاقية الإسلامية هى التى تكون ذاتية المسلم : أى أن ذاتية الأمة الإسلامية لاتتكون بكيمياء أمريكية لأنها كما قلنا لالون لها ولا تتكون بطبيعة لأن الطبيعة لا لون لها . حقيقة أنه لا بد من الكيمياء ولا بد من الطبيعة كما قلنا للقوة وللغلبة ، وللسلطان . ولتأدية الرسالة ، من أجل الحق والخير .

إن الذى يكون ذاتية الأمة إنما هو اللون الثقافى فيها ، وقد رأينا موقف الرسول ﷺ وموقف المسلمين الأول منه .

وعلى أى وضع إذا نظرنا إلى هذه الثقافة فى نفسها — الثقافة النظرية — وهذا هو الجانب الذى أهتم به كثيراً وأريد أن أنبه الأذهان من جديد إلى إنى أتحدث عن ثقافة لا تتصل بالملاحظة ولا بالتجربة أى أنها ثقافة ليست بحسية أتحدث إذن عن الثقافة النظرية البحتة عن الفلسفة ، عن الأخلاق ، عن هـذا الجانب في علم الإجتماع الذى لا يتصل بالملاحظة والتجربة عن الجانب فى علم النفس الذى لا يتصل بالملاحظة والتجربة عن هذه الجوانب فى أى علم وفى أى موضوع .

الجوانب التى لا تتصل بالتجربة والملاحظة أن التجربة تتحكم فتكون فيصلا فيما يتعلق بالحق والخطأ لكن المجالات النظرية البحتة ليس لها هذا الفيصل الذى يفرق بين الحق والباطل .

ما وراء الطبيعة مجال نظري بحت وهو يختلف من فرد إلى آخر ويتعدد بعدد اختلاف الأفراد . إذا جئنا للجو اليونانى فانا نجد أن أفلاطون فيما يتعلق بتصور (الإله) يختلف عن أرسطو وتصور أرسطو يختلف عن تصور الرواقيين وتصور الرواقيين يختلف عن تصور أبيقور أو الأبيقوريين يصور أفلاطون الإله على أنه مثال للخير على رأس المثال أو مثال للجمال على رأس المثل ، ومع أن أرسطو من مدرسته فانه يصور الله سبحانه وتعالى بصورة أخرى . ويرى أنه المحرك الأول وهذا المحرك الأول ليس هو الذى يحرك العالم وليس هو الذى خلق العالم وليس هو الذى صور العالم وكونه بل أنه لا يعلم عن العالم شيئاً مطلقاً .

لا يعلم عن العالم شيئاً يستوى في ذلك التافه من أمره والعظيم منه أنه لا يعلم حتى مجرد وجود العالم .

وتأتى الرواقية فترى الله سبحانه وتعالى يمتزج بالكون امتزاجا كاملا فهو سره وهو فى كل ذرة من ذراته وفى كل خلية من خلاياه ويأتى أبيقور ويقول : ليس هناك شيء اسمه الله وليس هناك إله وتختلف هـذه المدارس باختلاف أفرادها وباختلاف رؤسائها وقبل أن نستمر فى شرح موضوع هذه الثقافة النظرية البحتة ، قبل أن استمر فيها طويلا أريد أن أتحدث عن قصة لها مغذاها العميق كى تكون أمام أنظارنا حينما نضرب الأمثال فيها بعد ، هذه القصة يرويها مؤرخو الفلسفة اليونانية .

اجتمع سقراط باثنين من الفيثاغوريين ، من كبار فلاسفة الفيثاغورثية أحدهم اسمه سيمياس ، وكان من كبار الفلاسفة ، اجتمعوا يتناقشون فيما يتعلق بخلود الروح ، هل هى باقية بعد الموت ، هل هى مستمرة ، أم أنها فانية ؟

هل الإنسان حينما يموت يموت مادة وروحا ، أم أنه يموت مادة فقط وتبقى الروح ؟ وهل الروح خالدة ؟

كانوا يتحدثون فى هـذا الموضوع ويحاولون ما استطاعوا أن يقيموا الأدلة على خلود الروح ، على أنها باقية بعـد الموت ، ثم تنتهى بهم الأدلة وينقطع بهم البرهان ، ويقول سيمياس ، ويقول سقراط وسقراط معروف بأنه أبو الفلاسفة .

يقول سيمياس لسقراط إن الموضوع ما زال فى حاجة إلي بحث أكثر . ولكن هذا جهد العقل ، وهذا غاية مايستطيعه العقل ووافق سقراط ثم يقول متأسفاً : إن العقل فى مجال ما وراء الطبيعة مثله مثل لوح من خشب يريد الإنسان أن يقطع به البحر فى يوم عاصف . أما مثل الدين بالنسبة لما وراء الطبيعة فانه المركب والسفينة الأمينة لقطع البحر ويأسفون جميعاً علي أنه لم ينزل دين يحدد الموضوع تحديداً تاما . يحدد مسألة خلود الروح . ويعترفون بأنه لو كان قد نزل دين يحدد هذا الأمر فانهم كانوا يستجيبون إليه . ويؤمنون به .

ويستسلمون وتهدأ نفوسهم فيما يتعلق بهذا الأمر . لا جدال أن نقاش العقل في محيط ما وراء الطبيعة لوح من خشب لقطع البحر ، ولكنه في حقيقة الأمر لوح من خشب في كل علم نظرى لا مجال للتجربة ولا الملاحظة فيه وخذ أى مادة من المواد النظرية :

خذ ما وراء الطبيعة . خذ الأخلاق . خذ التشريع . خذ هـذه النواحى الـكثيرة المتعددة التى سميت بأسماء علوم مختلفة . وهى كلها نظرية فانك ستجد العقل دائمـا هو لوح الخشب الذى لا يتأتى أن يقطع به الإنسان البحر مهما احترس ومهما كان يحاول أن ينجو بهذا اللوح . والفلسفة فيما يتعلق بالعالم الحديث . كل فلاسفة العصر الحديث مختلفون على أنفسهم . ليس بينهم فيلسوف واحد يتفق مع الآخر ، وإلا لمـا كان فى حاجة إلى أن ينشىء فلسفة جديدة لو اتفق مع زميله .

ومعنى الفلسفة إنها ابتداع دين بجوار الدين أو عقيدة بجوار عقيدة . كذلك الأمر فيما يتعلق بالأخلاق أنها على هذا النسق . وكذلك الأمر فيما يتعلق بالتشريع أنه على هـذا النسق . وإذا ترك التشريع للعقل فسيكون هناك الإختلاف وإذا ترك ما وراء الطبيعة للعقل فسيكون هناك الإختلاف أيضاً .

والمخرج أن نصدر فى كل هذه الأمور عن الدين ولامجال لرأى آخر إذا أخلصنا لا بد من أن نعتمد فى هذه المجالات الثلاث :

مجال ما وراء الطبيعة . مجال الأخلاق . مجال التشريع على الدين .

هذه المجالات ثابتة فى الدين مستقرة لاتقبل التطور ، مجال العقيدة لا يقبل التطور ، العقيدة هي هي ، لا تختلف العقيدة الدينية الإسـلامية من بيئة إلى أخرى ولا من قطر إلى آخر ، ولا من زمن لزمن ، ولا من مكان لمكان ،

ولا تختلف الأخلاق الإسلامية أيضاً من بيئة إلى أخرى ، ولا من مكان لمكان ولا من زمن لزمن .. فهى هى .

أما فيما يتعلق بالتشريع فان كثيراً من الناس يعتقدون أن التشريع الإسلامى متطور . ولكن التشريع مبادىء ووسائل . وقد يترك الإسلام بعض الوسائل غير محددة . يتركها للزمن ، ولكن النتائج أو الغايات هى هى ..

مثلا مبدأ الشورى لم يحدد وسيلته الإسلام أى أن الشورى نفسها مبدأ إسلامي ثابت ، ووسيلة الشورى لم يحددها الاسلام ، وتركها للبيئات وتركها للأزمان يحددونها عن طريق البرلمان ، عن طريقة أخرى يحددونها كيفما شاؤا .

ولكن الغايات ، النهايات ، المبادىء ، القواعد ، إنها ثابتة . ويتساءل كثير من الناس وما شأن الاجتهاد إذن ؟ إن المجتهدين فى الاسلام كثيرون فما شأن الاجتهاد فى الدين إذن ؟ والواقع أن هذا الجانب يضل فيه كثير من الناس . أو يزل فيه كثير من الناس . الاجتهاد فى الإسلام معناه ، أن يحاول المجتهد ما استطاع ، أن يحاول ما أمكنه : أن يربط بين حادثة حدثت جديدة وبين قاعدة إسلامية موجودة أو أن يدخل فى نطاق قاعدة إسلامية عامة ، حادثة من الحودث التى حدثت جديدة .

فليس الاجتهاد إذن ابتداعا ، أو اختراعا أو تطورا ليس فيه شيئاً من هذا القبيل وإنما هو محاولة جاهدة كادحة ، دائبة ، مستمرة للوصول إلى ما كان عليه الرسول ﷺ . أو ما كان يمكن أن يكون رأى الرسول ﷺ لو كان الرسول موجوداً . وإذا صح الحديث فهو مذهبي قاعدة تنقض كل شبهة من الشبهات التى ترمى إلى أن الإجتهاد إنما هو ابتداع أو هو اختراع ، أو هو شىء من هذا القبيل .

ليس إذن في الجانب الإسلامي تطور أقوال،هـذا لأنه من أخطر الأمور علي العقيدة الإسلامية ، وعلى الجو الإسلامي ، الفكرة التي تسود في كثير من الأوساط ، والتي هي سائدة في الثقافة الأوربية الآن أعني فكرة التطور . وفكرة التطور تتناسب مع الثقافة في أوربا .

والثقافة في أوربا الثقافة النظرية التي لا تتصل بالتجربة أو بالملاحظة ، الثقافة النظرية في أوربا متطورة - وهذا حقيقي ، متطورة لأنها بشرية وكلما هو بشرى ، من نتاج العقل البشرى : فإنمـا هو نسبي . وهو إذن متطور إنه نسبي متطور رقد يكون هذا التطور تطوراً إلي القديم لا تطوراً إلى شيء جديد ، يعني مثلا مذهب الوجودية الحالي الذي يقال أنه مذهب جديد كل الجدة إنما هومذهب السفسطائية القديمة لا أكثر ولا أقل أنه المذهب الذي يري أنه ليس هناك حقيقة مطلقة وإنمـا الانسان يكيف نفسه ويكون نفسه ويوجه نفسه ، وهوليس في هذا إلا فرد من الأفراد له رأيه الخاص ، ولذلك لا يسري رأيه علي الآخرين : لأنه ليس هناك حقـائق مطلقة ، فهو عودة إل المذهب القديم مذهب السفسطائية القديم : المذهب الذى لفظته كل الهيئات السليمة ، إنه عودة إلى مذهب تلفظه كل البيئات السليمة ! !

ومذهب الوجودية في الحقيقة والواقع تلفظه كل بيئة سليمة ، كل بيئة صحيحة : إنه لا يسود إلا في البيئات المريضة التي لاترى وزناً للقيم الأخلاقية ولا للدين . ولا للحقائق المطلقة ، وترى أن الإنسان يكون نفسه من الألف إلى الياء مستقلا عن التقاليد وعن الدين وعن الحقائق وعن كل شيء في المجتمع . فكرة التطور نشأت مع دارون وكانت لها شهرة قوية في أوساط أوربا وفي أوساط الشرق ، ولكن هـذه الفكرة نفسها باعتراف كل العلماء فيها الفجوات التي تجعلها ظنية لا يقينية ، إنها فكرة ظنية لم تصبح يقيناً ،

وكثير من العلماء هاجمها وعارضها وأقام الأدلة على أنهيارها ، ولكنها مع ذلك سادت فى بعض الأوساط الشرقية وأصبحنا الآن وهذا هو الخطر الذى نحذر منه . . أصبحنا الآن نرى كتباً بأقلام المسلمين وبأقلام المفكرين الكبار تقول بفكرة التطور وكأنها حقيقه موجودة . . وما من شك فى أن هناك التطور المادى . . لا ينكر ذلك أحد . . هناك التطور من الفحم إلى وابور الغاز إلى البوتاجاز . . وهناك التطور من السيارة إلى الطائرة الخ .

هناك التطور المادى لا ينكر ذلك أحد إطلاقاً . ولكن هذا التطور المادى لا دخل له مطلقاً ولا شأن له مطلقاً بتطور العقل من حيث هو عقل الإنسان . . إن الإنسان من حيث هو الإنسان لم يتطور عقله من حيث هو عقل – لم يزد – لم يكن مثلا عشر درجات ثم أصبح خمسين درجة أو ما شاكل ذلك .

الإنسان لم يتطور إلى كائن آخر ، إنه ما يزال هو الإنسان الذى وجد منذ عهد آدم إلى الآن . ولكن من المؤسف أن المفكرين الإسلاميين يسيرون فى الأمر وكأن التطور حقيقة واقعية . وكأن التطور العقلى حقيقة واقعة ، وكأنه يقين مطلق . وفى هذا خطورة كبيرة .

أضرب مثلا للخطورة حينما تدخل فكرة التطور فى مسائل الدين إن أحد كبار المفكرين الإسلاميين وله شهرة ذائعة فى الجو الإسلامى حينما أراد أن يفسر القرآن وحين أراد أن يفسر قصة سيدنا آدم وخلق سيدنا آدم وأمر الله سبحانه وتعالى الملائكة بالسجود وكان فى ذهنه فكرة التطور ، وإن الإنسانية بدأت بكذا وكذا . . وأن آدم ليس هو أول الإنسانية مباشرة يعنى أن الإنسانية لم تبدأ بآدم مباشرة ، كان فى ذهنه كل ذلك ، فلما جاء يفسر القرآن ، ويفسر قصة آدم فسرها على أنها تصوير ، مجرد تصوير ، مجرد تمثيل ، مجرد قصة . . مجرد قصة لماذا ؟ مجرد تمثيل لماذا ؟

مجرد تصوير لماذا ؟ ليخرج من فكرة التطور ، وحتى لا يلتزم بقضية أن آدم إنما هو أول البشرية :

حقاً . أول البشرية مخلوقا خلقا جديداً . منشأ من الله سبحانه وتعالى سواه بيده ونفخ فيه من روحه . وإذا كانت قصة آدم تمثلا وإذا كانت تصويراً فلا يبقى شيء فى القرآن لا يمكن أن يؤول ، إذا أولنا قصة آدم ، إذا أولنا قصة سجود الملائكة ، إذا أولنا كل ذلك ، وقد ذكرت فى القرآن عدة مرات ، إذا أولناها فانه لا يبقى فى القرآن أو فى الإسلام شيء لا يمكن أن يؤول وفى تأويل كل شيء القضاء على الإسلام وعلى هذا ففكرة التطور يجب أن لا تدخل فى المحيط الفكرى الدينى للمسلمين . وكل من أدخلها فى المحيط الفكرى الدينى الإسلامى إنما يضر الإسلام . ويكون خطراً على الإسلام أكثر من العدو العاقل . هـــذا الصديق الجاهل يكون خطراً على الإسلام أكثر من الفرد العامل . وهذا مجرد مثل من الأمثلة الكثيرة . .

وعلى كل حال فان الكتب الحديثة تجدها دائماً قائلة بفكرة التطور وأن الإنسانية تطورت وأنها . . الخ كل هـذه النواحى إذا أدخلناها فى محيط العقيدة أو أدخلناها فى محيط الأخلاق أو أدخلناها فى محيط الدين . فانها تجعـل من الدين : مجموعة من المبـادىء النسبية ، ومعنى مجموعة من المبادىء النسبية أنهـا ليست حقائق مطلقة ، وأنها يمكن أن تتطور وتتطور إلى اللانهاية ويأتى يوم من الأيام وقد انفصلنا عن الدين ، وعن المبادىء الدينية الإنفصال الكامل ، والإنفصال التام .

فكرة التطور فيما يتعلق بالحضارة الحديثة قام بها دارون ، ويعترف اليهود أو يعترف الصهيونيون فى كتابهم وفى مبادئهم « بروتكولات حكماء آل صهيون » يعترفون بأنهم هم الذين وضعوا دارون فى الأفق على المنصة . وهم الذين أعلنوا

عنه وهم الذين أذاعوا فكرته وهم الذين حبذوها وهم الذين نشروها فى كل مكان : وذلك لأنها تقوض الأديان من أساسها ، وهي مع ذلك كما قلنا فكرة ظنية وكلما تقادم الزمن بها وكلما تقادم العهد بها كلما ازداد الشك فيها .

الثقافة الحديثة أو الحضارة الحديثة فى جانبها الثقافى ، إذ رحبنا بها فان ذلك يعد من الحجب التى تحجب شيئا فشيئا الفكرة الإسلامية والذاتية الإسلامية وأنه لمن المعقول أننا وعندنا القرآن وعندنا السنة ، وقد طبق القرآن وطبقت السنة ، فكان ازدهار الأمة الإسلامية، من المعقول أن نصدر فى ثقافتنا عن ذاتية اسلامية : عن قرآن وسنة . وكل هذا البريق فيما يتعلق بالحضارة الحديثة ، فى جانبها الثقافى ، يجب ألا يخدعنا مثلا الحرية والمساواة . من الغريب أن الأوربيين أنفسهم من كبار المفكرين فى أوربا نفسها يرون ، أن هذين المبدئين متعارضان . يرون أنه إذا وجدت الحرية فلا مساواة وإذا وجدت المساوات فلا حريه . يرون التعارض فى المبدئين وأنهما لا يجتمعان لأنه إذا وجدت المساواة فكيف تتأتى أن توجد الحرية ، إذا فرضت المساواة فرضاً فكيف تتأتى أن توجد الحرية ، وإذا فرضت الحرية فرضا فكيف تتأتى أن توجد المساواة .

المبدأ الاسلامي : الأخوة ، مبدأ سليم لا غبار عليه ، لا أعتراض عليه يجب أن لا نضع بجانب الأخوة ، حرية ومساواة يجب أن لا نضع بجوار الأخوة مبادىء متعارضة يراها الأوربيون أنفسهم متعارضة ، ويلاحظون هذا التعارض ويرفضون أن تكون هذه المبادىء ، بجوار بعضها ، تكون وحدة وتكون شعاراً ، ثم نأتى نحن فنأخذ بها !! ثم إذا جئت إلى المساواة وقلت أين هى ؟ أنها لا تتأتى أن توجد مطلقة فى قطر من الأقطار . ولا فى بلد من البلاد ، ولا فى أسرة من الأسرة . ويقولون ، ولكن نحن لا نقصد المساواة المطلقة وإنما نقصد المساواة فى الحقوق والواجبات . إذا قلنا ان الشعار الانسانى لا مساواة إلا فيما يتعلق بالحقوق والواجبات كنا إذن صادقين

ويكون هذا أصدق . لأن مبدأ اللامساواة هو المبدأ السائد وهو المبدأ السائد الإنسانى فيما عدا الحقوق والواجبات .

إن اللامساواة هى الموجودة فيما عدا الحقوق والواجبات بل الحقوق والواجبات ذات نفسها ليست فيها مساواة ثم إذا جئت إلى الحرية ، اين هى؟

إن الإنسان ليس حراً فى اختيار الاسم الذى يتسمى به . ولا فى اختيار اللغة ولا فى اختيار نمط الملابس ولا فى اختيار طريقة السير ثم انه ليس حراً فيما يتعلق باختيار الطريق الذى اتبعه فيما يتعلق بالمدرسة . وفيما يتعلق بالتربية الخ .

لست حراً فى طريقة الاكل ، ولا فى طريقة الشرب ، ولا فى شيء من هذا إذا قلت ان تسعمائة تسعة وتسعين فى الالف من الاشياء لست فيها حراً تكون صادقا : إذا قلت أو فسرت الحرية بأنها الحرية فيما لا يضر الغير أيضا لا تكون الفكرة صادقة الحرية فيما لا يضر الغير أيضاً ليست موجودة لنفرض مثلا أن شخصا من الاشخاص وليكن طالب علم مثلا ، ذهب إلى الكلية وهو ساتر للعورة فقط . يعنى من الركبة إلى السره وراح الكلية على هذا النمط . أنه دينيا لا غبار عليه . وهذا لا يضر شخصاً آخر ولكنه مع ذلك لا توجد فيه هو نفسه الجرأة لان يفعل ذلك فهو ليس بحر فى أمر يبيحه الدين . ولا يضر الآخرين . يعنى الحرية والمساواة كلمات جوفاء فى حقيقة الامر لا معنى لها : معنى حقيقى محدد فيما يتعلق بالافهام . ان كل كلمة منهم لا تصدق وليس لها حقيقة واقعية . ومع ذلك نشيد بهما ، كأنهما من اختراعات الغرب الكبرى التى لها المثل الاعلى فيما يتعلق بهذه الحضارة الغربية الحديثة . ان الحضارة الغربية الحديثة فيها من أمثال ذلك أشياء كثيرة يجب أن نتنبه لها .

ومن هذه الأشياء فى الجانب الثقافى أيضاً : ما يقال من أن العلم للعلم .

أو الأدب للأدب ، أو الفن للفن ، كل هذه لها خطورتها فيما يتعلق بالأجواء الإيمانية .

فى جو الإيمان لا يتأتى مطلقا أن يكون الأدب للأدب وإنما الأدب للأخلاق الفاضلة ، لترقية القطر ، لآثارة الشعور الدينى الكريم . لكل هذه المعانى ، أما فكرة الأدب للأدب فانه لايستسيغها مطلقا عقل أو قلب مؤمن.

كذلك فيما يتعلق بالفن للفن ، الفن للفن معناه أنك ترسم الصورة العارية كما شئت ، أو ترسم الصور التى تثير الغرائز كما شئت ، الفن للفن أيضاً فكرة لا يتأتى لمؤمن أن يقول بها وأن يمتدحها أو أن يتبناها شعاراً له . هذه النواحى كلها وكثير غيرها فيما يتعلق بالثقافة الغربية الحديثة : الثقافة النظرية يجب أن نكون بعيدين عنها كل البعد وأن نتبع فى هذا الجانب الإسلام وحده نجعله الأساس . نجعله المصدر الموجه .

أن هذه الآراء الثقافية النظرية الحديثة هى كما يقول أحد كبار المفكرين فى أوربا مثلها كمثل « الموضة » وأزياء النساء تتبدل من عام إلى عام ومن فترة إلى فترة .

إن «موضة» هذا العام فى علم النفس مثلا هى كذا هى نظرية فلان أو هى نظرية فلان . والموضة فى العام المقبل أو فى العام الماضى نظرية أخرى . وهكذا الأمر فيما يتعلق بالفلسفة ، فيما يتعلق بالتشريع الخ ..

هذه النواحى كلها تجعلنا حذرين فيما يتعلق بالقسم الثقافى فى الحضارة الحديثة بل يجب أن نكون بعيدين عنه كل البعد وأن نصدر عن ذاتية اسلامية وعن مبادىء إسلامية عن قاعدة إسلامية ، عن جو إسلامى .

والنتيجة التى أريد أن انتهى إليها من هذه المحاضرة ، وهي الخاتمة إنما هي العودة الى الإسلام، العودة الي الإسلام: ملاحظة وتجربة ومنهجاً وقوة مادية:

وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة — العودة الى الاسلام من تسخير الأرض تسخير السماء ، وتسخير ما بين الأرض والسماء وتسخير الكواكب وتسخير الشمس والقمر وتسخير البحار والأنهار . العودة الى الإسلام أقوى ما تكون فى الجانب المادى . والعودة الى الإسلام والاعتزاز بالإسلام أقوى ما تكون فى الجانب الثقافى سواء اتصل ذلك بالعقيدة أو اتصل ذلك بالتشريع أو اتصل ذلك بالأخلاق .

ثالثاً : موقف الاسلام من العلم

وكانت من الأفكار السائدة التى نقل عدواها أصحاب مدرسة أصدقاء المبشرين والمستشرقين وتبث سمومها أن العقل ضد الدين أو أن الدين يخضع للنقد الفكرى .. وكانت موجة عارمة الدين يناقض العقل : قضية كانت فى أوربا القديمة نظراً لكثير من طقوس دينها الذى فعل بعلمائها السوء والاضطهاد والتعذيب والتنكيل والقتل والتشريد .. وظن أدعياء الاصلاح أنهم لن يجدوا من يفضح هذا الافك الذى يريدونه بالمسلمين ويرمون به دين الإسلام .. فتصدى لهم الامام الاكبر الشيخ عبدالحليم محمود وكان يومها وكيل الازهر وفى كلية الهندسة بجامعة أسيوط يوم السبت ١٩٧٠/٤/١٨ ألقى رحمه الله تعالى محاضرة جليلة عن : الاسلام والعلم تحت عنوان :

بسم الله الرحمن الرحيم

« الاسلام دعوة إلى العلم »

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أيها الاخوة المؤمنون :

أنه ليسعدنى أن اكون محاضراً ومتحدثا في هذه الليلة ، ويشرفني ويسعدنى أن يكون الامام الاكبر امام المسلمين حاضراً هذا الحديث وان يكون السيد محافظ اسيوط الرجل المؤمن حاضراً هذا الحديث أيضاً ، وأشكر لكم هذا الجمع الذى حضر متحملا المشقة فى سبيل العلم وفى سبيل الايمان .

والكلمة التي أتحدث فيها هذه الليلة إنما تدور حول أول آية من القرآن:

« اقرأ باسم ربك الذى خلق » .

حول هذه الكلمات الخمس اتحدث اليكم .

كانت هذه أول آية نزلت من القرآن الكريم .. حملها رسول الله ﷺ وتحدث بها الى السيدة خديجة رضوان الله تعالى عليها .. وذهبا معا الى ورقة ابن فوفل .. وكان ورقة رجلا عالما تعلم العبرية من اجل ايمانه ، ودرس الكتب القديمة .

وسمع ورقة بن نوفل ... « اقرأ باسم ربك الذى خلق » .

فلم يجد مناصا من ان يقول : هذا هو الناموس الذى انزله الله على موسى ولم يجد مناصا من انيؤمن لاول ما سمع هذه الآية القرآنية الكريمة .

آية الصدق :

إن هذه الآية الكريمة تحمل الصدق فى نفسها .. إنها لا تقول : اقرأ باسم ملك أو وزير .. ولا تقول باسم مصلحة شخصية أو منفعة شخصية .. وإنما هى توجه الإنسان منذ اللحظة الأولى إلى أن يتجه إلى الله سبحانه وتعالى فى إخلاص تام .

« اقرأ باسم ربك الذى خلق » .

تحمل الصدق فى نفسها .. لا يتأتى مطلقاً أن يثار حولها شك . أو أن يتحدث عنها بشك .. إنها صادقة فى كل مكان .. إنها صادقة قديماً وصادقة حديثاً .. إنها صادقة فى الشرق وصادقة فى الغرب .

وماذا نقول لإنسان يدعوك لأن تقرأ باسم ربك ؟

أهى كذب .. ؟ فما هو الصدق .. ؟

أهى خطأ .. فما هو الذى يمكن أن يكون الصواب .. ؟

أنها تحمل الصدق فى نفسها .. وهى منذ المبدأ شرح لكلمة الإسلام .. وكلمة الإسلام أيضاً من الكلمات الإلهية التى تحمل الصدق فى نفسها أيضاً .

تحمل فى نفسها .. لأنها حتى المعنى اللغوى : المسلم هو من أخلص لله نفسه ..

والإسلام إذن هو إخلاص النفس لله ... مادا يمكن أن تقول فى هذا .. ؟

تقول خطأ .. فما هو الصواب .. ؟ تقول كذب .. فما هو الصدق .. ؟

من الذى يمكن أن يناقش أو يعارض أو يشكك فيما إذا جاء إليه شخص وقال له : أسلم نفسك لله ..

هذا هو المعنى اللغوى نفسه .

أما المعنى الشرعى فقد سئل رسول الله ﷺ عن الإسلام فقال فى حديث صحيح :

« أن يسلم لله قلبك ، وأن يسلم المسلمون من لسانك ويديك » . . أى إسلام القلب لله هو فى الدعوة إلى أن يسلم المسلمون من لسان المسلم ويده ؟ ! . .

جو الصدق :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق » . تحمل الصدق فى نفسها . .

و « الإسلام » مجرد الكلمة تحمل الصدق فى نفسها . . .

و « اقرأ باسم ربك الذى خلق » .

و « الإسلام » . . توحيد والدين الإسلامي هو دين التوحيد . . و « التوحيد » يحمل الصدق فى نفسه . . والتوحيد هو جوهر الإسلام . . هو أساسه . . هو غايته . . أنه الأساس وأنه الغاية وأنه الجوهر . . وهو يحمل الصدق في نفسه . . أن توحد الله . أن تتجه إليه بكيانك كله .

أن تكون لله . . أن تلقى بنفسك فى الرحاب الإلهية . . ألا تدين لشخص لكائن . . ألا تدين إلا لله سبحانه وتعالى . إنها تحمل الصدق فى نفسها . .

« الإسلام » . . . « التوحيد » .

« اقرأ باسم ربك الذى خلق » .

كل هـذا هو معنى الدين ، وليس للدين معنى غير إسلام الوجه لله . . ،

وليس للدين معنى سوى أن تقرأ باسم ربك الذى خلق .. ، وليس للدين معنى سوى .. التوحيد .

والجو الإسلامى إذ منذ البداية يوحى بالصدق .. يوحى بالحق .. لا يتأتى فيه مطلقاً أن يكون فيه نزاع أو تشكيك . إنه وضع إلهى منذ .

« اقرأ باسم ربك الذى خلق » .

اقرأ رمز كل الحياة :

و « اقرأ باسم ربك الذى خلق » .

مجرد رمز ... وما يتأتى مطلقاً أن يكون المعنى الوحيد لا قرأ باسم ربك الذى خلق القراءة ... إنها رمز يشمل أو يتضمن فى معناه الحقيقى كل الحياة .. فاقرأ باسم ربك الذى خلق معناها .. طبيعى .. اقرأ باسم ربك الذى خلق .. ولكنها رمز لا عمل إلا باسم ربك الذى خلق .. تكلم باسم ربك الذى خلق .. ثم باسم ربك الذى خلق .. لتكن حياتك كلها .. حركة وسكوناً . صمتاً وقولا .. لتكن الحياة من أولها إلى آخرها باسم ربك الذى خلق .

والآية الكريمة : « اقرأ باسم ربك الذى خلق » يفسرها فيما بعد آية أطول منها قليلا والمعنى هو . هو « قل أن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » .

المطلوب فى الإسلام .. أن تكون الصلاة .. وأن يكون النسك .. وأن تكون الحياة كلها .. وليست الحياة فحسب .. أن يكون الممات أيضاً .. أن يكون كل ذلك لله رب العالمين لا شريك له .. وبذلك أمر رسول الله ﷺ .. وبذلك أمرنا معه صلوات الله وسلامه عليه .

اقرأ شعار العلم :

ونعود من جديد بعد هـذا التوضيح للآية فى جوها العام .. نعود من جديد إلى « اقرأ » .. أول كلمة بدىء بها الوحى .. « اقرأ » إنها العلم .. إنها توجيه مباشر للعلم .. للاتجاه العلمى .

والواقع أن الإسلام قرآناً وسنة .. الإسلام يحمل فى طياته دعوة لامثيل لها .. لا مثيل لها فى العالم كله .. لا مثيل لها عند الفلاسفة .. ولا مثيل لها عند المصلحين ولا مثيل لها فيما يتعلق بالتاريخ القديم .. ولا مثيل لها فيما يتعلق بالتاريخ الحديث دعوة إلى العلم لا مثيل لها فى العالم أجمع .

هذه الدعوى إلى العلم وصلت بالعلماء إلى مرتبة لم يضعهم فيها كائن .. ولم يضعهم فيها مذهب .. ولم يضعهم فيها اتجاه أيا كان . يقول الله سبحانه وتعالى :

« شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم » .

أولو العلم شهدوا مع الله ومع ملائكته .. شهدوا ماذا .. ؟ شهدوا التوحيد .

شهدوا قمة الدين الإسلامى .. وقمة الدين الإسلامى هى شهادة التوحيد .

وضع الله سبحانه وتعالى العلماء فى القمة من المتدينين بالدين الإسلامى وقرنهم به وبملائكته .. هذه شهادة الله سبحانه وتعالى لهم .. لا يتأتى مطلقاً أن تجد لها مثيلا فيما يتعلق بالعلم أجمع .

ويقول الله سبحانه وتعالى : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » .

وهذه الآية الكريمة .. « إنما يخشى الله من عباده العلماء » . لم تأت فى

معرض العلم الديني تفسيراً أو حديثاً أو فقها أو أصول فقه أو علم الكلام . وإنما أتت فى معرض الحديث عن الطبيعة . . عن الكون عن العالم المادى . . عن العالم المحسوس .. بعد أن تحدثت عن العالم من جبال . . ومن إختلاف ألوان . . ومن صخور . . ومن حديد .

قالت : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » .

والعلم فى الإسلام إذن أوسع دائرة من أن يكون علماً دينياً . . إنه العلم بجميع أرجاء الكون .. إنه العلم بالعالم كله . . العلم بالطبيعة بالكيمياء .. بالطب .. بالفلك بالأحياء .. إن كل هذا إنما هو العلم فى جميع هذه المجالات إنما هو كشف لسنن الله الكونية .. واستجابة لله سبحانه وتعالى فيما أمر بتسخير الكون للانسان .. لقد سخر الله سبحانه وتعالى الكون للانسان .. وأمتن عليه سبحانه بهذا التسخير .. لقدسخر لنا كما يعبر سبحانه فى القرآن .. سخر لنا السماء والأرض .. وما بين السماء والأرض .. وسخر لنا الكواكب .. سخر لنا الشمس وسخر لنا القمر وسخر لنا بقية الكواكب .. هذا التسخير يمتن الله سبحانه وتعالى علينا به .

والإستجابة لله فى هذا أن نسخر نحن الكون بأكمله .. أرضه وسماءه .. أن نسخر كل ما فى الكون .. أن نمتلكه .. أن نمتطيه .. أن نسيطر عليه .

أن نكون ملوكا فيه .

الإسلام على القمر :

يتساءلون .. هل هنالك موقف للاسلام من الوصول إلى القمر ؟ من غزو الكواكب ؟ من غزو الفضاء .

نعم . للاسلام موقف .. موقف إيجابى .

أوجب الإسلام ذلك قبل أن تتحدث أوربا عن هذا الغزو . إن الله سبحانه وتعالى سخر لنا جميع ما فى الكون .. وبين لنا أن هذه الكواكب إنما هي مخلوقات من مخلوقات الله .. لاتقديس لها .. ليست بمقدسة . وأن الواجب على المسلم إذا أمتثل أوامر الله سبحانه وتعالى أن يسخر ذلك .. أن يمتلكه .. أن يكون مالكا له .

العلم فى الإسلام أوسع دائرة من أن يكون علماً بالحديث .. أو بالفقه .. أو بالتفسير .

نعم .. إنه يتضمن كل ذلك ولكنه يتسع حتى يشمل العالم بأكمله وإذا قصرت الأمة الإسلامية فيما يتعلق بذلك فأنها تكون آثمة دينا وتكون آثمة إذا نظرنا إلى الوطن .

وطنيا ودينياً وإيماناً يجب أن تصل الأمة الإسلامية فى العلم المادى نفسه إلى أقصى مايمكن أن تصل إليه أمة فى العالم .

وقد كان هذا الحث على الجانب العلمى فى القرآن الكريم وقد كان له المتابعة من الرسول صلى الله عليه وسلم . ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث جامع يقول :

« من سلك طريقاً يبتغى به علماً نافعاً يسر الله له به طريقاً إلى الجنة ، وإن — الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ، وإن العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وأن العلماء ورثة الأنبياء ، وأن الأنبياء لم يورثوا درهما ولادينارا وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر » .

هذه الأشادة بالعلم فى القرآن وفى السنة جعلت أسلافنا يندفعون إلى العلم إندفاعاً قوياً وجعلت لنا حضارة علمية لاتزال نكتشفها شيئاً فشيئاً .

عندنا من العلماء مثلا «الكندي» وقد كان الكندي طبيباً وموسيقياً كان موسيقياً يعرف الموسيقى نظرياً وعملياً .. كان يعرفها نظرياً .. وكان يعزف أيضاً . وكان طبيباً .

وكان يمزج في العلاج بين العلاج المادي .. وبين الموسيقى .. كان حينما يكتب الروشتة للمريض يجعل فيها جزءاً من الموسيقى أيضاً إذا لزم الأمر .

يعني وصل به الأمر إلى أن كان يمزج بين العلاج المادي وبين الموسيقى وكان عندنا « ابن الهيثم » .

وابن الهيثم يعترف الجميع بأنه من أسس النهضة الأوربية الحديثة .. « بيكون » هذا الذي وضع المنهج الأوربي كان متأثراً تأثراً كبيراً « بابن الهيثم » .

وقد وضع ابن الهيثم النظريات فيما يتعلق بالضوء . . . وبالطبيعة وقد قارن العلماء الحديثون في أوربا وفي الشرق بين كتاب « بيكون الأول » .. « روجيه بيكون » بين كتاب « بيكون » في « البصريات وفي الأضواء » وبين كتاب « ابن الهيثم » و « بن الهيثم » سابق على « بيكون » قارنوا بين الكتابين .

وأعتقد الكثير منهم أن « بيكون » ناقل لكتاب « بن الهيثم » .. ناقل له إلى اللغة الأوربية وإن كان قد وضع اسمه عليه كمؤلف .

كان عندنا « جابر بن حيان » في الكيمياء . . كان عندنا من العلماء اندفعوا في آفاق الأرض .. شرقاً وغرباً يبحثون عن المعرفة في كل مكان .

وكان « ابن الهيثم » مثلا يرتفع فوق قمم الجبال .. ثم ينزل الى السهول ليضع نظرياته فيما يتعلق بالضوء وفيما يتعلق بالطبيعة . . وكان يجرى التجارب .

وهكذا كانْ الأمر فى كثير من علمائنا . هذا الوضع . وضع علماء الإسلام .

أنكرته أوربا فى المبدأ . لأن أوربا كانت دائماً متعصبةضد الشرق وضد الإسلام .. ثم أخذ علماءأوربا يعترفون به شيئاً فشيئاً .

وها هو أحد العلماء . « بريفولد » . فى كتابه .. « بنـاء الإنسانية » ، يعترف بأن السبب فى نهضة أوربا .. إنما هم العرب .. السبب فى نهضة أوربا فى المنهج .. هم العرب باعترافه .

والسبب فى نهضة أوربا من الجانب العلمى الموضوعى هم العرب أيضاً وأخذ هذا العالم يذكر بالأسانيد والوثائق فضل العرب على أوربا تحدث عن هذا الكاتب الدكتور « أقبال » وهو أول من عرف الشرق به فى كتابه « تجديد التفكير الدينى فى الإسلام » .

وإنتبه الناس إلى « بريفولد » وأحبوا أن يعرفوا أكثر عن هذه الشخصية التى أعترفت بفضل العرب والتى أشادت بهم .. والتى بينت بالوثائق أنهم أصل الحضارة الأوربية .. فكرس الأستاذ أبو النصر جانباً من وقته وأخذ يبحث عن كتاب « بريفولد » حتى وجد الكتاب وترجم كل ما يتصل بالعرب منه إلى اللغة العربية .. وهو موجود الآن .

هذه الدفعة القوية للجانب العلمى لايتأتى مطلقاً أن يقال فى جوها أن هنالك تعارضاً بين الدين والعلم .. بل الأمر بالعكس .

فالإسلام تبنى العلم ناشئاً وتطور به إلى الحدود التى وصل إليها فى الحضارة العربية :

التعارض بين الدين والعلم مسألة ليست فى الجو الإسلامى .. نشأت لأسباب معروفة فى أوربا .. تبنت بعض الجهات نظريات فيما يتعلق بالجانب

العلمى .. ولما ظهر خطؤها ثارت هذه الهيئات .. فنشأت فكرة التعارض بين الدين والعلم فى أوربا ولم تنشأ فى الشرق .

« أقرأ » كانت موجهة منذ المبدأ .. مبدأ الإسلام إلى الجانب العلمى القراءة .. الحياة كلها كما قلنا أن القراءة رمز لها .

باسم ربك :

الحياة كلها .. القراءة .. العلم . مشروط بشرط .! إذهب فى العلم ماشئت . وأذهب فى الحياة كيفما أردت .. هناك شرط واحد يقيدك .

.. .. أن يكون ذلك .. باسم ربك . أن يكون ذلك باسم ربك ..

فاذا ماكان ذلك باسم ربك ..

فهو نافع للانسانية .. نافع للوطن .. نافع للشرق .. نافع للغرب .. نافع فى كل مكان .

لماذا باسم ربك ؟

والملاحظة البسيطة .. أنا شخصياً . كنت أعتقد أن هذه الآية الأولى كان من المتوقع أن تكون ، أقرأ باسم الله الذى خلق » ..

والغرابة ألا تأتى الآية الأولى من القرآن بلفظ « الله » .. هذا اللفظ الجامع للأسماء والصفات بكل العام على الله سبحانه وتعالى .. تترك هذا وتأتى بلفظ « رب » .

ماهى الحكمة .. ؟

ماهو السر .. ؟ فى أن الآية الكريمة تترك اللفظ الجامع (الله) لتقول : « أقرأ باسم ربك » .

والحكمة فى هذا حكمة عميقة كما هو الشأن فى جميع ألفاظ القرآن «اقرأ» ونحن دائماً ننطق كلمة « اقرأ » بمعنى الحياة كلها . . « اقرأ باسم المربى » اقرأ باسم التربية الإلهية . . اقرأ فى إطار التربية الإلهية .

أنت قبل أن تدخل فى هـذا النظام الذى هو الإسلام حر فى أن تفعل ما تشاء . . أو تدع ما تشاء .

ولكن إذا دخلت فى النظام الإسلامي فالشرط الأول . . الشرط الأساسى الذى بدونه لايكون هناك إسلام .. أن تكون حياتك .. أن تكون قراءتك فى إطار التربية الإسلامية . . فى إطار تربية المربى .

يجب أن توطن نفسك منذ المبدأ إذا أردت الدخول فى هذا النظام أن تسير فيه فى إطار تربية المربى .

وإذن . . لابد وأن يكون كل أمر تأتيه . . وكل أمر تدعه .. يجب أن يكون فى إطار هذه التربية .

« فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » .

هذا هو شأن المسلم .. شأن المسلم أن يستجيب لله سبحانه وتعالى ..

أن تكون حياته باسم ربك . . قراءة باسم ربك فيما يأتى . . وقراءة باسم ربك فيما يدع . . فى الأوامر . . فى النواهي .

والإيمان الصادق يذهب إلى حد بعيد فيما يتعلق بقاعدة الإتباع . . بقاعدة القراءة باسم ربك .

يذهب إلى أنك لوصدرت فى عمل عن نفسك .. وكان هذا العمل فى نفسه حقاً . . فانه يكون مع ذلك فى الوضع الإيمانى الصادق عملا باطلا يكون عملا

خطأ ، لأن المفروض ألا تصدر عن نفسك دائماً وإنما تصدر عن الله سبحانه وتعالى .. وإنما تصدر عن ربك .

إذا ما صدرت عن نفسك فقد خرجت عن الوضع الصحيح حتى ولو كنت على صواب .. حتى لو كنت على الحق .. فانك فى هـذه الحالة إيمانيا فى الوضع الباطل .. فى الوضع الخطأ .. فى الطريق المنحرف .

ولمـاذا يجب أن تكون حياتنا باسم ربك .. أو أن تكون حياتك باسم ربك .. ؟

ما الذي يوجب هذا .. ؟

ولماذا لا تكون الحياة باسم « أفلاطون » وقد وضع جمهورية .. وضع نظاما للمجتمع سماه « الجمهورية » .. ؟

لماذا لا تكون الحياة باسم « أرسطو » .. ؟

لماذا لا تكون باسم « كارل ماركس » .. ؟

لماذا تكون باسم « ربك » .. ماهو الموجب .. ؟ ما هو الذى يضطرنا إلى أن تكون الحياة باسم « ربك » .. ؟

ولماذا لا تكون باسم فيلسوف آخر ؟

ويأتى فى هذه الآية الكريمة .. يأتى الدليل الطويل .. العريض الذى يوجب أن تكون الحياة باسم ربك وهو كلمة .. (الذى خلق) .

وذلك أن الذى خلق هو الذى كون كل خلية من الخلايا على الأخرى .. وهو الذى ركب كل ذرة من الذرات .. إذن .. هو الأعرف بك .. فاذا وضع لك تربية فانمـا يضع التربية المثلى التى تتناسب معك .. والتى تتناسب مع وضعك ..

« ألا يعلم من خلق » .

إنه يعلم كل ذرة .. كل خلية .. إنه الذى ركب .. إنه الذى خلق .. إن معرفة (أفلاطون) هي معرفة من الخارج .. من الظاهر .

وقد تخطىء .. وقد لا تكون على صواب .. ومعرفة أرسطو كذلك .. معرفتك بهم .. معرفة كل هؤلاء .. أو معرفتهم بك .. إنما هى معرفة سطحية ..

أما الذى خلق .. الذى ركب .. الذى كون فان تربيته تكون على علم .. وعلى علم شامل .. وعلى علم مطلق .. ومن هنا كان وجوب ..

« إقرأ باسم ربك الذى خلق » .

ضلالة الاستدلال :

هذه الآية الكريمة التى بدأ بها الله سبحانه وتعالى الوحى ليس فيها فى جوها العام شىء اسمه الاستدلال على وجود الله وهى بعيدة كل البعد عن جو الاستدلال على وجود الله .

ومسألة الاستدلال على وجود الله والتى كنا ننتظرها فى مبدأ الوحى .. والتى لم يكن مبدأ الوحى فيها (العالم حادث » و (كل حادث لابد له من محدث) .. لم يكن هذا هو أول الوحى .. أو هو آية فى الوحى .. أو آية فى القرآن ..

مسألة الاستدلال على وجود الله سبحانه وتعالى إنما هى انحراف ابتدعه الملاحدة وتشبثوا به .. الفطرة .. الطبيعة .. تعترف بوجود الله .

ومن الملاحظ عبر التاريخ أن الأنبياء جميعاً — إذا أمكن هذا التعبير — كانوا يأتون للحد من الاعتقاد فى وجود الله — إذا أمكن هذا التعبير —

بمعنى أن آدم عليه السلام أتى بالتوحيد .. ثم انحرفت الإنسانية من بعده .. انحرفت إلى ماذا .. ؟

إلى الإنكار .. ؟ كلا .. وإنما انحرفت إلى التعدد ، وأتى نوح عليه السلام بالتوحيد .. ثم انحرفت الإنسانية .. إلى ماذا .. ؟

إلى التعدد أيضاً . وطهرت الإنسانية تطهيراً كاملا في عهد سيدنا نوح عليه السلام وبقي من بقي على التوحيد الخالص .. ثم انحرفت الإنسانية فيما بعد إلى التعدد .

فانحراف الإنسانية كان دائماً إلى التعدد لا إلى الإنكار . فهذا الإنكار إنما نشأ نسبياً في العصور الحديثة ..

والله سبحانه وتعالى يقول : (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) .

اذا تصفحت الأناجيل لا تجد فيها مطلقاً ما يشير الى مشكلة اسمها مشكلة اثبات وجود الله .

واذا تصفحت التوراة حتى في وضعها الراهن لا تجد فيها مشكلة اسمها مشكلة اثبات وجود الله .

اذا تصفحت القرآن أيضا لا تجد فيه ذلك ، يتحدث القرآن عن صفات الله .. عن هيمنته .. عن علمه بخائنة الأعين وما تخفي الصدور .. عن علمه بكل ورقة تسقط .. عن علمه بالسر وما هو أخفى من السر .. عن ارادته الشاملة .. عن قدرته التامة .. ولكن ذلك ليس حديثاً عن اثبات وجود الله .

واذا كانت مسألة وجود الله مشكلة .. فما هو الشيء الواضح اذن ..

انتهى كل الوضوح .. وأصبحنا فى خفاء .. فى عماء مطلق إذا كانت مسألة وجود الله تحتاج إلى إثبات وتحتاج إلى دليل .

أن أمر وجود الله لايحتاج إلى دليل .. إنه أظهر من كل شىء . أوضح من كل أمر .

وإنما هى مسألة تلقفها الملاحدة فى كل بيئة وفى كل عصر وأرادوا أن يصنعوا منها مشكلة . ولكنها ليست بمشكلة .

يقول (ابن عطاء الله السكندرى) :

إلهى كيف يستدل عليك بما هو فى وجوده مفتقر إليك .. ؟

أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك ؟ ! متى غبت .. حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك ؟ ! ومتى بعدت .. حتى تكون الآثار هى التى توصل اليك .. ؟ !

.. كلا أيها السادة :

أن مسألة وجود الله سبحانه وتعالى لا تحتاج الى دليل .. أنها فطرة .. وانها بداهة .. وانها وضوح .. انها أوضح من كل شىء .. وانها أظهر من كل شىء .. وأقول لكم فى صراحة اننى عندما قرأت كلمات (ابن عطاء الله السكندرى) بلغت من نفسى مبلغا كبيراً . كبيراً جداً . ثم بعد ذلك سمعت قصة ساذجة .. فى غاية السذاجة .. ولكنها فى مظهرها الساذج فى غاية العمق . من أغرب ما يكون أن يصل صدق الإيمان الى هذه الدرجة .

وقبل بدء القصة أقدم مقدمة بكلمات يسيرة :

الإنسان منا حينما يسمع عن شخص أسدى إليه جميلا فأنكر هذا الجميل ..

فالإنسان منا يشمئز من هـذا الذى أنكر الجميل . . واشمئزاز الإنسان يرتفع ويقوى بدرجة قيمة الجميل الذى أسدى وصفاقة هذا الذى أنكر الجميل .

وكلما كانت الصفاقة كبيرة . . وكلما كان هـذا الجميل كبيراً . كان الاشمئزاز بالغاً حده الأعلي . . حد الإشمئزاز الأعلي . . ماهو . . ؟ هو التقيؤ .

أن يتقيأ الإنسان اشمئزازاً من أمر من الأمور . . هـذا هو الحد الأعلي للاشمئزاز .

ونبدأ إذن القصة :

القصة حدثت فى السودان .

شخص فى أطراف السودان . . فى عزبة . . أو فى واحة تكاد تكون منعزلة عن العمران إنعزالا كاملا .

فى هذه الواحة شخص صالح لم يخرج من هـذه الواحة أو هذه العزبة فى حياته قط . . هو ترى . . وهو بين مسجده وبيته .

الوجوه هي الوجوه . . والملابس هي الملابس . . والمشية هى المشية .

أوضاع معينة تحددت في ذهنه إلى درجة أنها طغت على التفكير فكان تفكيره فى العالم كله إنما هو على نسق مايراه من أشخاص معينين بلون معين بملابس معينة . . بمشية مخصوصة :

وبعد ذلك طرأ له طارىء . . لابد من أن يذهب إلي المدينة لأمر ما . . ولم يكن قد ذهب إلي المدينـة من قبل . . فأخذ معه أحد الأصدقاء الذين يعرفون المسالك ويذهبون إلى المدينة .

وبعد ذلك حينما أوشك أن يصل إلي المدينة رأى منظراً . . المنظر منظر عادى . ليس فيه خروج مطلقاً على أى وضع من الأوضاع . . هومنظرعادى

يمر عليه أهل المدينة فلا يعيرونه انتباهاً . . رأى منظر ضابط انجليزى . . استغرب .. لم يره من قبل .. ما هذا الكائن .. ؟ « يعنى شافه كده عامل وشه أحمر وأبيض وكأنه مصنفر ذقنه بالصنفرة . ؟ وشافه لابسا على رأسه بتاعة لا هى عمامة ولا هى طاقية ولا هو عارف أيه وصفها دى » ! .

« وبعدين محزق الملابس بتاعته كأن جسمه حينط منها .. وعلشان أيه بس الضيق دا كله » .

« ما هو يعنى لأول مرة حاطط البايب فى فمه .. برضه ما هواش عارف دا أيه . وبعدين أخذ يتصور فى ذهنه . . دا أراجوز . . دا بهلوان . . يعنى ما هذا الكائن الذى على هذا الوضع ؟ »

وسأل صاحبه : ما هذا ؟ فقال له صاحبه : هذا (خواجه) .

ولم تكن كلمة (خواجه) قد دخلت فى قاموس صاحبنا ، فقال له : (كافر) يعنى فسر كلمة (خواجه) بكلمة (كافر) .

الرجل اضطرب قليلا . . واتجه إلى صاحبه وقال له : أهو كافر بالله ؟

فقال له : نعم : فإذا بهذا الرجل الصالح يضطرب . . يضطرب جسمانيا . . ويضطرب نفسيا . . وإذا به يشمئز . . وإذا بهذا الاشمئزاز يتزايد ويتزايد . . وإذا به يتقيأ اشمئزازاً من الضابط الإنجليزى .

لم يكن الضابط الإنجليزى على قذارة من الناحية الجسمانية . . كان نظيفاً . . وكان مثل الورد . . وكان حلوا .

لم يكن على قذارة من هذا الجانب . وإنما تصورا مع هذا الرجل الصالح . أولا . . تصورا .

« وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » .

وتصوروا مع هذا : « وما بكم من نعمة فمن الله » .

وتصوروا هـذا الجحود المطلق .. الكفران بالله رب النعم .. مصدر النعم .. مصدر البصر .. مصدر السمع .. مصدر الوجود والوجود مجرد الوجود نعمة من كبريات النعم .. هذا المصدر .. يجحد .. ينكر .

إنه إنكار للجميل بلغ الغاية .. ولا يستأهل إذن من ينكر هـذا الجميل إلا الإشمئزاز إلى حد التقيؤ :

الملحد ليس هناك تجاهه إلا الاشمئزاز إلى حد التقيؤ .. هذه هى العاطفة الإيمانية فى صورتها لصادقة حقاً . الصور الصادقة للايمان ألا يكون موقف المؤمن بالنسبة للكافر بالله إلا موقف الإشمئزاز الذى يصل إلى حد التقيؤ .

اقرأ باسم ربك طريق النصر :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق » .

الإيمان الكامل التام .. والاستجابة المطلقة لله سبحانه وتعالى فيما أمر .. والاستجابة المطلقة لله سبحانه وتعالى فيما نهى : ماذا ينتج عن ذلك .. ؟

إذا قرأ الإنسـان باسم ربه .. إذا قرأت الأمة باسم ربها .. إذا قرأ المسلمون باسم ربهم حقاً .

فلابد من أن يتصلوا بالجهـاد بأوثق صلة .. والمؤمن إذاً مجـاهد فى سبيل الله .. مجاهد بنفسه .. ومجاهد بمـاله .. والقراءة باسم ربك جهاد فى الحياة .

جهاد للنفس حتى تستقيم .. وجهاد للأسرة حتى تستقيم .

« يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة »

فلم يقل الله سبحانه وتعالى :

« قوا أنفسكم » فحسب وإنما قال : « قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة » .

والإنسان مسئول عن أسرته . . ورب الأسرة مسئول عنها . . والأخ مسئول باعتباره أخاً . . وكل إنسان فى المجتمع مسئول عن المحيط الخاص الذى يحيط به .

جهاد للنفس حتى تتزكى . . وجهاد للأسرة حتى تستقيم . . وجهاد فى المجتمع حتى يستقيم المجتمع . . ولا بد من الجهاد فى المجتمع .

لا يتمثل فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من مبادىء الإسلام القوية الخالدة . . الدائمة . . الواجبة . . المفروضة .

ورسول الله ﷺ يقول : « ما من نبي بعثه الله فى أمة قبلى إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب . . يهتدن بهديه ، ويقتدون بسنته ، ثم إنهم تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون ، ويفعلون مالا يؤمرون من جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، من جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل .

هنالك جهاد اليد . . جهاد الحكام . . للمجاهرين بالمنكر . . بالكرباج وبالسجن وبالتنكيل وبالتعذيب . . وبكل طريقة من الطرق .

لأن المجاهر بالمنكر معاد لله ورسوله . . ومجاهر بالمنكرات يعلنها إعلاناً ، وهذا المجاهر بالمنكر لا بد من جهاده باليد . . أى جهاد الحكام للمنكر .

ولا بد من الجهاد باللسان للمجاهر بالمنكر . . ولا بد من الجهاد بالقلب .

ويعتقد بعض الناس أن الجهاد بالقلب إنما هو إذا رأى إنسان المنكر أن يقول : « لاحول ولا قوة إلا الله » وينصرف ! كلا .. ليس هذا جهاد القلب.

جهاد القلب واجب على الحكام وعلى العلماء وعلي جميع طبقات الأمة . . الأمة ؟ كيف يكون . . ؟

مثلا . . رأيت شخصاً يدخن الحشيش . . والحشيش حكمه معروف .

جمهور الفقهاء يقولون : « إن من شرب الحشيش مستحلا له فقد كفر .. لا يصلى عليه ولا يدفن فى مقابر المسلمين » وتنهاه .. مجاهر المنكر .. تنهاه . . فلا ينتهى . .

تأتى مرحلة الجهاد بالقلب . . كيف يكون . . ؟ إذا كان تاجراً . . لاتشتر منه ، وإذا كان هو الشارى .. لاتبعه ، إذا كان صديقاً تنفصل عنه .. لا تصادقه . . لا تؤاكله . . لا تشاربه .

إذا كان مرشحاً فى نقابة .. لا تنتخبه .

إذا كان مرشحا لمجلس الأمة .. لا تعطه صوتك .

يعزل عن المجتمع ..

هذا هو الجهاد القلبى حتى يستقيم المجاهر بالمنكر كأنه وباء خبيث فى الأمة يجب أن يعتزله جميع أفرادها حتى يعود إلى الاستقامة ويعود مواطناً صالحاً .. هذا هو الجهاد القلبى . إذا قرأت الأمة باسم ربها كانت مجاهدة .. ومن بعد ذلك وفى أثناء ذلك .. كانت مجاهدة الجهاد الحربى .

والجهاد الحربى فى الإسلام يجب أن يكون طابعاً للمسلم . شعاراً له .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة من النفاق » .

أى أن الشخص يجب عليه أن ينتهز فرصة الجهاد حينما تتاح له .. وإذا لم تتح له فرصه الجهاد فعلى الأقل يجب عليه ان يتمنى اتاحة الفرصة .. اما هـذا الذى لا يتمنى إتاحة الفرصة ولا يجاهد بالفعل فانه حينما يموت إنمـا يموت على شعبة من النفاق ..

وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الأعمال فقال في صراحة لا لبس فيها وفى وضوح لا خفاء فيه .

« افضل الأعمال ايمان بالله وجهاد فى سبيله » . فالجهاد فى سبيل الله فيما رواه الأمام البخارى والأمام مسلم يأتى مباشرة بنص حديث رسول الله ﷺ يأتى مباشرة بعد الإيمان .. مع الايمان .. فى الواقع ان الايمان يتضمن الجهاد الحربى .. وان هذا الذى يتخلى عن الجهاد الحربى حينما يدعوه الداعى رجل انتفى عن قلبه الإيمان .. حتى الذى يستأذن فى التخلف يصفه القرآن بأنه منافق .. وانه ليس فى قلبه الايمان .

الذى يتخلف .. الذى يستأذن .. الذى يتفق مع الأعداء او يتودد إليهم ايضا .. انتفى من قلبه الايمان واصبح فى مجال الكفر والعياذ بالله .

من يجد فى نفسه مودة .. مجرد المودة للاعداء فانه شخص أيضا انتفى من قلبه الايمان .. والاسلام يتحدث عن الشهداء .

تتحدث الاحاديث .. ويتحدث القرآن .. فى اسمى الصور عن الشهداء ..

فاولا .. ليس فى الاسلام تراخ .

« يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون » . وليس هناك احتمال ثالث ..

إنمـا هو الانتصار او الاستشهاد .. أما الاحتمال الثالث فلم يتعرض له القرآن ..

« ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون » .

ينتصر أو يستشهد .. وليس هناك احتمال ثالث :

أما النصر ، وإذا انتصر فله الجنة .

وأما الاستشهاد ، وإذا استشهد فله الجنة ايضا .

وقد جاءت أم حارثة إلى رسول الله ﷺ فقالت يارسول الله : ألا تحدثني عن حارثة إن كان في الجنة صبرت — وكان حارثة قد استشهد في إحدى الغزوات — إن كان في الجنة صبرت ، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه بالبكاء ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« يا أم حارثة إنها جنان في الجنة وإن أبنك أصاب الفردوس الأعلى » .

الشهداء هم في الفردوس الأعلى
وهم بجوار ربهم
وهم يتمتعون ويرزقون
على أعلى مستوى من الرزق
مادياً . . . . وروحياً

لا بد من الجهاد .. إذا قرأت الأمة باسم ربها .. إذا لم تجاهد .. فانها لا تكون قرأت باسم ربها واختتم المحاضرة بكلمة :

ماذا للأمة إذا قرأت باسم بها .. ؟

ماذا لها .. ؟

لها النصر .. ..

إن الله سبحانه وتعالى يتكفل بها ..

يتكفل بحمايتها ..

إذا قرأت باسم ربها فكانت .. عالمة .

وإذا قرأت باسم ربها فكانت .. مجاهدة .

وإذا قرأت باسم ربها .. فانطوت كلها فى اطار .

« اقرأ باسم ربك الذى خلق » .

فى اطار التربية الإلهية .

فان الله سبحانه وتعالى يتكفل لها بالنصر ...

رابعاً : تنظيم المجتمع

بعد الانتصار العظيم الذى حققه جيش مصر فى العاشر من رمضان المعظم سنة ١٣٩٣ ظهرت مشاعر طيبة نحو تطبيق الشريعة الإسلامية وظهرت فكرة إعادة تنظيم المجتمع .

وكانت العقلية المستيقظة لقضاة مصر هى أول من نادى بالعودة إلى الشريعة الإسلامية كأساس لتنظيم المجتمع .

ودعا القضاء الموقرون الأمام الأكبر الشيخ عبدالحليم محمود فألقى هذه المحاضرة :

بسم الله الرحمن الرحيم

« الاسلام وتنظيم المجتمع »

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله .

« ربنا لا تواخذنا إن نسينا أو أخطأنا . ربنا ولا تحمل علينا اصراً ، كما حملته على الذين من قبلنا . ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به . واعف عنا . واغفر لنا . وارحمنا . أنت مولانا . فانصرنا على القوم الكافرين » .

«القانون الإلهي والقانون الوضعي»

كل حضارة لها شطران : شطر مادي ، وشطر روحي ، أو معنوي ، أو نظري بحت .

ففيما يتعلق بالشطر المادي ، فهو هذا الشطر الذي يعتمد على الحس وعلى العقل ويعتمد على المنهاج السليم، وهو منهاج الملاحظة والتجربة والاستقراء.

وهذا الشطر يتطور ، ويرتقي ، ويتكون شيئاً فشيئا ، ويسير دائما في طريق الرقي، لأن هذا الشطر من الحضارة له مقياس يحسم به الخطأ والصواب ويحسم به الباطل من الحق .. وهذا المقياس هو التجربة ، فكل أمر يختلف فيه العقل أو الحواس ، التجربة تحسمه ، لأنها خير مقياس يصم الحواس ، ويلزم العقل .

ومن هنا فقد كانت الثمرة الدائمة للحضارة هي: الترقي الدائم ، وقد وصل

العالم الآن إلى القمر ، لأن التجربة المستمرة عبر أخطاء تم تلافيها أولا بأول أوصلت الدفع الصاروخى إلى التغلب على العوائق التى كانت تثيرها الجاذبية الأرضية ، واختلاف طبقات الجو ، من حيث الطبيعة والمناخ والتكوين .

وليس الأمر كذلك ، فيما يتعلق بالشطر الروحانى ، أو النظرى من الحضارات الإنسانية .

وأقصد بهذا الشطر النظرى : العقيدة والأخلاق ، والتشريع ، ونظام المجتمع .

هذا الشطر لم يصل بعد إلى الشأو الحاسم عن الرقى ، الذى وصل إليه الشطر المادى .. ومازال فيه مستمراً .. ربما لأن من خصائص النظريات العقلية أنها لا مقياس لها . ما هو المقياس الذى نقيس به الخطأ والصواب ، فيما يتعلق بالسلوك من ناحية العقل . . ؟ ليس هناك مقياس .

وعقليا ما هو المقياس الذى نقيس به الخطأ والصواب فيما يتعلق بالعقيدة؟

لا شىء .

وعقليا ما هو المقياس الذي نقيس به الخطأ والصواب فيما يتعلق بالمجتمع؟

لا شىء .

وعقليا ما هو المقياس الذى نقيس به الخطأ والصواب فيما يتعلق بالتشريع؟

لا شىء .

ولهذا ، فقد بقى هذا الشطر حتى الآن خلال تاريخ الإنسانية الطويل ظنيا . . يمكنك أن تثبته بأدلة ، هذه الأدلة يمكنك دائما أن تنفيها وأن تدعمها ثم يأتى آخرون فيهدمون العموم وينفون النفى . .

فأي مسألة من مسائل التشريع عقليا، هناك ما ينقضها ويعارضها وينكرها ويجعلها تتهافت أمام الأدلة وكل مسألة من مسائل التشريع فيها رأى معادى لرأى آخر .

ومنذ أيام (أرسطو) ومقياسه الذي هو المنطق ، والإنسانية تبحث بجهودها الخاصة عن مقياس للامور النظرية ، وللتشريع ، وللاخلاق ، ولغير ذلك .. ومنذ ابتداء العصر اليونانى قبل الميلاد والإنسانية تضع فى التشريع ونظم المجتمع وأخلاقياته نظما كثيرة ، وتشريعات شتى ، لا تستقر عليها سوى سنين أو قرون معدودات ، ثم لا تلبث أن تهجرها ..

ولنتوقف قليلا عند المفكر الفيلسوف الاغريقى (أفلاطون) ..(أفلاطون) هذا حاول أن يوجد تشريعات أو نظاما للمجتمع .. فألف (جمهوريته) كنظام للمجتمع متكامل .

لقد ، قسمه إلى طبقات ، واعتقد أن نظام الطبقات هو النظام الطبيعى فى العالم : فهناك الطبقة التى تتناسب مع الفكر في المجتمع ، وهناك طبقة العواطف وهناك طبقة الشهوات ، وقد سمى الطبقة الأولى . الطبقة الذهبية (طبقة رجال الفكر) .. وسمى الطبقة الثانية : الطبقة الفضية (طبقة الجنود) وسمى الطبقة .الثالثة : الطبقة النحاسية (التجار والصناع والزراع والعاملون فى الإنتاج).

حاول (أفلاطون) بعد هذا أن يضع نظاما لكل طبقة فحدد سن الزواج للفتاة ، وسن الزواج للرجل من كل طبقة .

ففيما يتعلق بطبقة الإنتاج مثلا .. حدد الزواج للفتاة فيما بين سن العشرين، وسن الخامسة والأربعين ، واعتبر الأطفال الذين تنجبهم الفتاة بين هذين السنين هم الأطفال الشرعيون فقط ، ولا شرعية لمن تنجبهم فى غير هذه السن

ويتركون فى العراء حتى يموتوا . . وفيما يتعلق بالرجل فقد اعتبر شرعية الأطفال واجبة فيما بين سن الرابعة والعشرين وسن الخمسين ، ومن هنا لا يتم الإنجاب إلا فى هذه الحدود وإذن فالأطفال الذين يولدون خارج هذه الحدود ما ذنبهم ؟ ذنبهم أنهم أتوا إلى الدنيا فى غير هذه السن المحددة !

وأما طبقة الجيش فينبغى ألا تتزوج — فى رأى « أفلاطون » — زواجا مستمراً .. ويجب ألا تمتلك شيئاً : لاملابس ،ولاعقار ، ولامال ، ولازوجة ولا أولاداً وإنما يأتون فى ليلة معينة ، ويعقدون زواجاً بالقرعة لمدة سنة .. والأطفال الذين يأتون ثمرة هذا الزواج يودعون فى مصحة ، أو ملجأ ، ويكونون أبناء الدولة ، فضلا عن هذا يرى أن الشاب الممتاز — جسيمياً وعقلياً — يتصل جنسياً بمجموعة كبيرة من الفتيات الجميلات ومنطقه فى هذا، كما يقول فى جمهوريته : نحن نعنى بالخيل ، فننجب منها سلالات ممتازة ، فلم لانعنى بالبشر ، مثلما نعنى بالخيول ؟

إن الشبان الممتازين صحياً وبدنياً .. يجب أن نأتى لهم بالنساء الممتازات صحياً ، وبدنياً ، وجمالياً ، ولانجعل بينهما قيوداً فى الإتصال الجنسى ، ثم نأخذ السلالة الممتازة الناجمة عن إتصالهما ، لتكون نواة لإرتقاء نوعية البشر فى الجمهورية .

ثم إن « أفلاطون » حدد الملكية : فلم يسمح للرؤساء وهم طبقة رجال الفكر ، أن يملكوا ، ولم يبحها كذلك — كما رأينا — للجند .. وإنما أباحها لرجال طبقة الإنتاج ، وبشرط أن يكون هناك حد أقصى للملكية ، لايتجاوز أربعة أمثال المتوسط . يعنى مثلا : إذا كان متوسط نصيب الفرد فى مدينة ما ، نصف فدان ، فيجب ألا يملك شخص أكثر من فدانين ، وفى جمهوريته : إذا ولد طفل مريض ، يعدم ! وإذا ولد طفل مصاب بعاهة يعدم، واذا ولد طفل مشكوك فى ذكائه يعدم .

وليس فى جمهورية «أفلاطون» مكان للشعراء والأدباء . .

ولقد دعى « أفلاطون » نفسه مرة لتطبيق جمهوريته ، فأخفق اخفاقاً كاملا ، ثم دعى مرة أخرى بعد سنوات فأخفق أيضاً اخفاقا كاملا .

ومضت الإنسانية — فى طريق التجربة والخطأ — تبحث عن تشريع يحكمها ، ويزيل خلافاتها ويقيل عثراتها . . وكان من تجاربها المثيرة فى هذا المجال مذهب « المزدكية » الذى استفحل أمره لدرجة أن ملك الفرس أتبعه ، وأعتنقه وطبقه . وهو مذهب يبدأ منطلقه الفكرى من سؤال مطروح هو : ما الذى أقلق الإنسانية وأرقها ، وأتعبها منذ فجر التاريخ ؟

وأجاب المذهب المذكور قائلا : المال .. والنساء .. ولكي نزيل قلق الإنسانية ، فلابد أن يكون هناك شيوعية كاملة في المال والنساء .

وصادف ذلك هوى لدى ملك الفرس ، فاتبع المذهب ، وذهب « مزدك » وأتباعه الى القصر ، وأحب الإتصال بنساء الملك وبناته ، وأخذ ولى العهد يتضرع الى « مزدك » ويرجوه ، فى أن يترك والدته ، وأخوته ، حتى لقد قبل قدميه ، وهو يتضرع اليه ، فترك « مزدك » أمه وأخوته .

ثم آل الملك الى ولى العهد فأتى بمزدك وقتله .

واندثرت تجربة انسانية أخرى ، تبحث عما تعتقد انه عدل ، وحق ..

واستمرت الإنسانية في بحثها القلق ، الذى تدفع ثمنه دائماً من اخطائها ..

فتأتى مثلا الى المذهب — « المانى » نسبة الى شخصية المفكر الفارسى « مانى » قال « مانى » : ان العالم فى ضيق دائم ، وكرب مقيم ، بسبب الصراع والجشع والعداوات والبغضاء المستشرية بين الناس ، فى سبيل اغراض

الدنيا ، وإذا كان الأمر كذلك فلم يستمر هذا العالم ؟ إن مجموعة من الرجس والقاذورات والشرور ، يجب أن تزول .

وخرج الفيلسوف العبقري من هذا السؤال برأى هو : إذا تطهر العالم من الناس فقد تطهر من البؤس ، والشقاء والشر .

ولكى يتم تطهير العالم من الناس ، فقد شرع « مانى » أن يمنع الزواج ، ويمنع الاتصال الجنسى .. وبهذه الطريقة لا يولد أطفال فى المجتمع ، ويموت الناس ويندثرون فى مدى سبعين ، أو ثمانين سنة ، وربما مائة ، وبهذا تتطهر الأرض من الرجس ، والضلال والشر .

واتبع « مانى » كثيرون ونقص النسل ، وكان فى هذا أضعاف للدولة .. وأتى به ملك الفرس وسأله عن مذهبه أمام حشد من الناس من أتباعه ، فراح « مانى » يحدثه بمنطقه عن مذهبه ، ويدعو إليه .

فقال له ملك الفرس: « مادمت ترى أن تطهير العالم من الناس ينهى الشقاء فيه ، فلنبدأ بتطهيره منك » وفعلا أمر بقتله ، وقتل أتباعه .

الاختلاف فى التشريع لا حد له ، فهناك تشريع شيوعى ، وهناك تشريع رأسمالى ، والشيوعية نفسها ملل ، ونحل فهناك شيوعية يمينية ، وهناك شيوعية يسارية ، وهناك شيوعية اشتراكية ، وهناك شيوعية معتدلة ، وهناك شيوعية متطرفة ، وغير ذلك .

وفى الرأسماليه يمين متطرف ، ويمين معتدل ، ويمين اشتراكى يسارى ،يحد نوعا من الملكية .

وبعض هـذه التشريعات الحديثة تلغى الأديان نفسها . « والصهيونيون » يعترفون علانية فى كتاب (برتوكولات صهيون) أنهم هم الذين رتبوا نجاح

« كارل ماركس » الذى خرج على العالم بأنه يجب أن يزول الدين ، ويجب أن تتطهر الإنسانية من الدين ، ومن فكرة الإله .

ووجد « كارل ماركس » من يتبعه وينشيء دولا على منهـاج مبادئه .. وليست أدرى : هل يمكن أن يكون دليل أقوى من ذلك على أن الإنسانية التى وصلت إلى الذرى فى حضارتها المادية ، قد توقفت فى بعض نواحيها ، ولم تتقدم خطوة واحدة ، من الناحية الروحية ؟ .

والخلاصة : أنه ليس هناك مقيـاس عقلى واضح ، أو مبين ، أو ثابت فى المسائل العقلية والنظرية والتشريعية يفصل بين الحق والباطل .. وإلا لما تقبلت بعض المجتمعات ، ونفذت أفكاراً تدعو إلى شيوعية النساء ، وشيوعية المـال ، وإلهاء الناس بالمسرح عن الله ، كما قال : « كارل ماركس » ، وفى هـذا يقول « سقراط » إن العقل الإنسانى بالنسبة للمسائل النظرية كلوح من الخشب ، يريد أن يعـبر به الإنسـان بحراً هائجاً ، لجج العواصف . .

ولهذا التعارض كان لابد من سفينة آمنة ، لا تغرق فى البحر بالإنسانية .. ولا تزعزعها العواصف والأعاصير ، ولقد نزلت الأديان هداية للعقل فى الجانب النظرى نزلت فى التشريع ، والأخلاق ، ونظام المجتمع .

ومن خصائص الوحى فيما يتعلق بالتشريع أنه هاد للعقل .. ولا يتأتى أن يكون هناك إيمان قط بدون الاعتقاد بأن الدين هاد للعقل .. ويكون خارجاً عن دائرة الإيمان من اعتقد غير هذا .

ونزل التشريع الإلهى معصوما ، وهذه قضية أخرى يؤمن بها كل مؤمن هذه العصمة يعبر عنها الله سبحانه وتعالى بقوله: «ومن يعتصم بالله ، فقد هدى إلى صراط مستقيم » .

وقال : « لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه . تنزيل من حكيم حميد » .

ومن خصائص التشريع الإلهى أنه يكف الإنسان — تماماً — عن محاولة الخروج عليه .. أما بالنسبة للتشريع الوضعى ، فاذا أنت وجدت فرصة للخروج عليه دون أن تضبط ، فلا جناح عليك ، ما دامت عين القانون لم تلمحك .. لدرجة أن بعض الفلاسفة المنحرفين مثل « نيتشه » الذى أشاد به « اليهود » وروجوا له ، يقول : إذا أمكنك أن تخرق القانون الوضعى ، بحيث لا تقع تحت طائلته فاهدمه ، إذا كان ذلك فى مصلحتك .. بشرط أن تكون ذكياً ، لا تقع تحت طائلته .

بتعبير آخر : إذا كنت تقود سيارتك بسرعة فائقة ، وصدمت إنساناً ، وقتلت بذلك النفس التى حرم الله بغير حق .. واستطعت أن تفر ، دون أن تضبط ، ودون أن يتمكن أحـــد من التقاط رقم سيارتك ، ونجوت من المحاكمة ، والعقاب .. فانك تكون « ماهراً » أو « شاطراً » لأن القانون الوضعى لم يضبطك .

أما القانون الإلهى فهو يكف الإنسان ظاهراً وباطناً ، بينما القانون الوضعى لا يكفه إلا ظاهراً . . فالله عليم بذات الصدور ، ولكن القانون الوضعى عليم بما يراه الشهود فحسب .

ومن خصائص القانون الإلهى : أنه حينما أعز الدولة التى طبقته .. وحينما غفل عنه ذل المجتمع الذى أدار له ظهره .. إما بالتناحر والبغضاء فيما بين الناس ، وإما باستذلال المجتمع للفقر ، أو للاستعمار ، أو للتخبط والهـــزيمة . .

طبقته الأمة الإسلامية فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وطبقته فى عهد

الصحابة ـ الخلفاء الراشدين ـ فكانت الأمة التى طبقت هذا القانون لا تغيب عنها الشمس ، وليس بمنكور قصة الخليفة الذى رأى سحابة فقال : أمطرى حيث شئت فسيأتينى خراجك.

طبقت الشريعة فطهرت النفوس ، وطهرت القوة ، وتم النصر . . وكان المسلمون يخوضون المعارك بروح الفداء والشريعة . . والإيمان . . وكانوا ينتصرون على أضعاف أضعافهم عدداً ، وعلى من هم أقوى منهم سلاحاً وعدة (كما حدث فى معركة القادسية مثلا) لأن جزءاً من حافز القتال هو إيمـان المؤمن بعدالة القانون ، الذى يحكمه ، والمساواة بينه وبين جميع الرعايا فى هذه العدالة ، ومن هنا يقبل على الموت والفداء سعيداً مستبشراً ، ساعياً إلى النصر أو الشهادة ، بدلا من أن يتباطأ أو يتخاذل ، وشعاره المضمر أو المعلن : « أذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا هاهنا قاعدون » .

وقد كان الحث على لزوم الشريعة حازماً :

« ومن لم يحكم بما أنزل الله ، فأولئك هم الظالمون » .

« ومن لم يحكم بما أنزل الله ، فأولئك هم الفاسقون » .

« ومن لم يحكم بما أنزل الله ، فأولئك هم الكافرون » .

« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ، ويسلموا تسليما » .

ما المانع من تطبيق الشريعة الإسلامية بدلا من القانون الرومانى ، وقانون « نابليون »؟.

حقاً : لمـاذا ؟

لقد انتصرت الأمة الإسلامية ، وعزت فيما سبق فى ظل إيمان ثابت وطيد

بالإسلام . . وكانت محترمة بين الأمم ، مهيبة الجانب ، قوية الشوكة ، طيلة تمسكها بالشريعة الإسلامية . . ثم بدأت تنهار شيئاً فشيئاً ، بعوامل الاستعمار لما انصرفت إلى الإنحلال ، والبعد عن الشريعة .

وجاء الاستعمار ، فكان من أهم أهدافه أن يستذلها عن طريق القضاء نهائياً — على شريعة الله واستبدالهـا بقانونه الوضعى ، وأتى بعشرات القضاة من بلاده ، بثيابهم المزركشة ، وشعورهم المستعارة ، ووقارهم المزيف ، ليحكموا بغير ما أنزل الله . . وباسم الحرية الشخصية قتلوا كرامة الإنسان ، بإباحة الربا ، والبغاء العلنى ، والمقامرة ، ما دامت غير مقترنة بالغش .

وقد حرص المستعمرون قبل أن يخرجوا من قطر من الأقطار بعشرين أو ثلاثين سنة أو بأكثر ، على أن يخططوا لمستقبلهم فى تلك الأقطار . . ولم يجدوا خيراً من أن يذيبو — نهائياً — طاقات الأمة ، التى يتركونها فى غمار ثقافتهم والتزاماتهم الفكرية ، ومقاييسهم الحضارية ، فيما يتصل بالسلوك والتشريع . .

فى أحد الأقطار الأفريقية حين أرادوا أن يجعلوها مواليه للغرب ، أخذوا خمسة وثلاثين ألف لقيط ويتيم ، وكفلوا لهم رعاية أسطورية فى ظل مذاهب تعادى الإسلام ، وخرجوا منهم المهندسين ، والأطباء ، والقادة والإداريين ، فلما خرج الاستعمار بجنوده ، بقى أبناؤه الروحيون هم الذين يقودون أفئدة تهوى إلى المستعمرين بمثلهم العليا ، وأساليبهم وأخلاقياتهم ، وترتبط بهم ، وتدور فى فلكهم .

فى مصر مثلا .. خرج الاستعمار بجنوده بعد أن زرع فيها مدرسة الحقوق التى كل نصيب الشريعة الإسلامية فيهـا ساعتـان من اثنين وعشرين ساعة فى الأسبوع .. وترك قوانين يخالف بعضها ما أنزل الله .. ولمـا تملكنا نظام سياستنا التعليمية لم تخرج عن قوانين « نابليون » والقانون « الرومانى »

والقانون « البلجيكي » .. والنتيجة أن المحامي والقاضي وعضو النيابة الذي يتخرج في كلية الحقوق في مصر ، وفي كثير غيرها من البلاد الإسلامية .. يخرج بعقلية أوربية ، وفكر أوربي ، وأنماط أوربية في القياس والتوجيه والمنطق ، وماذا يريد الإستعمار أكثر من أن يربط إليه أبناء أمة يتركها ، بهذه الطريقة ؟

الذي حدث شيء يستمر الإنسان في الحديث عنه في حسرة وألم ، يحزان في النفس .

حدث في غيبة التشريع الإلهي هذه الكثرة من جرائم السرقة . . ولو اتبع التشريع الإسلامي لما كانت هناك سرقة .

ولننظر إلى بلاد أخرى غيرنا بلاد حولنا تطبق شريعة الإسلام ، وحدود الله في جرائم السرقة .

في المملكة العربية السعودية مثلا .. قبل أيام الملك «عبد العزيز آل سعود» كانت هناك سرقة ، وكان هناك نهب وقتل .. وكان حجاج بيت الله الحرام يسيرون في حراسة الجيش .. لدرجة أن مصر كانت ترسل مع حجاجها كتيبة من الجيش تحرس الحجاج .

وجاء الملك « عبد العزيز » وأمر بتطبيق شريعة الله وحدوده .. فانتهت جريمة السرقة ، أو كادت تنتهي .. ولقد حدث أن زار السعودية منذ سنين قليلة وفد أوربي ، يضم مفكرين ، ومشرعين ، وفلاسفة من « إيطاليا » و « فرنسا » و « ألمانيا » .. وانبهر الوفد لسبق الإسلام في كثير من التشريعات ، فيما يتعلق بحقوق الإنسان .. بل واكتشف أن بعض مواده لم ترق إليها الحضارات الموجودة بعد .. ولكنه تساءل في نهاية الحوار الذي دار بينه وبين بعض علماء الإسلام السعوديين ، تساءل عن قطع يد السارق : أليس في ذلك بشاعة ؟ أليس في ذلك قسوة ؟

فقال العلماء السعوديون للعلماء الأوروبيين أنظروا إلى هذه الصحراء المترامية . . يسير فيها الإنسان وقد لا يسمعه فيها أحد ، أو يراه أحد ، أو يحس به أحد .

واملأوا سيارة من الذهب ، أو الفضة ، أو المال أو النفائس وانتقلوا بها فى الصحراء من مدينة ، إلى مدينة . . أو فاتركوها إذا تعطلت السيارة بها وسط الصحراء ، وهيموا على وجوهكم ، بحثاً عن المعونة ، ثم عودوا إلى السيارة تجدوا ما بها سليما لم تمسسه يد . . وقارنوا بين هذا وبين ما يحدث فى مدينة ، مثل « نيويورك » فى ساعة واحدة : كم من حادث سرقة ؟ وكم حادث قتل ؟ وكم حادثة اغتصاب ؟

وقال العلماء السعوديون : إنه فى مدى ثمانية عشر عاما ، لم تطبق حدود الله — فى قطع اليد — على أكثر من ستة أو سبعة على أكثر تقدير ، ولكن جريمة السرقة انقطعت تماماً .

وماذا حدث فى غيبة التشريع الإسلامى ؟ هذه الأنهار من الخمور !! والكثرة الكاثرة من الخبائث والمنكرات .

مصر بلد إسلامى ـ وما زالت الأقطار الأخرى تحسن الظن بمصر ـ لكن البعض فى هذا البلد يتباهى بانتاج البيرة والخمر .

فى الأسبوع الذى ذكرت فيه الجرائد أن مصر كسبت مليون جنيه من البيرة كتبت هذه الجرائد نفسها أن « السينما » خسرت ثمانية ملايين جنيه ، ثم يقولون فى تبرير إباحة الخمور إنما نبيح الخمور من أجل السائحين ، كل هذا هراء ، لا يأتى إلا من المنحرفين عقلياً ، وأخلاقياً ، وليس عندهم فكرة عن الآية الكريمة :

« ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض » .

يجب أن يعود التشريع الإسلامى : يعود لأمرين :

(١) الأمن على النفس ، والمال ، والعرض ، يتسنى ذلك حتى لمن لم يكن مسلماً .

(٢) استمرار النصر بتوفيق الله .

... حينما كان شعار الجندى المصرى « الله أكبر » فى حرب رمضان صمدت « الله أكبر » مبشرة بزمرة من المؤمنين ، انفصلت عن الانحراف ونطقت بكلياتها « الله أكبر » .

ولكن هذا النصر له قوانين لضمان استمراره إن الله سبحانه وتعالى ذكر قوانين النصر والهزيمة .

فاذا ما تخلينا عن الله سبحانه وتعالى ، تخلى الله عنا ، أما قوانين النصر فمنها :

« الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر » . كل بحسب موقعه فى المجتمع (أمر بمعروف ونهى عن المنكر) .

إذا انصرفوا عن ذلك فليس هناك ضمان لاستمرار النصر ، ليست المسألة مستحيلة .

هناك مطالبة من كثير من الطوائف .

وهناك بطبيعة الحال استجابة فى مجلس الشعب ، وإلا فلا يصح أن يكون ممثلا لأمة مسلمة .

ويكون لكم الفضل - أيها القضاة والمفكرون والزعماء في وضع القوانين التي يستمر بها النصر والأمن على المال والغرض والنفس .

ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم .

° ° °

وبعـــد :

فان أستاذية الشيخ عبد الحليم محمود لم تكن أستاذية بالإدعاء .

ولم تكن مدرسته ذلك الجيل الذى آمن بأفكاره النقية (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم) .

وإنما مدرسته الفكرية هى النقلة من :

(أ) التفيهق الفلسفى إلى إحياء السنة الإسلامية سلوكا .

(ب) ومن التنطع بعلم الكلام إلى تلك الحركة الإيجابية القائمة على الإيمان والخضوع لله تتجه فى كل صوب لتنتج : فى العلم ، وفى المجتمع ، وفى الجهاد الإسلامى .

(ج) ومن الجرى وراء أصحاب التبشير والاستشراق إلى الاعتصام بالكتاب والسنة قولا وفعلا .

(د) ومن الحيرة فى دهاليز مدعى الإصلاح إلى الوضوح فى بناء الإصلاح على العلم والإيمان .

لم تكن مدرسة الإمام الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود تلك الكتيبة الخاصة التى ألقت بكل ما تملك فى سبيل تحقيق الاتباع السلفى فكرة وسلوكا فى أنحاء شتى من العالم الإسلامى .

مع ضخامة الإنتاج العلمى الذى نعده بالأسماء فى آخر هذا الحديث .

ولكن مدرسة الشيخ عبد الحليم محمود هى تلك النقلة من عالم الخوف إلى عالم الأمن .

ومن عالم الحيرة إلى عالم الطمأنينة .

ومن عالم التبعية إلى عالم الإتباع .

ومن عالم الرياء إلى عالم رعاية حقوق الله .

ومن عالم الدنيا الظاهرة إلى عالم رضاء الله تبارك وتعالى .

وفى ذلك فليتنافس المتنافسون إن شاءوا .

جملة مؤلفات الإمام الأكبر

الدكتور عبدالحليم محمود

شيخ الأزهر

* في أحياء المفاهيم الإسلامية

١ ـ القرآن والنبي

٢ ـ الاسلام والإيمان

٣ ـ العبادة

٤ ـ الإسلام والعقل أو التوحيد الخالص

* في قضية التصوف

٥ ـ المنقذ من الضلال

٦ ـ المدرسة الشاذلية

* مع الرسول ﷺ

٧ ـ دلائل النبوة

٨ ـ الرسول ﷺ

٩ ـ السنة الشريعة

١٠ ـ الحج المبرور

١١ ـ في رحاب الأنبياء والرسل

٢٩ - المسيحية نشأتها وتطورها

٣٠ - محمد رسول الله ﷺ

* كتب مختلفة

٣١ - أجزاء من التفسير

٣٢ - فتاوى فى الأخلاق والمعاملات

٣٤ - أوروبا والإسلام

٣٥ - الحمد لله هذه حياتى

٣٦ - ابحاث ومقالات ومحاضرات
وأحاديث فى عدة مجلدات

* أعلام الفكر الإسلامي

٣٧ - السيد أحمد البدوى

٣٨ - سفيان الثوري

٣٩ - شمس الدين الحفنى

٤٠ - عبدالله بن المبارك

٤١ - الحارث المحاسبي

٤٢ - ابراهيم بن أدهم

٤٣ - أبو العباس المرسى

٤٤ - على زين العابدين

٤٥ - أبو مدين الغوث

٤٦ - سعد بن المسيب

٤٧ - أبو بكر الشبلى

٤٨ ـ أبو الحسن الشاذلى

٤٩ ـ أبو زيد البسطامى

٥٠ ـ الفضيل بن عياض

٥١ ـ بشر الحافى

٥٢ ـ ذو النون المصرى

٥٣ ـ الليث بن سعد

٥٤ ـ السهل بن عبدالله

٥٥ ـ عبدالسلام بن بشيش

* تحقيقات فى التراث

٥٦ ـ الرعاية لحقوق الله

٥٧ ـ اللمـــع

٥٨ ـ الفلسفة الهندية

٥٩ ـ التعرف على مذهب أهل التصوف

٦٠ ـ الرسالة القشيرية

٦١ ـ الطريق إلى الله أو كتاب الصدق

٦٢ ـ عوارف المعارف

٦٣ ـ غيث المواهب العلية

٦٤ ـ حكم ابن عطاء الله

٦٥ ـ لطائف المنن

* فى الرقائق والأدب السلوكى

٦٦ ـ السنة فى مكانتها وفى تاريخها
٦٧ ـ كيف يستقبل المسلمون
شهر رمضان
٦٨ ـ التصرف عند ابن سينا
٦٩ ـ وربك الغفور ذو الرحمة
(وهو آخر كتاب كتبه)

ثانياً: تجربته الشخصيّة

في نهاية الجزء الأول من الكتاب الذى نشرته دار المعارف لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الدكتور عبد الحليم محمود . « الحمد لله هذه حياتى » . تحدث عن تجربته الكبرى ويعنى بها هداية الله له .

لقد انتهى الإمام الأكبر من مدرسته الفكرية إلى أن :

١ — القرآن هادى للعقل .

وأن الفلسفة فاشلة في هدايته وفي وضع ميزان للهداية والمنطق وفي وضع ميزان للأخلاق .

٢ - وأن الإبتداع هو المطلوب شرعاً

وأن الاتباع هو المحذور منه شرعا كذلك .

٣ — وأن العمل هو طريق النجاة

وأن الكلام هو طريق الشقاء .

فقد هلك المتنطعون ..

ووضع رضى الله عنه فكرته السلفية في الإتباع فنقل حركة الإصلاح من التخبط وراء .

(أ) أدعياء الإصلاح .

(ب) ومن تقديس الذوات .

(ج) ومن الجرى وراء مدارس التبشر والإستشراق .

(د) ووضح أن الإسلام كاف فى تنظيم المجتمع وبلوغ البشرية به أقصى درجات التحضر .

لكنه رحمه الله مثل شيوخه من قبله :

مثل ابن عطاء الله السكندرى .

ومثل الإمام الغزالى .

لا يكتفى بالعلم عن العمل . ولا باليقين عن الوصول إليه فتجرد .

لقد تجرد من كل هوى

وتجردمن كل أذى

وتجرد من كل قبيح

والهوى ، والأذى ، والقبيح التى تجرد عنها هى تلك التى يعدها الناس كياسة أن اتبعوها أو حذقوها أو نالوا من ورائها خيراً .

أن تجرده يجره إلى :

(أ) التخلق بأخلاق الله عز وجل ورسوله الكريم .

(ب) والمجاورة لأوامر الله تبارك وتعالى .

(ج) وترك الإنتصار للنفس حياء من الله .

(د) وملازمة البساط بصدق البقاء مع الله .

وهذه الأسس تحتاج إلى :

(أ) تصفية كاملة للنفس كوسيلة .

(ب) وقرب ومشاهدة كغاية .

وذلك فى نظره بل فى تجربته يستحق تحقيق أمور منها :

١ — الإخلاص :

والمراد به هنا إخلاص الصديقين لا إخلاص الصادقين .

فاخلاص الصادقين لطلب الأجر والثواب .

وإخلاص الصديقين هو : وجود الحق مقصوداً به لا شىء غيره ، ولا شىء من غيره .

٢ — التوبة : فانها تسد أبواب العذاب .

(وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون)

٣ — النية :

ففى الحديث الشريف : « من صلحت نيته صلح عمله »[١] .

٤ — الطريق القصد إلى الله تبارك وتعالى ، وهو أربعة أشياء :

* الذكر وبساطه العمل الصالح .
وثمرته النور .

* التفكير وبساطه الصبر
وثمرته العلم .

* الفقر مما سوى الله إلى الله وبساطه الشكر
وثمرته المذيد منه .

* الحب وبساطه بغض شهوات الدنيا وأهل اللهو والعبث
وثمرته الوصل بالمحبوب وهو الله جل جلاله .

---

(١) رواه .

٥ — الخلوة : ودليلها :

فلما اعتزلهم، وما يعبدون من دون الله، وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا، ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق علينا.

وثمرة الخلوة :

كشف الغطاء

ونزول الرحمة

وتحقق المحبة

ولسان الصدق

٦ — الجهاد :

لتصحيح الإيمان والتوكل على الله والعبودية لجلاله.

وتصحيح الإيمان : يكون بالشكر على النعماء، والصبر على البلاء والرضا بالقضاء. وصحة التوكل : بهجران النفس السيئة، ونسيان الخلق كأصحاب قدرة فى النفع أو الضر، والتعلق بالملك الحق، وملازمة الذكر والثبات إذا عرض عارض يصد عن سبيل الله.

« يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا وأذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون » « الأنفال »

وتصحيح العبودية : يكون بوضوح الفكرة عن حقيقة الصفات الإنسانية. وهذه الحقيقة هى أنها فقر بالنسبة إلى الله تعالى ثم هى عجز بالنسبة إلى قوته جل جلاله.. وذلك فى مقابلة عزه وجلاله.

٧ - العبودية : وهى أمتثال لأوامر الله، واجتناب لنواهيه، ورفض للشهوات فمن وصل بتطهير قلبه عن الشهوات بكثرة الذكر فقد ظفر بخير عميم.

٨ — الطاعات : وهى ثمرة العبودية .. فالعبد الذى أكرمه الله بالعبودية يؤدى كل طاعة فى وقتها .. فلا تؤخر طاعة عن وقتها .

وللطاعات ثمرات هي :

العلم الزائد

والنور النافذ

والمحبة السرمدية

ومن أراد التوفيق اليها فعليه بالمطهرات في الأقوال وفى الأفعال والتبرى من الحول والقوة فى جميع الأحوال :

أما المطهرات فى الأقوال فهى :

سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وأما المطهرات فى الأفعال فهى : الصلوات الخمس :

الذين هم فى صلاتهم خاشعون (المؤمنون) ٢

الذين هم على صلاتهم دائمون (المعارج) ٢٣

الذين هم على صلاتهم يحافظون (المعارج) ٣٤

٩ — الذكر : ودليله

والذاكرين الله كثيراً والذاكرات (الأحزاب)

ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلا .

وفى البخارى من حديث قتاده : فيما يرويه رسول الله ﷺ عن ربه :

« يا ابن آدم ، إن ذكرتني في نفسك ذكرتك في نفسي ، وأن ذكرتني في ملأ ذكرتك في ملأ خير منه ، وإن دنوت مني شبرا دنوت منك ذراعا . . وإن دنوت مني ذراعا دنوت منك باعا ، وإن أتيتني تمشي أتيتك هرولة » .

وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ يقول الله تعالى :

أنا عند حسن ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني ، فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم وإن تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا ، وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة » .

والله جل جلاله يقول :

فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم[1] .

١٠ ـ الورع :

وهو نعم الطريق لمن عجل ميراثه وأجل ثوابه .

إذ الورع ينتهى به الأمر إلى الأخذ من الله وعن الله ، والقول بالله والعمل لله وبالله علي البينة الواضحة والبصيرة الفائقة .

فمن لم يزود بعلمه وعمله افتقارا لربه وتواضعا لخالقه فهو هالك .

١١ ـ الزهد : وهو : فراغ القلب عما سوى الرب تبارك وتعالى :

١٢ ـ التوكل : وهو : نسيان كل شيء سوى الله .

---

(١) راجع كتاب : فاذكروني أذكركم ، وفصل الذكر في كتاب العبادة جـ ١ وفصل الذكر والدعاء في كتاب المدرسة الشاذلية الحديثة .

والتوكل لا يكون إلا لتقى ، ولا تتم التقوى إلا لمتوكل .

١٣ - الرضا : وهو أن يلقى الإنسان بنفسه على باب الرضا وينخلع عن عزائمه وإرادته فيرضى بقضاء الله وقدره حلوه ومره .

١٤ - المحبة : وهي خاتمة بساط الكرامة . . وهي محبة تشغل المحب عن كل حب غير حبه .

ومن أحب الله وأحب لله . فقد تمت ولايته .

ويوم القيامة ينادى الله المتحابين فى جلالة قدسه .

أين المتحابون فى اليوم أظلهم بظلى يوم لا ظل إلا ظلى .

وأخذ الإمام الأكبر رضى الله عنه وأرضاه يمارس تجربته ، فأفرغ قلبه لله ووجه مشاعره كلها لرضوانه . . ووجه ماله إلى أصحاب الحقوق . . ونشر العلم فى كل البقاع . . وفتح باب الحنان لكل مستغيث،وحقق لكل طالب سؤاله ، وملأ جوف الليل صلاة كاملا أثناء النهار بالعمل الصالح والعلم النافع .

ولنستمع إليه وهو يتحدث بقلمه عن تجربته مع الهداية انه يقول :

وأقصد « بالتجربة الكبرى » « تجربة الهداية » ان الله سبحانه وتعالى يقول فى حديث قدسى :

«ياعبادى كلكم ضال إلا من هديته ، فاستهدونى أهدكم » .

ويقول سبحانه لرسوله الكريم : « إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء .

ونحن نمر بأمثال هذا الحديث الشريف ، وهذه الآية القرآنية الكريمة فلا نكاد نعيرها التفاتا . إنهم يقفون طويلا مرددين مع رسول الله ﷺ

فيما رواه الترمذى ؛ روى عن أم سلمة أنه كان أكثر دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان عندها : « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » ، ومعه صلى الله عليه وسلم فى قوله — فيما رواه الإمام مسلم : « اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك » .

وكنت أنا أحد هؤلاء الذين اتجهوا إلى الله يضرعون إليه بهذا الدعاء وأحب أن أسير مع الأمر من ابتدائه .

نشأت فى أسرة تتسم فى الظاهر والباطن بالتدين ، وكان والدى رحمه الله يفرض جو التدين فى إرادة لا تلين ، لقد تعلم فى الأزهر ثم استقر فى المقام فى القرية ، وكان معنياً بكل صغيرة وكبيرة من فروض الدين ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما كان يجد فى ذلك مقاومة ، ولا معارضة ، لقد كانت والدتى رحمها الله تسير على غراره وتتبع جو هواه ، فتسير فى تياره .

وحفظت القرآن الكريم فى كتاب القرية ، ثم دخلت الأزهر وكانت أمورى فى قراءتى ، وفى أفكارى تسير فى الجو العادى التقليدى .

ثم كانت النقلة المفاجئة إلى فرنسا .. ومن أول يوم حلت فيه قدماى أرض فرنسا : بدأت المفاهيم والمبادىء عندى تأخذ مجراها فى مختبر النقد والتفكير ، ولكنها كانت فى صورة هينة سهلة ، بل ويمكن أن أقول أنها لذيذة ، ومن أمثلة هـــذه الأمور الهينة أننى رأيت النشاط يدب فى جميع مجالات الحياة ورأيت السرعة ، وحب السرعة والحرص على السرعة فى كل مجال ، وفى كل مكان .

لقد رأيت الفتيات يمشين بسرعة ، ورأيتهن يتحدثن فى سرعة ، وجال فى ذهنى ما كنا نقرؤه عن وصف المرأة الجميلة ، وأن من سمات جمالها ما يقوله الشاعر عن مشيتها وعن حديثها :

« مشى القطاة ونطقها إيماء » .

وأخذت أوزان بين مفاهيم الشعراء القدماء فى الجمال ، ومقاييسهم فيه فى المشى والحديث وغيرها ، وبين ما أرى وأسمع ، واهتزت نوعا ما المقاييس القديمة . .

ورأيت الرجال أكثر سرعة وأكثر نشاطاً وحركة ، وبدأت الحياة وكأنها سرعة ونشاط وقفز ، وابتعاد فى كل ثانية عن الماضى ، واستئناف فى كل لحظة المستقبل ، وتجديد دائم لا يهدأ ولا يفتر قط ... وتذكرت عند ذلك وصف سيدنا عمر ، من أنه إذا مشى أسرع ، وإذا ضرب أوجع ، وإذا تكلم أسمع .

ونعمت فى اللحظات الأولى من وصولى بهذا الذوق الراقى فى كل شيء . وهذه النظافة التى تجدها أينما تسير : فى الشارع ، فى محلات البيع ، على وجوه الأطفال وعلى الملابس عند الكبار وعند الصغار .. وبهرتنى الحضارة الأوربية فى مظهرها هذا الخارجى الذى يتمثل فى النشاط والنظافة والذوق .

وكان هذا الانبهار يجعلنى أعود إلى المفاهيم الإسلامية فى النظافة ، وفى الجمال وأستذكر :

« أن الله جميل يحب الجمال » .

« وأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً » .

وقوله تعالى : « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق » .

وقوله سبحانه : « خذوا زينتكم عند كل مسجد » .

وأتذكر هذا التراث الإسلامى الضخم الذى يتصل بالنظافة والنشاط والذى يعيشه الغربيون فى صورة واقعية فكانوا فى هذا كأنهم مسلمون مثاليون .

وأعود من الأنبهار إلى الأسف علي ما عليه المسلمون في هذه المجالات مبتعدين عن الأوامر الإسلامية الصريحة .. ولكنى كنت أعود فأقول : هذا المظهر الخارجى ما دام مرتبطاً بالثقافة ودرجتها ومادام الإسلام قد حث عليه في قوة وما دمنا آخذين بأسباب الثقافة في عناية ظاهرة فاننا سنصل الى ما نرضاه ان شاء الله ، وكان هذا يجعل المجال الظاهر من الحضارة الغربية في تصوري ليس ببعيد المنال بالنسبة لنا نحن الشرقيين .

ودخلت الجامعة ، وبدأت الدراسة في علم الاجتماع وعلم النفس . . ومادة الأخلاق وتاريخ الأديان .. وكانت هذه المواد يتزعم دراستها وتدريسها الأساتذة اليهود ، أو الذين تتلمذوا على الأساتذة اليهود ، وكانت هذه المواد كلها تسير في تيار محدد ، هو : أنها علوم مجتمع ، أى أنها لاتتقيد بوحى السماء ولاتتقيد بالدين على أنه وضع إلهى ، فهى تدرس موضوعاتها على أنها ظواهر اجتماعية وظواهر انسانية .

وبدأنا فى الدراسة نسمع مختلف الآراء فى نشأة الدين ، ومختلف الآراء فى تفسير النبوة ، وينتهى الأمر برأى الأستاذ فى الموضوع .

وليس فى هذه الآراء — على اختلافها وتعددها — مايتجه إلى أن الدين وحى من السماء أو أن النبي موصول الأسباب بالسماء ، وإذا انتظرنا من الأستاذ أن يصحح الوضع فيدلى فى النهاية برأيه مثبتاً الألوهية والنبوة هادما للآراء الأخرى واصفاً لها بأنها ضلال إذا انتظرنا ذلك منه فاننا نكون واهمين ، فانه واحد من هؤلاء العشرات من الأساتذة فى هذه المواد وماشابهها المنغمسين فى تيار المادية .

لقد فسرت الجامعات الأوربية العلم على أنه القواعد التى تقوم على التجربة والملاحظة ، والتزمت أن تفسر وأن تشرح علم الاجتماع وعلم النفس

وجميع الظواهر فى الآفاق وفى الأنفس على هذا الأساس ، والتزمت ذلك أيضاً فى تاريخ الأديان .

هـذه العلوم بالذات وفروعها تتكاتف لتقود الإنسان متعاونة متساندة إلى الإلحاد .

إن للدين — فيما يزعمون — نشأة إنسانية اجتماعية ، وقد تواضع الناس على سلوك معين سموه « فضيلة » ، وعلى سلوك آخر سموه : « رذيلة » .

ودراسة الدين والأخلاق إذن تتجه إلى النشأة والمظاهر وعوامل التطور وظواهر التطور ، وليس للسماء فى الدراسة من نصيب ، اللهم إلا الوصف لظاهرة نشأت فى المجتمع وكل الظواهر والمظاهر فى هذه الدراسات اعتبارية نسبية متغيرة متبدلة لا تثبت على حال ، ولا تستقر على وضع ، لأنها فى كل يوم تتبدل حالا بحال .

وهذه الأفكار تتكرر فى هذه المواد : تسمعها فى علم الاجتماع ، وتسمعها فى علم النفس ، وتسمعها فى دراسة مادة الأخلاق ، وتسمعها فى دراسة تاريخ الأديان ، وتسمعها فى دراسة العلوم المتفرعة من كل ذلك .

والشاب الذى انتقل من الأقسام الثانوية إلى الجامعة يتأثر بأستاذه ، فاذا كان الأساتذة متكاتفين على هدم القيم الثابتة ، والمثل العليا التى يقررها الدين ، وتقررها الأخلاق — إذا كان الأمر كذلك — فان الطالب الذى يعيش فى أجواء تتعاون كلها على هدم عقائده ومثله وقيمه ينتهى به الأمر فى الأغلب الأعم من الحالات بأن تنهار هذه القيم فى شعوره .

ومن هنا كانت الظاهرة التى تجدها فى طلبة الجامعات فى أوربا من الاستخفاف بكثير من العقائد ، وبكثير من القيم . وينتهى الطالب بالإلحاد ، أو على أقل تقدير بالإيمان الذى لا فاعلية له ، ولا تأثير له فى سلوك الإنسان .

وكنت — من غير ما شك — أضيق بكل ما يجرى فى هذه الدراسات ، ولكن الله سبحانه وتعالى ألهمنى التفكير فى قيمة وآراء الأساتذة أنفسهم فى هذه المواد .

وبدأت العمل بين عالمين من المعرفة عالم الماديات كالطب والطبيعة والكيمياء وهي أمور تحكمها التجربة ولا تتعارض مع الدين ، ولا اختلاف فيها . وعالم التفكير المجرد فى الدين والأخلاق والمجتمع .

وأخذت أدرس فى أناة هذا الجانب الخير من الزاوية التاريخية ، فوجدت أنه منذ أن بدأ التفكير بدأ فى اللحظة الأولى الاختلاف فيه ، وبدأ كل زعيم من زعمائه ينتقد الآخرين فى عصره وكل مفكرى عصر ينتقدون المفكرين فى العصر السابق عليه ، وهكذا الأمر .

وما من شك فى أن هؤلاء الأساتذة الذين يدرسون لنا ينتقد بعضهم بعضاً فى آرائهم ويخطىء بعضهم بعضاً ، كما ينتقدون السابقين عليهم ويخطئونهم . وسيصنع من بعدهم فيوجهون إليهم النقد ويخطئونهم ، وهكذا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

لقد أخذ « دوركايم » اليهودى يعمل بمعاول هدامة فى كل القيم والمفاهيم الدينية والأخلاقية ، وأخذ تلميذه الأكبر اليهودي ، ليفى بروهل ، ينهج منهجه ويسير على طريقه في علوم الاجتماع وفي علم الأخلاق ، وكتاب ليفى بروهل « الأخلاق وعلم العادات » — مثل واضح لهذا النوع من القيم ، ومحاولة القضاء على كل المثل ، وعلى ايجاد الضغائن والفتنة بين مختلف فئات الشعوب ، والثمرة التى يعملون دائبين على الوصول اليها أن يكون المجتمع شاكا مليئاً بالفتن وذلك سبيلهم إلى السيطرة .

إن اليهود يهدفون من وراء كل ذلك إلى السيطرة على العالم ، وألا تقف فى وجههم قوة من إيمان أو قوة من خلق . ومن أجل ذلك تكاتفوا على أن

تكون لهم الكلمة الأولى فى الجامعات هناك فى علم الاجتماع وفى علم النفس وفى مادة الأخلاق ، وفى تاريخ الأديان ، ولم يكن من السهل على أثناء هذه الدراسة الاستمساك الواثق بالقيم والمثل التى نشأت عليها ، ولولا عون الله سبحانه وتوفيق منه ، لصرت كواحد من هؤلاء الألوف الذين يدرسون فى الجامعات الأوربية ، ثم يخرجون منها ، وقد تحطمت فى نفوسهم المثل الدينية الكريمة .

وانتهيت من هـــذه الدراسة ، ثم كانت المرحلة التالية وهى مرحلة « الدكتوراه » .

* * *

بعد تجارب هنا وهناك فى مجالات مختلفة من الموضوعات ، وبعد تردد بين هذا الموضوع أو ذاك — هدانى الله — وله الحمد والمنة — إلى موضوع التصوف الإسلامى .

ولم يكن ذلك مصادفة ، وإنما هى هداية وتوفيق من الله سبحانه وتعالى وهى عناية أعجز عن شكر الله سبحانه وتعالى عليها .. وانغمست فى العنصر الأساسى فى موضوع الرسالة ، وهو دراسة الحارث بن أسد المحاسبى .

انغمست فى جو مجموعة من المخطوطات لهـذا العالم الكبير ، والصوفى المستنير ، ورأيت أنه قد مرت به هو الآخر فترة من الضيق لاختلاف الآراء وتفرقها والحيرة فى أيها الأحق وأيها الأصوب ؟ . ثم هداه الله سبحانه الى الطريق الأقوم .

ووجدت فى جو الحارث بن أسد المحاسبى الهدوء والطمأنينة ، ولكنه ليس الهدوء السلبى ، أو الطمأنينة المعتزلة المنطوية على نفسها ، ولكنه هدوء اليقين وطمأنينة الثقة بما يعلم .

فقد ألقى بنفسه فى معترك المشاكل التى يثيرها المبتدعون والمنحرفون ، وأخذ يصارع مناقشاً ومجادلا وهادياً ، ومرشداً ، متخذاً الأساس الأصيل ، والمصدر الأول : القرآن والسنة ، متخذاً ذلك مقياساً وحاكما متحكما فى كل ما يقال أو يفعل .

وانتهيت من دراسة « الدكتوراه » وإذا بى أشعر شعوراً واضحاً بمنهج المسلم فى الحياة ، وهو منهج « الإتباع » .

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كلمة موجزة عن هـذا المنهج هي إعجاز من الإعجاز ، انه صلى الله عليه وسلم يقول : « اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم » .

وهى كلمة حق وصدق ثرية بالمعانى الطويلة العريضة ، يبرهن آخرها على أولها والنهى فى وسطها يبرهن عليه أيضاً آخرها : أى اتبعوا فقد كفيتم ، والكافى سبحانه وتعالى الذى أوحى بالمبادىء والأصول والقواعد ، وطبق رسول الله ﷺ ذلك وبينه ، فكان تطبيقه مقياساً وبياناً ومرجعاً يرجع اليه المختلفون : ولا تبتدعوا فقد كفيتم : ان الذى يبتدع هو من لا كفاية له ، ولكن الله سبحانه وتعالى بعد أن أكمل الدين ، وأتم النعمة ، فليس هناك من مجال ولا من حاجة الى الابتداع .

لقد كفانا الله ورسوله ﷺ كل ما أهمنا من أمر الدين .

وبعد أن وقر هذا المنهج في شعورى واستيقنته نفسى ، أخذت أدعو اليه: كاتبا ومحاضراً ومدرساً ، ثم أخرجت فيه كتاباً خاصاً هو كتاب: «التوحيد الخالص » ، أو « الإسلام والعقل » .

ومافرحت بظهور كتاب من كتبي مثل فرحي يوم ظهر هذا الكتاب لأنه هو

خلاصة تجربتي في حياتي الفكرية . وكل ما كتبته عن التصوف ، وعن الشخصيات الصوفية ، فانما يسير في فلك هذا المنهج ، منهج الاتباع .

وهذا المنهج يفترض :

١ — مقاومة الغزو الفكري ، والغزو الفكري له مجالات مختلفة ، هناك الغزو الفكري في العقائد ويتمثل في كل هذا التراث الضخم الذي نقل إلى اللغة العربية فيما يتعلق بما وراء الطبيعة ، وهو تراث مختلف متعارض ، بل ومتناقض ، وهو نتاج بشري بكل ما يتسم به النتاج البشري من خطأ وضلال .

٢ — والغزو الفكري في نظام المجتمع الذي حاول أن يفرض علينا نظام المجتمعات الأوربية ، وإذا نحن سرنا في تياره ، فاننا نصبح ولا شخصية لنا ولا ذاتية ونصبح وقد فقدنا رسالتنا التي كلفنا بتبليغها للناس ونشرها ، وهي رسالة الإسلام التي من أجلها كانت الأمة الإسلامية وبدونها تصبح الأمة الإسلامية ولا مبرر لها .

٣ — والغزو الفكري في مجال التشريع : وهذا الغزو الفكري في مجال التشريع توجد أسسه وأصوله بصورة مشروعة في مختلف الأقطار العربية ممثلة في كليات الحقوق التي تنفق عليها الدولة وتعتمد شهاداتها .

وكليات الحقوق تلك دراستها غزو فكري ، واستعمار فكري ، ودراستها أثر من آثار الاستعمار التي لم تزل بعد أن زال الاستعمار .

وإذا كانت الأمم الواعية تحاول جاهدة أن تتخلص من وصمة الاستعمار بما فيها من شرور ورجس وآثام ، فان الكثير من الدول العربية لم تحاول أن تتخلص من وصمة الاستعمار الصارخة الواضحة الممثلة في هذه الكليات

إن هذه الكليات تخصص عشرين ساعة في الأسبوع للقوانين الأوربية أى للفكر الأوربى في التشريع ، وتفرض على الطالب أن يذاكره ويستوعبه ويحفظه ويتمثله ، وينجح فيه فى الامتحان .

أى أنها تفرض على الطالب أن يستحضر فكر الأوربيين فى مجال التشريع وأن يلغى ذاتيته الإسلامية فى هذا المجال ، وأن يكون تابعاً للأوربيين فى هذا المجال مقلداً لهم ، تجره عجلاتهم مستسلماً لغزوهم .

وبينما تخصص هذه الكليات عشرين ساعة أسبوعياً للفكر الأوربى فى التشريع إذا بها تخصص ساعتين فقط للتشريع الإسلامى .

ولو أن هذه الكليات فى فرنسا أو فى انجلترا لما فعلت أكثر من ذلك . ومنهج الاتباع إذن يقتضينا أن ننظر فى جد فى أمر هذه الكليات لتمثل الوطنية والإسلامية والعروبة .

وبعـــد :

فان منهج الإتباع هو الخلاصة الجوهرية للتجارب الخاصة بالطريق الذى ينبغى أن يسلكه المسلم فى حياته ، وإذا سار فيه المسلم فرداً ، أو سار فيه المجتمع مجتمعاً ، فان الله سبحانه وتعالى يكتب له الهدوء والطمأنينة والسعادة لأنه يكون فى جو ربانى ملىء برعاية الله سبحانه وتعالى وعنايته .

« ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم » .

هذا وبالله التوفيق !

* * *

وفى سبيل نشر هذه التجربة كتب رحمه الله تعالى عديداً من الكتب التى تدعو المسلمين إلى سلوك الطريق الى الله ، وراح فى بسط فياض يشرحها هنا وهناك ، ويعلنها ويحث عليها ، فقد كانت ثمرة التجربة بركات يحسها فى عمق شعوره وفيوضات ربه فنقل — رحمة الله عليه — مفهوم السلفية من معتركه الكلامى الى ساحات المساجد والصدقات والبر والطاعات والخضوع لله رب العالمين . فكانت النهضة العارمة فى نشر المعاهد الدينية وعديد من الكليات فى المحافظات . كما كان بيته موئلا لكل طالب ويده مبسوطة بالخير لكل محتاج ونفسه رضية بكل ما قسم الله .

وأوجز فكرة عن الاتباع الذى هو السلفية السلوكية ، أو هو السلفية المطلوبة اسلامياً فى حياتنا المعاصرة هو حديثه عن السجود لله رب العالمين . .

والاتباع هو :

السجود لله رب العالمين

• يروى الأمام مسلم ، رضى الله عنه ، فى صحيحه : عن أبى فراس ربيعة ابن كعب الأسلمى — خادم رسول الله ﷺ ، ومن أهل الصفة — رضى الله عنه ، قال : « كنت أبيت مع رسول الله ، ﷺ ، فآتيته بوضوئه وحاجته »

فقال : سلنى .

فقلت : أسألك مرافقتك فى الجنة .

فقال : أو غير ذلك ؟

قلت : هو ذاك .

قال : « أعنى على نفسك بكثرة السجود » .

والسجود إذن : مما يعين على ترويض النفس ، لتتزكى ، وهو بذلك من الوسائل التي توصل إلى الجنة .

وفى هذا المعنى ، يروى الأمام مسلم أيضا : عن أبى عبدالرحمن : ثوبان مولى رسول الله ﷺ ، قال :

سمعت رسول الله ، ﷺ ، يقول : « عليك بكثرة السجود ، فإنك لن تسجد لله سجدة ، إلا رفعك الله بها درجة ، وحط عنك بها خطيئة » .

والسجود الذى يريده رسول الله — صلوات الله عليه — فى هذه الأحاديث

ليس هو مجرد الحركة المعروفة ، وانما هو — مع هذه الحركة — : المعنى العميق في النفس الذى يتمثل فيه جلال الله وعظمته ، ورحمته ووده ، ويتمثل فيه الخضوع لهـذا الجلال ، وهذه العظمة ، والانقياد المطلق لرحمة الله التى تتمثل فى الرسالة الإسلامية : أوامرها ونواهيها .

ذلك أن الرسالة الإسلامية ، فى تكاليفها سلبا وايجابا ، انما هى رحمة للعالمين يقول الله تعالى لرسوله صلوات الله عليه :

« وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين(١) » .

فاذا ما كان السجود تعبيراً عن التضاؤل والتذلل — وذلك معناد الصحيح — كان ذلك عبادة ، وخضوعا لله — سبحانه وتعالى — وكان بذلك سبيلا إلى الجنة ، وإلى أكثر من الجنة ، وهو القرب من الله ، ويقول الله تعالى فى كتابه العزيز « واسجد واقترب » .

ويقول ، صلوات الله عليه ، فى هذا المعنى :

« أقرب ما يكون العبد من ربه ، وهو ساجد » .

ولقيمة السجود الكبيرة .. عبر عن الصلاة أحيانا بالسجود ، فصلاة الضحى يسمونها « سجود الضحى » .

ومن أجل هذه القيمة أيضا ، مدح الله من يعبرون عن خضوعهم لآياته واستجابتهم لأمره ، بقوله تعالى :

« انما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجداً وسبحوا بحمد ربهم ، وهم لا يستكبرون »(٢) .

---

(١) الانبياء : ١٠٧ (٢) السجدة : ١٥

والذين هداهم الله ، واجتباهم :

« إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكيا »[1] .

ومن صفات عباد الرحمن ، التي يزكيهم بها أنهم :

« يبيتون لربهم سجداً وقياماً » .

ه على أن حادثة من الحوادث قصها القرآن في غير ما موضع منه ، تبين لنا كثيراً مما نتحدث به من المعاني الخاصة بالسجود ، تلك هي حادثة آدم والملائكة :

« وإذ قال ربك للملائكة : إني خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون فاذا سويته ، ونفخت فيه من روحي ، فقعوا له ساجدين » .

بهذا النبأ ، حدث الله الملائكة عن عالم جديد من عوالمه سيبرؤه سبحانه ، وأمر الملائكة أن يسجدوا له .

« فسجد الملائكة كلهم أجمعون » .

لم يشذ منهم أحد .

وكان من بينهم — مختلطا بهم — ابليس ، وهو كائن يختلف عن الملائكة وعن الإنسان ، أنه من فصيلة الجن .

كان يعبد مع الملائكة ، ويسبح معهم ، حتى لقد كان يلقب (بطاووس العباد) لكثرة عبادته وتفانيه فيالعبادة ، ولكنه لما سمع الأمرالإلهي بالسجود

---

(١) مريم : ٥٨

لم يسجد : لقد أبى ، والاباء ضد السجود ، واستكبر ، والاستكبار ينافى الخضوع . ويتحدث القرآن عن ذلك فى صراحة فيقول :

« إلا ابليس أبى أن يكون مع الساجدين » .

ويقول سبحانه أيضاً :

« إلا ابليس استكبر وكان من الكافرين » .

هذه قصة معروفة ، نمر عليها فلا نكاد نعيرها التفاتا ، بيد أنها جديرة بالتأمل والاعتبار ، والقضايا التى نريد أن نذكرها عظة واعتباراً ، وهي فى نفس الوقت ذات دلالة عميقة هي ما يلى :

١ — لقد صدر أمر إلهى بالسجود ، فاستجاب له طائفة، فنعموا برضوان الله وشذ فرد ، فطرد من رحمته سبحانه .

٢ — أنه طرد لأنه لم يستجب للأمر الإلهى مع علمه بأنه أمر إلهى .

٣ — كان عدم استجابته ناشئا عن كبرياء فى نفسه ، وعن تمرد فى نطرته.

٤ — لم تلغ عبادته كبرياءه ، فهى إذن لم تكن خضوعاً ، لأنها لو كانت خضوعا ، لنفت الكبرياء وأزالته ، إنها إذن لم تكن عبادة بالمعنى الصحيح ، لأن العبادة والكبرياء : لا يجتمعان .

٥ — هذا الكبرياء ، كما تمثل فى مخالفة الأمر الإلهى ، تمثل فى المحاولة التى أراد هذا المتمرد أن يبرر بها موقفه ، مستنجدا بمنطقه وعقله قائلا :

« أنا خير منه ، خلقتنى من نار وخلقته من طين » .

ولم يكن هذا إلا منطق الهوى ، ومنطق الكبرياء ، فسجوده لآدم ، ليس عبادة له وإنما عبادة لله ، لأنه خضوع لأمر الله ، وحسب .

٦ –– والموقف السليم، إذن ، هو ما يرشد اليه روح القصة ، بل وتعبيرها من أنه عند الأمر الإلهي : يجب أن تكون الاستجابة فورية ، وربما كان هذا هو ماترشدنا إليه في صراحة كلمة : « إذ « في قوله تعالى » ما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك » .

وهذه الفورية طبعا هي في كل أمر بما يناسب وضعه الزماني والمكاني .

٧ – والقضية التي نختتم بها هذه القضايا ، أو هذه المفاهيم المستنتجة من القصة هي : أن الله اذا كان قد أمر الملائكة والجن بالسجود للانسان الأول فليس معنى ذلك الا التصريح الصريح، بأن طبيعة هذا الإنسان فيهاالاستعداد الكافي للرقي في مدارج السمو الروحي ، درجة فدرجة ، حتى تسمو على الملائكة وعلى الجن ، ولا معنى اذن بعد هذا الأمر الإلهي للملائكة والجن بالسجود للانسان ، لأن يختلف علماء الاسلام في المفاضلة بين الإنسانوالملك.

ذلك أن الفيوضات الإلهية على الإنسان لا تنتهي الى حد :

« ما وسعني أرضي ولا سمائي ، ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن » .

باب الفيوضات الإلهية اذن : مفتوح على مصراعيه ، والقرب منه ميسور واذا ما سجد الإنسانلله ، رفعهالله اليه ، وقربه منه،وغمره برضوانه.

أما المبدأ الهام ، الذي نريد أن يجعله كل مؤمن نصب عينيه ، فهو أن الإيمان ليس معرفة وحسب : ذلك أن إبليس كان يعرف أن الله موجود ، وقد عرف فيما بعد أنه أرسل نوحاً وإبراهيم . . ومحمداً عليه الصلاة والسلام . أنه يعرف أن لا إله إلا الله ويعرف أن محمداً رسول الله . ويعرف أن عيسى وموسى وبقية الأنبياء رسل الله ومعرفته بهذه المسائل هي من القوة والثبات بحيث تزيد على معرفة كثير من المؤمنين .

ولكنه مع ذلك مطرود من رحمة الله : ذلك أن الإيمان ليس معرفةفحسب

وإنما هو خشوع واستجابة : انه سجود ، فاذا لم يتأت السجود فلا ايمان . يشهد لذلك قوله تعالى :

« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليماً » .

لقد كان سعيد بن جبير رضى الله عنه يقول « ما آسى على شيء من الدنيا إلا على السجود » .

أما على بن عبد الله بن عباس ، فقد كانوا يسمونه « السجاد » لكثرة سجوده . وقد كان يكثر من السجود — كما هو المتبادر إلى الذهن — ليكون على النقيض من ابليس .

ونختتم هذه المعانى بقول الله تعالى ، يصف الذين مع رسول الله ﷺ معه فى حال حياته ، وعلى مبادئه الإلهية بعد وفاته :

« سيماهم فى وجوههم من أثر السجود » .

إنه النور الذى يشرق على جباههم ، لسجودهم لله ، وهو الغرر التى ستكون فى وجوههم يوم القيامة من أثر خشوعهم لله .

* ويتنافى السجود لله مع محاولة تحكيم العقل فى أوامره ، سبحانه وتعالى أو نواهيه ، وكل محاولة من هـــذا القبيل ، إنما هى : كبرياء ، وهي : إبليسية .

وإذا كان لإبليس خلفاء من بنى آدم ، فهم هؤلاء الذين يحاولون أن يقوموا بدور إبليس فى المجتمع الإنسانى : إنهم هؤلاء الذين يرفضون الوحى الإلهى جملة ، أو يحاولون أن يزنوا الوحى بميزان العقل ، فيرفضون ويقبلون ويؤولون ما شاء لهم الهوى ، ويوفقون ، ويوجدون بعقولهم المآزق التى يزعمونها مشكلات نظرية عقلية ثم يحاولون الفرار منها .

وخلفاء إبليس هم أولاء بالذات : الملاحدة :

أنهم على نسق التعبير الجارى : إبليسيون أكثر من إبليس نفسه : ذلك أن إبليس لم ينكر وجود الله ، ولم ينكر بعثا ولا رسالة ، ولكن هؤلاء أنكروا كل ذلك . ففاقوا زعيمهم ، ولكنهم بتفوقهم على زعيمهم قد أرضوا غروره ، ذلك أنه خاطب الله قائلا :

« لأقعدن لهم (لبنى آدم) صراطك المستقيم ، ثم لآتينهم من بين أيديهم ، ومن خلفهم ، وعن إيمانهم ، وعن شمائلهم ، ولا تجد أكثرهم شاكرين » .

ولقد وصل إبليس إلى مراده تاماً فى طائفة الملاحدة .

والإلحاد درجات :

وأخس درجات الملحدين لا شك ، إنما هى درجة هؤلاء الذين اعتقدوا — على حد تعبير الغزالى — : « أن العالم لم يزل موجود كذلك بنفسه ، وبلا صانع ، ولم يزل الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان ، كذلك كان وكذلك يكون أبداً » .

وإذا ما سألت هؤلاء :

« أخلقوا من غير شىء ، أم هم الخالقون » ؟

كانت حيرتهم فى الإجابة كافية فى البرهنة على أنهم لا يتبعون إلا أهواءهم، وأنهم ليسوا إذن إلا عبيداً لإبليس :

وهناك الإلحاد بانكار البعث . والإلحاد بانكار الرسالة .

بيد أن هؤلاء وأولئك وتلكم : يصدق عليهم :

« أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ، وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة ، فمن يهديه من بعد الله ؟ أفلا تذكرون » ؟ .

والطريق الذى ينقذ به هؤلاء أنفسهم وقلوبهم إنما هو : المبادرة بالسجود لله ، لا للهوى المردى ، فيكشف الله لهم فى كل شىء ، وتظهر لهم آياته فى الآفاق وفى أنفسهم : « حتى يتبين لهم أنه الحق » .

وإن من أحدث اختراعات إبليس فى هذا الزمن الحاضر إنما هو المذهب المسمى بالوجودية : وهو مذهب يدعو كل إنسان لأن يحقق وجوده حسبما يرى وتبعاً لما يريد ، غير متقيد بعرف ، ولا عادات ، ولا تقاليد ، ولا دين ، ولا أوضاع أيا كانت ، وهو إذن يهدم نفسه بنفسه ، لأنه لا يقوم على أسس ثابتة ، ولا ينتهى إلى مبادىء حقيقية ، وأحسن تشبيه للوجودى هو ماقاله أحد كبار الكتاب الغربيين .

« أن الوجودى مثله : كمثل الكلب الذى يجرى دائراً حول نفسه ليمسك بذنبه ، فلا هو يدرك ذنبه ولا هو يقف عن الجرى ، وهي لعبة يلعبها الكلاب ، حينما يجدون الفراغ فيلهون بما لا نتيجة له » .

على أن هذا المذهب الوجودى قديم : إذ أنه المذهب السوفسطائى اليونانى ، وهو مذهب يظهر دائماً فى عصور الإنحلال ، وفى البيئات المنحله ، ولاوجود له فى عصور الجد ، ولا البيئات الجادة : ذلك أن المجتمعات الناهضة الجادة ، لا تبيح لأفرادها أن يتشبهوا بالكلاب — حينما تلهو الكلاب — فى الجرى وراء أذنابها ليمسكوا بها .

فالوجودية . إذن اختراع ابليس ، لإخراج طائفة من البشر عن نطاق السجود لله ، إلى نطاق السجود للأهواء .

خلفاء ابليس ثانياً هم : طائفة الفلاسفة العقليين الإلهيين .

ذلك أن الفلسفة العقلية مهما حاول المتفلسفون تزييف أهدافها وتزيين غاياتها ليست إلا محاولة تحكيم العقل فيما أتى به الوحى .

وهي من غير ما ريب تريد أن تخترع عقلياً ، ما فرغ منه الوحى فى قضاياه ومبادئه إنها تريد ابتداع دين عقلى بجوار الدين الإلهى ، وهذا الدين العقلى يختلف من فيلسوف إلى آخر ، وهو من أجل ذلك : يختلف فى هذه القضية أو تلك مع الدين الإلهى .

فاذا كانت البيئة متشبعة بالدين الإلهى ، يغمر قلبها الإيمـان . وتغمر وجدانها الهداية . حاول المتفلسفون — فى طريقة ابليسية — أن يوفقوا بين الدين والفلسفة .

ومعنى هذا : أنهم يجعلون موقف اختراعاتهم العقلية بالنسبة للدين ، موقف الند للند ، فيحاولون التوفيق . فيخطئهم التوفيق ، فيما يأتون وما يدعون ، ذلك أنهم — قلوبهم وأفئدتهم — هواء .

إذا كان الإتفاق بينهم هم لم يتم ، فان التوفيق بين أهوائهم ، وظنونهم ، وشكوكهم وأوهامهم ، وبين الوحى والعصمة ، واليقين والهداية ، إنما هو عمل لا يسير فى ركابه إلا اتباع ابليس .

والفلاسفة إذن ، لم يسجدوا لله .

أما الطائفة الثالثة التى لم تسجد لله ، إلا شكلا فانها ، طائفة المعتزلة من علماء الكلام . إنهم لم يسجدوا لله سجود خضوع واذعان ، ومذهبهم قائم على تحكيم العقل فى الدين ، ووصل بهم الأمر إلى أنهم يوجبون على الله بعض الأعمال ، سبحانه وتعالى ، ويحرمون عليه اتيان بعضها سبحـانه وتعالى ، فوضعوا أنفسهم بعملهم هـذا موضع المشرعين لله ، سبحانه ، يلزمونه سلبا ويلزمونه ايجاباً ، وزين لهم الشيطان أعمالهم ، وصـــدق فيهم قول الله تعـالى :

« أفمن زين له سوء عمله ، فرآه حسناً ؟ فإن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء ، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ، إن الله عليم بما يصنعون » .

ثم إنهم خاضوا فيما نصح الدين بعدم الخوض فيه : كالذات الإلهية ، والصفات ، وكالقدر . وكان لا بد — وقد اتبعوا أهواءهم — أن يختلفوا ويتفرقوا وتذهب بهم الأهواء كل مذهب ، فكانوا فرقاً وأحزاباً شتى ، لا تكاد تدخل تحت حصر . وكل من نهج النهج العقلي فى الدين ، فى العصر الحاضر ، إنما هو تابع من أتباع المعتزلة ، ولا مناص من الإقرار بأن مدرسة الشيخ محمد عبده ، انما هي مدرسة اعتزالية فى مبادئها وأصولها ، وهي مدرسة اعتزالية فى غاياتها وأهدافها ، ذلك أنها تضع قضايا الدين ... فى ميزان عقلها ، فتنفى وتثبت ، حسبما تقتضيه الأهواء والنزعات.

والمدرسة العقلية فى الدين ، أيا كانت وفى أى مكان وجدت ، وفى أى زمان نشأت ، لم تسجد لله سجود خضوع واذعان ، وإنما سجدت للعقل ، وعبدت العقل فتفرقت إلى مالا يكاد يحصى من الفرق « ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً » .

وسبيل المؤمنين ، إنما هو السجود لله وحده، وذلك أيضاً سبيل الراسخين فى العلم ، إذ الراسخون فى العلم ، هم دائماً مؤمنون ساجدون لأمر الله ،وإليهم تشير الآية الكريمة .

« أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً ، يحذر الآخرة ، ويرجو رحمة ربه ؟ قل : هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟ إنما يتذكر أولوا الألباب » .

« ومن البديهى أن المؤمن الحقيقي هو وإبليس على طرفى نقيض ، ويرسم الله سبحانه وتعالى ، صورة المؤمن فيبين تعارضها مع الصور الإبليسية على تفرقها واختلافها ، ويبين جزاء المؤمنين عنده فيقول سبحانه :

« إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجداً ، وسبحوا بحمد ربهم ، وهم لا يستكبرون ، تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ، ومما رزقناهم ينفقون ، فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ، جزاء بما كانوا يعملون » .

وتلك هى السلفية العملية السلوكية التي كان يدعوا مولانا شيخ الإسلام رضى الله عنه جماعات المسلمين إليها .

° ° °

سمها تصوفا .

سمها إسلاماً .

فليست التسمية هى مثار الخلاف ، إنما محط الخلاف هو فى الإتباع أو الإبتداع لقد كان رضى الله عنه محييا لسنة الإتباع بالإقتداء بالقرآن الكريم والسنة الشريفة لا اتباع كلام وقول ومحاضرة بل اتباع سلوك وفعل وأخلاق وعبادة .. اللهم أرض عنه مع النبيين والشهداء والصالحين .

(ب) نشاطه فى مجمع البحوث الإسلامية

هيئة كبار العلماء التى أسسها الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى أثر إعتداء حصل من جانب أصحاب النحل فى الهند على المسلمين هناك فألف الأستاذ الأكبر وفداً من علماء الأزهر ليدرس أحوال المسلمين فى الهند بعد أن تعالت صيحاتهم يطلبون من مسلمى العالم النجدة لما يحيق بهم من أهل الهند غير المسلمين .

وكانت أمام الوفد المسافر عقبات فى مقدمتها تمويل الرحلة .. وعلى طبيعة شعب مصر المسلم فقد إستجابت الأيادى البيضاء الكريمة فقدمت تبرعات مالية تغطى نفقات سفر الوفد ... وسافر الوفد ودرس وعاد باقتراحات رأى الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى رحمه الله أن حالة المسلمين فى العالم تستحق متابعة ورعاية فكون هيئة من علماء الأزهر لهذا الغرض وأطلق عليها « هيئة كبار علماء الأزهر » .. وسارت الحياة فى الأزهر رتيبة على ماهو المألوف ، وكانت هيئة كبار العلماء تضم نخبة من الأفذاذ الأجلاء الذين لهم صولات وجولات فى العمل والعلم والهداية والريادة والكرم وحب المرؤة .. ولكن مشكلات العالم الإسلامى كانت أكبر من طاقةهيئة كبار العلماء : فلقد كانت أوربا : إنجلترا ، وفرنسا ، وإيطاليا تستعمر كل البلاد العربية .

وكانت أوربا : هولاندا ، وأسبانيا ، والبرتغال تستعمر بقية البلاد الإسلامية ماليزيا ، أندونيسيا ، سنغافورا ، الفيلبين .

فلم يكن هناك شبر إلا وهو مستعمر يرزح تحت نير الفساد الأوربى سياسياً وعسكريا ، وإجتماعياً ، وأخلاقياً .

ولقد كانت همة الأزهر عالية فى تربية أبطال الجهاد الذى حرر بلاد المسلمين فى آسيا وأفريقيا ... وفى صحن الأزهر عاشت وولدت حركات التحرير للبلاد الإسلامية ... وهو دور لا يقل فى أهميته عن دور رعاية المجتمعات الإسلامية ولو لم يكن هناك فوق أراضيها مستعمر غاصب ومحتل أثيم ..

وإن كثيراً من زعماء الحركات فى العالم العربى والإسلامى ليعترف بهذا الفضل للازهر الشريف .

ولقد وقفت هيئة كبار العلماء وراء هذه الحركات بالتربية والعون والنصيحة والفتوى حتى كانت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وأصدرت قانونها للأزهر رقم ١١٣ لسنة ١٩٦١م الخاص باعادة تنظيم الأزهر والهيئات التى يشملها فتغيرت صفة هيئة كبار العلماء إلى مجمع البحوث الإسلامية .. وهو من غير شك محمدة جليلة فى هذا القانون - وإن كان قد ظلم أكثره الأزهر - لأنه أضاف إلى علماء مصر مجموعة من كبار علماء العالم الإسلامى فوسع دائرة التضامن فى الفتوى ، وآزر الأخوة الإسلامية بين الشعوب الإسلامية ، ووصل علماء العالم الإسلامى بحبل المودة والعلم واللقاء فى الله .

ولقد سجل علماء العالم الإسلامى هذه المحمدة فى أول مؤتمر لعلماء المنعقدة فى مارس ١٩٦٤ .

إذ جاء فى مقدمة توصياته :

إن علماء الإسلام الذين قدموا إلى القاهرة من شتى بلاد العالم للمشاركة فى أول مؤتمر لمجمع البحوث الاسلامية بالأزهر يحمدون الله — سبحانه وتعالى — أن هيأ لهم هذا اللقاء المبارك فى رحاب الأزهر الشريف ، وبدعوة من مشيخته الموقرة ليتدارسوا الأمور التى تتعلق بالدعوة الإسلامية ، وليبحثوا المسائل التى تهم المسلمين فى جميع الأقطار والأوطان ، وليدعموا أواصر

الأخوة والمودة بينهم ، وليوحدوا جهودهم لنشر الثقافةالاسلاميةحتى تواصل رسالتها في الحركة الفكرية الانسانية .

ويعرب المؤتمر عن ترحيبه وإعتزازه بانشاء مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر لدعم الاخوة الاسلامية ، ولتوطيدأواصر التعاون بين علماء المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، ولنشر الثقافة الاسلامية ، والقيام بالدعوة إلى سبيل الله في جميع البلاد والاقطار إمتثالا لقوله تعالى : أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » ، وقوله : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون[1] » .

وإذا كانت هذه هي فرحة العالم الاسلامي بالمجمع فان الظروف التي أحاطت بانشائه كانت غاية في الصعوبة والضنك ، فقد صدر القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ في ٥ يوليو سنة ١٩٦١ أثر إعلان القوانين الاشتراكية التي ترتب عليها إنفصال سوريا عن مصر وتصدع الدولة التي قامت في عام ١٩٥٨ وهي الجمهورية العربية المتحدةوترتب عليها كذلك مشوار طويل من الاستثناءات غير القانونية وتربعت مراكز القوى كما تسمى سياسياً على عرش البلاد وصار في مصر عدة ملوك وأباطرة إليهم يرجع الامر والنهي - أستغفر الله العظيم - فلم يستطع المجمع أن ينهض برسالته الاسلاميةوسط ضجيج أصوات الاشتراكية العلمية التي نادى بهـــا ميثاق مراكز القوى في ٢١ مايو سنة ١٩٦٢[2] .

لقد أحاطوه بكل الضغوط ليسير في الركب الاشتراكي ، وحاولوا ليّ عنقه أو لي زراعه ، أو لي رأيه .. فوجدوا أمينا عاماً شامخاً كالطود رزينا

---

(١) تراجع توصيات المؤتمر الأول لمجمع البحوث الاسلامية مطبعة الأزهر .
(٢) راجع مشروع الميثاق ص ٦٠ مطبعة مصلحة الاستعلامات .

كالجبال ، ثابتاً كالحق ، مسلماً كالسلف الصالح ، مؤمناً كالذين رضى الله عنهم ورضوا عنه ، فلم يكن أول أمين عام لمجمع البحوث الإسلامية إلا تلك الصخرة العاتية التى تحطمت عليها أفاعيل الاشتراكيين فلم يستطيعوا الحصول على رأى يساند أكاذيبهم باسم الأزهر أو باسم مجمع البحوث الإسلامية .

وكان الأستاذ الجليل المرحوم الدكتور محمود حب الله هو الصورة الحقيقية لذاتية الأزهر ، وكان وحده هو الحارس على هذا التراث العظيم فى لحظة أتم فيها قانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ حيث سلب شيخ الأزهر كل إمكانيات قيادة العمل الإسلامى .. وترك وزير شئون الأزهر له السلطات كلها زهاء ثلاثة عشر عاماً (١) .

ومع هذا الجهد العظيم الجليل فى الحفاظ على شخصية الأزهر العلمية والاسلامية فى مواجهة الطغيان الجارف العاتى فقد أثرت هذه الفترة مجمع البحوث الاسلامية بخطة عمل إسلامية واسعة كركائز للانطلاق عندما تتهيأ المناسبات والملابسات والظروف والأحوال ليؤدى المجمع رسالته المنشودة التى يأملها المسلمون فى شتى أنحاء العالم .

وفى مقدمة هذه الركائز التوصيات والقرارات التى أصدرتها المؤتمرات التى إنعقدت فى رحاب الأزهر ورسم فيها صورة العمل الاسلامى الذى يجب أن يكون هدفا من أهداف رسالة الأزهر الشريف .

ومن تلك التوصيات والقرارات :

* فى المؤتمر الأول ١٩٦٤ م :

- وضع خطة إيجابية لتكوين الشخصية المسلمة على أساس من المبادىء الاسلامية التى تدعو إلى : العزة ، والحرية ، والكرامة ، وتمكن المسلمين من

(١) راجع حول هذا مقدمة كتابنا : الاسلام فى أرخبيل الملايو ومنهج الدعوة إليه .

مواجهة قضاياهم وتهيئتهم لرد أى عدوان على حقوقهم فى أى قطر من الأقطار ، فالمسلمون أمة واحدة وهم متضامنون بوحى من دينهم وإيمانهم فى حمل مسئولية العمل لصالح الأمة الاسلامية » .

* فى المؤتمر الثانى ١٩٦٥ م :

إن التربية الدينية وإشاعة الايمان والخير فى القلوب هى خير ما ينقذ الشباب مما صار إليه البعض من إنحراف وإنحدار .

وأن إنحراف بعض الشباب وتركهم شعائر الدين مرض نفسى ، يعالج بالرفق والعطف والنصح الذى يصل إلى أعماق النفس وذلك أتباعا لأسلوب القرآن الكريم . إعداد جيل كامل واسع الثقافة من رجال الدين يتولون تهذيب الشباب وقيادتهم على الأساس التربوى السليم .

* دعوة الأمم الاسلامية إلى إتخاذ الاسلام منهجاً لسلوكها فى الحياة بالاستمساك بالقيم الخلقية والاجتماعية التى جاء بها الاسلام وباتخاذ الشريعة الاسلامية أساساً لتشريعاتها .

* وفى المؤتمر الثالث ١٩٦٦ م :

* يطلب المؤتمر إلى مجمع البحوث الاسلامية العمل على وضع موسوعة مفهرسة للأحاديث النبوية الشريفة تتولى تحقيقها لجنة خاصة حتى يكون رجوع الناس إلى المصدر الثانى فى الاسلام أمراً مأموناً وميسراً .

* العمل على تطهير المجتمعات الاسلامية من الغزو الفكرى والأخلاقى وإرشادها الى كمال التعاليم الاسلامية وصلاحها لحل مشكلات المجتمع الأقتصادية ، والاجتماعية ، والسياسية ، وتوجيهها نحو جمال الأخلاق الاسلامية الأصيلة ووضع سلسلة كتب مبسطة فى هذا السبيل ، وترجمتها إلى اللغات الحية الكبرى .

٥ فى المؤتمر الرابع ١٩٦٨ :

٥ يقرر المؤتمر وجوب المحافظة على رسم مصحف سيدنا عثمان رضى الله عنه وذلك بطبع القرآن الكريم فى مصحف كامل ، أو فى طبع أجزاء منه ، ولا يجوز استعمال الرسم التعليمى إلا إذا كان ذلك لبعض الآيات ضمن كتب تعليمية ، أو لغرض اقتباس بعض الآيات أو الاستشهاد بها .

٥ يوصى المؤتمر مجمع البحوث الإسلامية بأن يعهد إلى جماعة من العلماء فى وضع تفسير وسيط للقرآن الكريم فى أسلوب ميسر يسهل للقارىء الوصول إلى معانيه .

٥ يوصى المؤتمر مجمع البحوث الإسلامية بتأليف لجنة من رجال الفقه الإسلامى والقانون الوضعى لتضطلع بوضع الدراسات ومشروعات القوانين التى تيسر على المسئولين فى البلاد الإسلامية الأخذ بأحكام الشريعة الإسلامية فى قوانين بلادها ، كقوانين العقوبات والقانون التجارى ، والقانون البحرى وغيرها .

هـذه الحصيلة الرائعة العظيمة من التوصيات والقرارات إلى نهاية المؤتمر الرابع المنعقد فى عام ١٩٦٨ م كانت من أعمال العالم الأزهرى الجليل الدكتور محمود حب الله وكان الشيخ عبد الحليم محمود كعضو فى مجمع البحوث الإسلامية منذ مارس سنة ١٩٦٤ قد شارك فى أعمال هذه المؤتمرات ، وكان يعلم الظروف المحيطة بالأمانة العامة للمجمع وأسهم كثيراً فى الذب عنها فى مواجهة مراكز القوى التى كانت تحاول أن تضغط بقسوة على الأزهر فى صورة مجمع البحوث الإسلامية . . فلما تولى الأمانة العامة من بعد الدكتور محمود حب الله بعد سفره مديراً للمركز الإسلامى فى واشنطن أخذ الدكتور عبد الحليم محمود يتخطى الحواجز والسدود والعقابيل التى كبلت الأمانة العامة وحجبتها عن الإنطلاق وفى مقدمتها المال اللازم والميزانية الكافية لتنفيذ الركائز التى وضعتها

المؤتمرات السالفة . . فأخذ رحمه الله تعالى يعمل . . وكان من ثمار عمله تنفيذ التوصيات والقرارات للمؤتمرات كما يلي :

(أ) طبع المصحف .

(ب) تقنين الشريعة على المذاهب الأربعة .

(ج) إنشاء سلسلة للبحوث الإسلامية .

(د) إنشاء سلسلة من مطبوعات المجمع (خاصة برسائل الدكتوراه) .

(هـ) وضع مفهرس للسنة الشريفة .

(و) تنفيذ مشروع التفسير الوسيط .

(ز) وضع خطة عمل مرحلية للجان المجمع وأروقته .

* * *

أولا: مصحف الأزهر الشريف :

كانت إسرائيل قد قامت بطبع القرآن الكريم في محاولة لتحريف بعض آيات القرآن الكريم تبعاً لهواها ، وكان بعض أصحاب المطابع يغلب عليهم الطابع التجارى فى طبع المصحف الشريف مما أدى إلى الشعور بالمسئولية تجاه حماية القرآن الكريم على النحو الذى تواتر به من لدن الوحى الأمين إلى الوقت الحاضر .

وكانت مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية المتعددة قد أوصت بالحفاظ على الرسم العثمانى وعلى القرآن الكريم حفظاً وفهما وطباعة .. فلما كانت الأمانة العامة الثانية والتى تولاها فضيلة الشيخ عبد الحليم محمود فقد توجه للتو إلى تنفيذ هذه التوصيات فألف لجنة لمراجعة الرسم العثمانى الذى يطبع به المصحف. وكانت هذه اللجنة من كبار المتخصصين فى القراءات ومن العلماء الأجلاء الذين لهم خبرة بالرسم العثمانى وبالطباعة وفى مقدمة هؤلاء :

صاحب الفضيلة الشيخ عبد الفتاح القاضى الذى كان شيخاً لمعهد القراءات ثم صار مديراً عاماً للمعاهد الأزهرية ، ثم تعاقد مع المملكة العربية السعودية ليشرف على الجهاز المنشأ حديثاً لرعاية القرآن الكريم فى الحجاز .

فضيلة الشيخ سليمان إمام الصغير – المدرس بمعهد القراءات سابقاً والعضو الفنى بمجمع البحوث الإسلامية .

فضيلة الدكتور محمد رشاد خليفة – وكيل معهد القراءات سابقاً ورئيس قسم الحديث بكلية البنات الإسلامية بجامعة الأزهر حالياً .

وفضيلة الشيخ عبد المتعال منصور عرفة – شيخ معهد القراءات بالأزهر .

وفضيلة الشيخ محمد السيد وفا – مدير التصحيح الأسبق بالمطبعة الأميرية .

كما شارك فى أعمال هذه اللجنة الدكتور أحمد إبراهيم مهنا مدير البحوث والنشر بمجمع البحوث الإسلامية – والشيخ محمود خليل الحصرى ، والشيخ عبد المهيمن محمد الفقى مدير إدارة البحوث والنشر الحالى .

ودامت اللجنة تعمل من عام ١٩٦٩ حتى صار الدكتور عبد الحليم محمود شيخاً للأزهر فطبع المصحف فى عهد مشيخته عام ١٩٧٦ .

وبذلك صار مصحف الأزهر الشريف هو المصحف الرسمى المحافظ على الرسم العثمانى والوقف المنضبط ، كما صار هو الأصل الذى يعتمد عليه فى طباعة القرآن الكريم وبذلك فقد صان الله كتابه الكريم من كل محاولة للتحريف .

ثانياً : تقنين الشريعة :

جانب من القضاة المسلمين أصحاب الرأى والمشورة الذين فتح الله عليهم بنور الإيمان فرأوا قصور القانون الوضعى وشمول الشريعة الإسلامية ، أو أن تطور القانون الوضعى يسير فى اتجاه الاتفاق مع أحكام الشريعة الإسلامية . . فرأوا أنه لزاماً عليهم أن يجنحوا إلى شريعة الإسلام مادامت هى الأكمل وهى الأشمل وهى الأقسط الأعدل ، ومادام القانون الوضعى إذا حاول إقامة العدالة

يتطور في الاتجاه الذى جاءت به الشريعة الإسلامية منذ الآباد البعيدة . . غير أنهم كدارسين للقانون مادة مادة يصعب عليهم استنباط الحكم الإسلامي من مصادره الأولى أو من مصادره الفقهية التى لها صياغة أكاديمية خاصة لم يألفوا قراءتها ولا الدراسة بها .

وكان للشيخ عبد الحليم محمود أصدقاء كثيرون من هؤلاء القضاة بالإضافة إلى أن عدة دول طلبت تقنينا للشريعة الإسلامية .. وكانت توصيات مؤتمرات المجمع تصور هذه الحاجة الملحة .

ولم تتوان الأمانة العامة الثانية عن تنفيذ حصيلة الركيزة التى أثمرتها الأمانة العامة الأولى فتكونت عدة لجان من كبار العلماء والمستشارين والخبراء لصياغة الفقه الإسلامى فى صورة مواد مع مذكراتها الإيضاحية ليسهل على القاضى فى أى بلد إسلامي من معرفة الحكم الإسلامى على منوال دراسته للقانون الوضعى .

وهذه اللجان التى شكلت شملت الفقه على مذاهبه الأربعة المشهورة : الفقه الحنفى ، الفقه المالكى ، الفقه الشافعى ، الفقه الحنبلى .

وقد أكمل الله هذا العمل الجليل وطبعت مشروعات هذا التقنين ، وكانت فى انتظار عرضها على مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية للنظر فيها .

ومن الجميد أن نذكر أسماء هذه اللجان التى قامت بهذا المجهود الممتاز الرائع خدمة لدين الله والأمة الاسلامية .

لجنة تقنين الشريعة

الفقه الحنفى

فضيلة الشيخ محمد علوان سامون رحمه الله .

المستشار محمد عبد المنعم ناصف .

المستشار أحمد سعيد ثابت .

الشيخ فهمى عبد الله سيد على .

الشيخ عبد التواب باظه .

الشيخ محمد عبد الرحيم الكشكى (فى بعض الأحايين)

الشيخ محمد عبده البحيرى (فى بعض الأحايين)

الشيخ سليمان عطا (فى بعض الأحايين)

لجنة تقنين الشريعة

الفقه المالكى

فضيلة الشيخ يس سويلم أعد المشروع كاملا رحمه الله

فضيلة السيد خليل الجراحى .

المستشار حسين عشماوى .

الأستاذ حامد على كريم (المحامى)

لجنة تقنين الشريعة

الفقه الشافعى

فضيلة الشيخ محمود عبد الدايم .

فضيلة الشيخ محمود عبد الغفار .

المستشار محمد علام .

المستشار محمد قطب أبو العنين .

الأستاذ محمد عطية خميس .

الشيخ عبد الرحيم خطاب رحمه الله .

الشيخ محمد محرز سلامة .

الشيخ السيد رجب .

لجنة تقنين الشريعة

الفقه الحنبلي

فضيلة الشيخ عبد العظيم بركة .

فضيلة الشيخ إبراهيم محمد مخلوف رحمه الله .

المستشار زكى الصاوى صالح .

الشيخ عبد الفتاح محمد بركة .

وبعد أن طبعت مشروعات هذا التقنين أرسلت إلى مجلس الشعب نسخة منها وأرسل إلى كثير من القضاة والذين رغبوا فى الإطلاع عليها .. فليس بعد ذلك لعاقل تعلة ولا معذرة فقد تقدمت الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية بالشريعة الإسلامية مقننة سهلة يفهمها كل قاض لأنها جاءت على غرار ثقافته التى تربى عليها فى دراسات الحقوق .. وقد أعذر الأزهر بذلك وألقى تبعة تطبيق الشريعة علي أصحاب السلطة القضائية وأصدقائهم فى السلطتين : التشريعية والتنفيذية .

ثالثاً : إنشاء سلسلة البحوث الإسلامية :

(أ) كان الزمن فى ظل مراكز القوى يحاول تمييع الفكرة الإسلامية وكانت الديكتاتورية التى عاشتها مصر فى ذلك الحين قد جعلت إخفاء الرأى الصواب حنكة ، والموارية ذكاء ، والمداهنة كياسة ، وكان الشباب وهو زهر الفطرة ما زالت تترعرع فيه براءتها ونضارتها يحس بكل كيانه أن الفكرة الإسلامية عرينها الأزهر وأن الأزهر عليه واجب مقدس فى كشف كثير من المعميات التى يلقيها الفكر الاشتراكى العلمانى كسحب شتاء كثيفة لحجب نور الحقيقة الإسلامية .. وكانت مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية قد توصلت إلى عدة قرارات خاصة بالشباب ، وبالثقافة الإسلامية وجلائها من كل فضول وشوائب فلم تجد الأمانة العامة الثانية إلا أنها مسئولة مسئولية كاملة عن تنفيذ هذه الغاية السامية لتمييز الفكرة الإسلامية عن كل ما يشوبها ، وتجليتها فى جوهرها الأصيل ودفع الباطل الذى يريد أن يلتصق بها فأنشأت سلسلة البحوث الإسلامية التى ما زالت تصدر إلى هذا الوقت .. وكانت لحظة صدورها تمثل حاجة أساسية للفكر الإسلامى عند الشباب فقد عالجت عدة موضوعات :

* عن فلسطين والمسجد الأقصى صدر :

— أهداف إسرائيل التوسعية

للواء الركن محمود شيت خطاب .

— المسجد الأقصى ومعركة النصر

للأستاذ الشيخ عبد اللطيف مشتهر .

— المسلمون واسترداد بيت المقدس

لفضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد محمد الفحام

— بيت المقدس فى الإسلام

مجموعة بحوث لكل من :

دكتور اسحق موسى الحسينى

الأستاذ عبد الحميد حسن

الأستاذ عبد الحميد السايح

* عن السنة الإسلامية الشريفة :

— سنة الرسول ﷺ

للشيخ محمد حافظ التيجانى

— فى رحاب السنة .. الكتب الصحاح الستة

لفضيلة الدكتور محمد محمد أبو شهبة

— السنة الشريفة

لفضيلة الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود

* عن القرآن والتفسير ورجاله :

— التفسير ورجاله

للاستاذ محمد الفاضل بن عاشور

— من توجيه القرآن الكريم .. الإيمان

للاستاذ الدكتور محمد البهى

— مقومات الإنسانية فى القرآن

للدكتور أحمد ابراهيم مهنا

* عن العقيدة والتيارات المعاصرة .

— قواعد العقائد

للامام الغزالى حجة الإسلام

— العقيدة الإسلامية كما جاء بها القرآن الكريم

لفضيلة الأستاذ محمد أبو زهرة

— القاديانية

لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين

* عن الدعوة الاسلامية :

— الدين العالمى ومنهج الدعوة إليه

للشيخ عطية صقر

— السبيل إلى دعوة الحق

للأستاذ الدكتور محمد البهى

— المجاهدون فى سبيل الله

للأستاذ الشيخ توفيق محمد سبع

— من أخلاق العلماء

للشيخ محمد سليمان

• في الفقه الصوفي

— بستان العارفين

للامام الحافظ أبو زكريا ومحيي الدين النووى

— شرح أسماء الله الحسنى

للامام أبو القاسم عبد الكريم القشيرى

— الإسراء والمعراج

لفضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود

• في فقه العبادات :

— الصيام جنة

للشيخ عبد اللطيف مشتهر

— ندوة للشباب فى شهر رمضان

للاستاذ رؤوف شلبي (دكتور)

— نشأة الفقه الاجتهادى

لفضيلة الشيخ محمد علي السايس

— من قضايا العمل والمال فى الاسلام

لفضيلة الشيخ أبو الوفا المراغى

— إلى عرفات الله

للشيخ بسيونى رسلان

هذه نماذج للموضوعات التى تناولتها سلسلة البحوث الاسلامية لتكون واجهة صادقة لمجمع البحوث الاسلامية فى تأدية جزء من رسالته نحو الوطن والاسلام والأمة الاسلامية والفكر الثقافى .

(ب) أما عن السلسلة الثانية الخاصة بطبع رسائل الدكتور فقد صدر منها عدد كبير فى رسائل خاصة بالدعوة ، والتفسير ، والاقتصاد ثم توقفت بعد ذلك لظروف إدارية بحته ..

رابعاً : وضع مفهرس للسنة الشريفة :

من غير شك فان السنة الاسلامية قد تضافرت جهود علماء الأمة الإسلامية على خدمتها تدويناً وتنقية من الدخيل وتنقيباً عن رجالها ، لقد خدم علماء الاسلام السنة دراية وخدموها رواية ووضعوا ضوابط وهم يخدمون السنة فى هذين المجالين ومع هذا فان هناك مجالا لخدمة السنةمازال مفتوحاً وهوفهرست الأحاديث أبجدياً .

نعم فضيلة الشيخ عنبر من علماء الصعيد كان قدم فهرسا لكتاب الجامع الصحيح للبخارى ولكن بقيت السنة بكاملها فى حاجة لأن تقدم بهذا الأسلوب حتى يسهل على الباحث الحصول على الحديث الذى يطلبه .. وكان الامام السيوطى قد بذل جهداً مشكوراً حول هذا الاتجاه فدون كتابه : الجامع الكبير فتكونت لجنة للسهر على تحقيقه والتعليق على غريب كلماته وضبط درجة الحديث وفى مقدمة هذه اللجنة :

فضيلة الشيخ محمد حافظ

فضيلة الشيخ سيد ندا

فضيلة الدكتور حسن عيسى

وقد صدر من هذا العمل أكثر من عشرين جزءاً من الجامع الكبير للامام السيوطى .

كما تكونت لجنة أخرى مهمتها بحث الأحاديث التى يوهم ظاهرها غير المراد وذلك لشرحها وبيان المقصود منها .

خامساً : التفسير الوسيط :

كان من توصيات مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية وضع تفسير مبسط يسهل على المسلم العادى أن يفهم معانى القرآن الكريم بعيداً عن الألفاظ الاصطلاحية فنهضت الأمانة العامة الثانية لتنفيذ هذه الغاية فكونت لجنتين :

الأولى : وكان مقررها المرحوم الاستاذ الشيخ محمد أبو زهرة ، ومهمتها تنسيق ما يقدم لها من اللجنة الثانية التى ستقوم بالتفسير .

الثانية : وتتألف من ٣٥ عالما من علماء معاهد الأزهر وذلك لشرح القرآن الكريم شرحا مبسطا .

وقد قامت اللجنة بالفعل وصدر من هذا التفسير ما يقوب من ثلث القرآن الكريم(١) .

سادساً : خطة العمل المرحلية للجان المجمع وأورقته :

من كثرة المصادمات بين أروقة المجمع ولجانه وبين بعض المسئولين من السياسيين الذين كان لهم دور بارز فى خدمة الأهداف اللااسلامية لم يكن هناك مجال للعمل البناء الهادف اللهم إلا الدفاع عن شخصية الأزهر الاسلامية ، والدفاع عن الحكم الشرعى كما ورثه الأزهر من سالف الدهر .

---

(١) راجع حول هذا التقويم العلمى لمجمع البحوث الاسلامية الصادر فى مارس سنة ١٩٧٢ .

وكان الاشتراكيون وهم ألوان شتى يحاولون بكل أساليب الضغط أن يشركوا الأزهر فى متاهاتهم وأباطيلهم ، وكانت أروقة المجمع ولجانه بفضل كبار علمائه وفى مقدمتهم العالم الاسلامى الجليل الشيخ محمد أبو زهرة يقفون بالمرصاد لكل هذه الضغوط .

لقد فشلوا فى الحصول على فتوى من الأزهر تؤيد اشتراكية جمال عبدالناصر ولقد قالها الأمام الأكبر الراحل المغفور له فضيلة الشيخ حسن مأمون : قالها فى وجه اقتراح تقدم به المرحوم الدكتور محمد عبدالله العربى الذى كان يريد أن يحصل على قرار أو توصية من علماء المسلمين أن ما يدعو إليه جمال عبدالناصر هو ما يهدف إليه الإسلام الحنيف .. قالها الشيخ حسن مأمون عفا الله عنا وغفر له وبعثه مرضيا عنه مع الصديقيين والشهداء .. قالها :

إن الاشتراكية كالغول يخيف ، ولا أدرى ما معناها فهى اصطلاحات مبهمة ومعقدة فكيف نحكم عليها بأنها هى رسالة الإسلام فى العدل الاجتماعى .

لقد فشلت مراكز القوى فى اخضاع الأزهر إلى لولبية الضغوط الناصرية ، وكان من ثمرات ذلك أن بقيت أروقة المجمع ولجانه صامته صامدة متوثبة لصد تيارات الالحاد والدخل فى دين الله الحنيف .

وتلك مرحلة جديرة بالاحترام والاهتمام من كل مسلم ومن كل باحث ، وهى أحدى الفضائل الجليلة التى تذكر بالفضل والشهامة لأول أمين عام لمجمع البحوث الإسلامية رضى الله عنه وأرضاه المغفور له الاستاذ الدكتور محمود حب الله فلولاه بفضل الله ما كان للأمانة العامة أن تكون هى الصورة الحقيقية للازهر ، ولولاه بفضل الله ما استطاع الأزهر أن يحمى الشريعة وشرف الأزهر من الاعتداء على شرع الله وحرماته .

ولما كانت الأمانة العامة الثانية وضعت خطة عمل مرحلية لجميع لجان المجمع وكان يرأس فى هذا الوقت السكرتارية الفنية المناط بها تنفيذ هذه الخطة الأخ - الدكتور يحى هاشم حسن فرغل - ذلكم الذى ضحى بعديد من سنى عمره خدمة للازهر وخدمة للاسلام .. فقد ترك رسالته التى كان يحضرها للدكتوراه عدة سنوات من أجل أن يرعى حقوق الله فى رسالة الأزهر فى لحظة عز فيها المخلصون ، وعز فيها الحاذقون لفنون الكر والفر مع الذين يحاولون تخدير الأزهر وإضعافه .

وكانت الخطة العملية للجان كما يلى :

بسم الله الرحمن الرحيم

خطط العمل المرحلية للجان

مجمع البحوث الإسلامية

« قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن أتبعني . . . » الآية .

(قرآن كريم)

تقدمت الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية إلى مجلس المجمع بمشروع خطط عمل مرحلية للجان المجلس . وأروقته ، وكانت هذه الخطط منبثقة عن قرارات وتوصيات مؤتمر المجمع ومجلسه ولجانه .

وبعد دراسة من المجلس لهذا المشروع أقره على الوجه المذكور فيما يلي ، وأصبحت اللجان تباشر عملها في إطار هذه الخطط .

لجنة بحوث القرآن الكريم

١ — وضع تعليق علمى بأقلام الثقات المتخصصين على مايكون فى كتب التفسير من إسرائيليات لبيان وجه الحق فى موضوعها .

٢ — وضع تفسير وسيط .

٣ — وضع قاموس موسوعى للقرآن الكريم .

٤ — الكتابة فى القراءات ، وجمع القرآن ، ودحض ما يدور حول ذلك من دراسات متحرفة وشبهات .

٥ — موضوع الدعوة إلى تلحين القرآن الكريم والرد عليها .

لجنة السنة النبوية

١ — وضع موسوعة مفهرسة للسنة النبوية .

٢ — جمع الأحاديث التي يظن أن ظاهرها غير مراد ، والعمل على تحقيقها .

٣ — المسائل التى تحول إلى اللجنة .

٤ — دراسة بحوث المؤتمر القادم فى الموضوعات المتعلقة باختصاصات اللجنة واقتراح التوصيات والقرارات المتعلقة بها .

لجنة المسجد الأقصى

١ - جمع كل ما يفيد جمعه ، ممـا كتب عن فلسطين والعدوان الإسرائيلي ونشره باللغات المختلفة .

٢ - العمل على سفر وفد مجمع البحوث الإسلامية ، برئاسة فضيلة الإمام الأكبر للقيام بجولة فى الديار الإسلامية ، والتنبيه إلى الأخطار التى لحقت بالمقدسات الاسلامية ، وضرورة التطوع لإنقاذها .

٣ - العمل على إنشاء هيئات أو مكاتب للمجمع فى البلاد الإسلامية ، تكون مهمتها نشر الدعوة الإسلامية ، ومناصرة القضية الفلسطينية ، إزاء العدوان الإسرائيلى .

٤ - متابعة ما تنشره أجهزة الإعلام حول المسجد الاقصى .

٥ - جمع ما يمكن من وثائق رسمية مما نشر بلغات أجنبية ، بشأن المسجد الأقصى ومكانته ونوايا الصهيونية حوله .

٦ - أن تكون من مهمة لجنة المسجد الأقصى العمل على أن تأخذ هـذه القرارات طريقها إلى التنفيذ .

لجنة التعريف بالاسلام

١ - دراسة وسائل وخطط التبشير المضاد للاسلام فى عصرنا الحاضر .

٢ - دراسة العوامل التى ساعدت على انتشار الاسلام تاريخياً .

٣ - دراسة البيئات الثقافية فى العصر الحاضر من حيث استعدادها للتجارب مع الدعوة الاسلامية .

٤ ـ وضع خاصة عامة للدعوة الاسلامية فى العصر الحاضر تلتزم بها مؤسسات الدعوة .

٥ ـ وضع خطة تفصيلية إرشادية للبحوث أو الداعى إلى الاسلام تختلف باختلاف البيئات التى يعمل بها .

لجنة إحياء التراث الاسلامى

١ ـ وضع دراسة تصنيفية وتقويمية للتراث الاسلامى الموجود تحت أيدينا .

٢ ـ وضع أولويات فى عملية إحياء هذا التراث ، واعتماد قوائم لهذه الأولويات تنفذ فى فترة محدودة .

٣ ـ الاشراف على تحقيق ونشر الكتب التالية :

(ا) شرح السنة للبغوى .

(ب) بدائع الصنائع للكاسانى .

(جـ) المحيط البرهانى فى فقه أبى حنيفة .

(د) طوالع الأنوار شرح الدر المختار للسندى .

٤ ـ نشر الوثائق والعهود التى اشتملت على التوجيهات الرشيدة فى مجال الحكم والحضارة الاسلامية .

٥ ـ الأعمال التى تحول إلى اللجنة .

٦ ـ دراسة موضوعات المؤتمر القادم فيما يكون له اتصال باختصاص اللجنة ، واقتراح التوصيات والقرارات بشأنها .

لجنة البحوث الفقهية

أولا :

١ ـ أنواع التأمينات التي تقوم بها الشركات أيا كان وضعها ، ودراسة الردود الواردة بشأن هذا الموضوع ، والانتهاء إلى حكم فيه .

٢ ـ تقنين الشريعة الإسلامية ، كما تدرس السياسة الشرعية ، مع توجيه عناية خاصة بها .

٣ ـ بيان الرأى الصحيح فى معرفة قيمة مثقال الذهب ، بالنسبة إلى النقد الحاضر للتيسير على الناس فى معرفة ما يجب عليهم فى الزكاة .

٤ ـ المسائل التى تحول إلى اللجنة ، وبخاصة فى الاستفتاءات ذات الأهمية، أو الطابع الخاص .

٥ ـ دراسة بحوث المؤتمر فى الموضوعات المتصلة باختصاصات اللجنة .

ثانياً :

١ ـ مسألة العمليات الجراحية التى يحول بها الذكر إلى أنثى والعكس والآثار المترتبة على ذلك .

٢ ـ مسألة نقل الأعضاء من الموتى وزرعها بواسطة عمليات جراحية للاحياء.

٣ ـ مسألة وضع تراجم للفقهاء ، فى العصور المتأخرة ، ودراسة عن مؤلفاتهم وفتاواهم .

ثالثاً : بالنسبة لما جاء عن « التأمين » رأت اللجنة الاكتفاء بما ورد من العلماء ، فى داخل جمهورية مصر العربية ، وخارجها ، من ردود على الاستفتاء الذى وجهه إليهم فى هذا الشأن ودراسة هذه الردود وإبداء الرأى فى الموضوع.

وبالنسبة لما جاء عن « تقنين الشريعة » رأت اللجنة استمرار السير فى خطة

العمل التى وضعت لذلك ، على أن ينظر فى اختيار عدد آخر من الأساتذة الذين يساعدون فى هذا العمل من الشرعيين ، والقانونيين .

لجنة الحضارة والبيئات والمجتمعات الاسلامية

١ - وضع الدراسات الموضوعية عن البيئات الاسلامية من نواحيها المختلفة الاحصائية والثقافية والسياسية والاقتصادية وغيرها لتكون عوناً فى وضع خطط الدعوة ، وبناء المؤسسات الاسلامية .

٢ - تشخيص مواطن الضعف فى المجتمعات الاسلامية والعمل على علاجها.

٣ - العمل على دعم الروابط بين المسلمين ، وتوثيق صلاتهم بمجمع البحوث الاسلامية .

٤ - المعركة مع إسرائيل : أوضاعها . واجباتها .

٥ - المقومات الثابتة والمتطورة للحضارة الإسلامية .

٦ - موقف الاسلام من الحضارة العالمية الحديثة .

٧ - موقف الحضارة الاسلامية من حقوق الانسان ، والموازنة بين هذا الموقف وموقف الحضارة الغربية .

٨ - أثر الحضارة الاسلامية وتعاليمها فى حركات الاصلاح السياسى ، والاجتماعى والدينى فى الغرب منذ عصر النهضة الأوروبية .

٩ - إقتصاديات الأمة الاسلامية وتوجيهها توجيها إسلاميا للقيام بدورها فى إعادة بناء المجتمع الاسلامى ويدخل فى هذا : اقترح البديل الاسلامى للنظام المصرفى الحالى .

١٠ - الأعمال التى تحول للجنة .

١١ ـ دراسة موضوعات المؤتمر القادم فيما يدخل في اختصاص اللجنة . واقتراح التوصيات والقرارات المتعلقة بها .

لجنة العقيدة والفلسفة

١ ـ دراسة التحديات والانحرافات الفلسفية والعقدية التى يواجهها الإسلام فى العصر الحاضر ، ومواجهتها بالتفنيد والرد ، وتشمل هذه الدراسة المذاهب والنظريات الآتية :

الوجودية ـ الوضعية المنطقية ـ البرجماتية ـ الحتمية التاريخية ـ البهائية ـ القاديانية ـ الماسونية ـ المستشرقون والإسلام .

٢ ـ دراسة الموضوعات التالية :

١) الإسلام والشباب .

٢) الإسلام والعلم .

٣) الإسلام والعقل ، ويدخل فى هذا وضع أسس لعلم كلام إسلامى حديث .

٤) التصوف ودوره فى إعادة بناء المجتمع ، ويدخل فى هذا : وضع أسس نظام النشاط الصوفى فى الأمة الاسلامية الحديثة .

٥) قضايا علم النفس والاجتماع والتربية المعاصرة ذات الصلة بالنواحى الأخلاقية والدينية .

٣ ـ المسائل التى تحول إلى اللجنة .

٤ ـ دراسة بحوث المؤتمر القادم فى الموضوعات المتصلة باختصاصات اللجنة . واقتراح التوصيات والقرارات المتعلقة بها.

لجنة دائرة المعارف الاسلامية

وقد أقر المجلس تكوين هذه اللجنة لإتخاذ الخطوات نحو وضع مشروع لدائرة المعارف الإسلامية التى تغنى الباحث عن دوائر المعارف الأخرى بما فيها من أوجه نقص معروفة لدى الباحثين .

بيـــان

بأورقة مجمع البحوث الإسلامية

١٣٩ هـ / ١٩٧ م

١ — رواق دروس قرآنية :

١ ـ فضيلة الأستاذ الدكتور / عبد الجليل شلبي
٢ ـ « « « / على عبد العظيم
٣ ـ « « « / يحيى هاشم
٤ ـ « « « / إسماعيل سعداوى
٥ ـ « « « / محمد عميرة على
٦ ـ « « « / إبراهيم النويهى
٧ ـ « « « / أحمد رمزى

٢ — رواق دائرة المعارف القرآنية :

١ ـ فضيلة الأستاذ الدكتور / عبد الجليل شلبي
٢ ـ الأستـــاذ / على عبد العظيم
٣ ـ فضيلة الأستاذ الدكتور / يحيى هاشم

٤ ـ الأستاذ / إسماعيل سعداوى

٥ ـ فضيلة الأستاذ / محمد عميرة على

٦ ـ « « / أحمد خليفة

٣ ـ رواق دائرة المعارف الإسلامية :

١ ـ فضيلة الأستاذ الدكتور / عبد الجليل شلبي

٢ ـ الأستاذ / عبد العزيز عبد الحق

٣ ـ « / على عبد العظيم

٤ ـ فضيلة الأستاذ / يحيي هاشم

٥ ـ « « / متولى يوسف شلبي

٦ ـ « « / إبراهيم النويهى

٧ ـ « « / إبراهيم طه الفار

٨ ـ « « السفير / أحمد رمزي

٤ ـ رواق تفسير التفسير :

١ ـ فضيلة الشيخ / مصطفى الطير

٢ ـ « « / طه الساكت

٣ ـ « « الدكتور / عبد الجليل شلبي

٤ ـ « « / مصطفى الشريف

٥ ـ « « / على عبد العظيم

٦ ـ « « « / عبد الحكيم نعناع

٧ ـ « « الدكتور / أحمد مهنا

٨ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / الحسيني أبو فرحة
٩ ـ » » » / عبد المهيمن الفقي

٥ ـ ٦ ـ رواق جمع الجوامع والمتشابة من السنة :

١ ـ فضيلة الشيخ / مصطفى الطير
٢ ـ » » / طه الساكت
٣ ـ » » / المنشاوي عبود
٤ ـ » » / محمد أمين البدوي
٥ ـ » » / محمد حسام الدين
٦ ـ » » / عبد العظيم موافي
٧ ـ » » / عبد المولى محمد إبراهيم
٨ ـ » » / إبراهيم محمد الفار
٩ ـ » » / عبد الرحيم الرفاعي بكره
١٠ ـ » » / فاروق الغنام
١١ ـ فضيلة الشيخ / إبراهيم مصباح
١٢ ـ » » / علي فرحات حلوه
١٣ ـ » » / عبد الحميد ندا

٧ ـ رواق العقيدة والفلسفة :

١ ـ فضيلة الدكتور / متولي يوسف شلبي
٢ ـ » » / حسن عيسى عبد الظاهر
٣ ـ » » / عماد خفاجي
٤ ـ » » / مصطفى عمران

٥ ـ فضيلة الدكتور / عبد العزيز سيف النصر
٦ ـ « « / يحيى هاشم

٨ ـ رواق تقنين المذهب الحنفى :

١ ـ فضيلة الشيخ / محمد سامون
٢ ـ الأستاذ / محمد عبد المنعم ناصف
٣ ـ « / أحمد سعيد ثابت
٤ ـ « « الشيخ / محمد عبده البحيرى
٥ ـ « « « / عبد التواب باظه

٩ ـ رواق تقنين المذهب الشافعى :

١ ـ الدكتور / طنطاول مصطفى طنطاوى
٢ ـ الأستاذ / محمد عطية خميس
٣ ـ « / محمد سلامه
٤ ـ الدكتور / محمد جمال الدين عواد
٥ ـ الأستاذ مستشار / محمد محمود علام
٦ ـ الأستاذ الشيخ / محمد محمد عيسى

١٠ ـ رواق تقنين المذهب الحنبلى :

١ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / عبد العظيم بركة
٢ ـ الأستاذ المستشار / محمد زكى البنهاوى
٣ ـ فضيلة الشيخ / عبد الفتاح بركة
٤ ـ « « / عبد الغنى بركة

(ح) مشيخة الأزهر

مقدمة لابد منها :

كان من المقرر عند ضباط ثورة ٢٣ يوليو بعد إلغاء القضاء الشرعى محاولة تفتيت الأزهر لإضعافه .

وقد ظهر جليا هذا الأمر في حياكة قانون الأزهر رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١م والذى كان بطله المقدم : كمال الدين حسين ثم كمال الدين رفعت والمرحوم محمد سعيد العريان .

وقد تحدث عن ليلة مهزلة التصويت على هذا القانون السيد الأستاذ فتحى رضوان: تحدث مرتين : مرة فى عام ١٩٧٤م فى مقال نشر له بجريدة الجمهورية العدد ٧٥٠٢ السنة ٢١ الصادر بتاريخ يوم الخميس ٢١ من جمادي الثانية سنة ١٣٩٤ الموافق ١١ من يونيوسنة ١٩٧٤ الموافق ٤ أبيب ١٦٩٠ والذى سأنقله بنصه هنا عن الجريدة من صفحاتها السابعة ، والحادية عشرة .

ومرة ثانية فى مجلة الاعتصام بعددها السابع السنة الثامنة والثلاثون الصادر فى ربيع الأول ١٣٩٦ هـ الموافق مارس ١٩٧٦ م .

وكان من نتائج هذا القانون إهدار قيمة شيخ الأزهر إدارياً وعدم قدرته أو عدم صحة تصرفاته فى الأزهر .. على نحو ما سيظهر فيما بعد .

قال الأستاذ فتحى رضوان فى مقالة بجريدة الجمهورية :

الأزهر العظيم .. إلى أين :

قرأت فى عدد الخميس الماضى مقالا للأستاذ محمد دياب بعنوان : حاكموا

قانون تطوير الأزهر- فتداعت له ذكريات ليلة فريدة فى تاريخ حياتنا النيابية وحياتنا الفكرية على السواء ليلة شهدها مجلس الأمة ، فى أخريات شهر يونيه سنة ١٩٦١ . وكانت ليلة أزهرية من الألف إلى الياء ، لأنها خصصت لمناقشة مشروع القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١ م الخاص ، باعادة تنظيم الأزهر والهيئات التابعة له ، على أن مناقشة أحكام القانون ومواده ، لم تكن هى التى أضفت على تلك الليلة . . قيمتها التاريخية ، وإنما استمدت الليلة هذه الصفة ، مما وقع قبل مناقشة القانون ، فانه ما كاد يتصل بعلم النواب ، فكرة هـذا هذا القانون أو مبدؤه ، حتى حدث شيء عجيب ، لا أحسب أن القبة التى تعلو مجلسنا التشريعى ، والتى بقيت زمناً تسمى (قبة البرلمان) قد أطلعت على شيء مثله .

ولست أريد أن أصف لك ما حدث ولكنى أدع لك أن تتصور — دون أن تضع لتصورك حدوداً — جماعة كانت هادئة ساكنة ، ثم أثار خاطرها ، وهاج غضبها فجأة أمر لم تستطع معه أن تضبط نفسها ، فكان التلويح بالأيدى وكان الصراخ من الحناجر وكانت غضبة بادية فى الوجوه ، والأصوات ، واحتجاج تقلصت له الشفاة وأكفهرت له الجباة .

وربما رأيت اثنين يلوحان بالأزرع ويكاد أحدهما يمسك بتلابيب صاحبه ويهزه بعنف ، ثم يدعه لغير سبب ، ثم ينتقل إلى آخر ، فيفعل معه نفس الفعلة ، وقد يكون أحد هذين مصرياً والآخر سورياً . وقد يكون أحدهما عصرياً ببدلة وربطة عنق ، والآخر من صعيد مصر ، أو ريفها بعمامة ، جبة وقفطان .

فى هذه الليلة ، أعلن عن (قانون تطوير الأزهر) ، فكان هـذا الانفجار ولم يكن بهذا الانفجار بأس ، فقد دل على أن فى النفوس حيوية ، لم تنفذ ، وقدرة على التعبير عن الرأى لم تخمد ، وحب للأزهر ، وحرص عليه ،

وفهم لدوره ولرسالته لم تقض عليه سنوات من تشتت العقول والنفوس ، وحيرة بين المسالك والدروب ، وتلاطم أصوات الداعين إلى مذاهب لا حصر لها ، ومبادىء لا عهد للناس بها .

ولا شك فى أن مرد هـذا الانفعال الشديد ، كان تصور الكثيرين أن الأزهر الذى يعرفونه ويحبونه ، ويتمنون أن يمسك بيده مقاليد كثير من الأمور سيختفى وسيحل محله شىء جديد أشبه بالغراب الذى أراد أن يقلد الطاووس فلم يبق غراباً ، ولم يصبح طاووساً ، وراح بين الطيور موضعاً للهزء ومحلا للسخرية .

وقد كانت حجة فريق من الغاضبين المحتجين أن الأزهر بقرونه العشرة ، وسنواته الألف ، وتاريخه الطويل العريض، الذى صاحب الانتصارات المجيدة والهزائم المزلة والذى أخرج أجيالا من العلماء والفقهاء والخطباء والشعراء ، الفحول الفطاحل ، هذا الأزهر لا يمكن أن يدبر أمره ، ويبدل نظامه ، ويغير منهجه فى ليلة مهما كانت هـذه الليلة مباركة ، فالأزهر لم يكن ، وليس هو جامعة من الجامعات ، ولا وزارة من الوزارات ، وإنما هو خليط عجيب وعظيم من الدين والفكر والعلم والسياسة ، والتاريخ والحكم . . فالتفكير فى تطويره والانتهاء من التفكير والتدبير إلى البت والتقرير فى بضع ساعات أمر يأباه مقام الأزهر ويخرج عن طاقة البشر .

على أن الذى زاد من فزع الذين فزعوا ، أن ما ألقى إليهم فى إجمال وإيجاز ، ذكر كليات علمية وعملية كالطب والهندسة والعلوم والتجارة ولم يتسع لهم الوقت . ولم تواتهم النفس ليفهموا كيف ستكون العلاقة بين كليات الأزهر التى تعلم الدين ، وتشرح القرآن ، وترعى اللغة العربية وتلقن أحكام الشريعة وهذه الكليات وهل هذا التجاور بين علوم ، قام فى الوهم أنها

علوم الماضى أو علوم الآخرة . وعلوم ثبت فى اليقين ، أنها العلوم التى يحتاج إليها الناس ليتقدموا ، ويزدادوا ثراء ، وتزداد حياتهم سعةورفعة ، ويزدادوا قدرة على منافسة الأقوياء وسبقهم إلى مواطن القوة والمنعة ، سيبقى تعايشاً سلمياً أم ستجور قليلا قليلا وشيئاً فشيئاً المواد التي تمنح المرتب الكبير ، والمكانة العظيمة . وتمهد الطريق إلى الجاه والنفوذ . على مواد يقول الكثيرون أنها لاتسد رمقاً ولاتقيم أوداً ، ولاتملأ جيباً ولاتمنح نفوذاً . . وحينما يبدأ التصور ، لاتضمن أن يفضى التصور الى التوهم وحينما يبدأ التوهم ، لاتدرى أين يقف الإنسان .. وقد كان ..

لم يقرأ أحد ليلتئذ المذكرة الشارحة للقانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ فى شأن تطوير الأزهر والهيئات التابعةوحسنا فعلوا ، فان بعض مافيها كان خليقا أن يزيد الغضب ضراما وحدة والاحتجاج عنفاً وشدة . قالت هذه المذكرة.. « على أن العالم الإسلامي قد أنفسح مداه ، واتسع نطاقه وطل على آفاق فكر جديدة ، ووضعته الظروف التى تمر بهموضع الاختيار فى مجالات شتى ، وأكثره قد خرج منذ قريب من تحت نير الاستعمار وفى نفوس أهله آمال جسيمة لاستكمال أسباب تحرره ونهضته .

ثم قالت : وفى كثير من البلاد التى تخلصت حديثاً من ربقة الاستعمار ، رغبة فى تخطيط للبناء والعمل ، والانتاج فى مجالات الصناعة والتجارة والتعدين والتعليم والصحة . وغيرها من أسباب النهوض ، وهى حين نلتمس الخبراء فى كل نوع من أنواع هذا النشاط لاتكاد تجد إلا أجانب عن بيئتها ودينها ، من المواطنين أو من غير المواطنين ، وحين نلتمس من المواطنين خبراء يملكون مع الخبرة معارف دينية صحيحةوعقيدة واعية لاتكاد تعرف أين توفدهم ليتعلموا ويستفيدوا الخبرة والمعرفة والعقيدة وهى عناصر ثلاثة ضرورية لتستكمل معها البلاد نهضتها وتمضى فى وجهها على الطريق السوى .

والجملة الأولى تحمل معانى ، منها أن امتحان العالم الإسلامى واختباره يقتضيه ، أن يضيف إلى العلوم التى عاش الأزهر يعلمها فى الدين واللغة والشريعة ، علوم التجارة والصناعة والتعدين والتعليم والصحة هذه واحدة .

والثانية أن شعوب أفريقيا وآسيا التى تحتاج الآن إلى خبراء فى شئون الحياة العصرية ، يريدون أن يوفدوا أولادهم إلى بلد ، يعطيهم العلم الحديث ويعطيهم فوق ذلك فقه الدين ، والعقيدة الصالحة ، ولا يستطيع أن يعطى الإثنين إلا الأزهر ، فعليه أن يضيف إلى كلياته ، كليات تزود أبناء المسلمين من غير مصر . ما يحتاجون إليه ، على أن يتم ذلك تحت عباءة الأزهر ، وفى ظل مئذنته . وعن الأولى يمكن القول بأن اختيار العالم الإسلامى ، فى عصرنا الحديث يقتضينا العودة إلى كتب السلف الصالح ، لنقرأها ، كما كان أجدادنا يقرأونها ، وأن نفهمها كما كان الذين جاءوا بعدهم يفهمونها ، وأن ننحى جانباً ، هذه الأكداس من الورق التى وضعت فى عهد انحلال العالم الإسلامى ، وهلاك سلطانه وانطفاء نور دينه فى قلوب الحاكمين والمحكومين ، وهى كتب تنتسب إلى الأزهر وإلى الإسلام زوراً وبهتاناً . وفيها قليل من المعرفة ، وكثير من الأباطيل والهراء السخيف والعودة إلى آثار القدامى الجليلة الرائعة . وتعويد الأذهان على فهمها وتذوقها هى سنة جميع الأمم التى بعثت نفسها بعد موت ، وأنفضت غبار الجهل بعد اخلاد إليه ، واستسلام لظلامه ، أما ضم كليات العلم المصرى ، علم المادة وتطبيقها فلا تزيد عن إلصاق بناء حديث إلى بناء قديم . وهو عمل عضلى ومالى وتشريعى ، ليس فيه من تطوير الفكر والروح شىء مطلقا ، أشبه شىء بتغيير لوحة على باب فى الخارج وإبقاء كل شىء فى الداخل على حاله ونظامه فلا يعد هذا من الفكر الإسلامى قبولا للتحدى ، بل تسليما بالهزيمة . وإقراراً بأن ما عنده لا يصلح للناس ، وأن عليه أن يستعير ما عند غيره . .

أما تزويد أبناء المسلمين من دول أفريقيا وآسيا بالعلم الحديث والخبرة في شئون المال والصناعة والتجارة ، مع توثيق روابطهم بالدين فغاية ، الوسيلة إليها أهون بكثير من تطوير الأزهر ، أو اعتزام تطويره في ليلة .

فهؤلاء الطلاب يمكن بأيسر سبيل أن تستقبلهم مصر ، وتعد لهم منهجا اعداديا ، يتعلمون فيه اللغة العربية ويتلقون مبادىء الدين ، وقواعده . ثم يتولاهم في جميع المراحل ، مراحل التعليم الجامعي العادي . في كليات جامعاتنا في القاهرة وعين شمس والاسكندرية ، وباقي الجامعات أئمة ومرشدون ، في دور خاصة بهم يؤمونهم في الصلاة ويزيدونهم علماً باللغة ، وفقها للدين ، وإدراكا لتاريخ الإسلام . وليس حتما أن يتم الأمر على هذا المنوال ، إنما هذا مجرد اقتراح ، يمكن أن يستبدل به سواه ، فسبل تحقيق الغاية المنشودة عديدة وكلها ميسور ، ولا يعز على الدولة حين تصح العزيمة .

ما هي المشكلة ؟

وتبقى مشكلة الأزهر على حالها . ومشكلة الأزهر ، لا تخصه وحده والتفكير فيها ، لا يهتدى إلى الحل السوى ، إلا إذا علمنا وثبت في يقيننا أن ما يعاني منه الأزهر ، هو ما يعاني منه المسلمون ، وما يعاني منه الإسلام في قلوب المسلمين وعقولهم ، عند حكامهم وشعوبهم ..

فالإسلام – كما قالت بحق المذكرة الشارحة لقانون تطوير الأزهر – لا يفرق بين دنيا وأخرى ، ولا بين علم وعلم ، كل ما هو معرفة بشيء في هذا الكون ، هو علم مفروض على المسلمين أن يلتمسوه ولو في الصين وأن يلتمسوه عند المسلمين المؤمنين وعند الكفار والمشركين ، فالحقيقة زدني علما ، تفسره السنة الشريفة : « لمداد تريقة أقلام العلماء خير من دماء الشهداء » . .

ولذلك كان الجامع الإسلامي ، يشرح القرآن ويفسره ، ويشرح الحديث

ويحققه ، ثم يعلم الفلك والطب والفيزياء والكيمياء وتقويم البلدان وتاريخ المسلمين وغير المسلمين . وكان العالم المسلم ، لا يؤذن له ، بأن يجلس على كرسي معتمد إلى عامود فى الجامع إلا إذا أذن له شيوخه وأساتذته بهذا المقام فاذا جلس على الكرسى ، سمع له من التلاميذ ، من اطمأنوا إليه ووثقوا بعلمه ، وإلا تركوه لغيره ، ولا إكراه فى الدين . .

وكان أشياخنا يلبسون عباءاتهم الفضفاضة ، ذات الأكمام الواسعة . المائلة إلى السواد وقاراً واحتشاما ، ولما أدال الله على دول المسلمين وحكامه وركبهم الأجانب بالذل والظلم هاجر العلم من بلاد المسلمين إلى بلاد الأجانب ، وأينع هناك وازدهر أخذوه منا ، فى مظهره وجوهره ، فأصبحت جامعات اكسفورد والسربون كليات لاهوت أولا ، ثم كليات طب وفلك ثانياً ، ثم أصبح الأستاذ الكبير فى مادته ، هو الأستاذ صاحب الكرسى ، تشبها بالمسلمين ، وأصبحت العباءة أو الجبة الفضفاضة فى أوربا هى الثوب الجامعى ، فى لونه ، واتساعه . . وترجم اسم الجامع إلى اللاتينية ، فأصبح Universtdties — فالأصل فى الجامع أنه جامعة لكل العلوم ، لا شىء اسمه علم المسلمين أو علم الدين أو علم الآخرة ولا شىء اسمه علم الدنيا ، أو علم المادة ، أو علم الأجانب عند المسلمين الدنيا طريق الآخرة ، لا يمكن الوصول إليها قفزاً والمسلم يثاب على اللقمة التى يضعها فى فم امرأته ، وعند المسلمين أن هناك ذنوبا لا يكفرها لا القيام ولا الصيام وإنما يكفرها الهموم فى طلب العيش . .

ولكن لما ترك العلم بلاد المسلمين لأنه يذهب دائما مع الأقوياء ، ويعيش فى ظلهم ، ويبقى فى كنفهم يزيدهم قوة ، فيزيدونه مقاما وهكذا دواليك ، حتى يضلوا عن الطريق السوى ، فتنزل بهم كوارث الفقر والضعف ، فيحمل العلم كتابه ومداده وكتبه ، ويذهب إلى قوم آخرين .

هاجر العلم من بلاد المسلمين فأقفرت معاهدهم من العلماء وأجدبت معاملهم ومخابرهم لنفاد روح البحث عند الباحثين ، فلم يبق فى الجامع إلا القليل الذى

يبقى على الجامع مظهره : مؤذن يؤذن ، وخطيب يخطب ويدعو لولى الأمر بالعز . والإقبال ، وأشياخ فى سمت العلماء ولحاهم يرضون بقشور العلم وانقسم علماء المسلمين فى عهود الظلام والظلم إلى واحد من اثنين : عالم يجرى فى ركاب الحاكم يحلل له الحرام ويحرم له الحلال ، ويسكت عنه غضب الغاضبين ، وآخر آثر أن ينجو بدينه إلى عزلة ، لا يقاوم ، ولا يتلقى من حاكم أمراً .. أما العالم الذى يقاوم ، ويجأر بالشكوى ، وينأله سوء العذاب فى الدنيا ، فكان يلوح بين الحين والحين ، لكى يبقى للناس إيمانهم بالحق وفهمهم الصحيح للدين .

العودة إلى الأصول :

ولم يكن الأزهر بدعا بين جوامع المسلمين وحكامهم ، هاجر منه العلم ووهنت صلة المسلمين بلغتهم ، حتى شق عليهم أن يقرأوا أمهات الكتب ، وموساعاتهم ، وقنع العلماء والأساتذة ، كما قنع الطلاب والتلاميذ بمذكرات بليت من كثرة ما تداولتها الأيدى ، ووقفت هذه المذكرات حائلا دون العلم بأصول الفكر الإسلامى ، محفوظا ومصونا ، فيما أودعه كبار الأئمة وتابعوهم فى بطون الأسفار ، ولو عاد المسلمون إلى هذه الكتب ، ومرنوا شيئاً فشيئاً على النظر فيها والصبر على الإحاطة بها . لحدث ما نزال ننتظره بصبر نافذ .

إن العودة إلى الأصول . تستقيم لها العقول ، وتصلح بها الأذواق . وتصح بها الأفهام وسيخرج حينما تتم هذه العودة من الأزهر ومن جميع مساجد المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها دعاة صلاح أصليون يحسنون النظر فى شئون أوطانهم وشئون هذه الدنيا الهايجة المائجة المضطربة التى تتعثر وتتخبط ، ولا تهتدى إلى شىء سليم لا فى السياسة ولا فى المال ، ولا فى العلم . وهؤلاء سيصلحون الأزهر ومساجد المسلمين الكبرى ، قبل أن يصلحوا شيئاً فى حياة الشعب . .

وقد كان الأزهر مطلب ومقصد الفقراء من أبناء الريف ، لأن التعليم كانت أبوابه مرصدة فى وجه هؤلاء أما اليوم فالتعليم فى جميع المدارس بالمجان . والإقبال على معاهد الأزهر الابتدائية قد يقل شيئاً فشيئاً ، وليس فى هذا بأس . إذ يجب أن يختار تلاميذ المعاهد الابتدائية التابعة للأزهر من الأفذاذ المتفوقين المتخرجين من مكاتب تحفيظ القرآن ، لأنهم سيتعلمون منذ البداية جميع ما سيتعلمه زملاؤهم فى المدارس الابتدائية والإعدادية ، ولكن تلاميذ المدارس الابتدائية الأزهرية سيتعلمون فوق ذلك نصيبا أكبر من اللغة العربية وسيحفظون أجزاء من القرآن أن لم يحفظوه كله وستطول دراستهم سنة أو سنتين ، ولابد من تعويضهم ببعض المال إذا لزم الأمر ، ويصرف الكتب لهم بلا ثمن ، فاذا انتقلوا إلى المدارس الثانوية ، اختير منهم أصلحهم ، وهكذا حتى يصلوا إلى كليات الأزهر القديمة : تلاميذ كغيرهم من المواطنين تماما ، مع تمييزهم بمعرفة ما يسمى الآن علوم الدين واللغة . .

فاذا وصلوا إلى سنوات التعليم الثانوى الأخيرة فى مدارس الأزهر الثانوية تخصصوا ، فمنهم من يدرس العلوم والرياضة أى يلتحقون بالقسم العلمى ، ومنهم من يدرس اللغة وآدابها ، أى يلتحقون بالقسم الأدبى . .

وفى كليات الأزهر ، يجب أن يدرس وعلى وجه التوسع والتفصيل كتب المسلمين فى الرياضة والفلك والطب والهندسة ، كما تدرس كتبهم فى التاريخ والجغرافيا ، وتكون مهمة بعض هؤلاء نشر هذه الموسوعات القديمة، وشرحها، وتقريبها للناس والبناء عليها . وخريجو هذه الكليات توزعهم الدولة كما توزع طلاب الكليات الحربية على وجوه النشاط المختلفة فى القوات المسلحة ، فمنهم من يعلم فى كليات الأزهر ومعاهده ومنهم من توفده الدولة إلى مختلف أقطار المسلمين وطلاب هذه الكليات سيعتنون باللغات الغربية والشرقية عناية خاصة. ولما كانت دراستهم ستطول أيضا . فلابد أن يعوضوا ماديا . فاذا انتهوا من التعليم لم ينس كفاحهم هذا ، ولا إعدادهم الطويل ، بل تتولاهم الدولة .

وتحرص عليهم وتنتفع بهم فى مصر والبلاد العربية وخارجها فى كل قارات العالم . .

من هنا سيثوب الأزهر إلى نفسه ومن هنا سيستطيع المسلمون أن يقابلوا التحدى الذى يواجه المسلمين وغيرهم فى الأيام العصيبة التى تمر بها الإنسانية جمعاء ، سيكون هؤلاء أزهريون حقا . لأنهم علموا علم أجدادهم من أصوله الكبرى فى أناة وتريث ، بغير انشغال البال بالوظيفة والمرتب ورزق العيال . ولأنهم مختارون وأفذاذ . فسيكون عطاؤهم عظيما . وسيكونون أينما وجهوا أكفاء لحمل رسالة الأزهر والإسلام والتعليم الصحيح على وجهها الذى يشرف دينهم ومعهدهم ولغتهم ووطنهم وإنسانيتهم . .

فاذا اتجه بعض هؤلاء - بعد الدراسة الثانوية - إلى جامعات العلم الحديث، فى مصر أو فى غيرها ، خرج منهم الأطباء والمهندسون والقانونيون ، فمن هؤلاء الذين تعلموا علوم القرآن ولغته وتاريخه وشريعته فى مراحل تعليمهم الأولى ثم تعلموا العلم العصرى ، يكونون نواة أساتذة كليات الأزهر ، التى تعلم الطب والهندسة وغيرها . . وبذلك يعلم فى كليات الأزهر الحديثة أساتذة أزهريون ويتعلم فيها تلاميذ أزهريون ، ويضيف هؤلاء وهؤلاء ، إلى العلم الحديث أشياء تلقوها من السابقين من علماء المسلمين فى كل فرع ودرب من فروع ودروب المعرفة . .

ولكن هذا كلام يحتاج إلى شرح وإضافة ، وقد أعود إليه بعد حين ، باذن الله . .

الشيخ شلتوت وتجربة قاسية مع قانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١ :

كان الأستاذ الأكبر الراحل الشيخ محمود شلتوت وهو من العلماء القلائل فى الفتوى والفقه والدعوة إلى الله . كان من أوائل الذين وافقوا على قانون تطوير الأزهر ورحب به ولكنه رحمه الله تعالى لم يكن يقدر أن النص على وجود وزير لشئون الأزهر يعنى وضع مكانة الأزهر وشيخه تحت وصاية الحكومة بله الوزير المختص .. كان يظن أن الحكومة قد عينت له سكرتيراً بدرجة وزير يتولى حمل الرسائل من مشيخة الأزهر إلى الحكومة التى سوف تسارع بتلبية حاجات الأزهر لأن سكرتيراً لشيخ الأزهر له صوت جهورى فى مجلس الوزراء سوف يرعد ويرعب المجلس لأنه يحمل حقائب الرسالة المقدسة التى كلفه بها شيخ المسلمين الإمام الأكبر .

وما كان يدرى الشيخ شلتوت رحمه الله أن أول مصيبة تنقض على الأزهر وعلى شيخه هى سلب اختصاصات شيخ الأزهر وردها كلها إلى الوزير المختص بل صدر قرار جمهورى يفوض الوزير المختص فى قرارات المجلس الأعلى للأزهر كما نشر ذلك فى جريدة الأهرام الصادرة فى ١٩٦٣/١/١٩ فلم يسع الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت رحمه الله إلا أن يقدم استقالته إلى رئيس الوزراء على صبرى صاحب اليد السوداء فى القضاء على الأزهر ومشيخته وذلك بتاريخ ٢١ شعبان سنة ١٣٨٣ هـ الموافق ١٧ يناير ١٩٦٣ وتسلم المسئولون الإستقالة وهم يتضاحكون فتلك أمنيتهم : فإن تخريب الأزهر وارتفاع أنين علمائه ، وسماع الدنيا صراخهم أمر مطلوب مرغوب فيه حتى يعلم الرفاق فى موسكو وبلدان العالم الإشتراكى الشيوعى أن الناصريين استطاعوا هدم ألف عام إسلامية فى حياة المسلمين قاطبة وأن قبلة المسلمين الثقافية قد تصدعت . . وأحس الأستاذ الأكبر الشيخ شلتوت بما دبر للأزهر فاعتكف فى بيته بعد أن أرسل خطاباً قاسياً إلى جمال عبد الناصر

يحمله تبعة ما حدث في الأزهر وكان ذلك في ٢٤ من رمضان سنة ١٣٨٢ هـ الموافق ٢٠ يناير سنة ١٩٦٣ .

وظلت المشكلة قائمة حتى بعد أن انتقل إلى رحمة الله وجوار ربه الغفور الاستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت في رجب سنة ١٣٨٣ وظلت الحكومات المتعاقبة تبارك الركود الذى أصاب الأزهر الشريف ومشيخته وفي محاولة جادة أراد الدكتور عبد الحليم محمود وهو وزير الأوقاف وشئون الأزهر عام ١٩٧٢ أن يعيد لشيخ الأزهر مكانته ولكن الحكومة رفضت على نحو ما ألمح إليه في مذكراته التى ستأتى قريباً ، فكان أول قضية يجابهها وهو شيخ الأزهر هي قضية مكانة الأزهر وشيخه ، ومن هنا تبدأ فترة المشيخة الزاهرة بالأعمال الجديدة والتى يمكن أن أوجزها في هذه القضايا :

- قضية مكانة الأزهر وأوقافه .
- قضية نشر المعاهد الأزهرية .
- قضية تطبيق الشريعة الإسلامية والأحوال الشخصية .
- قضية التوسع في كليات جامعة الأزهر .
- قضية التنمية الأخلاقية .
- قضية الأقليات الاسلامية .
- تعبئة الأمة للجهاد المقدس :

(أ) نحو تحرير الأرض .

(ب) نحو صد التيار الشيوعى .

(جـ) نحو صد التيار الصليبي .

أولا : استرداد مكانة الأزهر

ومشيخته وأوقافه

(أ) مكانة الأزهر ومشيخته :

تولى الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم مشيخة الأزهر فى إبريل سنة ١٩٧٣ أثر خروجه من وزارة الأوقاف بعد جهوده المباركة فيها :

- بعد أن ضم إلى الأوقاف ١٥٠٠ مسجداً أهلياً .
- وبعد أن أنشأ ألفى حلقة لتحفيظ القرآن الكريم .
- وبعد أن أنشأ ألف فصل دراسى لتقوية طلاب المدارس .
- وبعد أن جعل فى كل مسجد مكتبة إسلامية .

وذلك كله خلال عام واحد أمضاه فى الوزارة التى يئن منها كل شجاع نشيط ولكنها كانت بركة الشيخ ومعونة الله جل جلاله لوليه العارف بجلال قدسه العظيم .

وطبيعة الشيخ رضى الله عنه هادئة هدوء نسيم الصباح لا يحب أن يأخذ الامور بالعجلة ، ولا بالعنف ولا بالقسوة ، ولا يحب أن يضفى على موقف له غير طاعة الله والإنقياد لأوامره والإخلاص لجنابه المقدس .

ولم يكن فى تصور الإمام الأكبر رضى الله عنه أن واحداً من علماء المسلمين تغريه الوزارة ويلوذ بها ويتقاعس عن رد مكانة الأزهر إلى أصلها ذلك أن كل عالم أزهرى ماله إلى الأزهر لأن الأزهر هو حصن

المسلمين والعلماء هم سادة هذا الحصن فالمقام الكريم لأى عالم من علماء الأزهر هو الأزهر نفسه .

وسار الشيخ فى أول مشيخته يدعو إلى الناس إلى الإستغفار والتوبة ويذكرهم بالإستعداد للقاء المترقب لتحرير أرض الوطن وأخذ شوطاً طويلا فى فروع القوات المسلحة يحاضر هنا وهناك ، وراح كذلك يدعو الشعب إلى التخلص من كل ذنب والتوجه إلى الله بقلب سليم والعزم على تحرير الوطن من كل عدو وغاصب .

وتلك مهمة قديمة للأزهر .

فالأزهر حارب الفرنسيين .

والأزهر حارب الإنجليز .

والأزهر اليوم يجب أن يحارب اليهود المغتصبين الغاشمين .

وفى هدوئه الهادىء وفى حياته الرتيبة وفى وقاره الشامخ الجم راح يطالب برفق رفيق المسئولين لإعادة الأزهر إلى مكانته واعادة مشيخة الأزهر إلى جوهرها الطبيعى .

ولم يكن رفقه ضعفاً ولكنه خلق ، إنه يؤثر الرفق والإحسان فى كل شىء .. وبهذه الخلقية الكريمة اليتيمة كان يستحث المسئولين وكان يعذرهم للظروف التى كانت تحيط بالوطن آنذاك وهى :

احتلال سيناء .

التمرد الشيوعى

التمرد الدولى

القضايا الداخلية

وفجأة - والشيخ الجليل المهيب الموقر يعد العدة للعمل - يصدر القرار الجمهورى رقم ١٠٩٨ لسنة ١٩٧٤م بتنظيم وزارة شئون الأزهر وتحديد مسئولياتها .

وملخص خلفية القرار : أن القوى العاملة ضد الأزهر والإسلام فى نفس الوقت استطاعت أن تفعل بالأزهر مالا يفعله جمال عبد الناصر ورفاقه ومجموعة الشيوعيين فقد صار كل شيء فى الأزهر بعد هذا القرار ميتا وصارت الوزارة هي كل شيء في تحقيق رسالة الأزهر ، ومسخ الأزهر نهائياً وبات مشلولا.

قرار رئيس جمهورية مصر العربية

رقم ١٠٩٨ لسنة ١٩٧٤

بتنظيم وزارة الأزهر وتحديد مسئولياتها

رئيس الجمهورية .

بعد الإطلاع على الدستور .

وعلى القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ بشأن إعادة تنظيم الأزهر والهيئات التي يشملها .

وعلى قرار رئيس جمهورية مصر العربية رقم ٢٤٢٠ لسنة ١٩٧١ بتنظيم الجهاز الحكومي .

وعلى قرار رئيس جمهـــورية مصر العربية رقم ٦١٠ لسنة ١٩٧٤ بتشكيل الوزارة .

وعلى موافقة مجلس الوزراء .

وبناء على ما أرتآه مجلس الدولة .

« قـــرر »

المادة الأولى : تقوم وزارة شئون الأزهر على تحقيق الأهداف التى صدر من أجلها قانون إعادة تنظيم الأزهر رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ ومن أهمها إعداد المتخصصين فى تعليم القرآن الكريم وعلوم الدين واللغة العربية وإعداد العالم الإسلامى والداعية الإسلامى والتبحر فى العلوم الدينية وغيرها من العلوم الدينية وغيرها من العلوم والعمل على حفظ التراث الإسلامى وتجليته ونشره وإظهار حقيقته فى تقدم البشر .

وهي تمارس مسئولياتها لتحقيق هذه الأهداف على النحو التالي :

١ ـ بحث واقتراح السياسة التعليمية والتربوية في التعليم الأزهري بما يتفق والأهداف القومية في نطاق السياسة العامة للدولة ووضع الخطط والمشروعات والبرامج لتنفيذ هذه السياسة بما يلائم حاجات البلاد .

٢ ـ تقرير المناهج التي تؤدى إلى الغرض من التعليم الأزهري مع مراعاة الربط والتكامل بين هذه المناهج في مختلف مراحل التعليم وتحقيق التوازن بين المواد الدراسية المختلفة والخبرة المطلوبة في نهاية كل مرحلة تعليمية .

٣ ـ تشجيع البحث العلمي الإسلامي ونشره وتوجيهه لحل مشكلات المسلمين في الموضوعات التي تحتاج إلى رأي الإسلام .

٤ ـ ربط التعليم الديني والبحث العلمي الإسلامي بحركة المجتمع ، ومتطلباته بالتنسيق مع الوزارات المختلفة والمجلس القومي للتعليم والبحث العلمي والتكنولوجيا .

٥ ـ تجميع التراث الإسلامي ورعايته والعمل على تجليته ونشره .

٦ ـ تقديم الخدمات التعليمية الدينية بمراعاة التوزيع الجغرافي بحيث تتكافأ الفرص لجميع المواطنين .

٧ ـ وضع الخطة لإنشاء الأبنية التعليمية واستكمالها لمواجهة النمو المستمر في التعليم الأزهري بما يكفل أداء الخدمات التعليمية على أكمل وجه وتشجيع الجهود الذاتية في ذلك .

٨ ـ وضع الخطط لمواجهة احتياجات العالم العربي والإسلامي من علماء الأزهر بما يكفل توثيق الصلات وتدعيمها مع دول هذا العالم وشعوبه .

٩ ـ تدعيم هيئات التدريس في المعاهد الدينية وجامعة الأزهر بما يكفل الارتفاع بمستوى التعليم الأزهري .

١٠ – وضع الخطط الخاصة بالبعثات العلمية الموفدة من الأزهر لسد احتياجات جامعة الأزهر من هيئات التدريس فى إطار السياسة العامة التى ترسمها الدولة .

١١ – العناية بالوافدين إلى الأزهر لتلقى العلم به ورعايتهم من النواحى العلمية والاجتماعية والصحية .

١٢ – العناية بالمراكز الإسلامية فى الخارج وتدعيمها والعمل على زيارتها وتمكينها من أداء رسالتها .

١٣ – وضع الخطة اللازمة لتمويل مشروعات قطاعات الوزارة المختلفة وإعداد الموازنة العامة لوزارة شئون الأزهر وهيئاته وأجهزته .

١٤ – متابعة تنفيذ الخطط والمشروعات وإعداد مشروعات القوانين والقرارات المتعلقة باختصاصات الوزارة .

المادة الثانية : تشكل وزارة شئون الأزهر على الوجه الآتى :

أولا : (أ) وكالة الوزارة لشئون مكتب الوزير وتضم :

١ – المكتب الفنى . ٢ – مكتب المستشار القانونى .

٣ – إدارة التخطيط والمتابعة والإحصاء .

٤ – إدارة العلاقات العامة . ٥ – إدارة التدريب .

٦ – إدارة الشئون الهندسية . ٧ – مكتب الأمن .

٨ – مكتب الشكاوى . ٩ – السكرتارية الخاصة .

ثانياً : (ب) وكالة الوزارة لشئون الثقافة الإسلامية وتشرف على :

(أ) الإدارة العامة للوعظ والإرشاد .

(ب) إدارة الثقافة والنشر .

(جـ) إدارة البعوث والعلاقات الخارجة .

ثالثاً : (جـ) وكالة الوزارة للشئون المالية والإدارية :

(أ) إدارة الشئون المالية .

(ب) إدارة الشئون الإدارية .

(جـ) إدارة الشئون القانونية .

(د) إدارة التفتيش المالى والإدارى .

المادة الثالثة : يتبع وزير شئون الأزهر « الأزهر والهيئات التى يشملها » .

المادة الرابعة : يصدر وزير شئون الأزهر القرارات اللازمة لتنظيم العمل وتحديد الاختصاصات وتوزيعها بوزارة شئون الازهر .

المادة الخامسة : ينشر هـذا القرار فى الجريدة الرسمية ويعمل به من تاريخ نشره .

صدر برياسة الجمهورية فى ١٧ جمادى الآخرة ١٣٩٤ (٧ يوليو ١٩٧٤) .

(أنور السادات)

صورة للسيد وزير شئون الازهر

أمين عام مجلس الوزراء

توقيـــع

(أحمد صلاح الدين عفيفى)

فلم يسع الشيخ عندما وصله صورة هذا القرار إلا أن قدم استقالته .

وإنه لمن الحق أن أقرر أن الإمام الاكبر رضى الله عنه قد كتب استقالته بيده وتوجه وحده إلى القصر الجمهورى وسلمها إلى المسئولين ولم يعلم أحد قط بها وليس فى ملفات المشيخة صورة من هـذه الاستقالة ، كما أن أحداً لم يعرف

الوقت الذى ذهب فيه الشيخ إلى رياسة الجمهورية ، ذلك لانه رحمه الله كان حليما هادئاً لا يفعل شيئاً إلا ابتغاء وجه الله ، فلم تكن استقالته من أجل ذاته ولا من أجل منصب ، بل كانت للاسلام وللأزهر .. ولكن بقايا مراكز القوى أو بعض الذين تربوا فترة مع مراكز القوى ما زال يحلو لها أن تفسر المواقف الإسلامية بصورة سياسية .

لقد قدمت الاستقالة فى شهر يوليو سنة ١٩٧٤ أثر النصر المبارك الذى من الله به علينا فى غزوة بدر الحديثة بسيناء وجاء المجاهد العظيم الملك فيصل إلى مصر ليقدم التهانى ويرى آثار بركة الله على أرض سيناء فأول المسئولون استقالة الشيخ بأنها مؤقتة بزيارة الملك فيصل لإحراج الدولة .. وهو أمر لم يخطر ببال الإمام الاكبر فى يوم من الايام وروج الناس هذه الإشاعة فأرسل الإمام الأكبر مضطراً مذكرة يوضح فيها الجو الذى قدمت فيه الاستقالة ونص المذكرة كما يلى :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

الجو الذى قدمت فيه الاستقالة

السيد الدكتور / عبدالعزيز حجازى
النائب الأول لرئيس الوزراء

إن استقالتى من مشيخة الأزهر كانت من أجل :

(ا) الحرص على الأزهر من أن يمسخ أو يلغى جوهره ويبقى شكلا لا روح فيه ، وأنا أعلم أن السيد الرئيس حفظه الله يحب الأزهر ويعنى به ولقد قال فى يوم من الأيام :

لو لم يكن الأزهر لما كان الإسلام شرقاً ولا غرباً .

(ب) الحرص على ما أعلنه السيد الرئيس من المحافظة على سيادة القانون وأنا أعلم أنه حفظه الله حريص كل الحرص على سيادة القانون .

فقد تضمن القرار الجمهورى رقم ١٠٩٨ لسنة ١٩٧٤ - بتنظيم وزارة شئون الأزهر وتحديد مسئولياتها مخالفات خطيرة بل إنه فى واقع الأمر إلغاء ضمنى لأحكام القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١ - بشأن إعادة تنظيم الأزهر - وذلك للاسباب الآتية :

أولا : تغيير تبعية الأزهر .

ثانياً : إلغاء اختصاصات «الأزهر» ونقلها إلى «وزارة شئون الأزهر».

ثالثاً : إلغاء اختصاص المجلس الاعلى للازهر .

رابعاً : إلغاء اختصاص مجلس جامعة الازهر .

خامساً : إلغاء اختصاص مجمع البحوث الإسلامية وإدارة الثقافة والبعوث الإسلامية .

* * *

أولا : تغيير تبعية الازهر

نصت المادة الثالثة من القرار الجمهورى على أن « يتبع » وزير شئون الازهر « الازهر والهيئات التى يشملها » وفى ذلك إلغاء لنص المادة ٢ من القانون ١٠٣ التى تقضى بأن الازهر « يتبع رياسة الجمهورية » دون أن يسلك الطريق الذى رسمه القانون لإلغاء قانون نافذ ــ بالعرض على مجلس الشعب ــ بل أن الإلغاء تم بتشريع أدنى مرتبة إذ تم إلغاء قانون « بقرار جمهورى » .

وبديهى أن المشرع يقصد بالنص على تبعية الازهر لرياسة الجمهورية اعتبارات عديدة حساسة ترجع لمكانة الازهر فى نفوس المسلمين وتعلقهم به وحرصهم عليه .

هذا بالإضافة إلى أن المادة ٤ من القانون ١٠٣ نصت على أن شيخ الازهر هو « صاحب الرأى فى كل ما يتصل بالشئون الدينية والمشتغلين بالقرآن وعلوم الإسلام وله الرياسة والتوجيه فى كل ما يتصل بالدراسات الإسلامية فى الازهر وهيئاته » وهو ما يتنافى مع تبعية الازهر وهيئاته لوزير شئون الازهر » .

* * *

ثانيا : إلغاء اختصاصات « الازهر » ونقلها إلى وزارة شئون الازهر

نصت المادة الاولى من القرار الجمهورى على أن تقوم « وزارة شئون الازهر » على تحقيق الاهداف التى صدر من أجلها قانون إعادة تنظيم الازهر

رقم ١٠٣ - لسنة ١٩٦١ ومن أهمها « العمل على حفظ التراث الإسلامى وتجليته و نشره و إظهار حقيقته فى تقدم البشر » رغم أن القانون ١٠٣ المشار إليه قضى بأن الازهر « هو الذى يقوم على تحقيق هذه الاهداف . إذ نصت المادة الثانية منه على أن « الازهر هو الهيئة العلمية ... التى تقوم على حفظ التراث الإسلامى ودراسته وتجليته ونشره . . . وتعمل على إظهار حقيقته فى تقدم البشر » .

يتضح مما تقدم إن القرار الجمهوري خالف أحكام القانون ١٠٣ ونقل اختصاصات «.الازهر » و « جامعة الازهر » إلى « وزارة شئون الازهر » وهذا معناه : أنه تم الغاء الازهر » وحلت محله « وزارة شئون الازهر » .

إذا لو فرضنا أن واضع القرار وجه الامر صراحة ومباشرة واكتفى بالنص على أن يعدل القانون ١٠٣ بمادة واحدة نصها :

تستبدل « عبارة » وزارة شئون الازهر » بكلمة « الازهر » . الواردة فى القانون ١٠٣ » لما تغير الوضع و لتحقيق نفس الهدف . من اصدار القرار الجمهورى الذى نحن بصدده .

ومن الواضح أن واضع القرار المشار إليه تستر تحت فكرة « تنظيم الوزارة وتحديد مسئولياتها » وقام بالغاء اختصاصات قررها قانون نافذ ومعمول به .

* * *

ثالثا : الغاء اختصاص المجلس الاعلى للازهر

نص القرار الجمهورى على أن وزارة شئون الازهر تمارس مسئولياتها لتحقيق أهداف القانون ١٠٣ على النحو التالى :

١ ـ تنص الفقرة ١ من المادة الأولى من القرار الجمهورى المشار إليه على أن تقوم وزارة شئون الأزهر ببحث واقتراح « السياسة التعليمية » في التعليم الأزهرى « ووضع الخطط والمشروعات والبرامج لتنفيذ هذه السياسة » رغم أن القانون ١٠٣ ينص فى المادة ١٠ فقرة ٢ على أن يختص المجلس الأعلى للأزهر بالآتى « رسم السياسة التعليمية التى تسير عليها جامعة الأزهر والمعاهد الأزهرية » هذا فضلا عن المادة ٤٨ فقرة ١ من القانون ١٠٣ تنص على أن مجلس جامعة الأزهر يختص « بوضع خطط الدراسة » .

٢ ـ تنص المادة ٢ من المادة الأولى من القرار الجمهورى المشار إليه على أن تقوم وزارة شئون الأزهر « بتقرير المناهج التى تؤدى إلى الغرض من التعليم الأزهرى » رغم أن القانون ١٠٣ ينص فى المادة ١٠ فقرة ٢ على أن يختص المجلس الأعلى للازهر « باقتراح المواد والمقررات التى تدرس لتحقيق أغراض الأزهر » .

٣ ـ تنص الفقرة ١٣ من المادة الأولى من القرار الجمهورى المشار إليه على أن تقوم وزارة شئون الأزهر « باعداد الموازنة العامة لوزارة شئون الأزهر وهيئاته وأجهزته » رغم أن المادة ١٠ فقرة ٣ من القانون ١٠٣ تنص على أن يختص المجلس الأعلى للازهر بالنظر فى مشروع ميزانية هيئات الأزهر.

٤ ـ تنص الفقرة ١٤ من المادة الأولى من القرار الجمهورى المشار إليه على أن تقوم وزارة شئون الأزهر « باعداد مشروعات القوانين والقرارات المتعلقة باختصاصات الوزارة » رغم أن القانون ١٠٣ ينص فى المادة ١٠ فقرة ٦ على أن يختص المجلس الأعلى للازهر « بالنظر فى كل مشروع قانون أو قرار جمهورى يتعلق بأى شأن من الأزهر » .

وقد بادر واضع القرار الجمهورى الذى نحن بصدده ومارس هذا الاختصاص

عملا حتى قبل إصدار القرار الجمهورى بأن أتخذ إجراءات إصداره دون عرضه على المجلس الأعلى للازهر .

* * *

رابعاً : إلغاء إختصاص مجلس جامعة الأزهر :

١ - تنص المادة الأولى فقرة ٣ من القرار الجمهورى على أن تقوم وزارة شئون الأزهر « بتشجيع البحث العلمى الإسلامي ونشره وتوجيهه » رغم أن المادة ٤٨ فقرة ١١ من القانون ١٠٣ نصت على أن يختص مجلس جامعة الأزهر « بتنظيم البحث العلمى وتوفير الإمكانيات اللازمة له .

٢ - تنص الفقرة ٧ من المادة الاولى من القرار الجمهورى على أن تقوم وزارة شئون الازهر « بوضع الخطة لإنشاء الابنية التعليمية وإستكمالها » رغم أن المادة ٤٨ فقرة ١٦ من القانون ١٠٣ نصت على أن مجلس جامعة الازهر يختص « باقامة أبنية الجامعة » .

٣ - تنص الفقرة ٩ من المادة الأولى من القرار الجمهورى على أن تقوم « وزارة شئون الازهر » بتدعيم هيئات التدريس .. وجامعة الازهر . . بما يكفل الإرتفاع بمستوى التعليم بالازهر « بينما نصت المادة ٤٨ فقرة ١٣ من القانون ١٠٣ على أن يختص مجلس الجامعة « بتعيين أعضاء هيئة التدريس » وفى هذا التناقض إعتداء كبير على إختصاص الجامعة وإستقلالها فى أهم مقوماتها ، وفتح باب خطير لتنفيذ وجهات نظر غير جامعية ومحاولة إضفاء المشروعية عليها .

٤ - تنص الفقرة العاشرة من المادة الاولى من القرار الجمهورى على أن تقوم وزارة شئون الازهر « بوضع الخطط الخاصة بالبعثات العلمية الموفدة

من الازهر لسد إحتياجات جامعة الازهر من هيئات التدريس » رغم أن المادة ٤٨ فقرة ١٣ من القانون ١٠٣ نصت على أن مجلس الجامعة « بايفاد أعضاء هيئات التدريس بالجامعة في المهمات العلمية » .

خامساً : إلغاء إختصاص مجمع البحوث الإسلامية وإدارة الثقافة والبعوث الإسلامية

١ - تنص الفقرة الخامسة من المادة الاولى من القرار الجمهورى على أن تقوم وزارة - شئون الازهر « بتجميع التراث الإسلامي والعمل على تجليته ونشره » رغم أن المادة ١٥ من القانون ١٠٣ نصت على أن يختص مجمع البحوث الإسلامية « بتجلية الثقافة الإسلامية فى جوهرها الاصيل الخالص وتوسيع نطاق العلم بها » .

٢ - تنص الفقرة ٨ من المادة الاولى من القرار الجمهورى على أن تقوم وزارة شئون الازهر « بوضع الخطط لمواجهة إحتياجات العالم العربى والإسلامى من علماء الازهر » رغم أن القانون ١٠٣ نص في المادة ٢٥ منه على أن تختص إدارة الثقافة والبعوث الإسلامية « بكل ما يتصل بالنشر والترجمة والترجمة والعلاقات الإسلامية من البعوث والدعاة .. » .

٣ - تنص الفقرة ١٢ من المادة الاولى من القرار الجمهوري على أن تقوم وزارة شئون الازهر » بالعناية بالوافدين إلى الازهر » رغم أن المادة ٢٥ من القانون ١٠٣ نصت على أن تختص إدارة الثقافة والبعوث الإسلامية بكل » ما يتصل بالعلاقات الإسلامية . . . . وإستقبال طلاب المنح وغيرهم من ذوى العلاقة فى نطاق أغراض الازهر .

٤ - تنص المادة الثانية من القرار الجمهورى على إستحداث وكالة وزارة لشئون الثقافة الإسلامية تشرف على « الإدارة العامة للوعظ والإرشاد » رغم

أن ذلك من أختصاص مجمع البحوث الإسلامية إذ تنص المادة ١٥ من القانون ١٠٣ على أن يختص المجمع بحمل تبعة الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة » .

كما نصت المادة الثانية أيضاً على أن تشرف وكالة الوزارة لشئون الثقافة الإسلامية على « إدارة الثقافة والنشر وإدارة البعوث والعلاقات الخارجية » رغم أن ذلك من أختصاص المجمع طبقاً لنص المادة ٢٥ من القانون ١٠٣ التي تنص على أن تختص إدارة الثقافة والبعوث الإسلامية « بكل ما يتصل بالنشر والترجمة والعلاقات الإسلامية من البعوث والدعاة . . . » .

« الخـــاتمه »

يتضح مما تقدم أن أستقالتى من مشيخة الأزهر لم تكن بسبب خلاف شخصى بينى وبين السيد وزير الأزهر وما كانت الخلافات الشخصية فى يوم من الأيام أسباباً صحيحة للاستقالات .

ولم يكن لى أختيار فى توقيت الإستقالة وإنما فرضت على فرضا ، لقد فرضت الإستقالة نفسها ولم يكن لى حرية الأختيار فى التوقيت : وذلك أننى ذهبت إلى المكتب كعادتى فعرض على القرار الجمهورى رقم ١٠٩٨ لسنة ١٩٧٤ وقرأت القرار فوجدته يمسخ الأزهر مسخاً ووجدته يتعارض مع القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١ الذى وافق عليه مجلس الشعب وأقرته الحكومة وبمجرد أن إنتهيت من القراءة ووجدت فيه هذه المآخذ كتبت الإستقالة فوراً دون أن أحدث ضجة أو أثير شعور أحد من الأزهريين . وكل ما يقول إذن من أننى أخترت الإستقالة وقتاً معيناً فهو باطل ومزيف : أن وقت الإستقالة يؤرخه اليوم نفسه الذى عرض على فيه القرار الجمهورى وذلك مذكور فى نص الإستقالة .

وقضية الإستقالة إذن ليست هروباً من الميدان فقد كنت طيلة حياتى مجاهداً فى سبيل الإيمان وفى سبيل نشر العلم . . وإنما كانت الإستقالة من أجل هذه ــ المخالفات الخطيرة التى تضمنها القرار الجمهورى فمسخت الأزهر ولم تعبأ بالقانون وموادهذا لايرضى عنها أزهرى ولايرضى عنها محب للأزهر، والسيد رئيس الجمهورية فى صدر الذين يحبون الأزهر ويحرصون على أن

لايمسه إنسان بسوء ويحتسبون رعايتهم للأزهر عند الله وهو سبحانه يجزى الحريصين على الأزهر خير الجزاء .

والأزهر وديعة فى أيديكم . .

والله يوفقكم .

والله معكم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

١١ من شعبان ١٣٩٤ هـ

١٩ من أغسطس ١٩٧٤ م

دكتور عبد الحليم محمود

طلب تسوية المعاش

ومن يوم ١٦ يوليو سنة ١٩٧٤ أكتوبر سنة ١٩٧٤ م لم يرد جواب على الاستقالة ، وكان بعض المحامين المحبين للاسلام والأزهر قد رفع دعوى أمام مجلس الدولة — محكمة القضاء الإدارى دائرة تنازعات الأفراد يطلب وقف تنفيذ القرار الجمهورى وحدد للدعوى جلسة ١٩٧٤/٩/٢٤ ...

غير أن الإمام الأكبر رحمه الله تعالى لم ينتظر معونة من أحد إذ ليس موقفه من أجل نفسه ولا من أجل ذاته وإنما هو موقف لله ولدينه وللأزهر . . . وما دام الأزهريون لم يتحركوا لإنقاذ أزهرهم ، ومما دامت المصالح الشخصية والقرابات والعلاقات الشخصية أصبحت فوق مصلحة الإسلام والأزهر فأية مصلحة له فى أن يبقى فى هذه البيئة وهـذا الجو . . . إنه يجاهد فى سبيل الله لا من أجل دنيا ولا من أجل مصلحة خاصة ، وبطبيعته الهادئة ووقاره الرزين أرسل إلى وكيل الأزهر كتابا يطلب إليه فيه العمل على تسوية معاشه . . . وكان نص الكتاب كما يلى :

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الأستاذ الدكتور / محمد عبد الرحمن بيصار .

وكيل الأزهر .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد :

فقد تعلمون والإخوة أبناء الأزهر بصدور القرار الجمهورى رقم ١٠٩٨ لسنة ١٩٧٤ م الخاص بتنظيم وزارة شئون الأزهر ، والذى رأينا بعد دراسته أن نتقدم باستقالتنا إلى السيد رئيس الجمهورية بكتابنا المؤرخ فى ١٦ يوليه ١٩٧٤ ، ثم عززناه بكتابين آخرين فى ١٩٧٤/٨/١ ، ثم فى ١٩٧٤/٨/٢٩ .

ويتخلص موقفنا الذى أوضحناه فى كتب الاستقالة التى ذكرتها فى النقاط التالية :

أولا : لقد رأينا فى القرار المذكور انحطاطاً بقيمة الأزهر ومساساً خطيراً بمكانته التى يستمدها من تاريخه ومن دوره فى المجتمع الإسلامى .

لقد كانت للازهر مكانته ، ولشيخه منزلته ، إذ كان هيئة مستقلة لا تربطه تبعية فى يوم من الأيام لسلطة تنفيذية دون سلطة رئيس الدولة .

أما القرار الجمهورى المذكور فقد انحط بهذه المكانة درجات ، إذ جعله تابعاً تبعية كاملة لوزير من الوزراء .

وفى اعتقادنا أن الهبوط بقيمة الأزهر وبمكانة شيخه على هذا النحو يجعله غير قادر على القيام برسالته التاريخية ، وعاجز عن مواجهة المؤسسات العالمية

المناهضة له ويضعه فى مستوى لا يسمح له بالإستجابة المناسبة لضرورات الدعوة الإسلامية وحركتها الواجبة فى العصر الحديث .

ثانياً : لقد رأينا فى القرار الجمهورى المذكور خروجا واضحاً على قانون تنظيم الأزهر الصادر برقم ١٠٣ لسنة ١٩٦٢ وذلك من نواح عدة أهمها :

١ – نص القرار على تبعية الأزهر بجميع هيئاته لوزير شئون الأزهر مخالفاً بذلك القانون الذى نص فى مادته الثانية على تبعيته لرياسة الجمهورية .

٢ – صدر القرار دون نظر من المجلس الأعلى للأزهر مخالفاً بذلك القانون الذى نص فيه فقرته السادسة من مادته العاشرة على : (أن المجلس الأعلى للأزهر يختص بالنظر فى كل مشروع قانون أو قرار جمهورى يتعلق بأى شأن من شئون الأزهر) .

٣ – صدر القرار دون أخذ رأى شيخ الأزهر ، مخالفاً بذلك القانون الذى نص فى مادته الرابعة على أن شيخ الأزهر هو : (صاحب الرأى فى كل ما يتصل بالشئون الدينية والمشتغلين بالقرآن وعلوم الإسلام وله الرياسة والتوجيه فى كل ما يتصل بالدراسات الإسلامية فى الأزهر وهيئاته) .

٤ – ألغى القرار معظم اختصاصات الأزهر وهيئاته الواردة بالقانون ونقلها إلى وزارة شئون الأزهر وذلك بأن :

(أ) ألغى معظم اختصاص المجلس الأعلى للأزهر .

(ب) ألغى معظم اختصاص مجلس جامعة الأزهر .

(ج) ألغى معظم اختصاص مجمع البحوث الإسلامية وإدارة الثقافة والبعوث الإسلامية .

* وأحال هذه الاختصاصات جميعها إلى وزارة شئون الأزهر بما لها من وكالات وإدارات مستحدثة .

* وأصبحت هيئات الأزهر التى نص عليها القانون بعد تجريدها من أهم اختصاصاتها مجرد توابع لوزارة شئون الأزهر .

٩ - لم يعط قانون الأزهر وزير شئون الأزهر نفوذاً وزارياً مطلقاً أو غير محدود فى مجال الأزهر . كما جاء فى القرار الأخير وإنما حدد القانون هذا النفوذ بمسائل معينة يدور أغلبها حول الترشيح لبعض المناصب أو الموافقة على ترشيحها واستصدار بعض القرارات الجمهورية المطلوبة ..وإنما اتسع نطاق هذا النفوذ فى واقع الأمر منذ صدور هذا القانون حتى الآن — على أنقاض المادة المسائة التى أهدرت من هذا القانون وهي المادة التى يستند إليها الوزير عند : (إصدار ما يراه من قرارات تنظيمية أو تكميلية مؤقتة تتعلق بشئون الأزهر وهيئاته بما لا يتعارض مع نصوص هذا القانون) .

* ذلك أن هذه المادة أعطت للوزير هذا الحق فى غيبة اللائحة التنفيذية للقانون الذى نص على : (أن تصدر فى مدى أربعة أشهر من تاريخ صدوره ويعمل بها من تاريخ صدورها) . كما قيدت حق الوزير المشار إليه بأن يكون (خلال الفترة التى تعد فيها اللائحة التنفيذية لحين صدورها) .

* وإذن : فاختصاصات الوزير فى غير المسائل المحددة الواردة بالقانون تنتهى بصدوره اللائحة التنفيذية التى ينص القانون على صدورها فى مدى أربعة أشهر من تاريخ صدوره .

* ومن هنا يمكننا أن نفسر لماذا أهدرت وزارة شئون الأزهر هذه المادة ولم تعمل على إصدار اللائحة التنفيذية وأخرت صدورها منذ أن صدر القانون فى عام ١٩٦١ إلى الآن ؟ . . وهذه مخالفة قانونية صارخة لم نتورط فيها إذ كنت وزير شئون الأزهر فعملت على إعداد اللائحة التنفيذية . . وتم عرضها على المجلس الأعلى للأزهر وإقراره لها ورجعت اللائحة إذ ذاك بمجلس الدولة ، واشتمل مشروعها على ما ينبغى أن يكون بالنسبة لمكانة

الأزهر ومكانة شيخه .. وكان فيها لشيخ الأزهر جميع السلطات المخولة للوزير فى القوانين واللوائح .

* وإلى الآن لم تصدر هذه اللائحة التنفيذية .. مع إن القانون عندما صدر منذ أكثر من ثلاثة عشر عاما .. رئى كما جاء فى مذكرته التفسيرية : (أن يقتصر على الخطوط الرئيسية للتنظيم على أن تتضمن اللائحة التنفيذية التى يصدر بها قرار من رئيس الجمهورية كل التفصيلات التى توضح الصورة وتيسير التنفيذ) .

* ومما يدل على أهمية صدور هذه اللائحة ما جاء فى المذكرة التفسيرية أيضاً .. إذ تقول : (وإذا كانت تفصيلات المشروع قد أحيل أكثرها على تلك اللائحة التنفيذية ، فقد نص المشروع على ألا يتأخر صدور هذه اللائحة عن تاريخ معين ليتهيأ الأخذ فى أسباب التنفيذ الكامل للقانون قبل إبتداء الموسم الدراسى القادم .

* لكن هذه اللائحة لم تصدر حتى الآن .. بالرغم من مرور أكثر من ثلاثة عشر عاماً .. وإذا كان ذلك من شأنه أن يدعم نفوذ وزير شئون الأزهر فهو مخالفة قانونية .. ويصدر لمتاعب الأزهر فى عهد التطوير .

* بينما الأزهر والأزهريون ينتظرون بفارغ الصبر صدور اللائحة التنفيذية التى تضع الأمور فى نصابها وتمكن الأزهر من تصحيح أوضاعه وترد له ولشيخه مكانتهما وتضع نهاية لتدخل وزير شئون الأزهر فى أمور نص القانون على أن تحل اللائحة محل تدخله فيها فى مدى أربعة أشهر من صدوره .

* بينما الامر كذلك .. يصدر هذا القرار .. ليستديم وضعاً وقته القانونى بأربعة أشهر .

ثالثاً : لقد كان هدفي عندما كنت وزيراً لشئون الازهر والاوقاف ، ثم عندما قبلت منصب شيخ الازهر أن ارتفع بمستوى مكانة الازهر ، ومن ثم فانى لاأستطيع قبول المستوى الذى يؤدى إليه تنفيذ القرار الجمهورى المذكور ويتضح ذلك مما يأتى :

١ — أن الفرق شاسع بين الصلة التى كانت قائمة بين الازهر ، وبين وزارة شئون الازهر قبل صدور القرار الجمهورى الاخير والتبعية التى جاءت بالقرار .

فتلك صلة محدودة بما ورد بالقانون تحفظ للازهر استقلاله كهيئة على أقل تقدير . . أما القرار فينفى هذا الوضع ويجعله فى موضع التابع تبعية شاملة كاملة لوزارة .

٢ — إننا حين كنا نشغل منصب وزير الاوقاف وشئون الازهر عملنا بكل طاقتنا لتدعيم شخصية الازهر .

(أ) أوضحنا موقفنا فى اجتماعات اللجنة الوزارية للخدمات بجلسة ٩/١٩/ ١٩٧٢ و ١٩٧٢/١٠/٢٥ و ١٩٧٢/١٠/٢٥ ، وحصل الاتفاق في هذه اللجنة على ما رأيناه من التوصية بمعاملة شيخ الازهر معاملة نائب رئيس الوزراء حتي يتلائم ذلك مع مكانته ومسئولياته ، وأن يكون لشيخ الازهر كافة الاختصاصات المخولة للوزير بالنسبة لجميع هيئات الازهر والعاملين به .

(ب) وفى هذا الاتجاه تقدمنا بمشروع قانون لتعديل بعض أحكام القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ م لتحقيق ما ينبغى أن يكون للازهر ولشيخه من اختصاصات . . تتناسب مع مسئولياها أمام المجتمع الإسلامى وقد ذكرنا فى المذكرة الإيضاحية لهذا المشروع :

١ — ضرورة منح الإمام الاكبر شيخ الازهر جميـــع السلطات المخولة للوزير .

٢ — إلغاء منصب وزير شئون الازهر .

٣ — إسناد تمثيل الازهر فى مجلس الوزراء وأمام مجلس الشعب إلى وزارة الاوقاف .

٤ — استبدال عبارة وزير شئون الازهر الواردة بالقـانون بعبارة شيخ الازهر .

(جـ) وفى هذا الإتجاه كنا آنذاك مع المجلس الاعلى حيث تقدم بمشروع اللائحة التنفذية التى تضمنت المبادىء التى ذكرناها سابقاً .

* * *

وأخيراً . . فانه إزاء الوضع الذى أنشأه القرار الجمهورى المذكور . . والذى لم يكن قائماً عندما قبلت منصب شيخ الازهر . .

وإزاء مسئوليتى التى تحتم على العمل على الإرتفاع بقيمة الازهر ومكانة شيخه . . وتحتم على رفض إجراء يحط من هذه القيمة أو تلك المكانة . . . ويهبط بمستوى الازهر ويعجزه عن أداء رسالته والقيام بمسئولياته .

وإزاء شعورى بأن الاستقـالة هي الإجراء الوحيـد الذى أملكه للتنبيه على خطورة الوضع الذى سوف يتردى فيه الازهر من جراء تنفيذ القرار المذكور .

فأنى كنت وما زلت مستريح الضمير إلى أننى باستقالتى التى قدمتها للسيد رئيس الجمهورية قد أديت واجبى أمام الله . . وبذلت غاية وسعى فى تأدية الامانة التى حملتها يوم قبلت منصب شيخ الازهر .

وأنى لاطلب منكم .. تنفيذ ماتقتضيه هذه الاستقالة من إجراءات تتعلق بتسوية معاشى وغير ذلك من إجراءات .

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفق إخوانى وأبنائى من رجال الازهر إلى العمل لما فيه صون هذه المؤسسة العريقة التى تحملت عبء نشر الفكر الإسلامي والدعوة الإسلامية منذ أكثر من ألف عام . وكانت القلعة الحصينة للدفاع عن عقيدة الإسلام ولغة القرآن .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

شيخ الازهر
(دكتور عبد الحليم محمود)

١٢ من شوال ١٣٩٤ هـ
٢٧ من أكتوبر ١٩٧٤ م

لماذا طلب تسوية معاشه

ولم تنته موجة الإشاعات ، والإنسان المسلم يحزن كثيراً إذ يكون فى هذه البيئة مثل هذا السلوك .. فقد كانت بالسوء إلى طلب الإمام الأكبر تسوية معاشه ، وراحوا يزجون بها فى متاهات سياسية ملتوية وكان رضى الله عنه يضيق بمثل هذه الأساليب أنه ينفر منها بالطبع ، وينفر منها أخلاقيا ، وينفر منها إسلاميا .

وكان يرى أن علماء الأزهر قد وضعهم الله فى منزلة أسمى وأجل من كل هذا .. ولكن لأمور وأمور صنعت إشاعات وإشاعات فأراد الإمام الأكبر مرة أخيرة بعد أن طلب تسوية معاشه فى أكتوبر سنه ١٩٧٤ ، أراد أن يوضح الموقف كله من أوله إلى آخره فكتب إلى المسئولين هذه الرسالة ..

بسم الله الرحمن الرحيم

« مذكرة »

بشأن الأسباب التى دعت إلى طلب تسوية معاشى
وإعفائى من مشيخة الأزهر . . واتخاذ الإجراءات
المؤيدة إلى ذلك

منذ أن رفعت إلى سيادة رئيس الجمهورية طلب إعفائى من مشيخة الأزهر بتاريخ ١٦ / ٧ / ١٩٧٤ ، تعددت التفسيرات والتأويلات مما اضطرنى إلى إلحاق هذا الالتماس بمذكرة ثانية وثالثة موضحاً موقفى :

فقد ذهب البعض إلى تصوير الموقف إلى أن هناك خلافاً شخصياً بينى وبين السيد صاحب الفضيلة وزير شئون الأزهر .

وذهب البعض الآخر إلى أنى قصدت وضع المسئولين فى حرج باختيار توقيت غير ملائم بالرغم من علمهم بأن تقديم الاستقالة مؤرخ بنفس اليوم الذى ورد إلى فيه القرار الجمهورى وذهب البعض يبحث فى مسائل شكلية تتعلق بطريقة تقديم الاستقالة وما تستلزمه من التزامات .

إلى غير ذلك من التأويلات والتفسيرات والأبحاث التى دارت ، والتى ما زالت تدور حول هذا الموضوع ، وكلها تبعد عن جوهر الموضوع وجذوره .

لذلك وأمام الخروج عن الصورة الحقيقية للمسألة وأبعادها أرانى مضطراً إلى مزيد من التوضيح :

وأكرر أني أكن للسيد رئيس الجمهورية كل احترام ، وإخلاص وأشعر كما يشعر معي كل أزهري غيور على معهده بأن سيادة الرئيس وهو الرجل المسلم يرغب في النهوض بالأزهر وإعطائه كل الإمكانيات لأداء رسالته نحو الأمة الإسلامية في الداخل والخارج ، وقد حباني بعطفة حتى بعد تقديم استقالتي كما أكن للسيد رئيس الوزراء كل محبة وقد لمست منه في أكثر من مناسبة رغبته في مساعدة الأزهر .

والحقيقة أن الموضوع يتعلق بمسألتين جوهريتين :

١ - كيان الأزهر ، ووضعه .

٢ - مركز شيخ الازهر ، ومدى الإمكانيات المتاحة له لتحمل أعباء المنصب ومسئولياته أمام جمهور المسلمين في مصر والخارج .

* * *

لقد كان أمامي هدف وأمانة في عنقي ، وحينما وجدت نفسي عاجزاً عن حمل الأمانة وتسليمها إلى الأجيال المقبلة على ما كانت عليه أو أحسن مما كانت عليه ، أثرت طلب التنحى عن مركزي كمسئول عن هذة الهيئة الدينية العريقة مع استمراري فيما وهبت نفسي له كداعية من دعاة الإسلام .

كلنا نشعر أن هناك تيارات هدامة تسود العالم ، وهناك انحلال خلقي ولكي نمنع شرور هذه الاتجاهات عن مصر والعالم الإسلامي ، يجب أن نعمل على تدعيم الأزهر ورفع مكانته ليستعيد مجده القديم وليتمكن من المعاونة على الوقوف بقوة أمام هـذه التيارات ولقد اعتاد الجمهور بحكم علمه بمكانة ومواقف الأزهر السابقة ، أن يتساءل - كلما رأى بادرة من بوادر هذه الانحرافات - أين الأزهر ؟

لذلك . وضعت هدفا أمام عينى هو العمل على إعادة الأزهر إلى مجده القديم ورفع مكانة شيخه لتعود له هيبته ومنزلته كلما أمكن ذلك .

* * *

كيف وجدت مركز شيخ الإسلام :

لقد شعرت منذ بداية تولى بعض المناصب التى لها صلة بالإدارة منذ توليت منصب الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٧٠ أن السلطات والاختصاصات الممنوحة لشيخ الأزهر لا تتيح له إدارة هذه الهيئة وتحمل مسئولياتها ، ولذلك ناديت منذ ذلك التاريخ حينما سئلت عن رأيى فى كيفية توزيع الاختصاصات والسلطات فى الأزهر بمناسبة مراجعة اللائحة التنفيذية بضرورة إعطاء شيخ الأزهر كل الاختصاصات والصلاحيات اللازمة لهذا المنصب حتى يستطيع أن يتحمل أعباءه . قلت ذلك فى ذلك الحين دون أن أعرف ما يخفيه لى القدر من متاعب وتأكد يقينى بهذا الرأى وشعرت بأهميته عملا حينما توليت منصب شيخ الأزهر سنة ١٩٧٣ .

فشيخ الأزهر الذى يعتبره المسلمون فى جميع بقاع الأرض المسئول الأول عن نشر الدعوة الإسلامية ـ لا يستطيع أن يبرم أمراً فى شأن الوافدين لتعليم الدين الإسلامي ولا فى شأن المبعوثين من علماء الأزهر إلى الدول والهيئات الإسلامية ، إذ أن الأوضاع القائمة تقضى برفع محاضر اللجان المختصة إلى الوزير ومنه تتلقى التوجيهات . وكثيراً ما شعرت بالحرج الشديد أمام سفراء الدول ووفودها التى لا تعرف غير شيخ الأزهر والتى تطلب تعاون الأزهر فى مجالات الدعوة فلا أستطيع أن أجيبها إلا بعبارات المجاملة التقليدية .

وشيخ الأزهر ـ والمفروض أنه مسئول أمام المسلمين عن أموال

الأزهر وأوقافه — لا يملك أن يبرم فى شأنها أمراً إنه مسلوب السلطة فى المسائل الإدارية فهو مسلوب السلطة فى المسائل المالية أيضاً .

وحتى التفويض بالإختصاصات الذى نادت به الوزارة القائمة كوسيلة من من وسائل انطلاق الوزارات والهيئات فى العمل ، كان نصيب شيخ الأزهر منه لا يستحق الإلتفات إليه . وهكذا فى كل المسائل الخاصة بالأزهر والعاملين فيه .

هل قصد قانون تطوير الأزهر رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ هذه الأوضاع :

بالرجوع إلى القانون القائم ، بحالته الراهنة ، نجـــد أنه قد حدد اتجاهين واضحين :

١ — أن الأزهر هيئة لها شخصية معنوية ويمثلها شيخ الأزهر .

٢ — أن يعين بقرار من رئيس الجمهورية وزير لشئون الأزهر — وحدد للوزير اختصاصات معينة حصرها في بعض المواد .

ومعنى هذا أن مالم يرد فيه نص صريح بأنه من اختصاصات الوزير . يرجع إلى رئيس الهيئـــة (إلى شيخ الأزهر) كباقى الهيئات القائمة فى الدولة .

إذن ، لم يقصد القانون الحالى ، شل حركة رئيس الهيئة ، وتجريده من سلطات رؤساء الهيئات ومنعه من تحمل أعباء ومسئوليات الهيئة ، والتى يشرف عليها .

غير أن قانون الأزهر ، كأى قانون آخر يحتاج إلى لائحة تنفيذية ، وقد نص القانون على ضرورة صدورها فى مدى أربعة أشهر من تاريخ صدوره . وفي خلال هذه المدة المحددة أعطى لوزير شئون الأزهر الحق فى

إصدار بعض القرارات منعاً من تعطيل المصالح . واعتماداً على هذا الحق ، ظل القانون بلا لائحة تنفيذية من تاريخ صدوره سنة ١٩٦١ إلى اليوم، وبذلك عطلت الحكمة من التوقيت ، ولا يمكن أن يكون المشرع قصد إعطاء السلطة التنفيذية الحق في إصدار اللائحة أو عدم إصدارها . فصدور اللائحة كان واجباً خلال فترة الاربعة أشهر التى أشار إليها القانون وإذا كان هناك خطأ في الماضى فلا يجوز الإستمرار فيه .

كيف عالجت هذه الاوضاع :

حينما أتيحت لى فرصة تولى وزارة الاوقاف وشئون الازهر سنة ١٩٧٢، ودون نظر إلى السلطات المتاحة إلى، كوزير ، وإيماناً منى بالهدف الذى وضعته بين عينى منذ سنوات مضت ، تقدمت بمشروع قانون لتعديل بعض أحكام قانون الازهر بما يكفل تحقيق هذا الهدف وسد بعض الثغرات التى ظهرت من تطبيق القانون وقد وافق المجلس الاعلى للازهر على المشروع بعد أن قامت بمراجعته لجنة كان من بين أعضائها وكيل الازهر « فضيلة السيد وزير الازهر الحالى » . وأرسل المشروع بعد قيام مجلس الدولة بافراغه فى الصيغة القانونية إلى مجلس الوزراء لإتخاذ الإجراءات لأستصداره .

وقد حدث بعد ذلك أن تم التعديل الوزارى ، وأصدر سيادة رئيس الجمهورية قراره مشكوراً باسناد مشيخة الازهر إلى ، وكان أول عمل قمت به كشيخ للازهر هو الكتابة للسيدين الاستاذين نائب رئيس الوزراء للشئون الدينية وفضيلة وزير شئون الازهر ، راجياً المضى فى اتخاذ إجراءات استصدار القانون خاصة وأن فضيلة وزير شئون الازهر الحالى كان من المتحمسين له. فالاشخاص زائلون والهيئة باقية .

وانتظرت استصدار هذا القانون .

وانتظرت إعادته إلى الازهر لإجراء تعديل فيه أن كان ثمة ضرورة إلى تعديل .

وانتظرت استصدار اللائحة التنفيذية التى تركتها بمكتب الوزير معدة للاصدار ولكن لم يحدث شىء من هذا على مدى سنتين تقريباً . بل فوجئت بأن أمور الأزهر تسير فى اتجاهات أخرى .

فى أى اتجاه يسير الأزهر :

١ — فوجئت يوما بمحاولة لغلق أحد المعاهد الدينية الإسلامية بتوجيه صريح من فضيلة السيد وزير شئون الأزهر ، وكان موقف شيخ الازهر الذى ينص القانون الحالي على أنه الإمام الاكبر وصاحب الرأى فى كل ما يتصل بالشئون الدينية والمشتغلين بالقرآن وعلوم الإسلام وله الرياسة والتوجيه فى كل ما يتصل بالدراسات الإسلامية فى الازهر وهيئاته . كان موقفنا الذى شهده فريق من كبار علماء الازهر هو الرجاء والاستعطاف لعدم غلق المعهد والعمل على تقويم شئونه إن كان بها إعوجاج .

٢ — كذلك لم استشر فى تعيين الدكتور محمد حسن فايد وكيلا للازهر ولا فى انتداب وكلاء الجامعة ، ولقد كان يراد فرض شخصية معينة ليكون مديراً للجامعة .

٣ — فوجئت — ولعل هذه الشعرة التى قصمت ظهر البعير — باستصدار القرار الجمهورى رقم ١٠٩٨ لسنة ١٩٧٤ بتنظيم وزارة شئون الأزهر دون أخذ رأينا لا كمسئول، ولا حتى من قبيل المشاورة فى شأن يمس الأزهر من قريب ومن بعيد .

لقد كان القانون الحالى للازهر حريصا — رغم نصه على وجود وزير لشئون الأزهر على ضرورة قيام المجلس الأعلى للازهر بالنظر فى كل مشروع

أو قرار جمهوري يتعلق بأي شأن من شئون الأزهر ، هكذا ورد النص مطلقا دون تحديد ، ولعل المشرع قد قصد أن تكون المشروعات ذات الأهمية والحيوية وهي التي تصدر عادة بقانون أو بقرار جمهوري يجب أن تنظرها الجماعة لحكمة التشاور والمناقشة .

وبصرف النظر عن الشكل وما يجري حوله من آراء وبحوث .. فان النظر إلى ما تضمنه القرار من اختصاصات وتبعيات ، وإدارات ستنساخ كلها أو بعضها من الأزهر يثير الانتباه ومن يقارن ما ورد بهذا القرار بما ورد بالقانون لابد أن يتساءل في أي اتجاه يسير الأزهر ..

ولنضرب مثلا واحداً :

إذا كانت الإدارة العامة للوعظ التي تقوم على تنظيم الدعوة الإسلامية في الداخل وإدارة البعوث التي تشرف على إرسال الدعاة من علماء الأزهر إلى الخارج قد أصبحتا تابعتين للسيد الوزير مباشرة .. فكيف يستقيم هذا مع مسئولية شيخ الأزهر عن الدعوة الإسلامية في الداخل والخارج ؟ وهل هناك ضمان بأن وزير شئون الأزهر سيظل أزهرياً إلى الأبد .

لا شك أنه مادامت هناك وزارة فلابد من وجود بعض الأجهزة تعاون الوزير في بعض المسائل كعمليات المتابعة وما شابهها .. أما العمليات التنفيذية فانها تترك للهيئات والأجهزة التابعة لها . وهذا المبدأ هو الذي سارت عليه كل الوزارات التي تشرف على هيئة مستقلة لها كيانها ووجودها . أما تكوين الوزارات على حساب الهيئات والأجهزة المكونة لها فمبدأ لم يقل به أحد . وحتى أن جاز هذا في جهة أخرى لسبب أو لآخر فان الأزهر برصيده التاريخي يجب أن يظل متماسكا مترابطاً حتى تظل له قوته وهيبته ويظل الحصن الذي تعتمد عليه الدولة في مواجهة كل الانحرافات وإذا قلنا بغير ذلك فانه

يمكن أن نجد في القريب العاجل من ينادى بنقل المعاهد الأزهرية إلى وزارة التربية والتعليم ونقل جامعة الأزهر إلى وزارة التعليم العالى ... وبذلك يفقد الأزهر ذاتيته، واعتقد أن المسئولين فى الدولة لا يمكن أن يرضيهم هذه الاتجاهات .. خاصة وهناك اتجاهات لتوثيق الروابط بين أجهزة الدعوة الإسلامية فى كل البلاد الإسلامية فكيف يستقيم هذا مع ماهو حادث فى الداخل؟

لكل هذا .. وجدت من اللازم أن اتقدم باستقالتى .

على أنه إذا اريد اصلاح شئون الأزهر والسير فى تحقيق هذه الآمال .. فانه يمكن تقسيمها إلى مراحل حتى يسهل التنفيذ دون ارهاق .

المرحلة الأولى :

١ ـ استقرار الاوضاع بالازهر .. باستصدار اللائحة التنفيذية لقانون الازهر التى تعطى لشيخ الازهر سلطات واختصاصات الوزير الواردة فى القوانين واللوائح وتتدرج بعد ذلك السلطات للقيادات التالية، وهى معدة وسبق موافقة المجلس الأعلى للازهر عليها . وفى الوقت الحالى ـ وإلى أن تصدر هذه اللائحة ـ وفى حدود القوانين والتفسيرات الحالية، فانه يمكن لفضيلة السيد وزير شئون الازهر استصدار قرار بالتفويض بالاختصاصات على النحو الوارد بمشروع اللائحة الذى وافق عليه المجلس الاعلى للازهر .

٢ ـ أن يلتزم فضيلة السيد الوزير باختصاصات الموكولة له على سبيل الحصر فى قانون الازهر وبذلك نكون قد نفذنا القانون تنفيذاً صحيحاً .

٣ ـ تعديل القرار الجمهورى رقم ١٠٩٨ لسنة ١٩٧٤ الخاص بتنظيم وزارة شئون الازهر بما يكفل للازهر وحدته وعدم تجزئة هيئاته وتوزيع إداراته وأن يقتصر عمل الوزارة على المسائل المتعلقة بمجلس الوزراء والمتابعة العامة

وليس الموضوع بغريب عنا ، فقد سبق أن مارسنا مسئوليات المنصب كما مارسه السيد نائب رئيس الوزراء الدكتور عبدالعزيز كامل وغيره من رجال الثورة بتعاون تام مع الأزهر وهيئاته .

المرحلة الثانية :

١ - تعديل قانون الأزهر على الصورة التى سبق أن قدمناه عليها سنة ١٩٧٢ مع إضافة ما يستجد مما ظهر من التطبيق على أن يبدأ فى بحث ذلك من الآن ..

وتحدد له مدة زمنية أسوة بما هو متبع فى كل الجهات .

٢ - إعادة النظر فى القوانين المتعلقة باوقاف الأزهر ومستحقاته .. وكذلك النواحى المالية المتعلقة بالأزهر بما يؤدى فى النهاية إلى استقلاله كهيئة علمية كبرى ماليا وإداريا وعلميا اسوة بما اتبع فى الهيئة العامة للاوقاف وغيرها .

٣ - ايجاد الارتباط والتكامل والتنسيق بين الازهر والهيئات التى تعمل فى مجال النشاط الدينى بمختلف صوره .. توحيداً للاتجاهات وللاهداف فى الداخل والخارج .

والله نسأل أن يوفقنا جميعاً إلى خير الإسلام والمسلمين .

١٨ من شوال ١٣٩٤هـ

٢ من نوفمبر ١٩٧٤م

دكتور عبدالحليم محمود

وكأن الامر كان خافيا على السيد رئيس الجمهورية ، أو كأن مشاغله الكثيرة التى أعقبت حرب رمضان ١٣٩٣هـ لم تجعله يحيط بأطراف الموضوع وأن القرار الجمهورى قد صدر مخالفاً للقانون فقابل الإمام الأكبر رحمه الله تعالى ورضى الله عنه واتفق معه على العودة إلى المشيخة على أن تصدر اللائحة التنفيذية المنظمة لحقوق شيخ الازهر وعلى أن تكون الوزارة وزارة دولة لشئون الازهر .

وعاد الامام الاكبر فى الاثنين ٢٥ من ذى القعدة ١٣٩٤هـ الموافق ٩ من ديسمبر سنة ١٩٧٤[1] .

عاد وسط حشود تزفه من مسجد الامام الحسين رضى الله عنه إلى الازهر الشريف ، وعلى مشهدمن التاريخ بأوبة مكانة الازهر إلى وضعها الطبيعى .

ولم يغب الامر كثيراً فقد شرع الامام الاكبر فى تكوين اللجان الخاصة بوضع مشروع اللائحة التنفيذية المنظمة للقانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١م .

وفى ٦ من ربيع الاول ١٣٩٥هـ الموافق ١٩ من مارس سنة ١٩٧٥ صدر القرار الجمهورى رقم ٢٥٠ لسنة١٩٧٥ الخاص باللائحة التنفيذية لهذا القانون.

وبهذا فقد وضع الإمام الاكبر نهاية آلام كثيرة وأزاح عن الأزهر هموماً جمة..وصار للازهر الكثير من الكرامة ولشيخه الكبير من الإجلال والوقار رحمه الله الشيخ عبد الحليم محمود فقد أرادها لله خالصة فحققها وكان وعد الله مفعولا .

---

(١) جريدة الأخبار ص ٤ العدد ٧٠١٢ الصادر يوم الثلاثاء ٢٦ من ذى القعدة سنة ١٣٩٤ هـ الموفق ١٠ من ديسمبر سنة ١٩٧٤ م .

(ب) عظمة مشيخة الازهر ووزنها عند المسلمين

ثم أوقاف الازهر

وإذا كان هذا هو جهد مولانا الامام الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود فى استرداد مكانة الازهر التى سلبها منه حقبة طويلة من الزمن القانون رقم ١٠٣ — لسنة ١٩٦١ فان الشيخ رحمه الله تعالى ورضى عنه لم يدع فرصة إلا وكان يتحدث عن مشيخة الأزهر وعظمتها ووزنها فى أعين المسلمين وأمل الناس فيها كبقية للخلافة الإسلامية التى إنهارت بفعل أتاتورك .

ومن خلال دراساته وأبحاثه عن شيوخ الأزهر وأولياء الله من العلماء العارفين كان مولانا رضى الله عنه يصور مشيخة الأزهر بتلك الصورة الرائعة التى عرفها التاريخ عن الأزهر وعن شيوخه وعن مكانتهم وعن رسالتهم التى كانت محط الأمال وغوث المحتاجين وملاذ المستأمنين .

ولقد كتب فى مقدمة كتابه الجليل: (أبو البركات: سيدى أحمد الدردير) يقول عن :

مكانة المشيخة .

وعن :

أوقاف الأزهر .

كتب يقول :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن أتبع هديه إلى يوم الدين . وبعد :

ولقد وضعنى البحث والدراسة عن سيدى الدردير فى أجواء ماكان يخطر ببالى — قبل دراسته — أن أتعرض لها .

لقد وضعنى البحث عن أبى البركات بقوة فى .

١ ـ جو الأزهر ، ومشيخة الأزهر ، وأوقاف الأزهر .

ووضعنى فى قوة فى :

٢ ـ جو الخلافة لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

ووضعنى فى قوة فى :

٣ ـ جو الطرق الصوفية ، والإصلاح الصوفى .

والغريب فى الأمر أننى بدأت طبيعياً فى الكتابة عن والده ، ثم فى الكتابة عنه ، وفى أثناء الكتابة عنه جرى القلم ـ دون سابق تخطيط ـ فى هذه الأجواء ، وتركت القلم يسير دون محاولة التحكم فيه ، ولعلى لو أردت التحكم فيه لما إستطعت إلى ذلك سبيلا .

وبعد أن أكملت اللمسات الأخيرة بالقاهرة نظرت فاذا فى الكتاب مايشبه الاستطراد فى موضعين ، وهذا الاستطراد هو فى هذه الأجواء التى ذكرتها والتى لم أكن قد خططت لها من قبل ، ولكنى فوجئت بأن هذا الإستطراد

يزول إذا جعلت البعض منه مقدمة ، والبعض الآخر خاتمة ، وظهرت أمامى معالم المقدمة واضحة كل الوضوح بدأ ونهاية ، ومعالم الخاتمة واضحة كل الوضوح بدأ ونهاية .

كيف كانت مكانة الأزهر فى عهد الإمام الدردير — شيخ مشايخ المالكية — وكيف كان وضع شيخ الأزهر ؟

لقد كان منصب شيخ الأزهر — إذ ذاك — له جلاله ، وله قداسته ، لقد كان يمثل فى مصر « الخلافة » وقد كان شيخ الأزهر يعرف للمنصب حقه ، وكان يشعر بأنه أب لجميع المسلمين ، وهو باعتباره أبا يحتل مكان الأبوة فى شعور واضح به .

إنه مسئول عن سلوك أبنائه : عن سلوكهم أفراداً ، وعن سلوكهم شيعاً ، وعن سلوكهم حكاماً .

وكان الشعب يلجأ إلى أبيه إذا نزلت به نازلة ، وكان الحكام يلجأون الى شيخ الأزهر فى أمورهم الخطيرة .

وكان شيخ الازهر قويا فى تواضعه ، عزيزاً فى حكمته :

فى ذلك الزمن كانت الخلافة لرسول الله صلى الله علية وسلم فى تركيا ، وكانت تركيامعقدأمال المسلمين بسبب الخلافة،وكانت أعين المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها تمتد الى تركيا راجية ومتوسلة ، مستنصرة أو ناصرة .

إن الخلافة فى تركيا جعلت المسلمين يتطلعون إليها كرمز لرسولهم ، وقائم على دينهم ، وساهر على مصالحهم ، وكان الكثير من هؤلاء الخلفاء يشعرون بالمسئولية الملقاة على عاتقهم ، ويعملون ما أستطاعوا لخدمة المسلمين ونشر رسالة الله .

وكان جيش الخلفاء معداً — بقدر الإستطاعة — لإغاثة المظلومين من المسلمين أينما كانوا .

لقد كان للخلفاء قداسة ، وكان لهم هيبة فى الشرق والغرب ، وكانوا يقولون فتصغى الدنيا لعقولهم .

وكان شيخ الازهر فى مصر يحمل نفس الإجلال والتقديس : إنه خليفة رسول الله فى هذه البقاع ، وكانت تتمثل فيه صفات يقوم الإختيار على أساسها ، كان يتمثل فيه :

١ ـ العلم المكتسب الذى يحصله الإنسان بذكائه من الكتب الخاصة بالعلوم الإسلامية . كتب التفسير ، والحديث ، والفقه ، وأصول الفقه ، والتوحيد وعلوم العربية . . وكان يمتاز على الاقل فى علم أو علمين من هذه العلوم مع أتقانه لبقيتها ، وما كان ذلك إلا لأنه كان يواصل الليل بالنهار فى التحصيل . لقد كان العلماء إذ ذاك يستيقظون قبل الفجر ويتعبدون ويتهجدون ، ويبدأون الدراسة بعد صلاة الفجر مباشرة ، يبدأونها على طهر وروحانية ، وكان أبناء الأزهر طالباً وأستاذاً على هذا الغرار : إنه كان عالماً .

٢ ـ وكان على ثقة فى الله سبحانه ، ومن أجل ذلك لم يكن يخشى أحداً إلا الله إنه كان من هؤلاء الذين لا يخشون أحداً غيره . وكانت ثقته فى الله هذه تذلل له الأمور ، وتملأ قلوب الآخرين هيبة .

والثقة فى الله ينبثق عنها أمور كلها سامية : ينبثق عنها :

طاعته سبحانه ، وكان شيخ الازهر دائماً من العباد .

وكان ينبثق عنها الأخلاص فى السر والعلن ، والاخلاص من المبادىء الأولى الواجبة فى الإسلام .

وكان ينبثق عنها التوكل عليه سبحانه ، لأنه إذا وثق به فانه يتوكل عليه .
« ومن يتوكل على الله فهو حسبه » .

وكان ينبثق عنها فضائل أخرى كلها سام ونافع .

٣ - ولم يكن فى ذلك الوقت شيخ الأزهر عالة على الحكومة :

وذلك أن الأزهر حفظ على الأمة لغتها وإيمانها ، فوفت له الأمة من أجل ذلك بأجلالها وإحترامها ، وبأوقاف كثيرة وقفتها عليه .

لقد كان موقوفاً على الأزهر مالا يكاد يحصى من أموال ، وكان الأزهر يعيش فى حدود أوقافه كريم النفس ، رافع الرأس ، وكان يشعر بضيق فى دنيا أنه يعرف ماله ، وفى حدود دائرته ينفق ولايتجاوز دائرته .

وكان صدر الحاكمين يضيق بذلك أحياناً فما كان لهم فى إخضاع الأزهر من سبيل من ناحية الرزق .

وأخذ الحاكمون فى عصر دولة محمد على يحتالون اللأمر حتى أمكنهم بالمكر والخديعة أن يستولوا على أوقاف الازهر ، ويعطون مالا من خزينة الدولة ، يضيق عليه فيه سنويا ، ولاتساير الدولة نمو الازهر وتطوره ، وأصبح الازهر فى ضيق يزداد ضيقاً كل عام .

أما أوقاف الازهر التى أخذت منه بالمكر والخديعة ، فانها شرعاً مازالت له ، لان أوقاف البر لاتؤخذ هكذا ، ولايغير مصرفها ، وكل هؤلاء الذين أستولوا عليها إنما يأكلون حراماً ، ومن يأكل حراماً لايقبل الله منه عملا ، وأن الرجل ليقذف باللقمة الحرام فى جوفه مايتقبل منه أربعين يوماً كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولايتقبل الله ممن يأكل أوقاف الازهر — ولو كان قد أشتراها — دعاء ، فشرط أستجابة الدعاء طيب المطعم ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما طلب منه سيدنا سعد أن يدعو الله له ليكون مستجاب الدعوة .

روى بن مردويه بسنده عن بن عباس قال : تليت هذه الآية عند رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أيها الناس كلوا مما فى الارض حلالا طيباً » فقام سعد بن أبى وقاص فقال : يارسول الله ، أدع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة ، فقال : ياسعد ، أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ، والذى نفس محمد بيده أن الرجل ليقذف اللقمة الحرام فى جوفه مايتقبل منه أربعين يوماً ، وأيما عبد نبت لحمه من السحت والربا فالنار أولى به » .

وإن هذا الذى يأكل أموال الاوقاف إنما يتقلب فى حرام دائم :

وبهذه المناسبة نقص هنا قصة لها مغزاها الصادق :

جاء عصفور إلى سيدنا سليمان عليه السلام وقال له :

إنى مع ماترانى عليه من صغر وضعف يمكننى أن أهدم ملكك هدماً تاماً.

ويبتسم سليمان عليه السلام ، ويسأله : كيف ؟

فقال : أذهب إلى البحر فأبتل فيه ، ثم آتى إلى أرض من أرض الاوقاف وأتمرغ فيها ، فيعلق بى من ترابها ، ثم آتى إلى قصرك فأنفض نفسى فيه ، فما أن يحصل فى بيتك من أرض الاوقاف شيء إلا كان ذلك سبباً فى خراب قصرك وملكك .

ومعنى القصة صادق ، وثمرة المعنى الصادق رهيبة ..

ويقول أسلافنا رضوان الله عليهم :

حينما تخرج من أرض أوقاف كنت سائرا فيها فانفض رجليك وملابسك حتى تخرج منها وأنت على ما يشبه اليقين من النقاء من آثارها .

إن الأوقاف الخيرة لأهلها لاتباع ، ولا تصرف فى غير مصارفها .

إنها لما وقفت عليه ، وإلا فهى دمار يصيب المتسبب والآكل والمالك والمحيط كله .

ولابد من رد مال الأزهر إليه حتى تكون البركة ويكون النماء ويكون الخير ، وهذه الأوقاف ثابتة فى حجج ، وما زالت هذه الحجج محفوظة ، وكما اغتصبت دولة محمد على هذه الأوقاف فانها يجب أن ترد ثانية .

هل من خيرين يتبنون الفكرة ؟

هل من محبين للأزهر يعاونون على رد أوقافه إليه ؟

هل من محتسب يبدأ ؟

لعل وعسى ، والخير فى الناس ما زال باقياً .

٤ — وكان علماء الأزهر ، وكان شيخه عازفين عن دنيا يتكالب عليها الناس ، وعن رئاسات يجرى وراءها الكثيرون .

وخذ مثلا الشيخ عبد الرحمن الشربينى الخطيب :

لقد عرضت عليه مشيخة الأزهر فأبى ، فعرضت على غيره من العلماء فلم يقبلها واحد منهم ، وعلل كل منهم امتناعه عن القبول ، إن الشيخ الشربينى أحق بها منه ، واجتمع الجميع على أنه المقدم بينهم لهذا المنصب .

وقبل الشيخ الشربينى هذا المنصب على أن يعين له وكيل ، ولكنه ما لبث بعد هذا أن استقال بعد أن استقر فى هذا المنصب اثنا عشر عاماً .

وكان له نشاط علمى بارز .

لقد كتب على المطول فى البلاغة .

وكتب على البهجة فى فقه الشافعية .

وكتب على جمع الجوامع فى أصول الفقه .

وتوج ذلك كله بتفسيره الكبير .

ومثال آخر : إنه الشيخ سليم البشرى :

لقد تولى المشيخة عام ١٣١٧ هـ ، وزار مع الخديو عباس معاهد الأزهر وكان قبل توليه المشيخة رئيساً للجنة إصلاح الأزهر ، وقدم مشروع الإصلاح الذى أصبحت تبعاً له رئاسة الأزهر لشيخ الأزهر ، وأصبحت مشيخته مشيخة نظامية .

أما عن نشاطه العلمى فقد كان يقرأ في الفجر صحيح البخارى ، وكان له فى إسناد الحديث ، وألف عدة كتب فى الأدب والتوحيد والنحو ، ومنها شرح البردة وغيرها .

ولما هدم مصطفى كمال الخلافة بناء على تخطيط محكم لتمزيق المسلمين وأضعافهم زاد تطلع الناس إلى الأزهر وأملهم فيه[1] .

---

(١) كتب الأستاذ سعيد الأفغانى مقالا فى غاية النفاسة يصحح به كثيراً من الأفكار الخاطئة عن الدولة العثمانية ، وعن السلطان عبد الحميد بالذات ونحن نغتبط بنقله هنا عن مجلة العربى العدد ٢١٩ .

« سبب خلع السلطان عبد الحميد : وثيقة بتوقيعه ، فريدة مجهولة تصرح بالسبب . كانت الصهيونية هي خالعة السلطان ، ومقوضة الدولة العثمانية » .

لعل من نجهل من ضحايا التاريخ أضعاف من نعرف ، ولم يكن الاقدمون بعيدين عن الصواب حين جعلوا التاريخ علماً ظنياً غير يقينى . وإذا أمعن الإنسان فى سيرة من عايشهم وخبرهم من المشهورين ، رأى بونا شاسعاً ، بين حقيقتهم التى عرفها والتراجم التى سطرت لهم فيما بعد ، ومايزال عمل المؤرخ =

. . . .

= اللاحق تصحيحاً واستدراكا لأعمال من سبقه من مؤرخين على هـدى أضواء جديدة تسلط .

وتاريخ السلطان عبد الحميد ـ كما عرض غير مرة ـ من الأمثلة الصارخة على تزوير (وسائل الدعاية والإعلام) للحقائق ، ونحن اليوم وقد انبسط سلطان الاعلام بمـا اخترع العلم من وسائل زوده بها كالإذاعة والتليفزيون والاخبار المصورة ـ أحوج ممن قبلنا إلى الشك واتهام الإشاعات والإذاعات والتحرى والتروي فيما يشاع ويذاع ، إذ كانوا فى عهدالسلطان مثلا لايملكون من هذه الوسائل إلا صحف الاخبار على ما كانت عليه من بطء ، ومع هذا استطاعت تشويه سيرته وصورته على غير ما خلقه الله ، فكيف لو أدركته هذه الوسائل الحديثة وما يصدر عنها ممـا هو اليوم أخبار وإذاعات حتى إذا أودع غداً بطون الاسفار صار تاريخاً وحقائق ؟

معالم فى سيرة عبد الحميد :

لابد قبل التعرض لهذه الوثيقةالتى تنشرلأول مرة من إلمامة خاطفة ثبت بها بعض المعالم فى سيرة هذا السلطان الذى إمتد حكمه بين سنتى (١٨٧٦–١٩٠٩) كانت السلطنة حين جلس عبد الحميد على العرش مثقلة بالمتاعب « تواجه أشد الازمات ، فشهدت فى عهـده نشاطاً كبيراً فى العراق ، وإمتدت السكك الحديدية فى ولاياتها الاوربية والآسيوية ، وأقيمت المرافىء المتعددة ، وأنشىء الخط الحجازى بين دمشق والمدينة المنورة ولم يكن للأجنبي فيه صلات مالية » .

وبرز فى عهده كثير من رجالات العرب فى مناصب رفيعة حساسة ، وأكثر السلطان من تقريب العرب وعظائهم حتى كانت لهم كفة مرجحة فى الحكم ،

. . . .

= فالكاتب الثانى للسلطان هو (أحمد عزة باشا العابد) عربى من دمشق ، وشيخ السلطان (أبو الهدى الصيادى) عربى من ضواحى حلب . والسلطان شديد المحبة للعرب قوى الاعتقاد فيهم أكثر منهم فى ضباطه وحرسه الخاص وموظفى (سراياه) حتى جلب على نفسه نقمة (العنصريين من الأتراك) وكان يحلم بـ (الجامعة الإسلامية) تحت لواء الخلافة حتى عرفت سياسته العامة الداخلية بأنها (إسلامية تعطف على العرب) وكثيراً ما هدد الدول الأجنبية برفع راية الجهاد التى إذا رفعها وجب على كل مسلم فى الأرض الإنضواء تحتها مجاهداً فى سبيل الله .

أما سياسته الخارجية فـ « التى مدت فى عمر المملكة نحو جيل .. ولم تكن سياسة جهالة وغباوة وعواطف كما وصفها الإتحاديون الذين خلفوا عبد الحميد على السلطة ، وإنما كانت سياسة عقل ناضج وخبرة كاملة » ، وشهد خصمه جمال الدين الأفغانى فقال :

« رأيته يعلم دقائق الأمور السياسية ، ومرامى الدول الغربية ، وهو معد لكل هوة تطرأ على الملك مخرجا وسلما وأعظم ما أدهشنى ما أعده من خفى الوسائل وأمضى العوامل كيلا تتفق أوربا على عمل خطير فى الممالك العثمانية ، ويريها عياناً محسوساً أن تجزئة السلطنة العثمانية لا يمكن إلا بخراب يعم الممالك الأوربية بأسرها . وكلما حاولت أوروبا أن تجمع كلمة البلقان للخروج على الدولة بحرب كان السلطان يسارع بدهائه العجيب لحل عقد ما ربطوه وتفريق ما جمعوه من كلمة وكيد » .

« هرتزل » يساوم السلطان :

فى سنة ١٨٩٧ عرض (هرتزل) مؤسس الصهيونية على السلطان عبد الحميد =

. . . .

= فكرة إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين ، وأن هذا كاف للقضاء على حركة القومية العربية ، وسيكون من تأسيسه فوائد جمة للمملكة ، وأن هرتزل يتعهد بتسديد ديون الدولة كلها و بتقديم مبلغ ضخم للسلطان خاصة لقاء هذا السماح ، فلم يكن من السلطان إلا الرفض الشديد المشروح فى وثيقتنا التى ننشرها . وكانت الدول الأوربية (روسيا وإنجلترا وفرنسا) فى غيظ من ميل السلطان إلى منح امتياز الخط الحديدى الواصل بين أستانبول و بغداد لألمانيا ، فدأبت جميعاً على تحريك العناصر المختلفة فى الدولة ومدها بالمعونات السرية لإعلان العصيان كما فعلت فى الولايات البلقانية ، وعلى هذا تأسست أحزاب مناوئة للسلطان ، وكان بعض اليهود المتظاهرون بالإسلام على رأس الساعين فى الفساد ، وانعقدت الاجتماعات السرية فى المحافل الماسونية المختلفة ، وكان مؤسسوا جمعية (الاتحاد والترقى) قد عقدوا اجتماعاتهم الاولى فى المحفل الماسونى الإيطالى ، وفتحت السفارات الاجنبية أبوابها الكل مخطط لعصيان على السلطان وعمل الضابط (ذوو الاصل اليهودى) من أعضاء جمعية الإتحاد والترقى على تخطيط الإنقلاب الذى يخلعون فيه السلطان ، وكانت إنجلترا وفرنسا سابقتين إلى إيواء اللاجئين من معارضى الحكم الحميدى ، وتركتهم يعملون فى بلادها علنا لإسقاط السلطان .

التخطيط لخلع السلطان :

آمن «هرتزل» وأعوانه اليهود أن لا أمل لهم فى الوطن القومى بفلسطين والسلطان على عرشه ، وأن خيرهم فى بعثرة المملكة وتقويض أركانها ، فعملوا فى ميدانين : ميدان خارجى بما لهم من نفوذ ومؤسسات وتحكم فى الدول الاوربية، وميدان داخلى فى تغذية الروح القومية الانفصالية لعناصر=

. . . .

=المملكة المختلفة من عرب وأكراد وشركس وأرنوءوط وأرمن . . إلخ ، وأحزاب وجمعيات سرية زودتها الصهيونية بـ (عقائديات) حسنة الظاهر ولها في كيان الامة فعل الديناميت المفجر . حتى أتت الحركات والجهود المختلفة ثمارها . فجعل حزب الإتحاد والترقي (اليهودي الماسوني) مركز عمله سراً في « سلانيك » اختارها لان فيها « عدا الجوالي الاجنبية الكثيرة عدداً من المحافل الماسونية كانت عوناً لهم على تشكيلاتهم وعلى كتمان مساعيهم .»

ثم قويت حركات المعارضين حتى صارت علنية بعد السرية ، وتجاوب مع معارضي (سلانيك) الارمن وسائر الاقليات تحت شعار (الدستور) « ولما علم السلطان أن مدينة سلانيك أعلنت في يومي ٢٣ و ٢٤ تموز سنة ١٩٠٨ الدستور إجابة لطلب جمعية الاتحاد والترقي ، وذلك بمظاهرة صاخبة ، وأن البرقيات الموجهة للصدارة من أجناد (سلانيك ، ومناستير ، وأسكوب ، وسرس) لا تزال تلح في المطالبة باعلان الدستور ، وتهدد بالزحف على العاصمة ، بينما كان الجو السياسي الدولي ينذر بالخطر من جراء المؤامرات التي تبنتها الدول الاجنبية ضد السلطنة ، أصدر إرادته باعادة الدستور يوم ٢٤ تموز ١٩٠٨ » .

أما شبان العرب فقد أهداهم التجسس القومي الذي كان الاجانب يؤرثونه من حيث لا يشعرون بهم وكانت الإرساليات الاجنبية ومدارسها والقنصليات تنفخ في رماد هذا الوعي القومي .. وأغتنمت المدارس الاجنبية المنتشرة في المملكة فرصة استثناءها من رقابة الدولة فألقت في أفئدة تلاميذها النصارى الرعب من المسلمين لتنفرهم من الامبراطورية العثمانية ، ولتكتسب قلوبهم مستعينة على ذلك ببعض التآليف التي لم تتورع عن الطعن في الإسلام والتشهير برسوله . . =

. . . .

= فاذا علمت أن (الجامعة الإسلامية) منهج السلطان، أدركت ما الذى جمع الدول والاقليات والاحزاب الزنيمة والمغفلين من أصحاب المطامع على هوى واحد، هو خلع السلطان عبد الحميد.

☆ ☆ ☆

كان لابد لهذه المعارضات من شعارات محببة إلى الجماهير تتستر وراءها: شأن كل تخطيط يسهم فيه اليهود، كالقومية للعناصر غير التركية، (ورفع الظلم والاستبداد ورد الأمر شورى) للأتراك.. فرفع حزب الاتحاد والترقى شعار (الحرية والعدالة والمساواة) وأكثروا من اختلاق الاخبار والشائعات عن كثرة من أصابهم ظلم عبد الحميد: ألوف القتلى والغرقى (فى البوسفور)، وعشرات الالوف ازدحمت بهم سجون المملكة.. حتى اعتقد الناس من كثرة التكرار والترداد لهذه الإشاعات أنهم يعيشون فى جوخانق من إرهاب السلطان (الاحمر) كما لقبوه.

وآلت الامور — كما يعرف القراء الكرام — إلى أن زحفت فرقة الجيش من سلانيك ودخلت العاصمة، وأحاطت بالقصر وأبلغت السلطان قرار الخلع، ولم يكن المبلغ إلا (قرة صو) عضو الحزب (اليهودى الاصل).

ولم يكن سبب خلع السلطان عبد الحميد السلطان بحاجة لهذا الإبلاغ، إذ كان موقناً أنه دفع ثمن رفضه إنشاء الوطن اليهودى فى فلسطين كما ستعلم من الوثيقة بعد قليل. =

* * *

. . . .

= بعد الخلع :

أعلنت الأفراح فى الأنحاء القريبة والبعيدة من المملـكة العثمانية بخلع السلطان وتبارى (المطبلون) فى ذم السلطان وتسويد صحيفته ، واختلاف الطم والرم من الإخبار عن ظلمه واستبداده وبطشه وسفكه الدماء وسجنه الأبرياء الأحرار ، كما تباروا فى الاشادة بالضباط الأحرار ضباط الإنقلاب ، وبالحزب الحاكم (الإتحاد والترقى) . ثم نشطت الأحزاب التى لم تخف تطرفها فى عصبيتها التركية لفرض نظريتها فى تتريك العناصر كلها : ولفق للسلطان تاريخ درس فى المدارس والجامعات وحفظنا — فى طفولتنا — من مساوىء السلطان ما شحنوا به الكتب المدرسية والصحف والمجلات .. وخلاصة ذلك كله — زعموا حينئذ — أن حزب الإتحاد والترقى أنقذ البلاد من الظلم والإستبداد والإرهاب ، وأن الذى حفزهم على الثورة إعادة (الحرية والعدالة والمساواة) ونشرها بين الناس . ثم أظهر الزمان زيف ذلك كله ، وأن هذا الحزب التقدمي كان المتفجرة التى أطاحت بالمملكة كلها فبعثرتها أباديد .

ولم يطل الزمن بالناس حتى كارثة فلسطين ، وتكشفت الحوادث لذوى البصائر عن الحقيقة الصارخة المؤلمة : كان اليهود وراء كل حزب وكل دعوة عنصرية فى الإمبراطورية العثمانية ، ولو سمح السلطان للوطن القومي اليهودى لبقى الحكم حكمه إلى أن يأتيه أجله . ولم تكن تلك الأحزاب والعنصريات إلا من الوسائل للقضاء على الدولة وتمهيد الأمر للوطن الصهيونى . لقد ذهبت المعلومات التى لقنا إياها عن عبد الحميد وحزب الإتحاد والترقى معلمونا المخدرون بالدعاية الإعلامية الحزبية أيام الإتحاديين أدراج الرياح ، واستبد لنا بها الحقيقة الماثلة عارية محسوسة لكل ذى عينين ، أدركناها الآن وكان =

. . . .

عبد الحميد يراها رأى العين قبل ٦٠ سنه ، ولكنه لم يجد من يفهم عنه كما سيتضح لك ذلك من رسالته .

لقد كان عرشه فريسة الصهيونية المدمرة المخربة فكان الضحية الأولى في سبيل فلسطين .

مآثر السلطان فى حقن الدماء :

يحفظ المعمرون فى دمشق عن أحد باشوات الدولة العثمانية المرحوم (زاهد باشا الهبل) وكان يرويه لجلسائه آخر مآثر السلطان فى قصره يوم الخلع قال :

لما اضطربت الحوادث وتمردت فرقة (سلانيك) ، أخبر الصدر الأعظم سلطانه بعصيان جيش سلانيك . قال السلطان . (طيب) ولم يزد عليها ، ثم أخبره باتجاه العصاة نحو العاصمة (استانبول) فقال (طيب) ولم يأمر بشيء ، ثم أخبره بدخولهم العاصمة .. ثم باتجاههم نحو قصره .. ثم بحصارهم القصر .. فى كل ذلك يقول (طيب) ولا يزيد عليها : وكان الصدر الأعظم شديد الهيبة للسلطان : ثم دخل آمر القوي فى القصر يستأذن السلطان بضرب العصاة والمقاومة ، فمنعه ، ثم عاوده القول يريدون إذنه بالمقاومة فقال لهم :

« أعرف جيداً إن كل ما يرومون هو خلعى أو قتلى ، وأنا شخص واحد ، فاذا أمرتكم بالمقاومة سقط مئات القتلى منكم ومنهم ، وأنتم جميعاً أفراد من هذه الأمة ، والأمة ستحتاج إليكم فيما ينزل بها من شدائد . =

. . . .

= ثم دخل العصاة ولم يقاومهم أحد ، وأبلغوا السلطان قرار الحزب خلعه ونقلوه إلى قصر في سلانيك بعيداً يقيم فيه حتى الممات .

* * *

الوثيقه وقصتها :

فى زاوية الشاذلية فى حى القنوات بدمشق ، يرقد تحت قبة عالية الشيخ محمود أبو الشامات ، شيخ الطريقة الشاذلية اليشرطية ، وأول خليفة لصاحب الطريقة الشيخ على اليشرطى المشهور أسسها فى مدينة عكا .

كان الشيخ أبو الشامات جميل الصورة ، حسن السمت ، مهيبا ، حلوة البشرة قديماً محاضراً ، للناس — والعوام منهم خاصة — عقيدة فيه صالحة ، يقيم الحضرة (مجلس الذكر) كل ليلة جمعة فى زاويته الفخمة .

من مريدى الشيخ (راغب رضا بك) مدير القصر السلطانى أيام السلطان أيام عبد الحميد ، وكلما زار الشيخ (استانبول) نزل عند مريده مدير القصر والظاهر أن السلطان الذى لا تخفى عليه خافية من شئون حاشيته ، أطلع على الأمر ، فسأل مدير قصره عمن يكون ضيفه ، فأخبره أنه شيخه فى الطريق ووصف له من حاله آملا سمع السلطان وأهاجه لإستزارته ، فلما اجتمع به ملأ عينه وقلبه ، وطلب منه الطريق فلباه ، وأصبح السلطان من تلاميذ الشيخ فى الشاذلية وأورادها وأذكارها ، وقد عرفت أن الشيخ حسن المحاضرة من أمراء المجالس ، تتقبله القلوب ، فتعلق به السلطان . كما أخذ عنه الطريق جملة من وجهاء (استانبول) وموظفى القصر السلطانى وجنوده وحراسه . فلما خلع السلطان ووضع فى قصر فى سلانيك كان من الحراس =

. . . .

الذين أقيموا عليه ، أحـد تلاميذ الشيخ أبي الشامات وعن طريقه تم المواصلة السرية الكتابية بين الشيخ والسلطان المخلوع ، وحفظ الزمان لنا هـذه الرسالة التي أرسلها السلطان إلى الشيخ وفيها البيان الصريح عن سر خلعه كشفه لشيخه .

احتفظ الشيخ بهذه الرسالة سراً مكتوماً طول عهد الإتحاديين ، حتى إذا زال الحكم التركي عن سورية أطلع عليها بعض خلصائه ، ثم حافظ عليها بعد وفاته أبناؤهم من بعده إذ كانت من أنفس التحف التي يحرص عليها الحريصون ، لا يطلعون عليها إلا الثقات من أهل ودهم ، حتى إذا قدم العهد وظهر عليها آثار الأيام ضنوا بها على الجميع . وقد سعى بعض وجهاء دمشق من أصدقاء أبناء الشيخ حتى أقنعهم باطلاعي عليها ، إذ لا يجوز كتمان أمرها الآن حتى لا يضيع الحق ، وحتى يصحح كثير من الباحثين والعلماء خطأ ورطتهم فيه الدعايات الباطلة ، فلبي الورثة الطلب مشكورين ، وأعارونيها في مطلع هذا العام ٧٢ ريثما صورتها ورددتها لهم :

أما الترجمة العربية للرسالة فقد قام بها صديق لهم من أهل العلم يتقن اللغتين العربية والتركية وكتبها لهم بخطه الفارسي الجميل المعروف ، وهم يحتفظون بالترجمة احتفاظهم بالأصل التركي . ولا تنسى ما قدمت لك من أن الرسالة موجهة من السلطان « المريد » إلى شيخه في الطريق ، فلابد إذا من الطمأنينة على التزام الأذكار الشاذلية والتزام التقاليد في مخاطبة الشيخ ، وإليك الرسالة المترجمة .

=

. . . .

يا هــــو

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين وأفضل السلام واتم التسليم على سيدنا محمد رسول رب العالمين وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين إلى يوم الدين .

ارفع عريضتى هذه إلى شيخ الطريقة العلية الشاذلية ، إلى مفيض الروح والحياة ، إلى شيخ أهل عصره الشيخ محمود أفندى أبى الشامات ، وأقبل يديه المباركتين راجيا دعواته الصالحة .

بعد تقديم احترامى أعرض أننى تلقيت كتابكم المؤرخ فى ٢٢ مارس فى السنة الحالية ، وحمدت المولى وشكرته انكم بصحة وسلامة دائمتين .

سيدى :

انى بتوفيق الله تعالى مداوم على قراءة الأوراد الشاذلية ليلا ونهاراً . وأعرض انى مازلت محتاجا لدعواتكم القلبية بصورة دائمة .

بعد هذه المقدمة أعرض لرشادتكم وإلى أمثالكم أصحاب السماحة والعقول السليمة المسألة المهمة الآتية كأمانة فى ذمة التاريخ :

انى لم اتخل عن الخلافة الاسلامية لسبب ما ، سوى انى — بسبب المضايقة من رؤساء جمعية الاتحاد المعروفة باسم (جون تورك) وتهديدهم — اضطررت وأجبرت على ترك الخلافة .

إن هؤلاء الاتحاديين قد اصروا على بأن أصادق على تأسيس وطن قومى لليهود فى الأرض المقدسة (فلسطين) ورغم اصرارهم فلم اقبل بصورة قطعية =

. . . .

=هذا التكليف ، وأخيراً وعدوا بتقديم (١٥٠) مائة وخمسين مليون ليرة انكليزية ذهبا ، فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية ايضا وأجبتهم بهذا الجواب القطعي الآتي :

« أنكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهباً فضلا عن (١٥٠) مائة وخمسين مليون ليرة أنكليزية ذهبا فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي . لقد خدمت الملة الاسلامية والأمة المحمدية ما يزيد على ثلاثين سنة فلم أسود صحائف المسلمين آبائي واجدادي من السلاطين والخلفاء العثمانيين ، لهذا لن أقبل تكليفكم بوجه قطعي أيضاً .. » .

وبعد جوابي القطعي اتفقوا على خلعي ، وبلغوني انهم سيبعدونني إلى (سلانيك) فقبلت بهذا التكليف الأخير .

هذا وحمدت المولى واحمده انني لم اقبل بأن الطخ الدولة العثمانية والعالم الإسلامي بهذا العار الأبدي الناشيء عن تكليفهم باقامة دولة يهودية في الأراضي المقدسة . فلسطين .. وقد كان بعد ذلك ما كان ، ولذا فانني أكرر الحمد والثناء على الله المتعال . واعتقد أن ما عرضته كاف في هذا الموضوع الهام ، وبه اختم رسالتي هذه .

الثم يديكم المباركتين ، وارجو واسترحم أن تتفضلوا بقبول احترامي بسلامي إلى جميع الأخوان والأصدقاء .

يا استاذي المعظم ..

لقد اطلت عليكم التحية ، ولكن دفعني لهذه الأطالة أن نحيط سماحتكم=

. . . .

=علماً وتحيط جماعتكم بذلك علماً أيضا . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

في ٢٢ ايلول ١٣٢٩

خادم المسلمين
عبدالحميد بن عبدالحميد

ما اظن هذه الوثيقة التاريخية بحاجة إلى تعليق ، فليس بعد بيان السلطان نفسه عما جرى له بيان ، ولا بعد هذه الصراحة بوقاحة اليهود وعملائهم (الاتحاديين) صراحة ، ونحن الذين نعيش في سنة ١٩٧٢ بعد أن رأينا تتابع الأحداث منذ وعد بلفور سنة ١٩١٧ وما لحقه ، صححنا كثيراً من نظراتنا السابقة إلى الحلفاء ومواعيدهم ، والممنا بأثر اليهود في الحوادث العالمية ألماماً نظريا ، وصرنا نرتاب بل نخاف أشد الخوف كلما رفع حزب شعارات نعشقها بعد أن علمنا علم اليقين ما كان وراء شعارات (الحرية والعدالة والمساواة) التي رفعها حزب الاتحاد والترقي من استعباد واضطهاد وظلم وتفريق وأراقة دماء وشنق ضحايا ،

لقد كان (الاتحاد) الذي سمى به الحزب نفسه تشتيتا للامة الواحدة ، وتمييزاً بين عناصرها ، واضاعة لبعض بلادها ، وكان (الترقي) انحداراً إلى الهاوية حيث لفظت المملكة عندها نفسها الأخير .

الهدف من الرسالة :

نتساءل — بعد ما تقدم — ما أرب السلطان من عرضه على (أصحاب السماحة والعقول السليمة) هذه (المسألة الهامة) وجعلها أمانة في ذمة التاريخ .
=

. . . .

= اننا إذا ذكرنا أن السلطان بشهادة خصومة وشهادة السياسيين الأجانب كان من الدهاة أصحاب الاناة والتدبير ، عرفنا بأنفسنا الجواب . لقد أراد أن — يرمي عصفورين — كما يقولون — بحجر واحد : وذلك أنه باستشارته العلماء والمشايخ وذوى العقول السليمة يكون قد حرك جهازاً له خطره البالغ فى تلك الأيام فيشير أولئك فى خطب المساجد ومجالس الوعظ وحلقات المشايخ الجماهير وقدسية (فلسطين) حساسة جداً يوم كان للدين حكمه النافذ على القلوب ، فيعى الشعب ويغلي ويثور ، فتموت فكرة الوطن القومي فى مهدها بعد تنبه الجماهير لها ، ويزاح « الانقلابيون » بأهون السبل بعد حصول هذه التوعية وخاصة فى العاصمة والأناضول ، وبذا ينقذ السلطان فلسطين ، ويقضى على الانقلابيين ، إذ كان الجيش الذى ساقوه فقام بالانقلاب واوهموه أنما يحاربون به الاستبداد الحميدى سيصبح بعد توعيته ، وتنبهه للغرض الحقيقى ، واطلاعه على هوية (الاتحاديين) منقلبا عليهم لا يرضى دون تعليقهم على المشانق لقاء خدعهم وتضليلهم له .

ولكن الشيخ ابا الشامات وجماعته واصحاب السماحة لم يكونوا من الوعى والشعور بالمصالح العليا للامة بحيث ظن السلطان . نعم ، انى اعلم أن حركات مضادة للاتحاديين قد بدأت تظهرقرونها ، وأن (الجمعية المحمدية) التى صار لهـا فروع فى بعض الأمصار طالبت متحمسة بالغاء الدستور والرجوع إلى الشرع الإسلامي لكن لم يكن باكثر من فورة حماسية لم تلبث أن انطفأت بالارهاب الأحمر الذى حكم به الاتحاديون ، إذ لم يحسن القائمون بها والداعون لها تخطيطها ولا تعميمها ، ولم يكن وعى الشعب يومئذ كافيا =

. . . .

= ليدرك مصالحه ، وكان (المطبلون) للاتحاديين من المنافقين المرتزقة أكثر من أولئك بكثير .

يرحم الله عبدالحميد ، لم يكن له فى مستواه وزراء ولا أعوان ولا شعب، لقد سبق زمنه ، وكان فى كفايته ودرايته وسياسته وبعد نظره بحيث استطاع وحده بدهائه وتصرفه مع الدول تأجيل انقراض الدولة ثلث قرن من الزمان ، ولو وجد الأعوان الأكفاء والامة التى تفهم عنه لترك للدولة بناء من الطراز الاول .

عبد الحميد فى ذاكرة شعبه

إنى أعى فى طفولتى — وقد نزل ما نزل من ويلات الحروب وضياع البلاد والمجاعة والقحط أيام الحرب العالمية الأولى — الناس وهم لا يملون من ذكر أيام عبد الحميد بالخير والرحمات ، وكانت كلمة (الله تلك الأيام) لازمة تتردد على الألسنة كلما ذكر عبد الحميد وعهده ، ولقد كان عندهم خلع عبد الحميد هو الباب الذى منه تدفقت على البلاد المصائب والشدائد والضياع . ومالى أرجع إلى عهد الحداثة وأنا الآن كلما جلست إلى معمر أو أصغيت إلى حديث يدور بين طاعنين فى السن أسمع الترحم على عبد الحميد وعلى أيامه ، حتى صار اسمه حنانا فى قلوب الناس ، تجسد فيه عزهم السابق ورخاؤهم وأمنهم وسلامة مقدساتهم ، والظاهر أن لروح الشعوب حساً لا يخطىء ، وحدساً صادقا لا تنفع معه أضاليل دعاية مهما تعظم وتضخم ، لقد ذهب كل ما حشوا به أذهاننا عن استبداد عبد الحميد ، ونسى الناس كل دعايات الاتحاديين وتاريخهم المزور الذى صنعته الدول الأجنبية والمكر اليهودى ، نسى الناس كل ذلك ، وبقى فى عقيدتهم أن حروب الاتحاد والترقى والقواعد الماسونية كلها كانت طلائع الغزو الصهيونى ، وأن السلطان كان المناضل الحق الصامت عن فلسطين ، وأنه لو قبل عرض الاتحاديين عملاء اليهود لتحقق من سنة ١٩٠٨ تهويد فلسطين ، وما تأخر بفضل السلطان وإيمانه وعزيمته إلى سنة ١٩٤٨ .

لقد كان وحده — رحمه الله — الشهيد الصادق الأول الذى خر دفاعا عن فلسطين .

لقد عرض على السلطان عبد الحميد رحمه الله مبالغ ضخمة : عشرات الملايين للدولة العثمانية ، وعشرات الملايين لنفسه شخصيا ليسمح باقامة وطن قومي لليهود فى فلسطين ، فأبى السلطان إباء المسلم المؤمن ، وكلما ألحوا عليه وأكثروا من الأرقام المالية التي تدفع كلما كان إيمانه بربه أكبر ، ومنذ ذلك الزمن وضع التخطيط لهدم الخلافة .

أما الأداة المنفذة فى كثير من الخسة فهى أتاتورك .

ماذا فعل أتاتورك ، وماذا كان موقف المسلمين منه ؟

لقد أقامت الدعاية لمصطفى كمال العالم الإسلامي للعطف عليه وأعلنت أنه مسلم يعمل لنهضة الإسلام وتثبيت الإيمان .

ولما استتب له الأمر أبان عن نواياه الشيطانية ، فأزال الخلافة .. وإزالة الخلافة أمر فى غاية الضرر بالنسبة لتركيا ، فقد نزل بها أولا من دولة فى الدرجة الأولى يخشى حسابها إلى دولة فى الدرجة الثالثة أو الرابعة أو العاشرة .

ونزل بها ثانياً من دولة تتزعم العالم الإسلامي ، تأمر فيستجيب ، إلى دولة لا دينية ، وفقدت تركيا بذلك الزعامة .

ثم أخذ أتاتورك يضرب بمعاوله فى وجه التشريع الإسلامي ، وفى رأسه، وفى جسمه ، فأزال القانون الإسلامي ، وأحل محله القانون الوضعى . حتى الأحوال الشخصية أفسدها إفساداً يغضب الله ورسوله ، فأباح زواج المسلمة بالمسيحى ، ووصل به الأمر إلى أن كان يضرب بالرصاص من لبس الزى الإسلامي ، وأعلن لا دينية الدولة التركية ، وفصلها عن ماضيها ،وجعلها بكل ذلك دولة لا فى العير ولا فى النفير ، وحينما يكتب التاريخ الإسلامي عن حقيقته سيرى الناس أن أتاتورك كان من المفسدين .

أما اللغة العربية فكان بينه وبينها ثأراً : لقد غير الحروف العربية ، وكتب التركية بالحروف اللاتينية ، فأزال بذلك ما كان بين اللغة العربية واللغة التركية فى ناحية الكتابة ، ثم قام بما سماه تصفية اللغة التركية فأزال منها الكلمات الكثيرة العربية التى كانت بها ، وباعد بذلك بين اللغتين فى ناحية الموضوع .

وحينما حدث هذا فى تركيا :

تطلعت العيون إلى الأزهر : إذ لابد للناس من أب روحى ..

ونظروا إلى شيخ الأزهر على أنه شيخ الإسلام ، وكان شيخ الأزهر فى المستوى المأمول فيه : عالماً كأحسن ما يكون العلماء ، زاهداً إيجابياً كأفضل ما يكون الزهاد الإيجابيون ، مؤمناً بالله ، واثقا فيه .

إنه يشهد أن لا إله إلا الله ، يشهدها بحقها فيرتفع إلى المستوى اللائق بالأب الروحى .

واحتلت مصر منذ ذلك الحين مركز الزعامة الدينية فى العالم الإسلامى ، احتلت مركز الزعامة بسبب الأزهر الموجود فيها .

والواقع أن الأزهر مكث ألف عام يقوم على الحفاظ على اللغة العربية وعلى الدين الإسلامى .

وحفظ اللغة العربية بهذا البحث الدائب الدائم فى اللغة العربية ، ووقف فى وجه كل النزعات التى أرادت بها شراً .

إنه وقف فى وجه الدعوة ـ ياللسخافة ـ إلى العامية .

ووقف فى وجه الدعوة الملحدة إلى الكتابة بالحروف اللاتينية .

إن طائفة من المنحرفين أرادت أن تغير الحروف العربية لتنفصل الكتابة عن ماض التراث عميق ، والله يعلم أنها ما أرادت إلا الإفساد .

وبدأ بهذا الانحراف أتاتورك ، وكان فى أساس هذه الحركة كل أعداء الإسلام ، ثم أخذت بعض الدول مستجيبة إلى مخطط الاستعماريين والملاحدة والمنحرفين على أى وضع تغير الحروف بالفعل ، والبعض الآخر يفكر فى تغييرها .

وإنى أعلن هنا فى غير لبس ولا غموض أن كل دولة فعلت هذا إنما فعلت ما يغضب الله ورسوله ، بل ما يمقته الله ورسوله ، وأن الذى يبوء بالإثم إنما هم المنفذون والراضون بالتنفيذ ، وأنه يجب وجوبا دينياً أن يثور المؤمنون ضد هذا ويعارضوه ، وكما أمكن التغيير إلى الحروف اللاتينية فانه يمكن — وبصورة أسهل — التغيير إلى الحروف العربية .

وقام الأزهر طيلة قرون على الحفاظ على العقيده الإسلامية ، ووقف فى وجه كل انحراف فى العقيدة آت من الشرق أو من الغرب .

ووقف فى وجه هذا الغزو الفكرى الآتى من الشرق أو من الغرب .

إن للأمة الإسلامية رسالة هي رسالة الله إلى العالم : آخر الرسالات طابعها الرحمة لكل عوالم الله فى الأرض وفى السماء ، ومن مبادئها العلم وتزكية النفس: « يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم » . .

وهذه الرسالة — نقية صافية — هي المبرر لوجود الأمة الإسلامية : فاذا ما نجح الغزو الفكرى فى الخروج بهذه الرسالة عن طابعها الربانى فانه لا يوجد ما يبرر وجود أمة الإسلام .

ولقد قام الأزهر طيلة قرون فى وجه الزحف الفكرى ليعلم للناس رسالة الله ، آخر الرسالات ، صافية نقية .

ومن هنا كان المسلمون ـ فى مشارق الأرض ومغاربها ـ يدينون للأزهر بالفضل: يدينون جميعاً له بالفضل فى عقيدتهم ، وتدين له الدول العربية بالفضل فى الدين واللغة .

وكان الأزهر وما زال مقدساً عند هذه الشعوب ، وإذا سار شيخ الأزهر فيها أمتدت إليه الأعين ، وأصغت إليه الآذان ، وهفت إليه الأفئدة ، وغمره الناس بحبهم وتقديسهم .

وكذلك يفعلون مع المشايخ المتخرجين من الأزهر ، والذين يلبسون الزى الأزهرى .

وهذه المكانة للأزهر يعترف بها المستعمرون والمبشرون .

يقول أحدهم :

إن العمامة البيضاء فى أفريقيا أخطر علينا من القنبلة الذرية .

ويقول الآخر :

لا يتأتى لنا الاستقرار في هذه البلاد ما دام الأزهر موجوداً .

وتتساءل :

لماذا لا يستمر الأزهر على ما كان ؟

والواقع أن هناك عوامل كثيرة تكاتفت على النزول بالأزهر عن مكانته ومن أهم هذه العوامل هـذا الاستعمار وهذا التبشير : وتتبين مما سبق أنه كان لابد فى نظر أعداء الإسلام من هدم الأزهر .

وبدأت عوامل الهدم :

بدأت السخرية بعلمـاء الأزهر ، سواء أكان ذلك فى المراحل الأولى من التعليم أو في المراحل النهائية ، أو عن المتخرجين والعلماء : بدأ ذلك فى التمثيليات ، وفى الأفلام ، وفى الصحف ، وفى المجلات .

وكان المثل الصارخ هو تلك القصة التى كتبها أحد كبار الكتاب بفرنسا واتخذ من قسيس فيها مجالا لسخريته وتهكمه ، فاذا بالتليفزيون يخرجها أياماً متوالية متخذاً فيها «شيخاً» مجالا لتهكمه وسخريته ولم يجد المخرج أو المشرف من يقول له : إن هذا إنحراف ، ولم يعاقبه أحد ولم يسىء إليه إنسان .

وهذه الاقلام المأجورة التى تكتب هنا وهناك عن التشكيك فى الدين وفى القيم الاخلاقية ، وفى الهجوم على التشريع الإلهى ! ! . إنها لا تجد من يقول لها : إنك أقلام مأجورة ، وإن أقل ما يمكن فى أمثال أصحابك أن يزجوا فى السجن لتخرس منهم الالسن .

إن لكل بلد مقدسات ، ومن مقدسات أمريكا مثلا النظام الرأسمالى ، ومن مقدسات روسيا النظام الشيوعي ، وهذه المقدسات لا تمس . أليست العقيدة من المقدسات التى لا تمس ؟

إن المنحرفين عقديا ، والمنحرفين أخلاقيا ، والمنحرفين اجتماعياً على اختلاف ألوانهم يسرحون ويمرحون كيفما شاءوا فى الاقطار العربية ، فلا يجدون من يردعهم .

وتتكاتف الاقلام المأجورة ، والافلام المستوردة أو المنحرفة ، ووسائل الإعلام فى العمل على التشكيك فى العقيدة والقيم الاخلاقية والتشريع الربانى ، ونشر التحلل الاخلاقى بكل الطرق .

وهذه الآراء المستوردة التى تتنافى مع الدين ومع الفضيلة ، والتى يروجها اليهود فى كل مكان : هل تجد من يقف فى وجهها ؟

إن قراءة كتاب « بروتوكولات حكماء صهيون » مفيد كل الإفادة لمعرفة المخطط الخبيث الذى يقوم بتنفيذه اليهود .

إنهم يتبنون كل فكرة منحرفة ، وكل رأى ضال ، ويحاولون عن طريق الصحافة والكتب والإذاعة الترويج لكل منحل ، وإذاعة كل فاسد .

لقد تعاهدوا فى مواثيقهم على نشر آراء طائفة معينة من الذين إتخذوا مهنة إبليس فى العمل على إفساد العالم ، والترويج لها .

إنهم يقولون :

* نحن الذين رتبنا نجاح كارل ماركس .

لقد رتبوا نجاحه لأنه يفسد على الناس النظام الطبيعى والربانى فى الاقتصاد عن طريق المذهب الشيوعى ، وهو مذهب يتنافى مع الطبيعة ومع الاديان .

وهو - من أجل معارضة الاديان له - يدعون إلى إزالة الدين ، ويقول عنه : إنه أفيون الشعب .

ولما قيل له : ولكن لابد من بديل عن الدين لان الناس لا يعيشون بغير عقيدة ، قال : إن البديل للدين هو المسرح ، ألهوهم بالمسرح ، انشروا المسرح فى كل مكان فيجد فيه الناس البديل عن الدين ، ثم إن الشيوعية عقيدة .

وأخذت معاول الهدم الشيوعية تنال من الدين فى كل مكان تسود فيه الشيوعية وهي لا تنال من الدين بأسلوب فيه هوادة ورأفة ، وإنما تنال من الدين ومن رجال الدين بأسلوب عنيف قاس .

إنها مجازر تقام ، ودماء تسفح ، وسجون تملأ ، وتفنن فى التعذيب ، أما الخراب فانه ثمرة كل ذلك .

وكارل ماركس يهودى .

ويقول اليهود فى بروتوكلاتهم :

* نحن الذين رتبنا نجاح داروين .

وداروف هو صاحب نظرية التطور أو النشوء والإرتقاء ، أو كما يقول التعبير الشعبي : الإنسان أصله قرد .

وهي نظرية تتنافى مع كل الأديان التى ارتقت بالإنسان معبرة عن الحقيقة الكريمة : الإنسانية أصلها آدم : خلقه الله بيده ، وسواه ونفخ فيه من روحه وبدأ إقامته بالجنة .

وفرق هائل بين النظرتين :

ونظرية داروف لم تثبت ، وهي في كل يوم تزداد ضعفاً ، وتوشك الأوساط العلمية أن تلفظها نهائياً .

إن الإنسانية متطورة في العلوم المادية المكتسبة ، وهـــذه حقيقة لا جدال فيها :

لقد تطورت من الإبرة إلى ماكينة الخياطة ، هذه الماكينة التى تطورت هي الأخرى من حال إلى حال .

وتطورت في وسائل طهى الطعام .

وتطورت وما زالت فى جميع أدوات الطب وآلات الهندسة .

ولكن الفكر ـ عقيدة وأخلاقاً وتشريعاً ـ والذهن ، والذكاء ، والعقل:

إن كل ذلك لا تطور فيه . . ورتب عن الإنسانية الحالية علومها المـادية وما اكتسبته من ثقافة حسية متوالية ، ورتب بعضها على بعض ، تجدها هي الإنسانية التي كانت قبل التاريخ فكراً وعقلا وذكاء .

هذا هو الواقع ، أما إذا قلت إن الإنسانية متطورة عقلا وذكاء وذهنا ، فانك تكون قد هدمت كل القيم الفاضلة بجرة قلم ، وذلك أنه مادامت الإنسانية فكراً ، وعقلا ، وذكاء ، وذهنا متطورة ، فان كل قيمها الفاضلة الحالية

نسبية متطورة معها ، فلا يتأتى الحديث عن حق فى العقيدة ، أو عن حق فى الأخلاق ، أو عن حق فى التشريع ، أو عن حق فى نظام المجتمع ، وتنهار بذلك الأخلاق ، والأديان ، والقيم ، والمثل ، ولا يصبح للانسانية إلا الشهوات والغرائز .

إذا أخضعت القيم العليا للنسبية وللتطور فلا قيم ، وثمرة نظرية دارون أو خرافة دارون إنما هي هدم القيم العليا .

ومن أجل ذلك رتب اليهود نجاحها .

ويقول اليهود :

* نحن الذين رتبنا نجاح نيتشه .

وفرويد هو العالم اليهودى المزيف ، ونظريته أكبر مثل على التزييف الذى يتحالف فيه المزيف مع الشيطان ليفسدا الإنسانية فى الفطرة التى فضلها بها ومكارم الأخلاق فيها .

إنه يعزو – ياللسخافة – كل عمل وكل سعى إلى باعث من الغريزة الجنسية وليس سعى الإنسانية إلا نوعاً من إرضاء هذه الغريزة .

ورتب اليهود نجاحه لينحطوا بالإنسانية من مثل عليا وقيم ومكارم أخلاق إلى غريزة هي الجنسية .

الرحمة ، الرأفة ، العطف على اليتيم والمسكين ، الشعور بضرورة العدالة الإنصاف ، تزكية النفس ، المروءة . . كل ذلك — فى أساسه — إنما هو الغريزة الجنسية .

وليس بغريب أن يقول فرويد اليهودى ذلك ، وليس بغريب أن يرتب اليهودى نجاحه من أجل ذلك ، لأن فى ترتيب نجاحه هدم بمعاول من فولاذ لكل المثل الدينية الكريمة .

* ويقول اليهود : نحن الذين رتبنا نجاح نيتشه .

ونيتشه هو المنكر للأديان ، وللألوهية وللأخلاق ، وهو يجدد دعوة أبيقور بالاستمتاع على أية وسيلة كان الاستمتاع .

إنه يقول : إذا كان استمتاعك فى أن تسيل الدماء أنهاراً ، وأن تمشى على رءوس بنى البشر فلتفعل .

وهو الذى يقول : إن ما تعارف عليه الناس من أخلاق وفضائل إنما هو ضعف فى الطبيعة .

ومن سخرية المقادير أن هتلر طبق على اليهود نظريات نيتشه فأقاموا الدنيا وأقعدوها صريخاً وولولة واستغاثة ، وكان ما فعله هتلر هو نوع من ثمرة دعايتهم لنيتشه ، فلقد طبق عليهم نظريات من رتبوا نجاحه .

إن اليهود رتبوا نجاح هؤلاء ، ورتبوا نجاح كل مفسد ، ونشروا كل موبقة ، ودعوا إلى كل إنحراف ، وفعلوا ذلك عن تخطيط هو إفساد الإنسانية ليسودوا من وراء ذلك ، ويتمكنوا ، ويسيطروا على العالم .

ووقف الأزهر فى وجه كل ذلك ، وقف كالطود الراسخ يدافع عن الذاتية الإسلامية ، ويحاول فى صمود لا يلين أن ينفى عن الذاتية الإسلامية الدخيل والغزو الفكرى ، وما لانت قناته يوماً ما .

وكان لابد من النيل منه فى أسلوب متستر ، أو فى أسلوب سافر ـ ودأب الذين استجابوا للانحراف على النيل منه مراراً وتكراراً .

وهـذا الدأب الملح جعل بعض الطيبين ينساقون — عن غير شعور — إلى نقد الأزهر متسترين أو معلنين ، وأصبحت مصيبة الأزهر بهم هم الآخرون كبيرة .

والذى أحب أن أقوله عن ملاحظة دقيقة هو أن كل شخص يحاول النيل من الأزهر إنما فى قلبه دخل ، وفى نفسه شر : سواء أكان من المنحرفين بالفعل ، أو من « الطيبين المغفلين » الذين خدعهم كثرة نقد المنحرفين فساروا وراءهم .

والذى أحب أن أقوله أيضاً إن الأزهر فى محنته الحالية لا يجد من يأخذ بيده من هؤلاء المؤمنين النابهين .

وفى مصر – والحمد لله – من المؤمنين النابهين الكثير ، ولكنهم انصرفوا فى إهمال غير شاعر ، أوفى نوع من السلوك اللاشعورى عن الأخذ بيد الأزهر والحدب عليه ، وهم بذلك آثمون .

وأحب أن أعلنها سافرة وأقول : إذا تكاتف المبطلون على النيل من الأزهر فى الإذاعة ، أو فى التليفزيون ، أو فى الصحف ، أو فى ميزانيته ، أو فى سيره فى نهضته ، فانه يجب أن يتكاتف الخيرون على أن ينصروه مجاهدين بذلك فى سبيل الله ، فاذا لم يفعلوا ذلك فهم آثمون : آثمون فرادى ، وآثمون جماعات .

ما هو الأزهر ؟ .

إنه الممثل للاسلام ، القائم على نشره .

إنه رمز الإسلام ، فاذا أهين رمز الإسلام أو نيل منه فان على هؤلاء الذين يشعرون بالإسلام يملأ جوانحهم أن يهبوا مدافعين عنه ، وهم بذلك إنما يدافعون عن الإسلام وينصرونه .

وهؤلاء الذين يملأ حب الوطن أفئدتهم يجب عليهم أن يأخذوا بيدالأزهر لانه هو الذى مكن لمصر أن تحتل مركز الزعامة بين الدول الإسلامية .

أما أبناء الازهر فيجب عليهم أن يمثلوا الازهر خير تمثيل : سلوكاً وعلماً

وكل من حاد من أبناء الازهر عن الاستقامة : سلوكاً وعلماً ، فانه فى مقت الله وفى غضبه ، وإثمه عند الله أكثر من إثم غيره .

يجب على أبناء الازهر: طلابا وأساتذة أن يمثلوا حقاً الخلافة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان من شعاراته :

« رب زدنى علماً » .

وكان منها :

« إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » .

ثانيا : العمل على نشر المعاهد الأزهرية

تعالت صيحات المصلحين والمؤمنين وألحت الرغبات الصادقة فى اللجوء إلى حكم الله وشرعه وتطبيق الشريعة الإسلامية وإلغاء القانون الوضعى . وصارت السمة المميزة لمطالب المسلمين فى شتى أنحاء البلدان الإسلامية هي الحكم بالإسلام والعودة إلى الشريعة الإسلامية ، لكن بقى سؤال هو كيف نعد الأمة لهذا الأمل المرجو المرغوب فيه ؟

وتعددت توصيات مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية وتأكيد أهمية نشر الثقافة الإسلامية ، لكن ما هي وسيلة ذاك ؟

وأدعت الحركة النسائية أنها تطالب بتطور فى القوانين الخاصة بالمرأة وبالأسرة على منوال الفقه الإسلامي والشريعة الإسلامية ، لكن هل تعرف المرأة المسلمة ثقافة دينها ؟

والجامعة الحديثة فى الأزهر فتحت أبوابها للشهادة العامة من المدارس الثانوية التابعة لوزارة التعليم وتسهيلا للالتحاق بالجامعة أعدت لهم سنة واحدة تمهيدية ظن أنها تمكن الطالب من مواصلة دراساته الإسلامية داخل الجامعة .. فإذا بالسنة التأهيلية تنقلب إلى ضد مضاد للمصلحة الجامعية والإسلامية معاً . أفليس هناك بديل لاستيعاب طلاب وزارة التعليم وإلحاقهم بالأزهر ليتمكنوا من الالتحاق بكليات جامعة الأزهر الحديثة ؟

أيترك شبابنا لوزارة التعليم وحدها ولا يستوعبهم الأزهر وفيه المجالان الإسلامي والتجريبي الحديث . . ؟

إذن لابد من طفرة تشمل النجوع والوهاد. فى أقاصى الصعيد والقرى والدساكر فى دلتا مصر والمدن والمراكز فى القطر كله . . فكانت سياسة التوسع فى المعاهد الابتدائية ، والإعدادية .

ثم كانت فكرة معاهد المعلمين لتغذية المعاهد الابتدائية والإعدادية بالمدرس الصالح .

ثم كانت الطفرة فى إنشاء معاهد الفتيات والمعاهد العسكرية ومعاهد القراءات .

ولم يترك المخطط المنبع فارغا فأسس الكتاتيب التى تعنى بتحفيظ القرآن الكريم وانتشرت المعاهد بشتى أنواعها :

— مكاتب تحفيظ القرآن الكريم .

— المعاهد الابتدائية .

— المعاهد الثانوية .

— المعاهد العسكرية .

— المعاهد الإعدادية .

— معاهد المعلمين .

— معاهد الفتيات .

لكن كيف انتشرت وكيف كان تمويلها ؟

من مميزات مولانا الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود أنه كان يتوكل على الله فى كل أموره فكان يضع الخطة رتيبة منضبطة ثم يبحث لها عن التمويل .

وأحب أن أنوه هنا عن طبيعة التخطيط عند مولانا رضي الله عنه..فكثيراً من الناس يظن أن الأمور عشوائية عنده وأن قراراته تتخذ للتو واللحظة دون سابق بحث أو دراسة ، وهم واهمون لأنهم لم يعرفوا أسلوب الشيخ رضى الله عنه فى العمل الإدارى .

هناك مسائل كثيرة جداً كان يفكر فيها الشيخ دون أن يعلم بها أحد وربما سأل مستشاريه وخلصاءه من الازهر وخارج الازهر عن رأيهم فى مسألة معينة ، ويمضى وقت طويل قد يكون عاماً أو أكثر ويكون المسئول قد نسى ولكن الموضوع فى تفكير الشيخ يحسب كل جوانبه بدقة ويقلبه على كل الوجوه ، ويضع له جميع الاحتمالات ، ويقدر له كل الملابسات ويجهز له كل الضمانات بعد معونة الله ثم يعلن القرار أو الرأى الذى انتهى إليه . . وعند إعلانه يظن من حول الشيخ أنه رأى مفاجىء . . كلا لقد نسوا ما سألهم عنه لطول الزمن وما نسى هو أنه ما زال يعمل فكره ويقلب الامور على كل احتمالاتها دون أن يشترك أحد معه فى هذه الاحتمالات كما يفعل كثير من الناس ، لأنه رضى الله عنه كان يستشير كل من يثق فيه وكل من يجد له صلة بالموضوع المعين فتكون لديه حصيلة كل الآراء المخالفة والموافقة فيأخذ هو فى تقويمها ووزنها واستخلاص الصواب من بينها دون أن يطلع أحد على ما يفعله فى ذهنه من هذه التقويمات وهذا الوزن وذلك التحليل . . فمن ظن أن الشخ كان عفوياً فى قراراته فهو واهم فان كان مخالطاً للشخ فقد خالطه سطحياً دون أن يدرك أسلوبه فى التفكير الإدارى ، وإن كان غير مخالط فهو متجن ومدع ونسأل الله له العافية والعفو والغفران .

لم يقف التمويل حجر عثرة فى نشر المعاهد الازهرية حسب الخطة التى رسمها الإمام الاكبر الشيخ عبد الحليم محمود ، لأنه كان يرى أنه بقية الخلافة الإسلامية عليه نحو المسلمين واجب شرعى وهو أن يهيء لكل مسلم فرصة

التعليم الدينى لكي لا يكون للناس حجة بعد نشر المعاهد فى القرى والمدن والنجوع والمراكز والعواصم .

لم يقف التمويل حجرة عثرة . . فقد توكل الشيخ على مولاه وأرسل رسالة موسعة إلى الملوك والرؤساء فى الدول العربية يطلب منهم الوفاء للازهر الذى عاش يحمل مشعل الإسلام ، ويحمى العقيدة ويخدم الوطن العربى كله .

وكان الجواب من بعض الدول مشجعا على المضى قدما فى نشر المعاهد حسب الإحصائيات التى سننشرها تباعا فى طى هذا الموضوع .

أما عن رسالة الإمام الاكبر إلى الرؤساء والملوك العرب فقال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

وبعد /

فإن الأزهر قام بواجب الدعوة الإسلامية بأمانة أكثر من ألف عام قام به فى صورة معاهد للدراسة بجميع مراحلها : من المرحلة الابتدائية إلى أرقى مجالات التخصص .

وقام به فى صورة الحفاظ على القرآن الكريم حفظاً وتفسيراً .

وقام به فى صورة مؤلفات لا تكاد تحصى فى كل علم من علوم الدعوة الاسلامية وحفظه فى صورة تخريج آلاف بل ملايين عبر عشرة قرون من تاريخه الحافل .

وحفظه فى صورة روح اسلامى للوصول بالبشرية إلى اسمى مستوى أخلاقى .

وكان الأزهر طوال حياته يصطبغ بالصبغة العالمية : صبغة الإسلام العالمى فكان - وما يزال - يستقبل الوافدين من دول العالم ، ينهلون من معينة : معين الهداية ، معين الوحى .

وفى الماضى كان به أروقة خصص كل منها لدولة من الدول : يسكن فيه طلبتها وتجرى عليهم المرتبات .

وفى الحاضر أنشأ الأزهر للوافدين مدينة تتكون من أربعين عمارة سكنية هي مدينة البعوث الإسلامية تتسع لخمسة آلاف وافد يجدون فيها المسكن والمأكل والرعاية ويتقاضى كل منهم فوق ذلك قدراً من المال لنفقته الخاصة .

وفى الأزهر الآن معاهده وكلياته ما يقرب من عشرة آلاف يتعلمون فيه أكثرهم على منح مالية تتحملها ميزانية الأزهر .

وإذا كان الازهر عالمى الطابع فى رسالته فأنه عالمى الطابع في مشيخته : ففى عهد قريب كان شيخ الازهر تونسيا : هو فضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد الخضر حسين رحمه الله .

كذلك كان وكيل الازهر سودانيا : هو فضيلة الاستاذ الشيخ محمد نور الحسن وكان لكل منهما موضع تقدير الازهريين لعلمه وتقواه .

والازهر عالمى الطابع فى أرقى هيئاته العلمية : فان مجمع البحوث الاسلامية يضم بين أعضائه علماء من مختلف الدول الاسلامية .

ومن مسئوليات الازهر الكبرى أنه يقف سداً منيعاً فى وجه كل المذاهب المنحرفة أنه يحارب الشيوعية حرباً لا هوادة فيها ، وخطورة الشيوعية على الدول الإسلامية واضحة لا ريب فيها .

وهو يقاوم الغزو الفكرى حتى تستمر الدعوة الإسلامية نقية صافية .

وهو يحمل الدعوة الإسلامية إلى خارج حدود مصر ، إذ يبعث إلى شتى الاقطار الاسلامية آلاف العلماء للوعظ والتدريس .

أما الجامعات الموجودة فى الدول العربية فان الغالبية العظمى من أساتذتها من علماء الازهر .

لكل ذلك فأنه إذا كان الأزهر مسئولية مصر بحكم وجوده على أرضها فانه أيضاً وبدرجة متساوية مسئولية العالم الإسلامى بحكم دوره الإسلامى العالمى .

وهو الآن فى حاجة إلى دعم مالي كبير .

وذلك من أجل توسعة قاعدته العريضة وهى : ـ

١ ـ المعاهد الابتدائية التى تعلم القرآن الكريم بالدرجة الاولى .

٢ ـ المعاهد الاعدادية التى هى امتداد لدراسة الثقافة الإسلامية فى صورة مبسطة .

٣ ـ المعاهد الثانوية التى تؤهل لدخول الجامعة الازهرية بقسميها : النظرى والعلمى .

٤ ـ معاهد القراءات التى تعنى بكتاب الله حفظاً وتجويداً ورواية ، كما تعنى بدراسة علوم القرآن :

إن الازهر محتاج إلى المال لإنشاء المعاهد فى جميع مراحلها سداً للنقص وهو نقص كبير لان الازهر وقف نموه عند الحد الذى كان عليه منذ أكثر من نصف قرن ، بينما تزايد عدد سكان مصر والبلاد الإسلامية ، وينبغى أن نتلافى هذا النقص بمقدار ما يتوافر للازهر من الإمكانيات المالية وبخاصة بانشاء معاهد للقراءات التى توشك أن تنقرض .

وهو محتاج إلى المال :

لتجديد ما تهدم من معاهده .

وهو محتاج إلى المال :

لاصلاح ما يحتاج منها إلى اصلاح حتى لا ينهار

إن هدفنا أن يكون للازهر: خمسة آلاف معهد ابتدائى « لتحفيظ القرآن الكريم » وثلاثة آلاف معهد إعدادى .

وألفان من المعاهد الثانوية .

وبذلك يتمكن الازهر من مواصلة رسالته : تصديا لكل انحراف مدمر ، ونشراً للوعى الدينى فى مصر وغيرها حفاظاً على العقيدة وصيانة للقيم الإسلامية الرفيعة وتوفيراً لإحتياجات المعاهد والكليات بالاقطار العربية والإسلامية الشقيقة واحياء للتراث الإسلامى فى أقصى صورة . وهو ثروة مطمورة فى مختلف مكتبات العالم لا تجد من يسلط الاضواء عليها .

أيها الاخ الكريم : أننا باسم الإسلام ومقدساته ندعوكم إلى الاسهام فى التفكير من أجل الازهر ومستقبله .

ندعوكم بكل أمل إلى تحمل مسئوليتكم تجاه الأزهر ، وهى مسئوليات تنبع من مسئوليتكم تجاه الأزهر ، وهى مسئوليات تنبع من مسئوليتكم تجاه العالم الإسلامى بأسره .

إننا نؤكد لكم اطمئناننا إلى سير الأزهر فى طريقه الذى تفرضه عليه رسالته العالمية ونؤكد لكم فى الوقت نفسه أن قيام الأزهر بهذه الرسالة ، على الوجه المناسب يحتاج إلى سند قوى منكم ، ومن اخوانكم الغيورين على دين الله ، أنه يحتاج إلى أن تمدوه بالمال وتمدوه بالتأييد المعنوى .

أن خطة الأزهر للحاضر والمستقبل تحتاج إلى عون مالى كبير ، يسهم المسلمون فيه من جميع أنحاء العالم ، وهم مسئولون عن ذلك أفراداً وجماعات ودولا ، كل بقدر ما مكنه الله من خيرات هذه الأرض .

أننا إذ نصارحكم بذلك ، نضع الحقائق أمامكم ، وثوقا بأنكم بذلك

تتقاضون منا أمانة المسئولية التى تحتم علينا أن نعرض عليكم أمراً من أمور المسلمين نحن إليه أقرب ، ولكن عنايتكم به أعظم .

وبعد : فانه يسعدنى أن أرفق بهذا جانبا من خطة الأزهر لتنمية أجهزته القائمة على التعليم والدعوة .

نضعها تحت نظركم ، ونرجو أن تلاقى منكم ما يجعلها جديرة بالقبول ، وصالحة للتنفيذ والله يوفقكم ويرعاكم ، ويسدد خطاكم ، ويحقق على يديكم آمال شعبكم ، والشعوب الإسلامية جمعاء .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

٣٠ من ربيع الاول سنة ١٣٩٦ هـ — شيخ الازهر

٣١ من مارس سنة ١٩٧٦م — (دكتور عبدالحليم محمود)

* * *

وأنه لمن الجيد أن نستعرض ونحن نتحدث عن المعاهد هذه المسائل :

(ا) التطور التاريخى لنشأة المعاهد الازهرية .

(ب) لماذا كثرة المعاهد الازهرية ؟

(جـ) مدى عناية الازهر بشئون القرآن الكريم .

(د) الاحصائيات الخاصة بمكاتب تحفيظ القرآن الكريم والمعاهدالمختلفة.

(هـ) الاحصائيات الخاصة بالتمويل تبرعا وانفاقا .

(و) المصحف الشريف وعناية الامام الاكبر بطباعته .

مقـــدمة

(أ) التطور التاريخي

لنشأة المعاهد الأزهرية[1]

١ — قام الأزهر منـذ إنشائه سنة ٣٦١ هـ ، بقصد دراسة الشريعة الإسلامية وعلومها ، ولقد حافظ على القيام بهذه المهمة — عبر القرون — دون عناية بالناحية التنظيمية ، فكان أشبه بجامعة أهلية حرة .

وأخذت الصفة الرسمية للأزهر في الظهور بانشاء وظيفة شيخ الأزهر ، وذلك في بداية القرن السابع عشر .

٢ — أنشئت الدراسات النظامية في الأزهر في أواخر القرن التاسع عشر الميلادى . دون تفرقة بين المرحلتين ، الإبتدائية والثانوية .

٣ — استصدر شيخ الأزهر « الشيخ الظواهرى » ، مرسوماً بقانون بتنظيم الأزهر سنة ١٩٣٠ م ، على أن تتضمن الدراسات السابقة للدراسات العالية مرحلتين : ابتدائية وثانوية ، ونص على تبعية المعاهد الأزهرية لوكيل الأزهر والمعاهد الدينية .

٤ — استصدر شيخ الأزهر « الشيخ المراغى » مرسوماً بالقانون رقم

---

(١) أشرف على سياسة التعليم في المعاهد فصله الأستاذ الجليل الشيخ زكى سويلم فهو صاحب الفضل في الدفاع عنها أمام لجان مجلس الشعب .

٢٦ لسنة ١٩٣٦ بشأن تنظيم الأزهر ، واستمر العمل بهذا القانون والقوانين المعدلة له حتى سنة ١٩٦١ م .

٥ — صدر القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١ بشأن إعادة تنظيم الأزهر والهيئات التي يشملها ، ومن بينها المعاهد الأزهرية ، وتأخر صدور اللائحة التنفيذية للقانون حتى سنة ١٩٧٥ .

٦ — لم يصدر أي قرار وزاري بشأن تنظيم المعاهد الأزهرية حتى سنة ١٩٧٥ سوى قرار وزير الاوقاف وشئون الازهر ٧٤ لسنة ١٩٦٣ بشأن تنظيم الادارة ـ العامة للمعاهد الازهرية ، وقد اقتصر هذا القرار على الناحية الفنية دون النواحي المالية والادارية ، فاستمرت المعاهد في هذا الشأن خاضعة لاجهزة لا تتبعها ، بل تتبع هيئة أخرى من هيئات الازهر ، وهي أمانة المجلس الاعلى للازهر :

وقد قسم هـذا القرار الادارة العامة للمعاهد الازهرية إلى سبع مراقبات عامة هي :

١ : ٣ ـ المراقبات العامة للتعليم « الثانوي ـ الإعدادي ـ الإبتدائي » .

٤ : ٥ ـ مراقبتا التفتيش « العلوم الدينية والعربية ـ المواد الثقافية » .

٦ ـ المراقبة العامة للامتحانات .

٧ ـ المراقبة العامة لرعاية الشباب والتغذية .

كما تتضمن أربعة أقسام وهي :

١ ـ قسم الإحصاء ٢ ـ قسم التدريب ٣ ـ قسم المكتبات .

٤ ـ قسم الوسائل التعليمية .

٧ ـ وفى شهر إبريل سنة ١٩٦٧ صدر قرار نائب رئيس الجمهورية ووزير شئون الازهر رقم ٢١ لسنة ١٩٦٧ بشأن إنشاء لجنة لبحث نظام التعليم بالمعاهد الازهرية .

إلا أن مهمة هـذه اللجنة اقتصرت على المناهج وخطط الدراسة ، والسلم الدراسى التعليمى ، ولم تصدر أية توصيات بشأن البناء التنظيمى المسئول عن التنفيذ .

٨ ـ وحتى تواجه المعاهد الازهرية تبعاتها التى أخذت تتطور وتنمو بسرعة لم يقابلها أى تطور فى البناء التنظيمى ـ صدرت عدة قرارات جمهورية بشأن إنشاء الادارات العامة التالية :

الادارات العامة للتعليم : ١ ـ الثانوى ٢ ـ الاعدادى ٣ ـ الابتدائى إدارتان عامتان لتفتيش العلوم الدينية والعربية ـ والمواد الثقافية .

٩ ـ صدرت اللائحة التنفيذية للقانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ م بالقرار الجمهورى رقم ٢٥٠ لسنة ١٩٧٥ وبناء على ذلك أصدر الإمام الاكبر فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الازهر القرار رقم ١٦٨ لسنة ١٩٧٥ الذى نص فى المواد (٩ ، ١٠ ، ١١) على الادارات والاجهزة التى تشكل منها الادارة العامة للمعاهد الازهرية ، وفيما يلى بيانها .

مادة : ٩ : تشكل المعاهد الأزهرية من الإدارات التالية وتتبع مدير المعـــاهد :

١ ـ لجنة المعادلات الدراسية .

٢ ـ المكتب الفنى .

٣ ـ التوجيه المـالى والادارى .

٤ ـ التخطيط والمتابعة والإحصاء .

٥ ـ التدريب .

٦ ـ الشئون العامة .

٧ ـ الشئون المالية والادارية .

٨ ـ رعاية الشباب والتغذية والإسكان .

٩ ـ الإدارة العامة للتعليم الإبتدائى .

١٠ ـ الادارة العامة للتعليم الإعدادى .

١١ ـ الادارة العامة للتعليم الثانوى .

١٢ ـ الادارة العامة للتعليم الفنى والخاص ودور المعلمين .

١٣ ـ الادارة العامة لتفتيش العلوم الدينية والعربية .

١٤ ـ الادارة العامة لتفتيش المواد الثقافية .

١٥ ـ الادارة العامة للامتحانات وشئون الطلاب .

ويصدر القرار من السيد المدير العام للمعاهد الازهرية بتشكيلها وتحديد اختصاصاتها .

مادة ١٠ ـ يعاون مدير عام المعاهد الأزهرية وكيلان إحدهما للشئون الدينية والثانى للشئون الثقافية .

مادة ١١ ـ يشرف تفتيش المواد الدينية وتفتيش المواد الثقافية كل فيما يخصه على الوحدات التالية :

١ ـ التعليم الثانوى .

٢ ـ التعليم الإعدادى .

٣ ـ التعليم الإبتدائى .

٤ ـ التعليم الفني .　　　　٥ ـ دور المعلمين والمعلمات .
٦ ـ التعليم الخاص .　　　　٧ ـ الوسائل التعليمية .
٨ ـ الامتحانات وشئون الطلاب .　　٩ ـ المكتبات .

* * *

المراقبات التعليمية الأزهرية

وقد كان من دواعي التوسع في إنشاء المعاهد الأزهرية المختلفة في السنوات الخمس الأخيرة ـ إنشاء المراقبات الآتية :

١ ـ مراقبة القاهرة : وتختص بالإشراف على معاهد : القاهرة ، القليوبية ، الجيزة .

٢ ـ مراقبة الأسكندرية : وتختص بالإشراف على معاهد : الأسكندرية ، البحيرة ، مرسى مطروح .

٣ ـ مراقبة طنطا : وتختص بالإشراف على معاهد : الغربية ، كفر الشيخ الدقهلية ، دمياط .

٤ ـ مراقبة شبين الكوم . وتختص بالإشراف على معاهد : المنوفية .

٥ ـ مراقبة الزقازيق : وتختص بالإشراف على معاهد : الشرقية ، القنال (السويس ، الإسماعلية ، بور سعيد) .

٦ ـ مراقبة بنى سويف : وتختص بالإشراف على معاهد : بنى سويف ، الفيوم ، المنيا .

٧ ـ مراقبة أسيوط : وتختص بالإشراف على معاهد : أسيوط .

٨ ـ مراقبة سوهاج : وتختص بالإشراف على معاهد : سوهاج ، قنا ، أسوان ، الوادى الجديد ، البحر الأحمر .

ويتكون جهاز التفتيش بكل مراقبة من :

(أ) مراقب التفتيش ، ويشترط فيمن يشغل هذا المنصب أن يكون من علماء الأزهر المشهود له بالكفاءة .

(ب) وكيل المراقبة ، ويختار من المفتشين الأوائل للمواد الثقافية ، أو الدينية والعربية .

(ج) مفتشين أول للعلوم الدينية والعربية .

(د) مفتشين أول للمواد الثقافية .

(هـ) مفتشين للمعاهد الثانوية الأزهرية في المواد المختلفة .

(و) مفتشين للمعاهد الإعدادية الأزهرية فى المواد المختلفة .

(ز) مفتشين للمعاهد الإبتدائية الأزهرية فى المواد المختلفة .

(ح) تفتيش مالى وإدارى .

(ط) شئون قانونية ، إدارة هندسية .

(ى) أعضاء فنيين .

(س) سكرتارية .

* * *

(ب) لماذا كثرة المعاهد الأزهرية ؟

ظلت المعاهد الأزهرية عند الحد الذى كانت عليه أكثر من نصف قرن ، لا تواكب الأعداد المتزايدة ، من مواطنى مصر ، والعالم الإسلامى ، ولا تفى بحاجة المجتمعات والمعاهد والجامعات ، فى الأقطار العربية والإسلامية ، من خريجى الأزهر ، فى مجال التدريس ، ونشر الثقافة الإسلامية وصيانة تراثها وحمايته ، وتأصيل القيم الروحية ، وصيانة العقيدة ، فى مواجهة تحديات العصر الحديث ، والوقوف فى وجه الإلحاد والمبادىء الهدامة .

ولما كانت هذه المعاهد هي الروافد الأصيلة لجامعة الأزهر التى يتخرج فيها عالم الدين والدنيا الذى يعيش عصره ، كان لابد من التوسع فيها بما يوفر لهذه الجامعة حاجتها من الطلاب الأزهريين ، فوضع الأزهر بتوجيه من فضيلة الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود خطة على المدى الطويل تستهدف إنشاء ٥٠٠٠ خمسة آلاف معهد إبتدائى ، و ٣٠٠٠ ثلاثة آلاف معهد إعدادي ، و ٢٠٠٠ ألفى معهد ثانوى ، عدا معاهد القراءات ، ومعاهد المعلمين والفتيات التى إنشئت لأول مرة . وخطا الازهر فى إنشائها خطوات موفقة ، وذلك إلى جانب تطوير مكاتب وجمعيات تحفيظ القرآن الكريم ، والتوسع فيها ، بحيث تعم قرى مصر كلها،وقد اعتمد الازهر فى سبيل توفير الاموال اللازمة لهذه الخطة على الجهود الذاتية لابناء مصر ، وعلى التبرعات التى يمكن أن تسهم بها الحكومات والافراد من أبناء الاقطار العربية الشقيقة ، باعتبار أن الازهر أزهر المسلمين جميعاً ، وذلك إلى جانب ميزانية الازهر الرسمية فى حدود

الإمكانيات المالية لجمهورية مصر ، وقد أرهقتها التزاماتها القومية إزاء الوطن العربي وقضاياه المصيرية .

وعلى الرغم من أن هـذه الجهود وتلك التبرعات لا تزال محـدودة المنابع والمبالغ ، فقد أمكن إنشاء معاهد جديدة كثيرة ، بمختلف المراحل والأنواع . .

وقد صدر كتيب فيه بيان واف لما كانت عليه معاهد الأزهر عام ١٣٩٣ هـ (١٩٧٣ م) وماتم إنشاؤه منها فى السنوات التالية ، وذلك عدا ماتم من أعمال الترميم والإصلاح والإحلال في المعاهد القائمة فعلا .

ولا تزال الجهود مبذولة ونشطة لتحقيق الخطة المستهدفة وصولا إلى تمكين الازهر من أداء رسالته العالمية كما ينبغى ، ووفاء بحق العقيدة ، وحفاظا على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإعلاء لكلمة الحق ، ونشراً لدين الله .

وقد تنوعت مراحل التعليم الازهرى ، وتميزت كل مرحلة بمناهج معينة ، تتناسب مع قدرات الطلاب وسنوات أعمارهم ، وأصبح هيكل التعليم فى الازهر على الوجه الآتى :

١ ـــ ألمرحلة الابتدائية : ومدتها ست سنوات .

٢ ـــ المرحلة الإعدادية : ومدتها ثلاث سنوات .

٣ ـــ المرحلة الثانوية : ومدتها أربع سنوات .

٤ ـــ المرحلة العالية : ومدتها أربع سنوات .

* * *

(ج) الازهر ومدى عنايته بشئون القرآن الكريم

القرآن الكريم هو آية الله الناصعة ، وحجته الصادعة ، ودستوره الابدى الذى لا تختلف حكمته ولا تخلق جدته .

وقد شاء الله أن يخلق به أمة كانت مفككة العرى ، مقطعة الأوصال ، لا رباط يجمعها ، ولا آصرة تضمها ، فجمعها على كلمة واحدة ، وبدل من تفكيرها ونفسيتها وعزمها ، كما أشاع هـــذا الخير فى الشعوب الأخرى ، وجعل القرآن الكريم مصدراً للخير ، ومناراً للهداية : « ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين » .

والقرآن الكريم يعد أمراً ضرورياً لا غنى عنه لمن يلتحق بالأزهر ويتخرج فيه إذ لا يليق بعالم الدين واللغة بل لا يجوز له أن يجهله لأنه يكون قد فقد أهم مقوماته كعالم دينى .

وأهم مرجع يرجع إليه عالم الدين وعالم اللغة . والناس لا يطمئنون لعالم يتصدى لتعليمهم أمر دينهم ودنياهم وهو غير حافظ القرآن الكريم ، ومثل هذا خطر على مستقبل الازهر ورسالته ، وعلى عقيدة العالم الإسلامى فيه ، ومن أجل ذلك يحرص الأزهر حرصاً شـديداً أكيداً على أن يكون طلابه وعلماؤه من حفظة كتاب الله ، لتحقيق تواتره ، وتأكيد حفظه الذى تكفل الله به .

ولما كان حفظ القرآن الكريم مرتبطاً بمعرفة التجويد علمياً وعملياً ومعرفة القراءات المتواترة ، والشاذة ، بجميع رواياتها وطرقها ، وتراجم القراء والرواة ، وعلم الفواصل ، وعد الآى ، وعلم الرسم العثمانى ، وعلوم اللغة العربية ، وعلوم الشريعة ، وغير ذلك رأت الإدارة العامة للمعاهد الازهرية وبتوجيه من فضيلة الإمام الاكبر أن تنشىء معاهد للقراءات فى كل من :

شبين الكوم . والقاهرة . ودمنهور . وطنطا . والزقازيق . والفيوم . وبني سويف . وملوى . وأسيوط . وقنا . وأسوان ، وهـذا بالإضافة إلى إنشاء فصول ألحقت بالمعاهد الثانوية بمحافظات الجمهورية لتكون ـ مستقبلا ـ معاهد مكتملة ، لتدرس فيها هـذه العلوم دراسة واعيه مستفيضة ، وليستعان بالمتخرجين منها فى التدريس بالمعـاهد المختلفة ، فى مصر وفى العالم الإسلامى ، والدراسة بهذه المعاهد تنظيم مراحل ثلاث :

(أ) مرحلة التجويد ، ومدتها سنتان .

(ب) المرحلة العالية ، ومدتها ثلاث سنوات .

(جـ) مرحلة التخصص ، ومدتها ثلاث سنوات .

ولزيادة العناية بكل ما يتصل بالدراسات القرآنية أصدر فضيلة الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر قراراً بانشاء إدارة عامة لشئون القرآن الكريم وتختص بما يأتى :

١ – الإشراف على معاهد القراءات ، باعتبار أن رسالتها الأولى هي القرآن الكريم وعلومه .

٢ – الإشراف على المكاتب الخاصة الموجودة حالياً والقائمة على حفظ القرآن الكريم ، والعمل على انتشارها والإكثار منها فى جميع المحافظات : مدنها وقراها ، مع العمل على تدعيمها وإعانتها بالمـال ، إلى أن تتطور ، ويرتفع مستواها ، فتصبح معاهد إبتدائية : تنضم إلى مثيلاتها ، وتتضافر كلها فى إمداد المعاهد الأزهرية الإعـدادية بالطلاب ، وتـكون روافد صافية المعين .

٣ – وتقوم الإدارة العامة لشئون القرآن الكريم ـ إلى جانب ماذكرنا بتوجيه القراء — على مستوى الجمهورية إلى المحافظة على مستوى الأداء

القرآني في حدوده المرسومة شرعاً ، والتي اتفق عليها علماء التجويد والقراءات مع الاهتمام بوضع تدريبات دورية للقراء ليلتزموا في إدائهم في جميع المناسبات هذا المنهج وتلك المبادىء ، ويخول لإدارة القرآن صلاحية إصدار التعليمات اللازمة لتحقيق هذا الهدف .

٤ — الإشراف على اجراء المسابقات فى القرآن الكريم فى جميع مراحل التعليم الأزهرى .

٥ — توجيه السادة مدرسى القراءات والمحفظين إلى المعاهد الأزهرية ومعاهد القراءات .

٦ — الإشراف على الحوافز المادية والأدبية التى تمنح للحافظين والمحفظين وفق القواعد الموضوعية .

٧ — العمل على إعادة تقويم مكاتب تحفيظ القرآن الكريم على مبادىء نجملها فيما يأتى .

(أ) أن يكون صاحب المكتب متفرغا لرسالة تحفيظ القرآن الكريم .

(ب) أن يكون الطلبة الملتحقون بمكتب التحفيظ للقرآن ، ممن عكفوا على حفظ القرآن وانقطعوا له .

(ج) أن يتم اتفاق بين الأزهر ووزارة التعليم ليصبح الطلبة الملتحقون بالمكتب بمقتضى هذا الاتفاق منفذين لقواعد الإلزام .

(د) أن تضم بعض المكاتب إلى بعض عند تعددها فى البلد الواحد تدعيما لها ، وعناية بشأنها ، وتمكيناً لها من النهوض برسالتها .

* * *

وقد رؤى أن تستكمل الإدارة العامة لشئون القرآن الكريم أجهزتها المختلفة ، فألحق بالعمل بها عدد من المستشارين والفنيين فى المحافظات المختلفة ، كما رؤى أن يكون لها مجلس استشارى أعلى يشترك فيه :

١ ـ المدير العام لإدارة شئون القرآن .

٢ ـ وكيل وزارة الأوقاف لشئون الدعوة .

٣ ـ ممثل لمجمع البحوث الإسلامية « مدير الوعظ » .

٤ ـ مستشارو الإدارة العامة لشئون القرآن الكريم .

٥ ـ مراقبو المناطق الازهرية وشيوخ المعاهد .

(د) إحصاء شامل

إحصاء شامل عن مكاتب تحفيظ القرآن الكريم والإعانة المقررة لها موزعة على المحافظات المختلفة فى العام الدراسى ١٩٧٧/٧٦

م	المحافظة	عدد المكاتب	الإعانة المقررة بالجنيه المصرى	ملاحظات
١	القاهرة	١٢١	١٨٥٢	
٢	الجيزة	٣٢٠	٧٤٧١	
٣	الفيوم	١٥٨	١٧٩١	
٤	بنى سويف	١٧١	٣٤٠٠	
٥	القليوبية	٤٠٧	٦١٢٥	
٦	الشرقية	٦٨٦	٩٩٥٩	
٧	الإسماعيلية	٣٩	٦٠٨	
٨	بور سعيد	٤	٨٨	
٩	الغربية	٨٤٠	١٣٧٩٢	
١٠	المنوفية	٥٥٢	٩٣٩٤	
١١	كفر الشيخ	٢٤٧	٣٩٨٢	
١٢	الدقهلية	٧٠٨	٩٥٤٤	
١٣	دمياط	٤١	٧٢٤	
١٤	البحيرة	٢٨٦	٧٠٧٨	
١٥	مطروح	٥	٤٥٦	
١٦	المنيا	٢٢٦	٣٩٤٨	
١٧	أسيوط	٢٧٠	٤١٩٨	
١٨	سوهاج	١٩٢	٣٨٣٠	

م	المحافظة	عدد المكاتب	الإعانة المقررة بالجنيه المصرى	ملاحظات
١٩	الوادى الجديد	٩٣	٢٦٢٤	
٢٠	قنـــا	٣٧٤	٦٥٤٨	
٢١	اسوان	١٢١	٢٢٦٦	
٢٢	البحر الأحمر	٣	١٣٢	
٢٣	الإسكندرية	٢	٦٤	
	المجموع	٥٨٦٦	٩٩٨٧٥	

يلاحظ أن إعانة المكاتب المعتمدة فى ميزانية عام ١٩٧٨ مقدارها مائتا ألف جنيه فقط (٢٠٠ر٠٠٠) جنيه وقد تقرر أن يكون هذا المبلغ نواة لمشروع الحوافز المقترح ، وقد قدرت تكاليفه بمبلغ مليون ومائتى ألف جنيه (١ر٢٠٠ر٠٠٠) جنيه كما هو موضح فيما يأتى :

ثانياً : المعاهد الابتدائية

(ا) بيان اجمالى عن المعاهد الابتدائية الأزهرية للعام الدراسى ٧٨/٧٧ وعن معاهد الاحلال وتكاليفها :

م	المحافظات	إجمالى المعاهد بالمحافظات ٧٨/٧٧	معاهد الاحلال	جملة التكاليف بالجنيه المصرى	ملاحظات
١	القاهرة	٢٥	١٥	٣٧٥٠٠٠	
٢	القليوبية	١٤	٧	١٧٥٠٠٠	
٣	الشرقية	٤٤	١٠	٢٥٠٠٠٠	
٤	الدقهلية	٢٨	٧	١٧٥٠٠٠	
٥	دمياط	٥	٢	٥٠٠٠٠	
٦	الاسماعيلية	٥			
٧	بورسعيد	٢			
٨	السويس	٢			
٩	كفر الشيخ	١٦	٤	١٠٠٠٠٠	
١٠	الغربية	٣٢	٨	٢٠٠٠٠٠	
١١	المنوفية	٢٣	٥	١٢٥٠٠٠	
١٢	البحيرة	٣٠	٧	١٧٥٠٠٠	
١٣	الاسكندرية	١٢	٥	١٢٥٠٠٠	
١٤	مرسى مطروح	٢			

تابع

م	المحافظات	إجمالى المعاهد بالمحافظات ٧٨/٧٧	معاهد الاحلال	جملة التكاليف بالجنية المصرى	ملاحظات
١٥	الجيزة	١٣	٥	١٢٥٠٠٠	
١٦	بنى سويف	٧	٢	٥٠٠٠٠	
١٧	الفيوم	٨	٢	٥٠٠٠٠	
١٨	المنيا	١٢	٤	١٠٠٠٠٠	
١٩	أسيوط	١٨	٥	١٢٥٠٠٠	
٢٠	الودى الجديد	٢			
٢١	البحر الأحمر	٢			
٢٢	سوهاج	٤٠	٥	١٢٥٠٠٠	
٢٣	قنا	٣٩	٥	١٢٥٠٠٠	
٢٤	أسوان	٨	٢	٥٠٠٠٠	
٢٥	قطاع غزة	١			

لما كانت مبانى المعاهد الابتدائية الأزهرية غير ملائمة للشروط الصحية فقد رؤى أن الحاجة ماسة إلى بناء معاهد احلال بدلا من المعاهد القديمة .

وذلك بمعدل مائة معهد فى كل سنة من سنى الخطة وقدرت تكاليف المعهد بخمسة وعشرين ألفا من الجنيهات .

(ب) بيان بتوزيع المعاهد الجديدة على المحافظات والمراكز والقرى وبتكاليف إنشائها :

جملة التكاليف بالجنيه المصرى	مجموعها	المعاهد الابتدائية	المحافظة
٣٦٠٠٠٠	١٢	شبرا المظلات ، حدائق القبة ، مدينة نصر ، الألف مسكن ، عين شمس ، باب الشعرية ، السيدة زينب ، الأمام الشافعى ، المعصرة ، حلوان ، عين الصيرة ، روض الفرج .	القاهرة
٣٠٠٠٠٠	١٠	القناطر الخيرية ، قهـا ، شلقان ، الشموت ، مرصفا ، كفر شكر ، العمار كفر تصفا ، الجبل الأصفر ، المرج .	القليوبية
٢٧٠٠٠٠	٨	الصالحية ، القنايات ، مشتول السوق ، العصايد ، العزيزية ، طحا المرج ، التلين ، صهبرة .	الشرقية
٥٧٠٠٠٠	١٩	منية مجاهد ، ميت فارس ، صهرجت الكبرى ، كوم النور ، بشلا ، طنامل الشرقى ، ميت العامل ، أخطاب ،	الدقهلية

(تابع) بيان بتوزيع المعاهد الجديدة على المحافظات والمراكز والقرى وبتكاليف إنشائها :

المحافظة	المعاهد الإبتدائية	مجموعها	جملة التكاليف بالجنية المصرى
الدقهلية	فيشابنـا ، معصرة بلقـاس ، أبوشوشة ، كفرعوض السنيطة ، الخلالفة ، أبو ليلة ، نهوت ، ميت سلسيل ، العزيزية ، الكردى .		
دمياط	شرباص ، الزرقا ، كفرالبطيخ ، العدلية .	٤	١٢٠٠٠٠
المنوفية	ميت أبو الـكوم ، العجايزة ، سرس الليان ، تلا ، سبك الضحاك ، أسطنها ، العطف ، شبرا زنجى ، ميت البيضة ، شنوان ، كفرالقرنين ، سمادون ، البتانون ، الشهداء ، منيل عروس .	١٥	٤٢٠٠٠٠
البحيرة	حوش عيسى ، أبو المطـامير ، الكوم الأخضر ، قافلة أبوحمص ، كوم القناطر .	٥	١٥٠٠٠٠

(تابع) بيان بتوزيع المعاهد الجديدة على المحافظات والمراكز والقرى وبتكاليف إنشائها :

المحافظة	المعاهد الإبتدائية	مجموعها	جملة التكاليف بالجنيه المصرى
الإسكندرية	الجمرك ، الحضرة القبليه ، القبارى ، الرأس السوداء ، رأس التين ، محرم بك كليوباترا ، المنشية ، الدخيلة .	٩	٢٧٠٠٠٠
أسيوط	بنى مر ، عرب القدايح ، بنى إبراهيم ، الطوابية ، الشامية ، الحواتكة ، منقباد ، بنى شكير ، بنى قرة ، المطيعة موشا ، الزاوية ، شطب ، دشطوط ، العقال ، البربا ، البلايزة ، الزرايب ، الدوير سلام ، ثمن العروس ، ديروط ، الشريف قدية الاسلام .		
الوادي الجديد	باريس ، الواحات البحرية .	٢	٦٠٠٠٠
البحر الأحمر	الغردقة ، القصير .	٢	٦٠٠٠٠
سوهاج	شندويل ، أولاد اسماعيل ، ساقلته ، الحواويش ، العسيرات ، شطورة ، عنيبس ، سمسطا ، الزويل بالمنشاة ، طما ، كنانة ، بنى هلال ، اقصاص .	١٣	٣٩٠٠٠٠

(تابع) بيان بتوزيع المعاهد الجديدة على المحافظات والمراكز والقرى وبتكاليف إنشائها :

المحافظة	المعاهد الابتدائية	مجموعها	جملة التكاليف بالجنيه المصرى
قنـا	دشنا . الوقفة .	٢	٦٠٠٠٠
أسوان	الرادسة، وادى عبادى، الجعافرة ، جعفر الصادق ، كلابشة .	٥	١٥٠٠٠٠
مرسى مطروح	العمرية ،برج العرب ، واحة سيوه السلوم ، الضبعة ، الحمام .	٦	١٨٠٠٠٠
الجيزة	بندر الجيزة ، الدقى ، بين السرايات أمبابه ، بولاق الدكرور ، ناهيا ، كرداسة ، المناشى ، دهشور ، مزغونة ، برطس ، صـور ، الحوامدية ، البدرشين ، العياط ، الوراق ، المرازيق .	١٧	٥١٠٠٠٠
الفيوم	الفوق ، منشية عبد الله ، سمبلا ، اللاهون ، قلمشاه .	٥	١٥٠٠٠٠

(تابع) بيان بتوزيع المعاهد الجديدة على المحافظات والمراكز والقرى وبتكاليف إنشائها :

المحافظة	المعاهد الإبتدائية	مجموعها	جملة التكاليف بالجنيه المصرى
بنى سويف	سمسطا ، إهناسيا ، المدينة ، الميمونة ، دشنا ، فاو ، الدير ، قلها ، طنسا ، منشأة كساب ، الشنطور ، زواية المصلوب ، أطواب .	١٢	٣٦٠٠٠٠
المنيا	الروضة ، بنى أحمد ، طحا ، منسافيس ، المطاهر القبلية ، ريحانة ، البهنسا ، التليدم ، بنى محمد ، سلطان ، أبو الوقوف ، أبو جورج .	١١	٣٣٠٠٠٠
كفر الشيخ	مطوبس ، روينه ، الحامول ، بلطيم ، كفر الجرايدة ، سد خميس ، أبشان سخا .	٨	٢٤٠٠٠٠

(تابع) بيان بتوزيع المعاهد الجديدة على المحافظات والمراكز والقرى وبتكاليف إنشائها .

المحافظة	المعاهد الإبتدائية	مجموعها	جملة التكاليف بالجنيه المصرى
الغربية	دخميس بالمحلة ، صرد بردا ، محلة روح ، الجعفرية ، حنون ، الفخارية .		
	المجموع الكلى	٦٥	٥٨٢٠٠٠٠

= جملة تكاليف إنشاء المعاهد الجديدة ٠٠٠ر٨٢٠ر٥ جنيها ، وذلك على اعتبار أن المعهد الإبتدائى فى حالة الإنشاء يتكلف ٣٠٠٠٠ ثلاثين ألفاً من الجنيهات .

ثالثا : المعاهد النموذجية

بيان عن المعاهد النموذجية موزعة على محافظات الجمهـــورية

١ ـ محافظة مرسى مطروح	١ ـ معهد مرسى مطروح
	٢ ـ معهد سيوة .
٢ ـ محافظة الاسكندرية :	١ ـ معهد العجمى
٣ ـ محافظة البحيرة :	١ ـ معهد رشيد
٤ ـ مديرة التحرير :	١ ـ معهد بدر
	٢ ـ معهد وادي النطرون
٥ ـ محافظة الغربية :	١ ـ معهد قطور
	٢ ـ معهد بشبيش
	٣ ـ معهد سمنود
٦ ـ محافظة المنوفية :	١ ـ معهد قويسنا
٧ ـ محافظة كفر الشيخ .	١ ـ معهد سيدى سالم
٨ ـ محافظة الدقهلية :	١ ـ معهد المنزلة
	٢ ـ معهد منية النصر
	٣ ـ معهد بساط كريم الدين
	٤ ـ معهد طلخا
	٥ ـ معهد أتميدة

٩ ـ محافظة القاهرة :	١ ـ معهد حلوان
	٢ ـ معهد المتبولى بالمطرية
١٠ ـ محافظة القليوبية :	١ ـ « شبلنجة
	٢ ـ « أسكوا بشبرا الخيمة
١١ ـ محافظة الشرقية :	١ ـ « كفر براش
	٢ ـ « القصبي
١٢ ـ محافظة مدن القناة :	١ ـ « السويس
١٣ ـ محافظة الجيزة :	١ ـ « أطفيح
١٤ ـ محافظة المنيا :	١ ـ « ديرمواس
١٥ ـ محافظة أسيوط :	١ ـ « صدفا
	٢ ـ معهد بنى غالب
١٦ ـ محافظة سوهاج :	١ ـ « أخميم
	٢ ـ « برديس
	٣ ـ « الصديق بالغابات
١٧ ـ محافظة قنا :	١ ـ « البيضا
١٨ ـ محافظة أسوان :	١ ـ « أسوان
١٩ ـ محافظة الوادى الجديد	١ ـ « موط

* * *

رابعاً : المعاهد الاعدادية

ولايفوتنا ونحن مازلنا بصدد الحديث عن المعاهد الاعدادية: خططها ومناهجها أن نذكر مدى التوسع فى إنشاء تلك المعاهد لتكون قاعدة سليمة يرتكز عليها بناء المعاهد الثانوية ، والأمل المنشود أن نحقق الإكتفاء الذاتى لجامعة الأزهر من الطلاب الذين أتموا دراستهم بالمعاهد الأزهرية بدءا من الصف الأول الإبتدائى ، وأن نوفر لمجتمع البلاد الإسلامية والعربية حاجته ممن تثقفوا ثقافة دينية ، ومما تجدر الإشارة إليه أن المعاهد الأزهرية قد تزايد عددها فى السنوات الأخيرة حتى بلغت خمسة أمثال ماكانت عليه قبل ذلك .

وفيما يلى إحصائية عن عدد المعاهد الأعدادية وفصولها وطلابها فى السنوات الخمس الأخيرة (١٩٧٣ — ١٩٧٧) .

م	السنة الدراسية	عدد المعاهد	عدد الفصول	عدد الطلاب
١	١٩٧٤/٧٣	٧٩	٦٦٧	٢٤٨٥٦
٢	١٩٧٥/٧٤	٩٠	٧٥٢	٢٧٣٠١
٣	١٩٧٦/٧٥	١٢١	٩٠٥	٣٥٣٥٤
٤	١٩٧٧/٧٦	٢٢٦	١١٢٦	٤٦١٢٥
٥	١٩٧٨/٧٧	٢٦٤	١٦٥٠	٦٤٩٨٩

٭ ٭ ٭

خامساً : المعاهد الثانوية

والدراسة في المعاهد الثانوية الأزهرية تتشعب من الصف الأول الثانوى إلى شعبتين هما :

١ — الشعبة الأدبية . ٢ — الشعبه العلمية .

كما — تتشعب الشعبة العلمية من الصف الثانى الثانوى إلى شعبتين هما :

١ — شعبه العلوم . ٢ — شعبة الرياضة .

وقد كان الهدف من هذا التشعب الذى كان للأزهر فيه السبق على غيره من معاهد العلم هو التخفيف عن كاهل الطلاب وكسر حدة الازدواج ، والمواءمة بين المواد المختلفة : دينية وعربية وثقافية ، وبخاصة فى شعبتى العلوم والرياضة ، مع التركيز على دراسة العلوم الدينية والعربية في الشعبه الأدبية حتى تعود الدراسه بها إلى ما كانت عليه المعاهد قبل التطوير ، وحتى يكون ذلك عوناً على إيجاد جيل صالح لأداء رسالة الأزهر فى كافه الميادين المتاحه لحماية الدعوة الإسلاميه ، وتبليغها على أوسع نطاق عن كفاءة ومقدرة .

ولو أنضم إلى ذلك حسن التطبيق والمتابعة الجادة ، وآزر ذلك أخلاص كل عامل لعمله ودينه ووطنه لجنينا من أجل ذلك ثمرات طيبة .

وتلك إحصائية عن عدد المعاهد الثانوية للبنين وفصولها وطلابها فى السنوات الخمس الأخيرة (١٩٧٣ – ١٩٧٨) .

إحصـــائية

عن المعاهد الثانوية للبنين : طلابها وفصولها فى السنوات الخمس الأخيرة

سنوات	الصف الأول		الصف الثانى			الصف الثالث			الصف الرابع			المجموع	عدد
الإحصاء	أدبى	علمى	أدبى	علمى	رياضة	أدبى	علمى	رياضة	أدبى	علمى	رياضة	الكلى	المعاهد
١٩٧٤/٧٣	٤٤٨٩	٢٥٣٧	٣٢٧٩	١٥٥٠	٣٧١	٢٦٣٩	٩٠٥	١٦٤٤	٤١٢٨	٨٧٠	٨١	١٨٤٧٦	٥٠
١٩٧٥/٧٤	٦٠٨١	٤١٦	٣٩٧٩	٢٠٧٣	١٢	٣٧٥٣	١٣١٣	١١٠	٢٦٩٨	١٠١٠	١٢٥	٢١١٨١	٥٢
١٩٧٦/٧٥	٨٣٥١	٩٥٢٩	٣٩٦٧	٣٣٥٤	٤	٣٢٩٠	١٧٥٦	٩٢	٣٠١٦	١٤٩٦	١٣٠	٣٣٩٨٥	٨٠
١٩٧٧/٧٦	١٦١٩٣	١٦٥٨	٦٦٩٧	٦٦٤٢	٧٢٠	٣٠٨١	١٨٤٦	٢١٠	٢٨٧	١٦٣١	١٦٢	٦١١١٤	١٣٤
١٩٧٨/٧٧	٢٣١٠٦	١٤٩٦	١٣٩٣٢	١٧٨٠١	١٤٣٥	٥١٨٩	٥٦٩٧	٦٩٠	٢٣٥٢	٢٠٩٩	٩٩	٨٨٤٧٧	١٤٨

لماذا كانت سياسة التوسع فى قبول الطلاب ودواعيها ؟

وبالنظر فى الإحصاءات السابقة ، يتضح أن هناك زيادة ملموسة مطردة فى أعداد الطلاب المقيدين بالمعاهد الأزهرية ، فى السنوات الخمس الأخيرة ، وأن هذا يعتبر نتيجة حتمية لسياسة التوسع فى قبول الطلاب من الحاصلين على الابتدائية العامة بالصف الأول من المعاهد الأزهرية ، وقبول الطلاب من الحاصلين على الاعدادية العامة بالصف الأول من المعاهد الثانوية الأزهرية تلك السياسة التى آمن بها الأزهر ، وقام على تنفيذها حتى يغطى حاجة أربع عشرة كلية من كليات جامعة الأزهر فى القاهرة بالطلاب الحاصلين على الثانوية الأزهرية ، وهـذا عدا كليات فروع جامعة الأزهر بأسيوط والمنصورة ، وطنطا ، وشبين الكوم .

وفيما يلى أسماء كليات جامعة الأزهر .

١ — كلية أصول الدين .
٢ — كلية الشريعة والقانون .
٣ — كلية اللغة العربية .
٤ — كلية الدراسات الإسلامية والعربية .
٥ — كلية التجارة (المعاملات والإدارة) .
٦ — كلية الهندسة .
٧ — كلية الزراعة .
٨ — كلية الطب .
٩ — كلية طب الأسنان .
١٠ — كلية الصيدلة .
١١ — كلية العلوم .

١٢ — كلية التربية .

١٣ — كلية البنات الإسلامية

١٤ — كلية اللغات والترجمة .

فكان التوسع في قبول الطلاب ليغطى احتياجات تلك الكليات بطلاب درسوا دراسة تأهيلية فى العلوم العربية والدينية ، مدداً طويلة ، تتراوح بين أربع وسبع سنوات ، وذلك أجدى بكثير من تغطية احتياجات الكليات المشار إليها من الطلبة الحاصلين على الثانوية العامة ، بعد دراسات تأهيلية فى العلوم الدينية والعربية مدتها سنة واحدة .

٭ ٭ ٭

سادساً : معاهد الفتيات

ظل الأزهر — ألف عام — حارسا للدين ، ومعقلا للغة ، ومهوى أفئدة المسلمين ، فى مشارق الأرض ومغاربها ، ولقد رأى القائمون على أمره أخيراً أن تنتشر رسالته فى القرى والنجوع ، وأن تعم الناس جميعاً ، فعنى الأزهر بتعليم الفتاة ، لينشئها على الدين والخلق القويم ، إيماناً منه بأن فتيات اليوم هن أمهات المستقبل وعملا بقول الرسول ﷺ : (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) .

ولقد كانت تجربة رائدة موفقة ، ابتدأت بمعهد واحد هو معهد الفتيات بالمعادى ، ولكن سرعان ما أقبل الناس من كل حدب وصوب على هـذا النوع من التعليم ، لأن كل مسلم يود أن يربى بناته تربية دينية ، وعلى الرغم من أن معاهد الفتيات تعتمد على الجهود الذاتية فى إنشائها فقد انتشرت انتشاراً عظيما من أقصى الوادى إلى أقصاه ، حتى بلغ عددها فى مدة وجيزة

اثنين وخمسين معهداً ، وبلغ عدد الطالبات فى السنة الدراسية الماضية ٧٧/٧٦ زهاء أربعة وعشرين ألفاً .

هذا غير الطالبات اللاتى قبلهن الأزهر فى معاهده فى هذا العام .

وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على ما للعقيدة الإسلامية من أثر فى النفوس وما للأزهر من حب فى القلوب وعلى أن مصر لا تزال بخير تحرص على أن تعد بناتها ليكن أمهات فاضلات ينشرون الدين والفضيلة والعلم ، ويربين بنات الشعب تربية إسلامية حتى تعود المرأة المسلمة إلى سابق عهدها أماً للأبطال ، ومنجبة لخير الرجال .

المعاهد الأزهرية للفتيات موزعة جغرافياً على محافظات
جمهورية مصر العربية للعام الدراسى ١٩٧٧/٧٦

محافظة القاهرة : فتيات المعادى . عمرو بن العاص . العباسية . الزيتون . البساتين . المطرية .

محافظة القليوبية : شبرا الخيمة . بنها . اسكو .

محافظة المنوفية : منوف . أشمون . شبين الكوم . قويسنا .

محافظة كفر الشيخ : دسوق . كفر الشيخ .

محافظة الغربية : طنطا . المحلة الكبرى . سمنود .

محافظة الأسكندرية : سيدى بشر . الفتح المبين . ميامى . أبو قير .

محافظة البحيرة : دمنهور . وادى النظرون .

محافظة دمياط : دمياط .

محافظة الشرقية : الزقازيق . قرية السلام ، فاقوس . الصالحية . أبو كبير .

محافظة الدقهلية : المنصورة . الجمالية .

محافظة السويس : السويس .

محافظة الإسماعيلية : الإسماعيلية .

محافظة بور سعيد : بور سعيد .

محافظة الجيزة : الهرم . العمرانية .

محافظة الفيوم : الفيوم .

محافظة المنيا : المنيا . ملوى . ديرمواس . بنى مزار .

محافظة بنى سويف : بنى سويف .

محافظة أسيوط : أسيوط . بنى عدى . القوصية .

محافظة قنا : نجع حمادى . الأقصر . فرشوط .

محافظة سوهاج : سوهاج . جرجا . طهطا .

محافظة أسوان : أسوان .

إحصائية شاملة بعدد الفصول والطالبات للمرحلتين
الإعدادية والثانوية لمعاهد الفتيات عن العام الدراسى
لسنة ٧٦/ ١٩٧٧

الصف الأول الإعدادى	١٣٠	فصلا	٥٤٦٩	طالبة
الصف الثانى الإعدادى	٦٦	»	٢٧٠١	»
الصف الثالث الإعدادى	٢٥	»	٩٠٥	»
الإجمالى العام	٢٢١		٩٠٧٥	
الصف الأول الثانوى أدبى	٨٨	فصلا	٣٨٨٤	طالبة
الصف الأول الثانوى علمى	١١٩	»	٥٢٠٦	»
الصف الثانى الثانوى أدبى	٣٦	»	١٣٥٨	»
الصف الثانى الثانوى علمى	٤٨	»	١٩٢٥	»
الصف الثالث الثانوى أدبى	١٤	»	٤٢٢	»
الصف الثالث الثانوى علمى	١٨	»	٦٧٦	»
الصف الرابع الثانوى أدبى	١٠	»	٣٣٥	»
الصف الرابع الثانوى علمى	١٣	»	٥٠٧	»
الإجمالى العام	٣٤٦	فصلا	١٤٢٣٣	طالبة
إجمالى المرحلة الاعدادية	٢٢١	»	٩١٦٥	»
إجمالى المرحلة الثانوية	٣٤٦	»	١٤١٣٣	»
إجمالى العام للمرحلتين	٥٦٧	فصلا	٢٣٢٩٨	طالبة

سابعاً : معهد البعوث الإسلامية

من المعاهد التى تفرد الأزهر بانشائها ، نظراً لعدم وجود مثيل لها فى أى بلد عربى أو إسلامى :

معهد البعوث الإسلامية :

إن جمهورية مصر العربية تدعو دائماً إلى وحدة عربية إسلامية ، تؤلف بين العرب ، وتقوى أواصر المسلمين ، وتعمل على توطيد دعائم التضامن الإفريقى الآسيوى ، وقد مدت ذراعيها الحانيتين لاستقبال الطلبة الوافدين إليها ، لتلقى العلم من كل جنس ولون ، ولا تميز طائفة على أخرى ، ولا تفرق فى المعاملة بين فريق وآخر ، ومنحتهم جميعاً من الرعاية ما جعلهم لا يشعرون بوطأة الإغتراب ، وإنما يجدون الأنس فى رحابها .

ومن هنا كانت العناية بهم ، وباعدادهم إعداداً ملائماً أمراً محتوماً ، حتى يتمكنوا من النهوض بهذا الواجب على الوجه الأمثل ، وحتى يستطيعوا مقاومة التبشير والتيارات الهدامة ــ بخاصة ــ عن طريق الحجة والإقناع .

٭ ٭ ٭

مدى عناية الأزهر بالطلبة الوافدين

لقد عنى الأزهر عناية كبرى بالطلبة الوافدين فأنشأ لهم مدينة البعوث الإسلامية بالعباسية ، وقد بلغت تكاليف هذا المشروع حين إنشائه مليونين من الجنيهات أى بما يعادل الآن ثلاثين مليونا من الجنيهات .

وتقوم المدينة على مساحة من الأرض تبلغ ثلاثين فداناً ، ترتفع عن سطح البحر بحوالى ٣٤٫٥ متراً مما يجعل جوها صحياً ، وتتسع لأكثر من خمسة آلاف طالب وتتخللها حدائق ومتنزهات وشوارع بما يقرب من ثلث هذه المساحة .

وتضم المدينة ٤١ عمارة سكنية يتكون كل منها من ثلاثة طوابق وكل دور من جناحين .

ويفصل بين كل جناحين حجرة متسعة أعدت للمذاكرة وتضم مكتبة للاطلاع ، وقد أقيم بالمدينة مسجد متسع على طراز عربي جميل ، أنيرت جوانبه بالأنوار الكهربية ، وفرشت أرضه بالسجاد .

كما تضم المدينة مكتبة عامة حافلة بشتى الكتب فى العلوم والفنون القديمة والحديثة ، يتردد عليها الطلاب في أوقات مختلفة إلى ساعة متأخرة من الليل .

ولقد أعدت المدينة بما يهيىء للطلاب خدمة ممتازة سواء من الناحية الطبية أو الخدمات العامة .

فقد أقيم بالمدينة مستشفى خاص ، به قسم داخلى للعلاج بالإضافة إلى معمل للتحاليل الطبية ، كما أنشئت به صيدلية تحتوى على الأدوية التى تصرف للطلبة بالمجان ، ويلحق بالوحدة الطبية وحـــدة إسعاف كاملة للحالات العاجلة .

هذا : وقد زودت المدينة بمغسل ميكانيكى ومضخة خاصة تتصل بصهريج مرتفع لرفع المياه بحيث تصل المياه إلى الطلاب فى كل الأوقات .

واتقاء لأخطار الحريق زودت المدينة بماكينة اطفاء فضلا عن شبكة للتليفونات امتدت فى جميع جنباتها تسهيلا للعمـل سواء في داخل المدينة أو خارجها ، ولم تخل المدينة من بعض المرافق العامة التى تقدم الخدمات الضرورية كما أنشئت بها جمعية تعاونية استهلاكية تسهيلا لحصول الوافدين على ما يحتاجونه من سلع وخدمات خاصة .

وبجانب هذا لم تخل المدينة من أماكن الترفيه المشروع المباح ، فأقيم بها

الأندية العامة التى يختلف إليها الطلاب فى أوقات فراغهم ليشاهدوا البرامج التليفزيونية ويسمعوا من الإذاعة ما يحلو لهم .

ويقام حالياً استاد رياضى بجوار المدينة يضم مجموعة ملاعب لكرة القدم ومضمار للجرى ، وآخر لألعاب القوى ، كما يحتوى على حمام للسباحة ، وثلاثة ملاعب للتنس ، ومثلها لكرة السلة وأخرى للكرة الطائرة وغيرها .

٭ ٭ ٭

ثامناً : معاهد القراءات

معاهد القراءات لها رسالتها الجليلة التى تتعلق بالقرآن الكريم ودراساته تلك الدراسة الفريدة في نوعها ، والتى ضاقت مناهج الدراسة بالأزهر عن استيعابها والوفاء بها .

ومن هنا كانت بحق ممثلة للأزهر الشريف فى أخص صفاته ، وأدق سماته .

وقد أنشىء أول معهد للقراءات بالأزهر سنة ١٩٤٥ على أنه قسم ملحق بكلية اللغة العربية ، وظل تابعاً لها فى الإدارة حتى سنة ١٩٦٣ ، ثم رؤى بعد ذلك ابقاء عليه ، وحفاظاً على كيانه أن تكون تبعيته للادارة العامة للمعاهد الأزهرية ، وأنشئت بعد ذلك معاهد للقراءات فى دمنهور ، وطنطا ، والزقازيق والفيوم ، وأسيوط ، وسوهاج ، وقنا .

كما تقرر إنشاء فصول للقراءات على أن تلحق بالمعاهد الثانوية بالمحافظات وبغيرها من البلدان التى تهتم بهذا النوع من التعليم ، وذلك لتكون تلك الفصول نواة لمعاهد قراءات مكتملة تدرس فيها علوم القرآن الكريم دراسة واعية مستفيضة ، وليستعان بالمتخرجين منها فى التدريس بالمعاهد المختلفة فى مصر وفى العالم الإسلامى ، والدراسة بتلك المعاهد تنتظم مراحل ثلاث :

(أ) مرحلة التجويد ، ومدتها سنتان .

(ب) المرحلة العالية ، ومدتها ثلاث سنوات .

(ج) مرحلة التخصص ، ومدتها ثلاث سنوات .

وتدرس بمعاهد القراءات المواد الآتية :

المتون ـ القراءات عملياً ـ القراءات علمياً ـ تسميع القرآن الكريم ـ رسم القرآن الكريم ـ منهج القرآن الكريم ـ الفواصل ـ علوم القرآن ـ تراجم القراء ـ تاريخ المصحف ـ التوحيد ـ التفسير ـ الحديث والمصطلح ـ الفقه ـ النحو والصرف ـ البلاغة والأدب ـ العروض ـ الإنشاء ـ المطالعة والنصوص الأدبية ـ المنطق ـ التاريخ الإسلامي ـ المجتمع الإسلامي ـ التربية العلمية والعملية .

* * *

عناية الأزهر بمعاهد القراءات

وقد أولى الازهر تلك المعاهد رعاية فائقة حرصاً منه على انتشارها وبقائها واستمرارها فى أداء رسالتها ، وقد تجلت تلك الرعاية فى إعانة الطلاب وصرف مكافآت شهرية لهم على الوجه الآتى .

أولا : جنيه لكل طالب بمرحلة التجويد .

ثانياً : جنيهان لكل طالب بالمرحلة العالية .

ثالثاً : ثلاثة جنيهات لكل طالب بمرحلة التخصص .

كما تجلت رعايته فى خطة ومنهج الدراسة لكل مرحلة من المراحل الثلاث مع توفير كل الإمكانات لها والعمل على النهوض بها فى كل المجالات .

تاسعاً : معاهد المعلمين الأزهرية

لما كانت معاهد المرحله الابتدائية تستمد حاجتها من المدرسين عن طريق ما يوجه إليها من القوى العاملة كل عام ، من الحاصلين على الشهادات الجامعية أو الشهادات المتوسطة غير المؤهلين للتدريس ، وكان أكثر هؤلاء على الرغم من قلة عددهم لا يرغبون فى العمل بتلك المعاهد لسبب أو لغيره ، وأن عملوا بها فعلى كره منهم إلى أن تواتيهم فرص العمل الأخرى .

فكرت الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية فى إنشاء معاهد أزهرية للمعلمين لإعداد وتأهيل وتوفير المدرسين اللازمين للتدريس بالمرحلة الإبتدائية الأزهرية بعد أن عانت تلك المدارس طويلا من نقص المدرسين المؤهلين إلى درجة كادت تعوقها عن أداء رسالتها التى نيطت بها .

ويقبل بمعاهد المعلمين طلاب المعاهد الأزهرية الناجحون من الصف الثانى الثانوى ، على أن يزود الطالب فيها بالثقافة الإسلامية الأزهرية ، إلى جانب كثير من العلوم والمعارف والتدريبات التى تدرس فى مثل تلك المرحلة ، وعلى أن يهيأ للطالب كذلك فى تلك المعاهد فرص النمو المتكامل من النواحى الجسيمة والعقلية والاجتماعية والروحية والعاطفية .

ومدة الدراسة بهذه المعاهد ثلاث سنوات ، وقد صدر القرار الوزارى (٢١٥) لسنة ١٩٧٤ بالموافقة على إنشاء معهدين : أحدهما فى سوهاج ، والآخر فى طنطا ، اعتباراً من العام الدراسى (١٩٧٣/١٩٧٤) .

وانتظمت الدراسة بهذين المعهدين فى العام الدراسى المذكور على وفق القواعد والخطة التى قدمت من الاداره العامة للأزهر .

وقد صدر فى هذا العام قرار آخر بتعديل نظام القبول ، ومدة الدراسة بمعاهد المعلمين الأزهرية على أساس أن تكون مدة الدراسة خمس سنوات بدلا

من ثلاث ، وأن يقبل بالصف الأول الطلبة الحاصلون على الشهادة الإعدادية الأزهرية بدون قيد أو شرط « سوى الكشف الطبي » والطلبة الحاصلون على الاعدادية العامة بعد النجاح فى امتحان المعادلة .

وقد أنشئت بعد ذلك معاهد للمعلمين فى :

مصر الجديدة ـ الزقازيق ـ شبين الكوم ـ الفيوم ـ أسيوط ـ قنا .

وفيما يلى إحصائية شاملة لعدد الطلاب والفصول .

إحصائية شاملة عن معاهـــد المعلمين

البيان	نظام قديم						نظام جديد				
	الصف الأول		الصف الثانى		الصف الثالث		الصف الأول	الصف الثانى	الصف الثالث	الصف الرابع	الصف الخامس
	أدبى	علمى	أدبى	علمى	أدبى	علمى	عام	عام	عام	عام	عام
طلبة	٥٣٣	٧٦	٤٢٧	١١١	١٤٩	٦٦	١٠٠٣				
فصول	١٣	٣	١٢	٤	٤	٢	٢٤				

عاشراً : المعاهد العسكرية الأزهرية

التعليم العسكرى يهدف دائماً إلى إعداد جيل صالح من الشباب يؤمن بربه ويحب وطنه ، ويتمسك بالتقاليد ، ويعتز بشخصيته ، مع تعويده على الجدية فى أموره كلها ، وتربيته على الرجولة الحقة التى يحرص عليها الاسلام ويتضح ذلك من تعاليمه السامية حين يمنع الرجال من لبس الحرير والذهب

حفاظاً على رجولتهم لأن الأغراق فى الترف يقلل من الرجولة ويضعف من شأنها وحين ينهى عن تشبه الرجال بالنساء فى قوله ﷺ (لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء) وما ذلك إلا لكى تظل الرجولة فى الرجال مظهراً سامياً لا تمتد إليه يد بالمسخ والتغيير . ويهدف كذلك إلى تربية الشخصية تربية سليمة ، فيعد الفرد لتحمل المسئولية والاعتماد على النفس ، ويجعل منه المواطن الصالح الايجابى ذا الجسم الصحيح ، والعقل السليم ، لأن المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، ويزوده بصفات ما أجمل أن يتحلى بها طالب العلم ولا سيما الطالب الأزهرى الذى يحتاج — حين يتزود من العلم — إلى التسلح بالأخلاق .

ومن الصفات التى يعنى هذا التعليم بغرسها فى نفوس الشباب : التمسك بتعاليم الدين وحب الجهـــاد والدفاع عن العقيدة والوقوف بجانب الحق ، وتقوية الروح المعنوية العالية النابعة من الايمان بالله والوطن مع الاستقامة وحسن الخلق والقدوة الحسنة والشجاعة المقرونة بالتضحية وإنكار الذات والتمسك بالنظام والدقة والحزم واللياقة وحسن التصرف فى جميع الأمور وقوة الشخصية والثقة بالنفس بدون غرور والتعود على الكلام المهذب ذى الصوت المتزن والألفاظ السامية وبث روح التنافس الشريف فى إطار من المحبة والأخوة والشهامة والنبل والنجدة ورعاية المرضى والإيمان بالهدف والأمانة فى التنفيذ . فهو فى موضوعه ومضمونه وفى أهدافه يلتقى مع التعليم الدينى والتربية الاسلامية وقد برز ذلك واضحاً فى العصر الاسلامى الأول فى عهد النبوة حينما كان يقوم بهذا التعليم المعلم الأكبر سيدنا محمد — ﷺ — فجعل من الصحابة رضوان الله عليهم جيشاً منظماً ومـــدرباً ودائم الاعداد والاستعداد العسكرى للدفاع عن الأمة الاسلامية ولتأمين طريق الدعوة إلى الله .

وقد استطاع القائد الأعظم رسول الله — ﷺ — بحسن قيادته أن يجعل

من أتباعه رهباناً بالليل وفرساناً بالنهار ، وصار التعليم العسكرى فى الاسلام وإعداد العدة والعتاد لجهاد الاعداد فرضا من الفروض العينية على الأمة لا يسقط ولا يصح أن تتخلى عنه فى أى زمان أو مكان عملا بقول الله تبارك وتعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون » .

لهذا كله فان الادارة العامة للمعاهد الأزهرية قد قررت تحويل بعض المعاهد الأزهرية الثانوية إلى معاهد عسكرية على نظام ما اتبع فى المدارس الثانوية العسكرية ، وهذه المعاهد هى معاهد :

الاسكندرية ـ مصر الجديدة ـ الزقازيق ـ السلام بالشرقية ـ السويس أسيوط ـ أسوان .

وبدأ العمل بها فى العام الدراسى ١٩٧٨/٧٧ والإدارة العامة للمعاهد بصدد التوسع فى هذا النوع من المعاهدعلى أن تكون الدراسة ببعض المعاهد الداخلية تعد طلبتها للالتحاق بالكليات العسكرية .

* * *

التمـــويل

صندوق دعم إنشاء المعاهد الأزهرية

إجمالى المبالغ المتبرع بها حتى ٥ مارس سنة ١٩٧٨ :

٢٨٨٤٠٧١ر٥٤ دولار أمريكى :

أولا : جهات التبرع

جهة التبرع	(بالدولار الأمريكى)
دولة الكويت	١٠٠٠٠٠٠ر—
المملكة العربية السعودية	٩١٣٥٠٥ر٣٠
مكتب العلاقات الليبى بالقاهرة	٥٠٠٠٠٠ر—
دولة قطر	٢٥٢٥٣٨ر—
السيد / حسن عباس الشربتلى	١٣٣٣٣٤ر—
دولة عمان	١٥٠٠٠ر—
المصرف العربى الدولى	٣٥٠٠٠ر—
السيد / يحيي عمرو	٥٠٠٠ر—
السيد / أحمد يزيع الياسين	٦٧٨١ر٩٦
تبرعات من جهات مختلفة	٢٢٩١٢ر٢٨

* * *

ثانياً : المبالغ المنصرفة :

فيما يلي بيان يوضح المبالغ المنصرفة لإنشاء وإستكمال بناء المعاهد الأزهرية على مستوى الجمهورية :

الجهة المنصرف إليها	المبلغ المنصرف (بالدولار الأمريكى)
محافظة القاهرة	١٧٠٠٠٠
محافظة الشرقية	١٦٠٠٠
محافظة المنوفية	١٨٠٠٠٠
محافظة كفر الشيخ	٢٠٠٠
محافظة بورسعيد	١٥٠٠٠٠
محافظة السويس	٢٤٥٠٠٠
محافظة الجيزة	١٢٠٠٠٠
محافظة الوادى الجديد	٧٠٠٠
محافظة المنيا	٥٠٠٠٠
محافظة أسيوط	١٥٠٠٠٠
محافظة سوهاج	١١٠٠٠
محافظة قنا	٢٠٠٠٠٠
محافظة أسوان	١٠٠٠٠٠
المقاولون العرب (عثمان أحمد عثمان[1])	١٠٠٠٠٠٠

(١) تحت حساب ماتقوم به شركة المقاولون العرب من إنشاءات مختلفة بمعاهد الاسكندرية ومدينة نصر بالقاهرة .

* * *

التبرعات بالعملة المصرية

حساب دعم المعاهد الأزهرية

أولا : بنك مصر :

مجموع التبرعات :

مليم	جنيه
٦٦٠	٦٧٠٦٧

المنصرف

جنيه	
١٠٠٠٠	للجمعية العربية الإسلامية بالشيك رقم ٧٩٨٥٠١ بتاريخ ٧٦/٨/٩ إعانة لبناء معهد أزهرى .
٥٠٠٠	لشركة الصوامع بالشيك رقم ٧٩٨٥٠٥ ٧٧/١/٢٥ للتخليص على الورق الخاص بطبع المصحف الشريف .
٢٠٠٠	لشركة الصوامع بالشيك رقم ٧٩٨٥٠٦ بتاريخ ٧٧/٢/٦ للتخليص على الورق الخاص بطبع المصحف الشريف .
١٧٠٠٠	جملة المنصرف

مليم	جنيه	
٠٠٠	١٧٠٠٠	
٦٦٠	٥٠٠٦٧	الرصيد الباقي حتى ١٩٧٧/٧/١٣

ثانياً : البنك الاهلي المصرى :

مجموع التبرعات : حتى ١٩٧٧/٢/٢٨

ملیم	جنيه
٦٤٠	١٥٧٨

لم يصرف منه شيء .

ثالثاً : بنك ناصر الاجتماعى :

ملیم	جنيه	
٩٥٠	٥٩٩٣٨	جملة التبرعات حتى ١٩٧٧/٧/١٣ .
	٧٠١٠	مبالغ بشيكات أودعت حتى١٣/١٠/١٩٧٧.
	٤٦٠	مبالغ سائلة أودعت حتى ١٣ / ١٠/١٩٧٧ .
٩٥٠	٦٧٤٠٨	المنصرف بالتفصيل

ملیم	جنيه	
	١٠٠٠٠	لمحافظة الشرقية بالشيك رقم٦٣٦٠٣ بتاريخ ٤/١٠/١٩٧٦ لبناء معاهد أزهرية بالزقازيق .
	٥٠٠٠	لمحافظة الشرقية بالشيك رقم ٦٣٦٠٢ بتاريخ ٤/١٠/١٩٧٦ لبناء معاهد أزهرية بالزقازيق
	١٥٠٠٠	
	١٠٠٠٠	لجمعية الإمام على بالجيزة بالشيك رقم ٦٣٦٠٤ بتاريخ ١٨/٤/١٩٧٧ لبناء

جنيه	مليم	
		معاهد أزهرية بالعمرانية (إعدادى وثانوى) بمحافظة الجيزة .
٥٠٠٠		للسيد سكرتير الوحدة المحلية بالصوه بالشيك رقم ٦٣٦٠٥ بتاريخ ١٣ / ٦ / ١٩٧٧ لبناء معهد الصوه الأزهرى .
٢٠٠٠		السيد رئيس مجلس إدارة جمعية النهضة الإسلامية بكيما بالشيك رقم ٦٣٦٠٦ بتاريخ ٢١ / ٦ / ١٩٧٧ لاستكمال معهد كيما الأزهرى بأسوان .
٢٠٠٠		للسيد رئيس مجلس مدينة شبين الكوم بالشيك رقم ٦٣٦٠٧ بتاريخ ٨/٨/١٩٧٧ لاستكمال بعض المعاهد الأزهرية .
٣٤٠٠٠		نقل بعده .
٣٤٠٠٠		ما قبله .
١٥٠٠٠		للشيخ محمد خالد فتح الله بالشيك رقم ٦٣٦٠٨ بتاريخ ٢٠ / ٩ / ١٩٧٧ لبناء معهد عقبة بن نافع الإعدادى والثانوى .
٤٩٠٠٠		جملة المنصرف .

مليم	جنيه	
٩٥٠	٦٧٤٠٨	جملة المبالغ حتى ١٣ / ١٠ / ١٩٧٧ .
	٤٩٠٠٠	جملة المنصرف .
٩٥٠	١٨٤٠٨	الرصيد الباقي حتى ١٣/١٠/١٩٧٧ .

رابعاً : تبرع جون لانسيس بحساب أمانات الأزهر :

مليم	جنيه	المنصرف بالتفصيل
	١٠٠٠٠٠	دفعة منصرفة للمقاولون العرب لإنشاء معهد فتيات سيدى بشر بالأسكندرية .
	٢٠٠٠٠	دفعة منصرفة مجلس مدينة السويس لإنشاء معهد فتيات السويس .
	٥٠٠٠٠	دفعة منصرفة لانشاء معهد مصر الجديدة الأزهري.
	٢٠٠٠٠	دفعة منصرفة لانشاء معهد واديالنطرون الأزهري.
	٥٠٠٠	دفعة منصرفة لانشاء معهد فاقوس الأزهري .
	٤٠٠٠	دفعة منصرفة لانشاء معهدى أشمون وجريس الأزهريين .
—	١٩٩٠٠٠	جملة المنصرف .
—	١٠٠٠	الرصيد حتى ١٩٧٧/٣/١٣

* * *

	ملیم	جنيه
الرصيد فى بنك مصر حتى ١٩٧٧/٧/١٣	٦٦٠	٠٠٠٦٧
الرصيد فى البنك الأهلى حتى ١٩٧٧/٢/٢٨	٦٤٠	١٥٧٨
الرصيد فى بنك ناصر حتى ١٩٧٧/١٠/١٣	٩٥٠	١٨٤٠٨
الرصيد بأمانات الأزهر حتى ١٩٧٧/٣/١٣	—	١٠٠٠
المجموع	٢٥٠	٢١٠٥٥

(و) وخير الأعمال خواتيمها

مصحف الأزهر

القرآن الكريم هو كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وقد أنزله الله على رسوله الكريم ، محمد ﷺ ليكون هادياً للبشر ، وضمنه من القواعد والأحكام ما يكفل للناس سعادة الدنيا والآخرة ، وقد تكفل الله بحفظه ، ليظل الشعلة المضيئة فى حياة المسلمين .

وقد كان من عناية الأزهر بحفظ القرآن من أى تغيير أو تحريف قد يقع فيه النساخ وعمال المطابع أن أنشأ قسما لمراقبة طباعته ، ومراجعة تجاربه المتعددة ، وألحق هـذا القسم بالأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية . وكانت باكورة الخير من عمل هذا القسم طبع مصحف للأزهر الشريف ، وقد جاء بفضل الله ، ثم بتوجيه من الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود . مضبوطاً بالشكل لأول مرة فى تاريخ جمهورية مصر العربية . ومراجعاً على أمهات المصاحف فى الرسم ، والضبط ، والقراءات ، وجاء ضبطه موافقاً لرواية «حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدى الكوفى» لقراءة «عاصم بن أبى النجود» عن « أبى عبـد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمى » عن « عثمان بن عفان » و « علي بن أبى طالب » و « زيد بن ثابت » و « أبى بن كعب » عن النبي صلى الله عليه وسلم .

كما أخذ هجاؤه مما رواه علماء الرسم عن المصاحف التى بعث بها عثمان ابن عفان إلى البصرة ، والكوفة ، والشام ، ومكة ، والمصحف الذى جعله لأهل المدينة ، والمصحف الذى اختص به نفسه .

وأخذت طريقة ضبطه مما قرره علماء الضبط على حسب ماورد فى كتاب « الطراز على ضبط الخراز » واتبعت فى عد آيه طريقة الكوفيين ، إلى غير ذلك من الخصائص التى تميزت بها هذه الطبعة الفريدة .

الدعم المـالى ومصارفه

وقد قام الأزهر فى عام ١٩٧٧ ، وبفضل الدعم المـالى الذى قدم إليه من بعض الأشقاء المسـلمين ، بطبع خمسين ألف نسخة من المصحف الشريف ، وزعت أكثرها على سفارات الدول التى أسهمت فى المشروع . وهاهو ذا فى عام ١٩٧٨ يقوم بطبع زهاء مائتى ألف نسخة من المصاحف بأحجام مختلفة ، ونأمل أن يتضاعف هذا الدعم حتى يعم النفع بتلك الطبعة ، وتصبح فى ميسور كل راغب فى الانتفاع بها .

صندوق طباعة المصحف الشريف

إجمالى المبالغ المتبرع بها حتى ٥ مارس سنة ١٩٧٨

١١ ر ٧٦١٥٤٣ دولار أمريكى

أولا : جهات التبرع : (بالدولار الأمريكى)

حكومة أبو ظبي	ــ ر ٣٦٧٣٧٧
المصرف العربى الدولى	ــ ر ٣٥٠٠٠
صدقة وسراج الكعكي	٥٠ر ٧٠٤٥
السيد / يحي عمرو	ــ ر ٥٠٠٠
تبرعات من جهات مختلفة	٦١ ر ٣٤٧١٢٠

ثانياً : المبالغ المنصرفة : (بالدولار الأمريكى)

الغرض	المبلغ
استيراد ورق لطباعة المصحف من أسبانيا بموجب اعتماد مستندى رقم ٢٧٧٨	ــ ٢٤٠٠٠
استيراد ورق لطباعة المصحف من ألمانيا الغربية بموجب اعتماد مستندى رقم ٣٠٦٢	٧٤ ر ٤٩٣٤٥٩

* * *

التبرعات بالعملة المصريه لحساب طبع المصحف الشريف

البنك الأهلي المصرى :

مليم	جنيه	
٦٤٥	٢٢٨٨	مجموع التبرعات حتى ١٩٧٧/١/٣١

المنصرف بالفعل

مليم	جنيه	
	٥٠٠	لشركة الصوامع المصرية بالشيك رقم ١٠٠١٥١ بتاريخ ١٩٧٦/١٢/٢٨ لسداد مصاريف نقل وتفريغ وتخزين ونقل الورق الخاص بطبع المصحف الشريف.
	١١٤	للتوريدات لنفقات الورق المستورد بالشيك رقم ١٠٠١٥٣ فى ١٩٧٧/٣/٥ قيمة أجور نقل لعمال الشحن بميناء الأسكندرية وسائقى العربات الذين قاموا بالنقل إلى القاهرة .

مليم	جنيه	
٠٠٠	٦١٤	جملة المنصرف من حساب المصحف الشريف حتى ١٩٧٧/٣/٥
٦٤٥	١٦٧٤	الرصيد فى ١٩٧٧/١/٣١ .
٥٢٠	١٧٩٦	جملة الرصيد فى ١٩٧٧/٤/٣٠ .

مطبعة مصحف الأزهر

لقد صدر من هـــذا المصحف ثلاث طبعات كل طبعة كان عددها ٥٠ ألف . ثم صدرت طبعة خاصة لحجم صغير وكان عددها ٥٠ ألف نسخة ، وقد قامت المطبعة الأميرية بهذه المهمة على ورق مستورد خاص من ألمانيا وبلغت تكلفته نصف مليون جنيه .

فرأى فضيلة الإمام الأكبر رضى الله عنه أن المصحف الشريف الذى يرعى طباعته الأزهر ينبغي أن تكون له مطبعة خاصة . فسعى بجهده المشكور وتم التعاقد مع وكيل شركة (هايدل برج) على شراء مطبعة أتوماتيكية يتم بواسطتها طبع المصحف وتغليفه وتجليده أتوماتكيا .

وقد وصلت بالفعل كل أجزاء المطبعة ، وخصص لها المبنى الصغير بمدينة البعوث الإسلامية .

وتشمل المطبعة على :

(أ) استديو أوفست .

(ب) معمل تحضير الزنكات للطباعة .

(ج) ماكينة أوفست للألوان .

(د) أجهزة فصل الألوان .

(هـ) جهاز تجميع ملازم وتجليد كامل .

وقد تم شراء هذه المطبعة عن طريق المصرف العربي الدولي .

وبهذا فقد أعطى فضيلة المرحوم الإمام الأكبر الشيخ / عبد الحليم محمود كل الضمانات للحفاظ على الرسم العثماني بالذى توارثه المسلمون حتى يومنا هذا . وبهذا أيضاً فقد أغلق الباب على كل محاولات الشر بالإعتداء على خط المصحف المتواتر الذى يراد تغييره كخطوة لفتح باب الشر للاعتداء على مواريثنا الإسلامية .

وتلك خدمة جليلة تضاف إلى خدمات فضيلة الإمام التى أسداها إلى العلم والأزهر والإسلام .

(نسأل الله تعالى أن يجعلها فى موازينه يوم القيامة . نوراً . وضياء . وحسنات مباركات طيبات) .

إذاعة القرآن الكريم

فى صيف عام ١٩٦٤م قررت مصر إنشاء محطة خاصة باذاعة القرآن الكريم وهو اتجاه حميد ، غير أن القوى التى عملت بها المحطة لم تكن على المستوى المطلوب بل كانت أقل من مستواها على الصعيد المحلي ، فاتجه بعض المسئولين فى هذه الإذاعة إلى فضيلة الإمام الأكبر ليضعها ضمن خطته فى إصلاح حال العمل الإسلامى ، وقد افتتح رحمه الله التبرع لتقوية محطة إذاعة القرآن الكريم واشترى المعدات الخاصة بهذا وبقيت المراوغات معه حول المكان والمحافظة التى سيوضع فيها جهاز التقوية ... وظل الأمر معلقاً إلى أن توفى .

ثالثاً : تطبيق الشريعة الإسلامية

النداء بتطبيق الشريعة الإسلامية صار رأياً عاماً لجموع الشعوب الإسلامية وتطبيق الشريعة الإسلامية فيه بركة وإحسان وعدل . . ولا تتحقق كرامة الإنسان على هذه الأرض إلا بتطبيق الشريعة الإسلامية .

إن الرحمة ، والعدل ، والإحسان ، والأمن . . هي أماني القلوب المؤمنة ولا تتحقق هذه الأماني إلا بالشريعة الإسلامية .

« وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » . (الأنبياء)

« إن الله يأمر بالعدل والإحسان » . (النحل)

« الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » (الأنعام)

وإيماناً بهذه المعاني ، وتحقيقاً لقرارات وتوصيات مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية ، وتحقيقاً لرسالة الأزهر ، واستجابة لأماني الأمة الإسلامية فقد :

(أ) قنن الأزهر المعـاملات في مواد قانونية وأرسلها إلى المختصين في الدولة .

(ب) قنن الأحكام العامة المشتركة بين الحـدود كما قنن أحكام السرقة ، والزنا ، والردة ، والحرابة ، وشرب الخمر ، والقذف ، وصاغها في صورة مشروع قانون وأرسله إلى مجلس الشعب .

على النحو التالي :

بسم الله الرحمن الرحيم

اللجنة العليا
لمراجعة التشريعات الوضعية
وتعديلها بما يتفق مع المبادىء
الأساسية للشريعة الإسلامية

مشروع القانون رقم :
باصدار قانون الحدود الشرعية

قرر مجلس الشعب القانون الآتى نصه وقد صدقنا عليه وأصدرناه :

المادة الأولى : يلغى كل نص يخالف هذا القانون ويستعاض عنه بقانون الحدود الشرعية المرافق لهذا القانون .

المادة الثانية : على الوزراء المختصين ـ كل فيما يخصه ـ تنفيذ هذا القانون ويعمل به ابتداء من :

ونأمر بأن يبصم هذا القانون بخاتم الدولة وأن ينشر فى الجريدة الرسمية وينفذ كقانون من قوانين الدولة .

رئيس الجمهورية

قانون الحدود الشرعية

الباب الأول : الأحكام العامة المشتركة بين الحدود

المادة الأولى : الحد هو عقوبة مقدره شرعاً فى الجرائم المنصوص عليها فى هذا القانون .

المادة الثانية : يشترط لإقامة الحد على الفاعل : أن يكون قد أتم من العمر ١٧ عاما مالم يتحقق بلوغه قبل ذلك ـ عاقلا ـ قاصداً ارتكاب الفعل عن رغبة واختيار بلا ضرورة أو عذر شرعى .

المادة الثالثة : تثبت جرائم الحدود ـ عدا ما يشترط فى بعضها من شروط خاصة بالاقرار ولو مرة واحدة أمام السلطة القضائية ـ أو بشهادة رجلين كما تثبت ـ عند الضرورة ـ بشهادة رجل وأمرأتين ـ أو أربع نسوة .

المادة الرابعة : تطبق العقوبات التعزيرية ـ إذا لم يكتمل الدليل الشرعى المنصوص عليه فى جرائم الحدود ـ أو عدل الجانى عن اقراره ـ وذلك متى اقتنع القاضى بثبوت جريمة أخرى بأى دليل أو قرينه قانونية أخرى معاقب عليها بغير عقوبة الحد .

المادة الخامسة : إذا ارتبطت أو تعددت الجرائم المعاقب عليها حداً ـ يعاقب الجانى على الوجه الآتى :

١ ـ إذا كانت العقوبات متحدة النوع ومتساوية القدر : وقعت عقوبة واحدة .

٢ ـ إذا كانت العقوبات متحدة النوع ومتفارقة القدر : وقعت العقوبة الأشـــد .

٣ ـ إذا كانت العقوبات مختلفة النوع : وقعت جميعها .

٤ ـ وتجبُّ عقوبة الاعدام (القتل) حداً أو قصاصاً أو تعزيزاً كل العقوبات الأخرى .

المادة السادسة : لا يجوز الأمر بايقاف تنفيذ عقوبات الحدود المنصوص عليها فى هذا القانون ولا استبدال غيرها بها ولا تخفيضها ولا العفو عنها .

المادة السابعة : يتعين عرض الحكم الصادر من محكمة الموضوع بتوقيع عقوبة الحد على محكمة النقض وفقاً للاوضاع المقررة أمامها وذلك قبل تنفيذ عقوبة الحد . ولا ينفذ الحكم الصادر بعقوبة الحد إلا بعد الفصل في الدعوى من محكمة النقض .

المادة الثامنة : ينفذ الحكم بقطع اليد من الرسغ (ما بين مفصل الكف ومفصل الذراع) وتقطع الرجل من منتصف القدم بحيث يبقى له عقب يمشي عليه .

المادة التاسعة : لا يجوز تنفيذ عقوبة الحد إلا بعد توقيع الكشف الطبي على المحكوم عليه واستبانة انتفاء الخطورة من التنفيذ فيما عدا عقوبتي القتل والرجم ويكون تنفيذ عقوبة الجلد بسوط متوسط ذى طرف واحد وغير معقد ويجرد المحكوم عليه من الملابس التى تمنع وصول الألم إلى الجسم ويضرب ضربا معتدلا ويوزع الضرب على الجسم وتتقى المواضع المخوفة والمكرمة . وتجلد المرأة جالسة مستورة الجسم ويوزع الضرب على ظهرها وكتفيها فقط .

المادة العاشرة : يؤجل اقامة حد الرجم على الحامل حتى تضع حملها سواء كان الحمل من زنا أو غيره فاذا وضعت أجل حتى ترضعه حولين كاملين إن لم يكن له من يرضعه وإذا تكفل أحد برضاعه رجمت .

وإن كان الحد جلداً فاذا وضعت مولودها وانقطع النفاس وكانت قوية يؤمن تلفها نفذ فيها الحد وإن كانت في نفاس أو ضعيفة - يخشى تلفها لم ينفذ عليها الحد حتى تطهر وتقوى .

المادة الحادية عشر : تعتبر جناية جرائم الحدود المعاقب عليها وفقا لأحكام هذا القانون .

الباب الثاني : الأحكام الخاصة بحد السرقة

المادة الأولى : السرقة التي يقام فيها الحد تكون بأخذ مكلف بقصد التملك مقداراً معيناً من مال منقول متقوم متمول تحت يد صحيحة لا شبهة فيه من حرز مثله - سواء أكان مالا عاماً أم خاصاً بناء على طلب المجنى عليه وذلك على النحو المبين في هذا القانون .

ويشترط في المال المسروق ألا تقل قيمته عن دينار اسلامي ووزنه ٤٫٤٥٧ جراماً من الذهب الخالص .

المادة الثانية : يعاقب السارق في هذه الحالة :

١ - في المرة الأولى بقطع يده اليمنى .

٢ - في حالة العودة تقطع يده اليسرى .

٣ - وإذا تكرر العود يعاقب بالسجن حتى تظهر توبته .

المادة الثالثة : لا تطبق العقوبات المنصوص عليها في المادة السابقة في أي من الحالات الآتية :

١ – إذا حصلت السرقة من الأماكن العامة أثناء العمل فيها أو أي مكان مأذون للجاني في دخوله ما لم يكن المسروق فيها محرزاً .

٢ – إذا حصلت السرقة بين الأصول والفروع أو بين الزوجين أو بين المحارم .

٣ – إذا كان مالك المسروق مجهولا .

٤ – إذا كان الجاني دائنا لمالك المال بدين ثابت بحكم نهائي وكان المالك مما طلا وحل أجل الدين قبل السرقة وكان ما استولى عليه الجاني يساوي حقه . أو أكثر من حقه بما لا يصل إلى النصاب .

٥ – إذا كان المسروق ثماراً على الشجر أو ما يشابهها كالنبات غير المحصود وأكلها الجاني من غير أن يخرج بها .

٦ – إذا كان الجاني شريكا بالاتفاق أو التحريض أو المساعدة ما لم تصل المساعدة إلى حد اعتبار الجاني شريكا بالمباشرة .

٧ – إذا تملك الجاني المسروق بعد السرقة وقبل تنفيذ الحكم أو رده قبل الخصومة والتحقيق في الدعوى .

٨ – إذا تعددت الجناة ولم يبلغ ما أصاب الواحد منهم نصاباً ما لم يكن المسروق نصابا لا تتم سرقة إلا بتعاونهم جميعاً .

الباب الثالث : الاحكام الخاصة بحد الحرابة

المادة الاولى : تتوافر جريمة الحرابة التي يقام فيها الحد في كل من الحالتين الآتيتين :

١ – الاعتداء على مال الغير أو عرضه أو جسمه مغالبة .

٢ – قطع الطريق على الكافة ومنع المرور فيها بقصد الإضافة .

٣ – ويشترط فى كل من هاتين الحالتين استعمال السلاح أو أى أداة صالحة للايذاء الجسمانى أو التهديد بأى منهما .

المادة الثانية : ويعاقب المحارب حداً على الوجه الآتى :

١ – بالقتل إذا قتل سواء استولى على مال أو لم يستول عليه .

٢ – بقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى أو السجن إذا اعتدى على المال أو العرض أو الجسم ولم يبلغ القتل أو الزنى .

٣ – بالسجن إذا أخاف السبيل فقط .

٤ – فى حالة العود فى غير الحالة المنصوص عليها فى البند (١) تكون العقوبة بالسجن حتى يثبت صلاح حاله .

المادة الثالثة : سقوط الحد الحرابة بالتوبة :

١ – يسقط حد الحرابة بتوبة الجانى قبل القدرة عليه وذلك بترك فعل الحرابة وقيامه بابلاغ السلطات العامة قبل أن تبلغ الجريمة للسلطات عن طريق آخر .

٢ – ولا يخل سقوط الحد بالتوبة بحقوق ذوى الشأن من قصاص أو دين كما لا يخل بالعقوبات المقررة فى قانون العقوبات من الجرائم التعزيرية التى يكون المحارب قد ارتكبها .

المادة الرابعة : موانع اقامة الحد :

١ – إذا أعلن الجانى عن توبته وفقا لما ورد فى البند (١) من المادة السابقة تتولى النيابة العامة تحقيق الواقعة وبحث الشروط اللازمة لسقوط الحد.

٢ ـ فاذا كشف التحقيق عن وجود جرائم أخرى يعاقب عليها تعزيزاً أو وجود حقوق مستحقه للمجنى عليهم كقصاص أو دية أو مال مضمون أو قام الشك حول شيء من ذلك أحالت النيابة العامة الأوراق إلى المحكمة المختصة للفصل فيه .

٣ ـ إذا لم يسفر التحقيق عن شيء مما تقدم قررت النيابة العامة عدم وجود وجه لإقامة الدعوى لتوبة الجانى قبل القدرة عليه .

المادة الخامسة : ١) إلى جانب الأحكام العامة المقررة فى هذا القانون لإثبات الحدود تثبت الجريمتان المنصوص عليهما فى حدى السرقة والحرابة بأي دليل مادى قاطع .

٢ ـ ولا يعد المجنى عليه شاهداً إلا فى الحرابة إذا كان شاهداً لغيره .

٣ ـ ولا يخل سقوط الحد بحقوق ذوى الشأن .

الباب الرابع : الاحكام الخاصة بحد الزنا

المادة الأولى : ١)
١ ـ الزنا المعاقب عليه حداً هو إتيان الرجل للمرأة بغير أن تكون بينهما علاقة شرعية .
٢ ـ وتعتبر اللواطه فى حكم الزنا .

المادة الثانية : تثبت جريمة الزنا :

١ ـ بالاقرار بذلك أمام السلطة القضائية ما لم يعدل عنه قبل صدور الحكم نهائيا .

٢ ـ بشهادة أربعة رجال عدول .

ويؤخذ عند الضرورة — بشهادة غيرهم — على النحو المبين فى المادة (٣) من الباب الأول من هذا القانون .

٣ ـ شريطة ألا تكون هناك شبهة تدرأ الحد .

المادة الثالثة : ١ـ يعاقب بالإعدام رجما : المحصن الزانى رجلا كان أو امرأة .

٢ ـ ويعاقب الزانى والزانية غير المحصن بالجلد مائة جلدة لكل منهما .

الباب الخامس : الاحكام الخاصة بحد الشرب

المادة الأولى : يعتبر خمراً كل سائل مسكر سواء أسكر قليله أم كثيره .

المادة الثانية : ١) يعد جريمة تستوجب الحد : شرب الخمر وتعاطيها وحيازتها وأحرازها وصنعها والتعامل فيها وتقديمها واعطاؤها واهداؤها ويعاقب الجانى بالجلد ٤٠ جلدة .

٢ ـ ويعاقب كذلك بالجلد ٤٠ جلدة كل من وجد فى حالة سكر ظاهر فى مكان عام .

٣ ـ وتصادر المضبوطات فى جميع هذه الحالات .

الباب السادس : الأحكام الخاصة بحد القذف

المادة الاولى : ١ القذف المعاقب عليه حداً : هو الرمى بصريح الزنا أو اللواطة أو نفى النسب أو الولد .

٢ ـ وتقع جريمة القذف بالقول الصريح ـ أو بالكتابة أو بالإشارة الواضحة الدلالة وكذلك بالصورة المعبرة .

المادة الثانية : ويشترط فى المقذوف :

١ ــ أن يكون عفيفاً فى ظاهره ذكراً كان أم أنثى .

٢ ــ إمكان حدوث الفعل منه .

٣ ــ ألا يكون مقذوفا فى حد .

المادة الثالثة : يعاقب القاذف بالجلد ثمانين جلدة ولا تقبل له شهادة إلا بعد ثبوت توبته .

المادة الرابعة : يسقط حد القذف بأحد الأمور الآتية :

١ ــ إثبات القاذف صحة ما قذف به .

٢ ــ اقرار المقذوف لما قذف به .

٣ ــ اللعان .

المادة الخامسة : ١ ــ لا يقام حد القذف إلا بناء على طلب من المقذوف .

٢ ــ ولا تقبل دعوى القذف من الولد وإن نزل فى حق والده وأن علا ذكراً كان أم أنثى .

الباب السابع : الأحكام الخاصة بحد الردة

المادة الأولى : المرتد هو المسلم الراجع عن دين الإسلام سواء دخل فى غيره أم لا .

المادة الثانية : وتقع جريمة الردة :

١ ــ بقول صريح أو بفعل قاطع الدلالة في الرجوع عن الاسلام .

٢ ــ بانكار ما علم من الدين بالضرورة .

٣ - بالهزء - قولا أو فعلا - بنبي أو رسول أو ملك - أو بالقرآن الكريم.

المادة الثالثة : توبة المرتد :

١ - تتحقق توبة المرتد بالعدول عما كفر به .

٢ - ولا تقبل توبة من تكررت ردته أكثر من مرتين .

المادة الرابعة : يعاقب المرتد عن دين الإسلام - ذكرا كان أم أنثى - بالإعدام إذا كان لا يرجى استتابته - أو أمهل لمدة لا تزيد عن ستين يوما ولم يتب .

المادة الخامسة : ١ - يكون تصرف المرتد صحيحاً ونافذاً حال صدوره منه قبل ردته وتئول إليه أمواله إذا رجع إلى الإسلام .

٢ - وإذا قتل أو مات على ردته فتصرفاته حال إسلامه صحيحة ونافذة وما كسبه فلورثته المسلمين .

٣ - وتبطل تصرفاته حال ردته وتئول أمواله التى كسبها فيها لبيت المال.

* * *

جـ - قانون الأحوال الشخصية

ذلك أن حفنة من السيدات البعيدات عن الثقافة والبيئة وعن الحياه الإسلامية الكاملة درجن منذ عشرات السنين على تغيير أحكام الله الخاصة بالزواج والطلاق وبينما الغرب المسيحى فى روما قاب المسيحية الكاثوليكية راحوا يبيحون الطلاق .

بينما نجد المرأة العربية تريد أن تجعل الطلاق مقيداً أمام القاضى وبينما هى تشكو من سوء التقاضى وعدم القدرة على أن تحصل على حقها أمام القضاء تجعل تعدد الزوجات مشروطا بموافقة القاضى .

فهل الشريعة السمحة تسمح للقاضى أن يتدخل فى الحريات الشخصية التى كفلها الله بنصوص صريحة واستمر العمل عليها مئات السنين ؟

ذلك أمر يراد منه تشويه التشريع الإسلامى والأدهش من ذلك أنهم يريدون جعل ذلك التشويه باسم التشريع الإسلامى نفسه ، فانبرى العالم الجليل المرحوم الشيخ محمد أبو زهره .. أدخله الله فسيح جناته ورد على المشروع الذى أعدته وزاره الشئون الاجتماعية عام ١٩٢٤ وسوف أثبته فى ذيل هذه الصفحات.

ولكن الرد لا يكفى بل لابد من مواجهة القانون الذى أعدته الدكتورة وزيره ما للشئون الاجتماعية تعصبا لثقافتها القانونية الوضعية لا حرصا على مصلحة المرأه ولا حرصاً على أخلاقيات مصر وعاداتها لابد من مواجهة قانونها بقانون الإسلام الذى يعبر بصدق عن روح السريعة الإسلامية السمحة الغراء ... فكان هذا القانون .

قانون الأحوال الشخصية

القسم الاول — الزواج

الكتاب الاول — إنشاء الزواج

الباب الاول — مقدمات الزواج

مادة / ١ : (أ) الخطبة ليست زواجاً ، ومثلها الوعد بالزواج ، وقراءة الفاتحة ، وقبض المهر ، وقبول الهدايا .

(ب) لكل من الخاطب والمخطوبة العدول عن الخطبة .

مادة / ٢ : (أ) إذا عدل أحد الطرفين عن الخطبة فللخاطب أن يسترد المهر الذي أداه أو قيمته يوم القبض إن تعذر رد عينه .

(ب) ويعتبر من المهر الهدايا التي جرى العرف باعتبارها منه .

مادة /٣ : (أ) إذا عدل أحد الطرفين عن الخطبة بغير مقتض فلا حق له في استرداد شيء ممـا أهداه للآخر إذا لم يعتبر مهراً طبقاً للفقرة (ب) من المادة السابقة .

(ب) وإن كان العدول بمقتض فله أن يسترد ما أهداه إن كان قائمـاً ، أو قيمته يوم القبض إن كان هالكا أو مستهلكا .

(ج) وذلك كله ما لم يكن هناك شرط أو عرف .

مادة / ٤ : (أ) إذا انتهت الخطبة بعدول من الطرفين ، فان كان بسبب أحدهما أعتبر عدول الآخر بمقتض ، وإلا أسترد كل منهما ما أهداه للاخر إن كان قائماً .

(ب) وإذا إنتهت الخطبة بالوفاة أو بعارض حال دون الزواج فلايسترد شيء من الهدايا .

الباب الثانى ـ عقد الزواج

الفصل الأول ـ ركن الزواج

مادة / ٥ ينعقد الزواج بايجاب وقبول من أهليهما .

مادة / ٦ (أ) يكون الإيجاب والقبول فى الزواج مشافهة بالألفاظ التى تفيد معناها ، ولو عرفا ، بأية لغة .

(ب) ويجوز أن يكون الإيجاب من الغائب بالكتابة أبو بواسطة رسول .

(ج) فى حالة العجز عن النطق تقوم مقامه الكتابة ، فان تعذرت فالإشارة المفهمة .

الفصل الثانى ـ شرائط العقد

الفرع الأول ـ الصيغة

مادة / ٧ : يشترط فى الإيجاب والقبول :

(أ) أن يكونا منجزين غير دالين على التوقيت ، فلا يصح الزواج المعلق على شرط غير متحقق ، ولا الزواج المضاف إلى المستقبل، ولا المتعة ولاالعقد المؤقت ، ولايعتد بغير ماتضمنه العقد الرسمى من الشروط الصحيحة .

(ب) موافقة القبول للايجاب صراحة .

(ج) إتحاد مجلس العقد بين الحاضرين بالمشافهة ، وحصول القبول فور الإيجاب ، وبين الغائبين بحصول القبول فى مجلس تلاوة الكتاب أمام الشهود

أو أسماعهم مضمونة أو تبليغ الرسول ، ولا يعتبر القبول متراخيا عن الإيجاب إذا لم يفصل بينهما مايدل على الأعراض .

(د) بقاء الإيجاب صحيحاً إلى حين صدور القبول ، ويكون للموجب حق الرجوع قبل صدوره .

(ه) سماع كل من العاقدين الحاضرين كلام الآخر ، ومعرفته أن المقصود منه الزواج وإن لم يفهم معانى الألفاظ .

مادة / ٨ (أ) يشترط لصحة الزواج حضور شاهدين ، بالغين ، عاقلين ، رجلين ، أو رجل وأمرأتين ، سامعين معاً كلام المتعاقدين ، فاهمين أن المقصود به الزواج .

(ب) ويشترط إسلام الشاهدين إذا كان الزوجان مسلمين ، ويكتفى كتابيين فى زواج المسلم بالكتابية .

الفرع الثانى ــ العاقدان

المبحث الأول ــ المحرمات

مادة / ٩ يشترط لصحة الزواج ألا تكون المرأة محرمة على الرجل تحريماً مؤبداً أو مؤقتاً .

المطلب الأول ــ المحرمات على التأبيد

مادة / ١٠ : يحرم الشخص بسبب القرابة الناشئة عن عقد أو وطء بشبهة أو زنا ، ثبت النسب أو لم يثبت ، أو إنتفى باللعان :

(أ) أصوله وإن علوا .

(ب) فروعه وإن نزلوا .

(ج) فروع أبيه وإن بعدوا .

(د) الطبقة الأولى من فروع أجداده وجداته .

مادة / ١١ : يحرم على الرجل بسبب المصاهرة :

(أ) زوجة أحد أصوله وإن علوا .

(ب) زوجة أحد فروعه وإن نزلوا .

(ج) أصول زوجته وإن علون .

(د) فروع زوجته التى دخل بها دخولا حقيقياً وإن نزلن .

(هـ) فروع من دخل بها دخولا حقيقياً فى عقد باطل أو فاسد أو وطئها بشبهة أو زناً وإن نزلن ، ولايحرم فى المصاهرة بسبب الزنا سوى ما ذكر .

مادة / ١٢ : (أ) يحرم من الرضاع مايحرم من النسب ، ولاتثبت الحرمة بالرضاع إلا من قبل المرضع .

(ب) لاتثبت حرمات المصاهرة من طريق الرضاع .

مادة / ١٣ : لايثبت التحريم بالرضاع إلا إذا كان مص الرضيع من ثدى المرضع وحصل فى الحولين الأولين ، وبلغ خمس رضعات متيقنات ، والمدار فى تحديد الرضعة على العرف .

المطلب الثانى ـ المحرمات على التأقيت

مادة / ١٤ : لايصح :

(أ) زواج المسلم بمن لاتدين بدين سماوى .

(ب) زواج المسلمة بغير المسلم .

(ج) زواج المرتد أو المرتدة عن الإسلام، ولوكان الطرف الآخر غير مسلم.

(د) زواج المسلم بالكتابية الأجنبية بدون إذن .

مادة / ١٥ : لا يصح زواج الرجل بزوجة الغير أو بمعتدته .

مادة / ١٦ : لا يجوز الجمع بين أمرأتين لو فرضت كل منهما ذكراً حرمت عليه الأخرى .

مادة / ١٧ : لا يصح أن يجتمع فى عصمة الرجل أكثر من أربع زوجات ، وتعتبر المعتدة فى العصمة حتى تنتهى عدتها .

مادة / ١٨ : لا يصح أن يتزوج الرجل مطلقته ثلاثاً إلا بعد إنقضاء عدتها من زوج آخر دخل بها فعلا فى زواج صحيح .

المبحث الثانى ـ الأهلية والولاية

المطلب الأول ـ أهلية الزواج والنيابة فى عقده

مادة / ١٩ : (أ) يشترط فى أهلية الزواج البلوغ ، فيبطل زواج الصغير والصغيرة قبل البلوغ .

(ب) يمنع تزويج المجنون والمعتوه ، ذكراً كان أو أنثى ، إلا باذن من المحكمة ، والمرجع فى ثبوت الجنون والعته إلى المحكمة ، ولها أن تستعين برأى الخبراء من الأطباء .

(ج) ولا يصح زواج المكره والسكران .

مادة / ٢٠ : لا يجوز للموثق مباشرة عقد الزواج ولا المصادقة على زواج مسند إلى ماقبل الخامس من يونيه سنة ١٩٣١ مالم تكن سن الزوجة ست عشرة سنة ، وسن الزوج ثمانى عشر سنة وقت العقد ، أو التصادق عليه .

مادة / ٢١ : (أ) يجوز التوكيل فى الزواج .

(ب) ليس للوكيل أن يزوج موكلته من نفسه إلا إذا نص على ذلك فى الوكالة .

مادة / ٢٢ : (أ) زواج الفضولى متى وقع صحيحاً يتوقف على أجازة صاحب الشأن .

(ب) إذا جاوز الوكيل فى الزواج حدود وكالته كان فضولياً فيما جاوز فيه.

المطلب الثانى — الولاية فى الزواج

مادة / ٢٣ : (أ) ولاية تزويج الفتاة فيما بين البلوغ وسن الرشد المالى تكون للعصبة بالنفس حسب ترتيب الأرث ، ويقدم الجد الصحيح على الأخوة فى هذه الولاية ، فان لم توجد العصبة فالولاية للقاضى .

(ب) ويسرى حكم الفقرة السابقة على المجنون والمعتوه ، ذكراً كان أو أنثى .

(ج) ولا ولاية على البالغ العاقل فى تزويج نفسه .

مادة / ٢٤ : (أ) يشترط إجتماع رأى الولى والمولى عليها .

(ب) وإذا باشرت الفتاة العقد بعد رضا الولى نفذ العقد ، وإذا إنفرد أحدهما بالعقد قبل رضا الآخر كان موقوفاً على أجازته .

مادة / ٢٥ : الولى صاحب الحق إذا عضل المولى عليها كان لها أن ترفع الأمر إلى القاضى ليأذن أو لا يأذن بالزواج بما له من الولاية العامة .

وكذلك إذا تعدد الأولياء وعضلوا جميعاً أو إختلفوا .

مادة / ٢٦ : (أ) للولى غير المحرم أن يزوج موليته من نفسه برضاها .

(ب) يجوز أن يتولى طرفى العقد شخص واحد ليس له فضوليا من جانب أحد الزوجين وتكفى حينئذ عبارة واحدة فى الإيجاب والقبول .

مادة / ٢٧ : (أ) لمن بلغ سن الرشد سفيها أو طرأ عليه السفه ، ذكراً كان أو أنثى ، أن يزوج نفسه .

(ب) إذا كان الزواج بعد الحجر أعترض ولى المال على ما زاد أو نقص عن مهر المثل .

الفرع الثالث — الشروط

مادة /٢٨ : (أ) إذا اشترط في عقد الزواج شرط ينافي أصله بطل العقد.

(ب) إذا أشترط فيه شرط لا ينافي أصله ولكن ينافي مقتضاه أو كان محرماً شرعا بطل الشرط وصح العقد .

(جـ) إذا أشترط فيه شرط لاينافي أصله ولا مقتضاه وليس محرما شرعا صح الشرط ووجب الوفاء به وإذا أخل به من شرط عليه كان لمن شرط له حق الخيار سواء أكان من جانب الزوجة أم من جانب الزوج .

(د) والمحرم هو المتفق على تحريمه في أرجح الأقوال في المذاهب الأربعة.

(هـ) إذا اشترط أحد الزوجين في الآخر وصفاً معيناً فتبين خلافه كان للمشترط طلب فسخ الزواج .

(و) ويسقط حق الفسخ باسقاط صاحبه أو رضائه بالمخالفة صراحة أو ضمنا وبالطلاق البائن .

الفرع الرابع ـ الكفاءة

مادة /٢٩ : يشترط في لزوم الزواج أن يكون الرجل كفئاً للمرأة وقت العقد فقط . ولكل من المرأة ووليها الحق في طلب الفسخ عند فوات الكفاءة.

مادة / ٣٠ : العبرة في الكفاءة :

(أ) باسلام الزوج بنفسه ولو كان للزوجة آباء في الإسلام .

(ب) وبصلاحه ديناً ، فلا يكون الفاسق كفئاً لصالحه .

(جـ) وبتقاربه فى الحرفة مكانة ، والمرجع فى ذلك هو العرف العام .

(د) وبقدرته على الإنفاق ولو بالتكسب .

مادة / ٣١ : (أ) الكفاءة حق لكل من المرأة والولى .

(ب) الولى فى الكفاءة هو الأب ثم الجد الصحيح .

(جـ) ليس للولى حق طلب الفسخ إذا كان متصفاً بما أتصف به الزوج أو قريباً منه .

مادة / ٣٢ : يسقط الحق فى طلب الفسخ لعدم الكفاءة إذا حملت الزوجة ، أو انقضت سنة بعد العلم بالزواج ، ويسبق الرضا ممن يطلب الفسخ .

مادة / ٣٣ : ليس للولى طلب الفسخ لنقصان المهر عن مهر المثل .

الباب الثالث ـ أنواع الزواج وأحكامها

الفصل الأول ـ الأنواع

مادة / ٣٤ : (أ) الزواج صحيح وغير صحيح .

(ب) الزواج الصحيح ما توافرت أركانه وشرائطه طبقاً لأحكام هـذا القانون . وما عداه يكون غير صحيح . وهو إما فاسد أو باطل .

مادة / ٣٥ : الزواج الصحيح إما أن يكون نافذاً لازما ، أو نافذاً غير لازم ، أو غير نافذ .

مادة / ٣٦ : (أ) الزواج النافذ اللازم هو ما لا يتوقف على أجازة أحد ، ولا يقبل الفسخ طبقاً لأحكام القانون .

(ب) والزواج النافذ غير اللازم هو ما يقبل الفسخ طبقاً لأحكام القانون . وإذا طرأ على الزواج اللازم سبب يسوغ الفسخ انقلب غير لازم .

(ج) والزواج غير النافذ هو الذى ينعقد موقوفاً على أجازة العاقد أو غـــيره .

الفصل الثانى ـ الأحكام

مادة / ٣٧ : (أ) الزوج الصحيح النافذ تترتب عليه منذ انعقاده جميع آثاره المقررة فى القانون ، وإذا كان غير لازم يكون قابلا للفسخ بسبب من الأسباب المبينة فى القانون ، وذلك مع مراعاة حكم الفقرة (ب) من المادة السابقة .

(ب) والزواج الصحيح غير النافذ لا يترتب عليه قبل الأجازة والدخول شىء من آثار الزواج الصحيح ، وإذا وقع الدخول فيه قبل الأجازة أخذ حكم الزواج الفاسد بعد الدخول إذا لم يجز ، ويعتبر زواجاً صحيحاً من وقت العقد ويأخذ حكمه إذا أجيز .

مادة / ٣٨ : الزواج الباطل لا يترتب عليه شىء من آثار الزواج أصلا ، وإذا أعقبه دخول مع العلم بالحرمة وسببها كان الزنا المحض ولا يعتبر الجهل عذراً إذا كانت دعوى الجهل لا تقبل من أمثال مدعيه .

مادة / ٣٩ : يعتبر الزواج باطلا فيما يأتى :

(أ) إذا حصل خلل فى الصيغة أو فى أهلية العاقد يمنع من إنعقاد العقد .

(ب) إذا كانت الزوجة من المحارم قرابة أو رضاعاً أو مصاهرة أو كانت زوجة الغير أو معتدته ، أو مطلقة الزوج ثلاثاً ، أو لا يحل الجمع بينها وبين من يكون فى عصمته من الأزواج أو كان الزوج غير مسلم والمرأة مسلمة ، أو كان أحد الزوجين مرتداً مع العلم بالتحريم وسببه ، فلا يثبت بذلك العقد نسب ولا حرمة مصاهرة ، ولا تجب عدة ولا مهر ولا غير ذلك من أحكام الزواج .

مادة / ٤٠ : (أ) كل زواج غير صحيح سوى المبين فى المادة السابقة يعتبر فاسداً تترتب على الدخول الحقيقى فيه الأحكام الآتية :

١ - وجوب الأقل من المسمى ومهر المثل عند التسمية ، ومهر المثل عند عدمها .

٢ - ثبوت النسب ونتائجه المبينة فى هذا القانون .

٣ - وجوب العدة وتبدأ عقب المفارقة قضاء أو رضا وعقب الموت .

٤ - حرمة المصاهرة .

(ب) وإذا لم يحصل دخول حقيقى لا يترتب عليه شىء من الآثار .

الباب الرابع - آثار الزواج

الفصل الأول - المهر

مادة / ٤١ : يجب المهر للزوجة بمجرد العقد الصحيح .

مادة / ٤٢ : (أ) لا حد لأقل المهر ولا لأكثره .

(ب) يصلح مهراً كل ما كان مالا أو متقوما بمال ، عينا أو منفعة .

مادة / ٤٣ : (أ) إذا سمى فى العقد مهر تسمية صحيحة وجب المسمى .

(ب) وإذا لم يسم مهر أو سمى تسمية غير صحيحة أو نفى أصلا وجب مهر المثل .

مادة / ٤٤ : يجوز تعجيل المهر أو تأجيله كلا أو بعضاً وعند النص يتبع عرف أهل البلد .

مادة / ٤٥ : إذا أطلق التأجيل فى المهر ولم يكن عرف انصرف إلى وقت البينونة أو الوفاة .

مادة / ٤٦ : (ا) يجوز للزوج البالغ العاقل أن يزيد فى المهر حال صحته بعد العقد .

(ب) تصح الزيادة وتلزم بشرط معرفة قدرها وقبول الزوجة فى المجلس وبقاء الزوجية ولو حكما .

(جـ) تسقط الزيادة ولا تنتصف فى حالة الطلاق قبل الدخول والخلوة الصحيحة .

(د) إذا حصلت الزيادة فى مرض الموت يجري عليها حكم الوصية .

مادة / ٤٧ : (ا) يجوز للزوجة البالغة العاقلة أن تحط برضاها وفى حال صحتها عن زوجها كل المهر أو بعضه .

(ب) يشترط لصحة الحط أن يكون المهر مما يثبت فى الذمة وألا يرده الزوج.

(جـ) إذا حصل الحط فى مرض الموت يجرى عليه حكم الوصية .

مادة / ٤٨ : للاب والجد الصحيح قبض مهر البالغة ما لم تنه عن ذلك .

مادة / ٤٩ : يتأكد حق الزوجة فى جميع المهر .

(ا) بالدخول الحقيقى (ب) وبالخلوة الصحيحة .

(جـ) وبموت أحد الزوجين قبل الدخول والخلوة الصحيحة .

مادة ٥٠ : (ا) يجب للزوجة بالطلاق قبل الدخول والخلوة الصحيحة نصف مهرها المسمى فى العقد .

(ب) إذا كانت الزوجة قد وهبت للزوج نصف مهرها أو أكثر ، ولو بعد القبض لا يرجع الزوج عليها بشيء فى الطلاق قبل الدخول والخلوة الصحيحة وإن كان ما وهبته أقل من النصف رجع عليها بما يكمل النصف .

(ج) يسرى حكم الفقرتين السابقتين على المبانة بعد الدخول إذا تزوجها من بانت منه قبل انقضاء عدتها ثم طلقها قبل دخول جديد وخلوة صحيحة .

مادة/٥١ : إذا وقعت الفرقة قبل الدخول والخلوة الصحيحة فى الأحوال المبينة فى الفقرة (ب) من المادة ٤٣ وجبت للمرأة متعة بقدرها القاضى بما لا يزيد عن نصف المهر .

مادة/٥٢ : يسقط المهر أو المتعة إذا وقعت الفرقة قبل الدخول الحقيقى والخلوة الصحيحة بالعقد الصحيح بسبب من جانب الزوجة .

مادة/٥٣ : إذا تزوج الرجل فى مرض موته بأكثر من مهر المثل يجرى على الزيادة حكم الوصية .

مادة/٥٤ : (أ) إذا اختلف الزوجان فى أصل تسمية المهر بعد وجود ما يؤكده وعجز المدعى عن الإثبات قضى بالمسمى عند النكول ، وبمهر المثل عند الحلف، بشرط ألا يزيد على ما أدعته الزوجة ولا ينقص عما أدعاه الزوج.

(ب) وكذلك الحكم إذا كان الاختلاف بين أحد الزوجين وورثة الآخر.

(ج) أما إذا كان الاختلاف بين ورثة الزوجين فيقضى بالمسمى أن ثبتت التسمية وألا قضى بمهر المثل عند النكول .

(د) وإن كان الاختلاف قبل وجود ما يؤكد المهر قضى بنصف المسمى إذا ثبتت التسمية ، وبالمتعة أن لم تثبت بشرط ألا تزيد على نصف ما تدعيه الزوجة ولا تنقص عن نصف ما يدعيه الزوج .

مادة/٥٥ : (أ) إذا اختلف الزوجان فى مقدار المهر فالبينة على الزوجة، فان عجزت كان القول للزوج بيمينه ، إلا إذا أدعى ما لا يصح أن يكون مهراً لمثلها عرفا فيحكم بمهر المثل .

(ب) وكذلك الحكم عند الاختلاف بين أحد الزوجين وورثة الآخر أو بين ورثتهما .

مادة/٥٦ : إذا اشتملت وثيقة الزواج على ذكر المهر أصلا أو مقداراً كان المعمول عليه ما دون بها فى جميع حالات الاختلاف المشار اليها فى المادتين السابقتين ، وكذلك فى حالة الاختلاف فى مهر السر والعلانية .

مادة/٥٧ : (ا) تصح الكفالة بالمهر قبل الدخول وبعده ممن هو أهل للتبرع بشرط قبول الزوجة الكفالة في المجلس ولو دلالة ومنها عدم الرد .

(ب) للزوجة أن تطالب الكفيل أو الأصيل أو هما معا ، وتطالب الكفيل بكل ما يطالب به الأصيل ، ويرجع الكفيل على الزوج أن كفل باذنه .

(ج) الكفالة فى مرض موت الكفيل يجرى عليها حكم الوصية .

(د) لا تنقضى الكفالة المالية بموت المكفول له أو المكفول عنه أو الكفيل.

مادة/٥٨ : يصح تعليق الكفالة بالشرط الملائم بأن كان شرطا فى لزوم المكفول به أو امكان استيفائه أو تعذر الاستيفاء .

الفصل الثانى ـ الجهاز ومتاع البيت

مادة/٥٩ : (ا) الجهاز هو كل ما اتفق الزوجان أو جرى العرف على أعداده للزوجة وتجهيز بيت الزوجية به بمناسبة الزواج ولو بعد الزفاف للانتفاع به فى حياتهما الزوجية .

(ب) والجهاز ملك للزوجة .

مادة/٦٠ : (ا) إذا جهز أحد الأبوين ابنته من ماله وسلم الجهاز ملكته على سبيل الهبة .

(ب) إذا جهزها غير الأبوين لا يعتبر هبة إلا إذا قام دليل على قصد التبرع .

مادة/٦١ : (ا) للزوج أن ينتفع بجهاز زوجته فى حاجات حياتهما الزوجية وفقا للعرف ما دامت الزوجية قائمة وأبقت الزوجة الجهاز فى بيت الزوجية .

(ب) فيما عدا مصاغ الزوجة يكون الزوج مسئولا عن تصرفه فى أعيان الجهاز أو استهلاكها دون الهلاك والتلف بالاستعمال العادى .

مادة/٦٢ : مع مراعاة حكم المادة السابقة .

تصح الكفالة بتسليم أعيان الجهاز ، كما تصح الكفالة بضمان قيمتها ، صرح باضافتها إلى سبب الضمان أو لم يصرح .

وتسرى أحكام المادتين ٥٧ ، ٥٨ على الكفالة فى الجهاز .

مادة/٦٣ : (ا) إذا اختلف الزوجان في متاع البيت حال الزوجية أو بعد الفرقة ولا دليل لأحدهما فالقول لكل منهما بيمينه فيما يصلح له خاصة ، أما ما يصلح لهما فالقول للزوجة فيما يجهز به مثلها عادة وللزوج فيما عدا ذلك .

(ب) وكذلك الحكم إذا كان الاختلاف بين أحد الزوجين وورثة الآخر أو بين ورثتهما .

الفصل الثالث — نفقة الزوجية

الفرع الأول — أحكام نفقة الزوجية بوجه عام

مادة/٦٤ النفقة هى الغذاء والكسوة والمسكن والخدمة ومصاريف العلاج وغير ذلك مما يقضى به العرف .

مادة/٦٥ : تجب النفقة للزوجة على زوجها من حين العقد الصحيح ولو غنية أو مختلفة معه في الدين إذا سلمت نفسها إليه ولو حكما .

مادة/٦٦ : (ا) إذا مرضت الزوجة قبل الزفاف ولم تمتنع منه أو مرضت

بعده ، أو زفت وهي مريضة وقبل الزوج ذلك أوخرجت من بيته بعد المرض ولم تستطع العودة استحقت النفقة .

(ب) وهذا هو حكم المجنونة .

مادة/٦٧ : لا تجب النفقة للزوجة إذا امتنعت مختارة عن تسليم نفسها بدون حق أو اضطرت إلى ذلك بسبب ليس من قبل الزوج ، وذلك بدون اخلال بأحكام المادة السابقة .

فلا تستحق النفقة إذا حبست ولو بغير حكم ، أو اعتقلت ، أو غصبت أو ارتدت ، أو منعها أولياؤها ، أو كانت في حال لا يمكن الانتفاع بها كزوجة .

مادة/ ٦٨ : إذا أعسر الزوج وطلبت زوجته التفريق لأعساره وفرق بينهما فلا تستحق النفقة .

مادة/٧٠ : (ا) تقدر نفقة الزوجة بحسب حال الزوج وقت فرضها يسراً وعسراً مهما كانت حال الزوجة ، على ألا تقل في حالة العسر عن حد الكفاية .

(ب) وللقاضي - للوصول إلى الحقيقة - أن يرجع إلى رأى الخبراء بالطريقة التي يراها .

مادة / ٧١ : (أ) تجوز زيادة النفقة ونقصها بتبدل حال الزوج أو أسعار البلد .

(ب) من التبدل ظهور ما لم يكن ظاهرا من حال الزوج عند الفرض بالقضاء أو التراضي .

مادة/٧٢ : (ا) تعتبر نفقة الزوجة من تاريخ الامتناع عن الانفاق مع

وجوبه دينا على الزوج بلا توقف على القضاء أو التراضى ولا تسقط إلا بالأداء أو الابراء .

(ب) ولا تسمع الدعوى بها عن مدة ماضية تزيد على سنة شمسية نهايتها تاريخ رفع الدعوى ما لم تكن مفروضة بالتراضى .

(ج) ولا يثبت التراضى بشهادة الشهود وحدها .

مادة ٧٣ : (أ) إذا تعذر على الزوجة الحصول على نفقتها من الزوج بسبب الاعسار أو غيره وكان لها مال تمكن النفقة منه قدر لها القاضى نفقة الكفاية وأذنها بأن تنفق على نفسها ليكون دينا على الزوج .

(ب) فان لم يكن لها مال وجب على من تجب نفقتها عليه عند عدم الزوج اعطاؤها نفقة الكفاية المقدرة ويكون له حق الرجوع على الزوج .

(ج) فرض النفقة للزوجة بالقضاء أو التراضى يبيح لها حق الاقتراض ممن تشاء عند الحاجة ويكون للمقرض حق الرجوع على الزوج .

مادة/ ٧٤ : تقدم نفقة الزوجة على غيرها إذا لم يتسع مال الزوج لأكثر من نفقتها .

مادة/٧٥ : (أ) يجوز للقاضى فى حالة التسليم بسبب استحقاق النفقة وشروطه أن يفرض للزوجة نفقة مؤقتة إلى أن يحكم بالنفقة نهائيا .

(ب) ويكون هذا الفرض واجب النفاذ فوراً .

(ج) وللزوج أن يحط قدر ما أداه من النفقة المؤقتة مما يحكم به عليه نهائيا .

مادة/٧٦ : إذا طلبت الزوجة احتساب دين نفقتها مما عليها لزوجها أجيبت إلى طلبها ولو لم يرض .

مادة/٧٧ إذا طلب الزوج الاحتساب بين نفقة الزوجة ودين عليها لايجاب إلى طلبه فى المقدار الذى يفى بنفقتها من المفروض دون ضرر إذا كانت فقيرة ولو كان كل المفروض .

مادة / ٧٨ : لا تسرى أحكام المادة السابقة على دين النفقة الماضية .

مادة / ٧٩ : (أ) تصح الكفالة بنفقة الزوجية الماضية ، ولا يطالب الكفيل قضاء إلا بما يطالب به الأصيل .

(ب) وتصح كذلك بالنفقة الحاضرة والمستقبلة فرضت بالتقاضى أو بالتراضى أو لم تفرض .

(ج) تبقى الكفالة ما بقيت الزوجية وآثارها ولو لم ينص فى صيغتها على التأبيد صراحة إذا كان فيها ما يدل عليه .

(د) لا تتناول الكفالة بنفقة الزوجية المنقضية نفقتهافى زواج جديد .

مادة / ٨٠ : تسرى أحكام المادتين ٥٧ ، ٥٨ على الكفالة بالنفقة .

الفرع الثانى — أحكام المسكن والطاعة

مادة / ٨١ : (أ) على الزوج إسكان زوجته فى مسكن أمثاله .

(ب) وعلى الزوجة بعد قبض معجل صداقها أن تسكن مع زوجها فيه متى طلبها ما لم تكن قد أشترطت عليه فى العقد ألا يخرجها من منزلها الذى تقيم فيه .

(ج) وإذا أشترطت عليه ذلك فليس لها أن تمنعه من السكنى معها فيه أو الدخول عليها .

مادة / ٨٢ : (أ) ليس للزوج أن يسكن مع زوجته ضرة لها فى مسكن واحد بغير رضاها .

(ب) ويعتبر فى استقلال المسكن حال الزوج وعرف البلد وعدم مضارة الزوجة .

مادة : ٨٣ : للزوج أن يسكن مع زوجته .

(أ) أولاده الصغار غير المميزين .

(ب) أولاده من غيرها ذكوراً وإناثاً ولو كانوا بالغين ، وأبويه ، ومحارمه من النساء ، بشرط أن يكون إسكانهم واجباً عليه شرعاً ، وأن يتسع المسكن لسكناهم ، وألا يلحق الزوجة من ذلك ضرر .

مادة / ٨٤ : (أ) إذا أمتنعت الزوجة عن طاعة زوجها فى منزل الزوجية بغير حق ، أو منعته من الدخول عليها فى منزلها الذى يسكنان فيه ولم يكن قد أبى نقلها منه سقط حقها فى النفقة مدة الامتناع ، سواء أكانت محكوماً عليها بالطاعة أم لا .

(ب) ويعتبر إمتناعها بحق إذا لم يدفع الزوج معجل المهر ، أو لم يهيء لها المسكن الشرعى الذى تأمن فيه على نفسها ومالها ، أو لم يكن أميناً عليها فى ذلك .

(ج) وكذلك إذا خرجت من بيت الزوجية المحكوم عليها بالطاعة فيه بسبب امتناعه عن الإنفاق عليها ولم تستطع تنفيذ حكم نفقتها لعدم وجود مال ظاهر له .

مادة / ٨٥ : (أ) لا يجوز بحال من الأحوال تنفيذ حكم الطاعة على الزوجة جبراً عن طريق الشرطة .

(ب) ويترتب على امتناعها عن تنفيذ الحكم بدون حق سقوط حقها فى النفقة مدة هذا الامتناع ، كما يعتبر مضارة للزوج تجيز له طلب التفريق .

مادة / ٨٦ : (أ) يجوز للزوجة أن تخرج من البيت وإن لم تؤذن به فى الأحوال التى يباح لها الخروج فيها بحكم الشرع أو العرف أو بمقتضى الضرورة ولا يعتبر ذلك منها إخلالا بالطاعة الواجبة .

(ب) كذلك لا يعتبر إخلالا بالطاعة خروجها للعمل إذا اشترطت ذلك في العقد مالم يطرأ ما يجعل تنفيذ الشرط منافياً لمصلحة الأسرة .

مادة / ٨٧ : مع مراعاة أحكام المـادة (٨٤) على الزوجة أن تسافر مع زوجها للاقامة إلا إذا اشترطت في العقد غير ذلك أو وجدت المحكمة مانعاً من هذا السفر .

مادة / ٨٨ : للزوجة أن تسافر مع محرم لأداء فريضة الحج ولو بدون إذن زوجها وتستمر لها نفقة الحضر مدة السفر .

الباب الخامس — (دعوى الزوجية)

١ — السـماع

مادة / ٨٩ : لا تسمع عند الإنكار دعوى الزوجة أو الإقرار بها بعد وفاة أحد الزوجين في الحوادث السابقة على سنة ١٩١١ أفرنكية ، سواء أكانت مقامة من أحد الزوجين أم من غيره إلا إذا كانت مؤيدة بأوراق خالية من شبه التزوير تدل على صحتها ، ومع ذلك يجوز سماع دعوى الزوجية أو الإقرار بها المقامة من أحد الزوجين في الحوداث السابقة على سنة ألف وثمانمـائة وسبع وتسعين فقط بشهادة الشهود ، وبشرط أن تـكون الزوجية معروفة بالشهرة للعامة .

ولا يجوز سماع دعوى ما ذكر كله من أحد الزوجين أو من غيره في الحوادث الواقعة من سنة ألف وتسعمائة وإحـدى عشرة الأفرنكية إلا إذا كانت بأوراق رسمية أو مكتوبة كلها بخط المتوفى وعليها إمضاؤه كذلك .

(ب) ولا تسمع عند الإنكار دعوى الزوجية أو الإقرار بها إلا إذا كانت ثابتة بوثيقة زواج رسمية في الحوادث الواقعة من أول أغسطس سنة ١٩٣١ م .

ويستثنى مما ذكر دعوى الزوجية أو الإقرار بها إذا كانت سبباً لدعوى نسب مستقل أو مقصود به الوصول إلى حق آخر .

ويكون الحكم بالنسب في ذلك حكما بالزوجية تبعاً .

وكذلك دعوى الزوجية حسبة والشهادة عليها .

ولا عبرة بالإنكار إذا سبقه إقرار بالزوجية في أوراق رسمية أو عرفية ومصدق على توقيع الشخص عليها ، أو مكتوبة كلها بخطه وعليها إمضاؤه كذلك ، فتكون حالة إقرار لا تحتاج إلى مسوغ .

(ج) ولا تسمع دعوى الزوجية إذ كانت سن الزوجة تقل عن ست عشرة سنة أو سن الزوج تقل عن ثماني عشرة سنة هجرية وقت رفع الدعوى .

٢ ـ الأهليـــة

مادة / ٩٠ : متى كانت دعوى الزوجية مسموعة لأحكام هذا القانون يكون أهلا لها ولجميع الآثار المترتبة عليها كل بالغ عاقل مدعياً كان أو مدعى عليه .

٣ ـ الخصم فيها

مادة / ٩١ : (أ) يكون خصماً في نزاع الزوجية كل من يدعيها بالأصالة أو الوكالة أو الولاية بطريق الحسبة ولو من النيابة العامة . وكذلك كل من يتوقف حقه على إثباتها .

(ب) على من يدعى الزوجية حسبة أن يقدم دعواه للنيابة لتتحرى وتأذن أو تأذن برفع الدعوى ، وله حق التظلم من قرار الرفض بالطرق المقررة .

مادة / ٩٢ : (أ) ترفع الدعوى على الزوجة وحدها ولو كان الزواج قد تم برضا الولى .

(ب) ومع ذلك إذا كان الزوجان متصادقين على الزواج وكان مما يشترط فيه رضا الولي وجب اختصامه أيضاً .

(ب) ولا يشترط لصحة الدعوى ذكر اسم الولى أو رضاه .

مادة / ٩٣ : إذا أدعيت الزوجيـــة على ذات زوج ظاهر وجب اختصامهما معا .

٤ ـ التناقض فيها

مادة ٩٤ : (أ) لا تصح دعوى الزوجية إذا سبق من المدعى ما يناقضها تناقضاً مستحكماً .

(ب) يرتفع التناقض بالتوفيق الفعلي ، وبتصـــديق الخصـم ، وبتكذيب القضاء .

(ج) الخفاء إنما يكون في الواقع ، ويغتفر التناقض كانت الواقعة مظنة الجهل .

(د) من أقر بحرمة الرضاع ثم ادعى الزوجية يغتفر هذا التناقض إذا لم يثبت على الاقرار بأن رجع عنه قبل الدعوى .

٥ ـ إثباتها

مادة / ٩٥ : تثبت دعوى الزوجية استقلالا أو سبباً لحق آخر ، وكذا دعوى الإقرار بها ، بالإقرار الصحيح شرعا مالم يمس حق الغير .

مادة / ٩٦ : تثبت دعوى الزوجية والاقرار بها على الوجه المذكور بالبينة الشرعية ولو كان الشاهد أصلا أو فرعاً للمشهود له ، بشرط اكتمال النصاب رجلين أو رجل وامرأتين وعدم اتهام الشاهد في شهادته .

مادة / ٩٧ : (أ) لا تقبل الشهادة بالزوجية إذا فسر الشاهد أنه يشهد بالتسامع مالم يتبين من كلامه أنه يريد الشهرة ، وعلى القاضي أن يثبت من حقيقة هذه الشهرة إذا قررها الشاهد أو فهمت من كلامه .

(ب) ولا تقبل الشهادة بالتسامع على الإقرار بالزواج والآثار المترتبة عليه .

مادة / ٩٨ : يعتبر شاهداً بالتسامع من لم يعاصر ما يشهد به ، أو لم يكن أهلا لتحمل الشهادة عند وقوعه ، وإن لم يفسر .

مادة / ٩٩ : لا تقبل الشهادة على الشهادة فى إثبات الزوجية أو الإقرار بها أو الآثار المترتبة عليها .

مادة / ١٠٠ : (أ) إذا ادعى رجلان زواج امرأة حية وأقام كل منهما بينة ولم يوجد مرجح من سبق تاريخ أو قيام يد ، أو دخول ، أو تصديق من المرأة ، سقطت البينتان ولا يحلف أحد منهما ولا يحكم لواحد منهما بشىء .

(ب) فان كانت المرأة ميتة حكم لهما بالزوجية معا ووجب على كل منهما نصف المهر وورثا منهما ميراث زوج واحد وتثبت نسب مولودها منهما بشروطه .

مادة / ١٠١ : (أ) توجه اليمين على دعوى الزوجية عند العجز عن إثباتها ولو لم يطلبها الخصم ويحكم بمقضى الحلف أو النكول :

(ب) يكون تحليف أحد الزوجين على البتات وتحليف غيرهما على الحاصل بالسبب .

(ج) فى حالة الإدعاء على امرأة متزوجة يحلف الزوج والمرأة ويبدأ بتحليف الزوج على العلم ، فان حلف رفضت الدعوى وأن نكل تحلف المرأة على البتات ، فان نكلت حكم بزوجيتها للمدعى .

(د) إذا انتهت دعوى الزوجية بتحليف من يجب تحليفه حرم على مدعيها ما يحرم عليه بالمصاهرة من أقارب الآخر .

مادة / ١٠٢ : الحكم الصادر في دعوى الزوجية ليس له حجية إلا على من كان خصماً فيها .

الباب الثاني ـ فرع الزواج

أحكام عامة

مادة / ١٠٣ : ينتهي عقد الزواج بالطلاق أو الفسخ أو الوفاة .

الباب الأول ـ الطلاق

مادة / ١٠٤ : (أ) الطلاق نوعان : رجعي وبائن .

(ب) الطلاق الرجعي لا ينهي الزوجية إلا بانقضاء العدة .

(جـ) والطلاق البائن ينهي الزوجية حين وقوعه .

مادة / ١٠٥ : لا يقع الطلاق إلا من الزوج أو ممن يملكه الزوج إيقاعه.

مادة / ١٠٦ : (أ) يقع الطلاق ممن يملك إيقاعه بالألفاظ الصريحة فيه عرفا ، ولا يقع بألفاظ الكناية إلا إذا نوى المتكلم بها الطلاق ، ولا تثبت النية إلا باعترافه .

(ب) ويقع من العاجز عن الكلام بالكتابة التي يقصد بها إيقاعه .

(جـ) ويقع من العاجز عن الكلام والكتابة باشارته المفهمة .

مادة / ١٠٧ : (أ) لا يقع الطلاق إلا إذا كان منجزاً، ولم يكن يميناً.

(ب) ويعتبر من قبيل التنجيز الطلاق على مال أن أخذ صورة التعليق على القبول أو على عمل في المجلس ، وكذلك إذا كان المعلق عليه أمراً واقعاً متعلقاً بالمال كقوله : إن صحت براءتك .

مادة / ١٠٨ : يشترط لوقوع الطلاق من الزوج أن يكون عاقلا ، بالغاً ، مختاراً ، قاصداً إلى اللفظ الذي يقع به الطلاق ، واعياً ما يقول .

فلا يقع طلاق المجنون ، والمعتوه ، وغير البالغ ، والمكره ، والمخطىء والسكران والمدهوش ، والغضبان إذا أخرجه الغضب عن عادته وصار كالمكره بغضبه على الطلاق وإن كان لا خلل فى أقواله ، والقول فى ذلك للزوج .

مادة / ١٠٩ : يشترط لوقوع الطلاق على الزوجة أن تكون فى زواج صحيح ، وغير معتدة .

مادة / ١١٠ : (أ) يقع الطلاق ممن بيده العصمة فى غيبة الطرف الآخر ، لكن لا يترتب عليه آثاره إلا من تاريخ علم الطرف الآخر به

(ب) يثبت العلم بكافة طرق الإثبات ، ومنها : القرائن ، وأخبار الواحد العدل .

مادة / ١١١ : لا يقع الطلاق إلا بحضور شاهدين رجلين أو رجل وامرأتين .

مادة / ١١٢ : فى حالة عدم اتفاق الزوجين على الطلاق لا يوثق إلا إذا قدم المشهد ما يدل على التحكيم المبين بالمادة ٢٤١ من هذا القانون قد وقع ، وعلى عدم نجاحه فى الإصلاح بينهما . ولا يعتبر التوثيق شرطاً لوقوع الطلاق.

مادة / ١١٣ : (أ) للزوج أن يوكل غيره بالطلاق ، ولا يملك الوكيل أن يوكل غيره إلا بأذنه .

(ب) إذا عزل الموكل الوكيل انتهت الوكالة وإن لم يعلم الوكيل .

مادة /١١٤ : (أ) للزوج أن يجعل الطلاق لزوجته إما بتخييرها أوجعل أمرها بيدها أو بتفويضه لمشيئتها .

ولا يملك الزوج الرجوع عن ذلك بعد إيجابه قبل جواب الزوجة ، ولا عزلها منه .

(ب) وتملك الزوجة به طلاق نفسها مقتصراً على مجلسه أو مجلس العلم به ،

إلا إذا كانت عبارته تفيد الأوقات أو التقييد بوقت معين ، وإذا لم تعلم بذلك إلا بعد فوات الوقت المعين بطل .

مادة / ١١٥ : (أ) يملك الزوج على زوجته ثلاث طلقات .

(ب) زواج المطلقة بزوج آخر يهدم بالدخول طلقات الزوج السابق ، ولو كانت دون الثلاث ، فاذا عادت إلى الزوج السابق ملك عليها ثلاث طلقات جديدة .

مادة / ١١٦ : الطلاق المقترن بعدد لفظاً أو إشارة لا يقع إلا واحدة . وكذلك المتتابع أو المتعدد فى مجلس واحد .

مادة / ١١٧ : كل طلاق رجعياً إلا الطلاق قبل الدخول ، والطلاق على مال ، والطلاق المكمل للثلاث وما نص على كونه بائناً فى القانون .

الباب الثانى — التطليق

الفصل الأول — التطليق لعدم الإنفاق

مادة / ١١٨ : (أ) إذا أمتنع الزوج الحاضر عن الإنفاق على زوجته ، ولم يكن له مال يمكن التينفيذ فيه بالنفقة الواجبة فى المدة العادية بالطريق المعتادة جاز لزوجته طلب التطليق .

(ب) فان قال أنه معسر ولم يثبت إعساره طلق عليه القاضى فى الحال ، وكذلك إن لم يقل إنه موسر أو معسر ، أو قال أنه موسر ، وأصر على عدم الإتفاق ، وإن ثبت أعساره أمهله القاضى مدة لا تزيد على شهر فان لم ينفق طلق عليه القاضى .

مادة / ١١٩ : (أ) إذا كان الزوج غائباً فى مكان معلوم .

فان كان له مال ظاهر نفذ عليه الحكم بالنفقة فى ماله .

وإن لم يكن له مال ظاهر أعذر إليه القاضى وأمهله مدة مناسبة مضافاً إليها مواعيد المسافة المقررة ، فان لم ينفق ولم يحضر النفقة طلق عليه القاضى بعد مضى المدة ، ويسرى هذا الحكم على المحبوس .

(ب) وإن كان غائباً فى مكان مجهول ، أو لا يسهل الوصول إليه ، أو كان مفقوداً ، وثبت أنه لا مال له يمكن أخذ النفقة منه ، طلق عليه القاضى .

مادة ١٢٠ : (أ) للزوج أن يتوقى التطليق بتعجيل النفقة الواجبة عن شهر مقبل .

(ب) فان تكرر دفع النفقة فى هذه الدعاوى ثلاث مرات على الأقل أعتبر ذلك مضارة توجب التفريق للضرر إذا طلبته الزوجة .

مادة / ١٢١ : (أ) تطليق القاضى لعدم الإنفاق يقع رجعياً .

(ب) وللزوج أن يراجع زوجته فى العدة إذا ثبت يساره ، واستعد للانفاق ودفع النفقة التى كان التطليق بسبب الامتناع عن أدائها وإلا كانت الرجعة غير صحيحة .

الفصل الثانى — التطليق للايلاء

مادة / ١٢٢ : (أ) إذا حلف الزوج على أن يترك مباشرة زوجته مدة أربعة أشهر فأكثر ، أو دون تحديد مدة ، واستمر ممتنعاً حتى مضت أربعة أشهر قمرية ، طلقها عليه القاضى طلقة رجعية بطلبها .

(ب) إذا أستعد الزوج للفىء قبل التطليق أجله القاضى مدة مناسبة فان لم يفىء طلق عليه .

(جـ) للمولى أن يراجع زوجته فى العـدة ، ولا تصح الرجعة إلا بالفىء فعلا .

مادة / ١٢٣ : (أ) إذا أدعى أحد الزوجين إضرار الآخر به بما لا يستطاع معه دوام العشرة بين أمثالهما قبل الدخول أو بعده ، يجوز له أن يطلب من المحكمة التطليق ، وتبذل المحكمة في جلسة سرية ، وسعها للاصلاح بينهما .

(ب) فاذا تعذر الإصلاح عينت المحكمة حكمين للتوفيق أو كشف الحال ، وحلفت كلا منهما اليمين على أن يقوم بمهمته بعدل وأمانة .

مادة / ١٢٤ : يشترط في الحكمين أن يكونا عدلين من أهل الزوجين إن أمكن وإلا فمن غيرهم ممن لهم خبرة بحالها وقدرة على الإصلاح بينهما .

مادة / ١٢٥ : (أ) يشتمل قرار تعيين الحكمين على تاريخ بدء وانتهاء مأموريتهما وتخطر المحكمة الحكمين والخصوم بذلك .

(ب) يجوز للمحكمة أن تعطى الحكمين مهلة أخرى مرة واحدة ، فان لم يقدما تقريرها اعتبرتهما غير متفقين .

(ج) لا يؤثر في سير عمل الحكمين امتناع أحد الزوجين عن حضور مجلس التحكيم متى تم إخطاره .

مادة /١٢٦ : (أ) على الحكمين أن يتعرفا على أسباب الشقاق بين الزوجين ويبذلا جهدهما في الإصلاح بينهما على أية طريقة ممكنة .

(ب) وإذا عجزا عن الإصلاح :

١ — فان كانت الإساءة كلها من جانب الزوج ، والزوجة هي طالبة التفريق ، أو كان كل منهما طالبا ، أقترح الحكمان التفريق بطلقة بائنة وإلزام الزوج بجميع حقوق الزوجية المترتبة على الزواج والطلاق .

أما إذا كان الزوج هو طالب التفريق إقترحا رفض الدعوى .

٢ ـ وإذا كانت الإساءة كلها من جانب الزوجة إقترحا التفريق نظير بدل مناسب يقدرانه تدفعه الزوجة .

٣ ـ وإذا كانت الإساءة مشتركة إقترحا التفريق دون بدل أو ببدل يتناسب مع نسبة الإساءة .

٤ ـ وإن جهل الحال فلم يعرف المسيء منهما ، فان كان الزوج هو الطالب إقترحا رفض دعواه ، وإن كانت الزوجة هى الطالبة أو كان كل منهما طالباً التفريق إقترح الحكمان تفريقاً دون بدل .

مادة / ١٢٧ : (أ) على الحكمين أن يرفعا تقريرهما إلى المحكمة مشتملا على الأسباب التى بنى عليها .

(ب) إذ إتفق الحكمان على رأى أخذت به المحكمة ، وإن لم يتفقا أو لم يقدما التقرير فى الميعاد المحدد سارت فى إجراءات الإثبات .

مادة / ١٢٨ : (ا) يثبت الضرر بشهادة رجلين أو رجل وأمرأتين . ولا يثبت بشهادة النساء منفردات .

(ب) تقبل الشهادة بالتسامع إذا فسر الشاهد أو فهم من كلامه أنه يريد الشهرة.

(ج) المراد بالشهرة ، الشهرة فى محيط حياة الزوجين حسبما تقدره المحكمة.

(د) ولا تقبل الشهادة بالتسامع على نفى الضرر .

(ه) تقبل شهادة الشاهد مهما كانت درجة قرابته أو صلته بالمشهود له متى توافرت فيه شروط الشهاده شرعا .

ماده / ١٢٩ : إذا كان الضرر المدعى سببه ألعنة المبتدأه أو الطارئة ، ولم يتيسر الإصلاح بين الزوجين بالتحكيم قبل رفع الدعوى أو بعدها ، ولم يقترح

الحكمان التفريق بينهما أتبعت المحكمة فى اثباتها بنوعيها طرق الإثبات المعتبرة شرعاً ومن بينها الإستعانة بأهل الخبرة والإمهال لمدة لاتجاوز العام .

الفصل الرابع — التطليق لغيبة الزوج أو لحبسه

ماده / ١٣٠ . (أ) اذا غاب الزوج سنة شمسية فأكثر بلا عذر مقبول جاز لزوجته أن تطلب الى المحكمة تطليقها بائنا إذا تضررت من غيبته ، ولو كان له مال تستطيع الإنفاق منه .

(ب) أن أمكن وصول الرسائل الى الغائب ضربت له المحكمة أجلا وأعذرت اليه بأنها تطلقها عليه أن لم يحضر للاقامة معها أو ينقلها اليه أو يطلقها ، فاذا أنقضى الأجل ولم يفعل ولم يبد عذراً مقبولا ، فرقت المحكمة بينهما بتطليقة بائنة .

(ج) وان لم يمكن وصول الرسائل اليه فرقت المحكمة بينهما بلا أعذار ولاضرب أجل .

مادة / ١٣١ : (أ) لزوجة المحبوس المحكوم عليه نهائياً بعقوبة مقيدة للحرية مدة ثلاث سنين فأكثر أن تطلب الي المحكمة ، بعد مضى سنة شمسية من حبسه التطليق عليه بائنا . ولو كان له مال تستطيع الإنفاق منه .

(ب) واذا كانت الزوجة محبوسة أيضاً فخرجت هى دونه ، جاز لها طلب التفريق بعد مضي سنة على خروجها .

مادة / ١٣٢ : الأسير والمعتقل كالغائب بعذر لايجوز لزوجة كل منهما طلب التفريق .

الباب الثالث — الفسخ

الفصل الأول — أحكام عامة

مادة / ١٣٣ : (أ) فسخ الزواج هو رفع عقده باتفاق الزوجين ، أو حيث لايكون العقد لازما ، أو حيث يمنع الشرع إستمرار الزوجية .

(ب) لاينقص الفسخ شيئاً من عدد الطلقات التى يملكها الزوج .

مادة / ١٣٤ : (أ) فسخ الزواج بغير إتفاق فى جميع الأحوال يتوقف على قضاء القاضى ، ولايثبت له حكم قبل القضاء .

(ب) ولكن إذا كان سبب الفسخ من الأسباب الطارئة التى تجعل المرأه غير حل للرجل شرعاً إمتنعت المعاشرة الزوجية، ووجبت الحيلولة بين الزوجين فى الفتره التى بين وجود موجب الفسخ و بين قضاء القاضى به .

مادة / ١٣٥ : فسخ الزواج قبل الدخول يسقط المهر ، وفسخه بعد الدخول بغير اتفاق يوجب للمرأة المهر المسمى أو مهر المثل عند عدم التسمية .

الفصل الثانى — الخلع

مادة / ١٣٦ : (أ) للزوجين أن يفسخا عقد الزواج بتراضيهما بالخلع اذا توافرت فيهما شروط إيقاع الطلاق والمعارضة .

(ب) ولايملك هذا الخلع ألا الزوجان بأنفسهما أو بوكلائهما .

مادة / ١٣٧ : (أ) يكون الخلع بايجاب من أحد الزوجين وقبول من من الآخر بكل لفظ يدل عليه دلالة قاطعة أو راجحه رجحانا بينا .

(ب) ويشترط إتحاد مجلس العقد على الوجه المبين بالمادة السابعة من القانون ، وللزوج حق الرجوع قبل صدور القبول .

مادة / ١٣٨ : (أ) لابد فى الخلع من بدل صحيح من جانب الزوجة .

(ب) ويكون بدلا صحيحا كل ما كان مالا أو مقوما بمال من الأعيان والمنافع .

(ج) ولاحد لأقل البدل ولا لأكثره .

مادة / ١٣٩ : (أ) إذا صح البدل وجب الوفاء به وإن لم يصح بطل الخلع ولا طلاق .

(ب) إذا نفى البدل أو لم يذكر أصلا أو إنتفى شرط من الشروط الأصلية تطبق أحكام الطلاق .

مادة / ١٤٠ : متى صح الخلع إنتهت به الزوجية دون أن يقع طلاق .

ولا يسقط به شيء من حقوق الزوجية سوى ما ورد عليه التفاسخ .

مادة / ١٤١ : تجب على المختلعة عدة كعدة المطلقات ، ولا يلحقها طلاق في أثناء العدة وليس للمخالع رجعة عليها .

ماده / ١٤٢ : (أ) اذا خالعها على أجرة أرضاع ولدها أو حضانته في مدتهما أو على الإنفاق عليه مدة معلومة وجب عليها الوفاء بما التزمت ، فان لم توف كان للأب أن يرجع عليها بما يعادل نفقة الولد أو أجرة أرضاعه أو حضانته .

(ب) واذا ماتت هى أو مات الولد خلال المده المبينة رجع الأب بما يخص المدة الباقية فى مال الأم أو تركتها ما لم يشترط خلاف ذلك .

(ج) واذا كانت الأم معسره يجبر الأب على نفقة الولد ، وتكون دينا له على الأم .

ماده / ١٤٣ : يصح خلع المريضة مرض الموت ، ويعتبر البدل عند عدم أجازه الورثة من ثلث مالها ، فان ماتت وهى فى العدة فلمخالعها الأقل من ميراثه ومن بدل الخلع ومن ثلث المال .

واذا ماتت بعد انقضاء العدة فله الأقل من البدل ومن ثلث المال وان برئت من مرضها أو أجاز الورثة فله جميع البدل المسمى .

مادة / ١٤٤ : لكل من الزوجين أن يطلب التفريق إذا وجد بالآخر عيباً مستحكما لا يمكن البرء منه أو يمكن بعد زمن طويل ولا يمكن المقام معه ألا بضرر كالجنون والجذام والبرص ، سواء أكان ذلك العيب قائماً قبل العقد ولم يعلم به الطالب أم حدث بعد العقد ولم يرض به .

فان تم الزواج وهو عالم بالعيب ، أو حدث العيب بعد العقد ورضى به صراحة أو دلالة بعد العلم ، فلا يجوز له أن يطلب التفريق .

مادة / ١٤٥ : التفريق للعيب فسخ .

مادة / ١٤٦ : يستعان بأهل الخبرة في العيوب التي يطلب فسخ الزواج من أجلها .

الفصل الرابع — الفسخ لاختلاف الديانة

مادة / ١٤٧ : (أ) إذا كان الزوجان غير مسلمين فأسلما معاً فالزواج بينهما باق .

(ب) وإذا أسلم الزوج وحده :

١ — فأن كانت الزوجة كتابية فالزواج باق .

٢ — وإن كانت غير كتابية عرض عليها الإسلام ، فان أسلمت أو أعتنقت دينا سماويا بقي الزواج ، وأن أبت فسخت المحكمة الزواج .

(ج) وإذا أسلمت الزوجة وحدها يعرض الإسلام على الزوج إن كان أهلا له ، فان أسلم بقي الزواج ، وإن أبى فسخت المحكمة الزواج .

وإن كان غير أهل للعرض لجنونه عرض الإسلام على أبويه لا بطريق

الألزام ، فان أسلما معاً أو أسلم أحدهما أعتبر الزوج مسلماً وبقى الزواج ، وإلا فسخت المحكمة الزواج . وإن لم يكن له أبوان فسخت المحكمة الزواج فى مواجهة الولى على ماله إن كان ، وإلا ففى مواجهة وصى خصومه يعين لذلك .

مادة / ١٤٨ : (أ) فى جميع الأحوال التى تبقى فيها الزوجية يشترط ألا يكون بين الزوجين سبب من أسباب التحريم المبينة فى هذا القانون . وألا فسخت المحكمة الزواج وفرقت بينهما إن لم يفترقا . ولا يلزم لبقاء الزوجية إذا كانت الزوجة أجنبية إذا كانت الزوجة أجنبية صدور الأذن المنصوص عليه فى المادة الرابعة عشرة فقرة (د) من هذا القانون .

(ب) وفى جميع الأحوال التى يجب فيها فسخ الزواج تكون الزوجة باقية حتى يصدر حكم الفسخ .

(ج) وفى جميع الأحوال التى يسلم فيها الزوجان أو أحدهما يراعى حكم المادتين ٢٣٧ ، ٢٣٨ من هذا القانون .

مادة / ١٤٩ : (١) ردة الزوج تترتب عليها الفرقة بينه وبين زوجته ، ولكن لاتتقرر ألا بانقضاء عدتها ، فلا يقضى بفسخ زواجهما إلا بعد إنقضاء العدة .

(ب) أما ردة الزوجة فلا توجب فسخ الزواج .

(ج) يراعى فى إعتبار الردة حكم المادتين ٢٣٩ ، ٢٤٠ من هذا القانون .

الفصل الخامس — المفقود

مادة / ١٥٠ : يحكم بموت المفقود الذى يغلب عليه الهلاك بعد أربع سنوات من تاريخ فقده ، على أنه بالنسبة لمن فقد من أفراد القوات المسلحة أثناء العمليات الحربية يصدر وزير الحربية قراراً باعتباره ميتاً بعد مضى الأربع سنوات ، ويقوم هذا القرار مقام الحكم .

مادة ١٥١ : بعد الحكم بموت المفقود أو صدور قرار وزير الحربية باعتباره ميتاً على الوجه المبين بالمادة السابقة تعتد زوجته عدة الوفاة من وقت صدور الحكم أو القرار .

مادة / ١٥٢ : إذا جاء المفقود أو تبين أنه حى فزوجته له ما لم يتمتع بها الثانى غير عالم بحياه الأول، وإلا كانت للثانى مالم يكن عقده فى عدة وفاة الأول.

الباب الرابع — آثار فرق الزواج

الفصل الأول -- الرجعة

مادة / ١٥٣ : (أ) الطلاق الرجعى لايزيل الملك ولا الحل ، فاذا طلق الرجل زوجته المدخول بها حقيقة طلاقا رجعيا كان له أن يراجعها مادامت فى العدة ولو أسقط حقه فى الرجعة رضيت بها أو لم ترض .

(ب) تصح الرجعة بالقول ، وبالفعل بالوطء ، أو دواعية التى توجب حرمة المصاهرة فى المذهب الحنفى ولو أختلاساً منه أو منها .

مادة / ١٥٤ : يشترط فى الرجعة بالقول :

(أ) أن تكون منجزة .

(ب) أن تكون بحضرة شاهدين رجلين أو رجل وأمرأتين .

مادة / ١٥٥ : إذا كانت الرجعة فى غيبة الزوجة يشترط أن تعلم بها ، ويراعى في إثبات العلم حكم المادة ١١٠ من هذا القانون .

مادة / ١٥٦ : (أ) اذا أدعى المطلق بقاء حقه في الرجعة لقيام العدة بالحيض وأنكرت المطلقة قيامها فالقول لها بيمينها متى كانت المدة تحتمل انقضاء العدة .

(ب) واذا أدعى بعد انقضاء العدة أنه كان قد راجعها فيها وأنكرت حصول الرجعة ولا دليل عنده كان القول قولها بيمينها .

مادة / ١٥٧ : دعوى الرجعة لاتحتاج الى مسوغ ، سواء أكانت من الزوجة أم من غيرها فى حال حياة الزوجين أو بعد وفاتهما أو وفاة أحدهما .

مادة / ١٥٨ : الطلاق البائن بينونة صغرى ، وهو ما دون الثلاث ، يزيل ملك الزوج فى الحال ولايزيل الحل فللمطلق أن يتزوج مطلقته فى العدة وبعدها بعقد ومهر جديدين برضاها .

مادة / ١٥٩ : الطلاق البائن بينونة كبرى ، وهو المكمل للثلاث ، يزيل الملك والحل فى الحال ، فلا تحل المطلقة لمطلقها إلا اذا توافرت الشروط المبينة فى المادة ١٨ من هذا القانون .

الفصل الثانى — العدة

الفرع الأول — أسبابها ومبدؤها ، ومنتهاها

مادة / ١٦٠ : تجب العدة على المرأة بأحد الأسباب الآتية :

[أ] بالفرقة بين الزوجين بعد الدخول أو الخلوة ولو فاسدة فى الزواج الصحيح ، وبعد الدخول الحقيقى فى الزواج الفاسد ، سواء أكانت الفرقة من طلاق رجعى بائن بينونة صغرى أو كبرى ، من الزوج أو من المحكمة ، أم كانت عن فسخ ولو فى الزواج الفاسد .

[ب] بوفاة الزوج أو باعتباره ميتاً بحكم أو قرار فى الزواج الصحيح ولو قبل الدخول والخلوة .

[ج] بالوطء بشبهة .

مادة / ١٦١ : لاتجب العدة بالفرقة قبل الدخول والخلوة .

مادة / ١٦٢ : تبدأ العدة :

(أ) فى الزواج الصحيح من تاريخ وقوع الطلاق أو موت الزوج .

(ب) فى الزواج الفاسد من تاريخ المفارقة أو تفريق القاضى أو موت الرجل.

(جـ) فى الوطء بشبهة من تاريخ آخر مرة .

(د) ومع مراعاة حكم المادة ١١٠ من القانون تبدأ العدة فى التفويق من المحكمة من تاريخ الحكم النهائى به .

مادة / ١٦٣ : (أ) عدة المتوفى عنها زوجها فى زواج صحيح تنقضى بمضى أربعة أشهر قمرية وعشرة أيام من تاريخ الوفاة إن لم تكن حاملا .

(ب) عدة الحامل مطلقاً تنقضى بوضع حملها أو سقوطه مستبيناً بعض خلقه .

(جـ) عدة غير الحامل فى جميع الأحوال غير حالة الوفاة تنقضى طبقاً لما يأتى :

١ — عدة من تحيض تنقضى بثلاث حيضات كوامل ، ولا تصدق فى أدعاء إنقضائها فى أقل من ستين يوماً .

٢ — عدة من لم تر الحيض أصلا تنقضى بثلاثة أشهر قمرية أن وقع السبب فى غرة الشهر ، وإلا فمضى تسعين يوماً ، فان رأت الحيض قبل تمام العدة أستأنفتها بالحيض .

٣ — عدة من لم تبلغ الخمسين من العمر ولم تر الحيض ثلاث مرات عقب الطلاق تنقضى بخمس وستين وثلثمائة يوم ، ولو رأت الحيض مرة أو مرتين فى هذه المدة .

أما من بلغت الخمسين فانها تعتد بثلاثة أشهر إن كان الحيض قد إنقطع عنها ستة أشهر قبل الخمسين أو بعدها .

٤ — عدة من إستمر معها الدم ولم تكن لها عادة معروفة تنقضى بالأشهر أو بالأيام طبقاً لما هو مبين بالبند (٢) وإن كانت لها عادة معروفة إتبعتها فى حساب المدة بالحيض .

٥ — المبانة بقصد الفرار من الأرث إذا توفى مطلقها قبل تمام عدتها تعتد بأبعد الأجلين من عدة الطلاق وعدة الوفاة .

٦ — المطلقة رجعيا إذا توفى مطلقها أثناء العدة تنتقل إلى عدة الوفاة فتنقضى عدتها بأربعة أشهر قمرية وعشرة أيام من تاريخ الوفاة .

مادة / ١٦٤ : المعتدة من طلاق بائن أو فسخ إذا توفى الرجل أثناء العدة تتم عدتها ولاتنتقل إلى عدة الوفاة مع مراعاة حكم البند السادس من الفقرة (ج) من المادة السابقة .

ماده / ١٦٥ : الموطوءة بشبهة فى عقد فاسد أو دون عقد لاتنتقل إلى عدة الوفاة إذا توفى الرجل أثناء العدة .

مادة / ١٦٦ : من تزوج معتدة من طلاق بائن بينونة صغرى أثناء العدة ثم طلقها قبل دخول جديد تتم عدتها السابقة ولا تستأنف عدة جديدة .

ماده / ١٦٧ : (أ) تحتسب العدة بالأشهر القمرية إذا وقع سببها فى غرة الشهر وهى اليوم الأول منه ليله ونهاره .

(ب) وتحتسب بالأشهر العددية ، كل شهر ثلاثون يوماً ، إن وقع السبب بعد غرة الشهر مع إحتساب جزء اليوم الذى وقع فيه السبب ويكون حساب ذلك بالساعات الفلكية .

الفرع الثانى — نفقة العدة

مادة / ١٦٨ : تجب النفقة للمعتدة من طلاق أو فسخ ولو كان بسبب من جهتها إلا فى حالة بقائها على الشرك مع إسلام الزوج ، وذلك بدون إخلال بأحكام الخلع والتطليق .

مادة / ١٦٩ : تعتبر نفقة العدة الواجبة على الرجل دينا فى ذمته من تاريخ الفرقة بلا توقف على قضاء أو تراض ، ولا يسقط دينها إلا بالأداء أو الإبراء ويراعى فى فرضها حاله يسراً وعسراً .

مادة / ١٧٠ : لا تجب لمن توفى زوجها نفقة عدة ولو كانت حاملا .

الفصل الثالث — متعة المطلقة

مادة / ١٧١ : الزوجة المدخول بها فى زواج صحيح إذا طلقها زوجها بدون رضاها ولم تكن أساءة من قبلها تستحق سوى نفقة عدتها متعة تقدر بما لا يجاوز نفقة سنة حسب حال الزوج ، وتدفع على أقساط شهرية عقب إنقضاء عدتها مالم يتفق الطرفان على خلاف ذلك فى المقدار أو كيفية الدفع .

الكتاب الثالث — القرابة

الباب الأول — النسب

الفصل الأول — النسب إلى الأب

مدة الحمل :

ماده / ١٧٢ : أقل مدة الحمل مائة وثمانون يوماً ، وأكثرها خمسة وستون وثلاثمائة يوم ، ويحتسب جزء اليوم الذى وقعت فيه الولادة طبقاً لحكم الفقرة الثانية من الماده ١٦٩ .

النسب فى الزواج الصحيح

١ — حال قيام الزوجية أو بعد الطلاق الرجعى .

مادة ١٧٣ : (أ) يثبت نسب الولد فى الزواج الصحيح من الزوج بالشرطين الآتيين :

١ — أن يمضى على عقد الزواج أقل مدة الحمل .

٢ — ألا يثبت إنتفاء إمكان التلاقى بين الزوجين بمانع محسوس إستمر من وقت العقد إلى الولادة ، أو حدث بعده وإستمر خمسة وستين وثلاثمائة يوم فأكثر .

وفى حالة زوال المانع تحتسب أقل مدة الحمل من تاريخ الزوال .

(ب) إذا إنتفى أحد الشرطين السابقين لا يثبت النسب إلا إذا أقر الزوج به.

(ج) لاتعتبر الموانع الشرعية مانعاً حسياً فى هذا الصدد .

ماده / ١٧٤ : (أ) المعتدة من طلاق رجعى إذا ولدت خلال العدة ثبت نسب ولدها من المطلق .

(ب) فاذا ولدت بعد إعتبار عدتها منقضية بمضى المدة أو بأقرار منها بانقضاء لايثبت النسب إلا إذا جاءت بالولد قبل مضى مائة وثمانين يوماً من تاريخ أعتبار العدة منقضية . وفى هذه الحال تعتبر الولادة دليـــل الرجعة وإستمرار الزوجية .

٢ — بعد البينونة أو وفاة الزوج .

مادة / ١٧٥ : (أ) المعتدة من بينونة أو وفاة إذا لم تقر بانقضاء عدتها يثبت نسب ولدها إذا ولدته خلال خمسة وستين وثلاثمائة يوم من تاريخ البينونة أو الوفاة .

(ب) ومع مراعاة أحكام الإقرار بالنسب ، إذا ولدته لأكثر من المدة المذكورة لايثبت نسبه .

(ج) وإذا أقرت بانقضاء عدتها فى مدة تحتمله يثبت نسب الولد إذا جاءت به لأقل من مائة وثمانين يوما من وقت الاقرار ، ولأقل من خمسة وستين وثلاثمائة يوم من وقت البينونة أو الوفاة .

٣ ـ النسب فى الزواج الفاسد والدخول بشبهة .

مادة/١٧٦ : مع مراعاة أحكام المادة ١٣٨ :

(ا) يثبت نسب الولد فى الزواج الفاسد من الرجل إذا جاءت به المرأة قبل المتاركة أو التفريق لمائة وثمانين يوما فأكثر من تاريخ الدخول الحقيقى .

(ب) وإذا جاءت به بعد المتاركة أو التفريق تطبق عليه أحكام نسب ولد المعتدة .

(ج) وفى جميع الأحوال التى يثبت فيها نسب هذا الولد لا يتوقف ثبوته على دعوى من أبيه .

مادة/ ١٧٧ : إذا وقع دخول حقيقى فى الزواج غير النافذ قبل الاجازة يأخذ فى ثبوت النسب حكم الزواج الفاسد بعد الدخول الحقيقى إذا لم تلحقه الأجازة ، وحكم الزواج الصحيح فى ذلك إذا لحقته الأجازة .

مادة/ ١٧٨ : المعتدة من طلاق بائن أو فسخ إذا وطئت بدون عقد ممن تعتد له غير عالم بالحرمة وجاءت بولد يثبت نسبه طبقا لاحكام ثبوت النسب فى الزواج الفاسد .

مادة/١٧٩ : من وطىء امرأة على فراشه يظنها زوجته فجاءت بولد لمائة وثمانين يوما فأكثر من وقت الوطء ثبت نسبه منه بدون دعوى ، على أن تلده لاقل من سنة من وقت الوطء ، وعلى ألا يطأها غيره بشبهة بحيث يمكن مجىء الولد منه .

مادة/١٨٠ : من نعى إليها زوجها وحات للزواج شرعا ، أو حكم بموت زوجها المفقود وتزوجت بعد العدة فجاءت بولد ثبت نسبه من الزوج الثانى متى توافرت شروط النسب في العقد الصحيح .

مادة/١٨١ : فى جميع الاحوال التى يناط الحكم فيها بعلم الزوج بالحرمة وعدم علمه لا عبرة بعلم الزوجة وعدم علمها بذلك .

مادة/١٨٢ : لا يثبت النسب إذا ثبت بطريق قطعى أن الرجل غير مخصب أو لا يمكن أن يأتى منه الولد لمانع خلقى أو مرضى ، وإذا حصل نزاع فى فى ذلك أستعانت بأهل الخبرة .

مادة/١٧٣ : فى جميع الاحوال التى تتوافر فيها شروط ثبوت النسل بالفراش لا ينتفى نسب الولد إلا باللعان وفقا لما يأتى فى الفصل الخامس من هذا الباب .

الفصل الثانى — النسب إلى الام

ماده/ ١٨٤ : يثبت نسب كل مولود إلى أمه بمجرد ثبوت الولادة دون قيد أو شرط وتترتب على هذا النسب بينهما جميع نتائجه المتفرعة من الاموة والبنوة مالية أو غير مالية .

الفصل الثالث — الاقرار بالنسب والتبنى

مادة/١٨٥ : (ا) يثبت النسب باقرار الرجل ببنوة مجهول النسب ، ولو فى مرض الموت ، إن لم يكذبه العقل أو العادة ولم يصرح بأنه من الزنا ، وصدقه المقر له فى ذلك متى كان وقت الاقرار من أهل التصديق ، ويصح الاقرار بنسب الحمل متى توافرت هذه الشروط .

(ب) وإذا أقر مجهول النسب بأبوة رجل له وتوافرت فى هذا الاقرار الشروط الواردة بالفقره السابقة يثبت نسبه منه .

(ج) ولا يثبت النسب بالاقرار بالولد أو بالاب إذا لم تتوافر فيه الشروط المذكورة .

مادة / ١٨٦ : متى ثبت النسب بالإقرار على الوجه المبين بالمادة السابقة ترتبت عليه جميع أحكام النسب المعروف أو الثابت بالدليل .

مادة / ١٨٧ : لايثبت النسب بالإقرار بالأم ، ولا بأقرار الأم بالولد .

مادة / ١٨٨ : (ا) لايثبت النسب بالتبنى ، ولو كان الولد المتبنى مجهول النسب .

(ب) لايثبت نسب ولد الزنا من الزانى إلا إذا أقر به غير معترف أنه من الزنا .

الفصل الرابع — دعوى النسب

مادة / ١٨٩ : (أ) لاتسمع عندالإنكار دعوىالإقرار بالنسبأو الشهادة على الإقرار بعد وفاة المورث فى الحوادث السابقة على سنة ألف وتسعمائة وإحدى عشرة أفرنكية إلا إذا وجدت أوراق خالية من شبهة التصنع تدل على صحة الدعوى .

(ب) أما الحوادثالواقعة من سنة ألفوتسعمائة وإحدى عشرةالافرنكية فلا تسمع فيها دعوى ما ذكر بعد وفاة المورث إلا إذا وجدت أوراق رسمية أو مكتوبة جميعها بخط المتوفى وعليها امضاؤه كذلك تدل على ما ذكر .

(ج) ومن تاريخ العمل بهذا القانون .

١ — لاتقبل دعوى الإقرار بالنسب المستقل إلا إذا كان الإقرار ثابتاً بورقة رسمية أو بورقة عرفية مكتوبة كلها بخط المقر وعليها توقيعه أو كان مصدقا على التوقيع عليها .

٢ — ولاتقبل دعوى الإقرار بالنسبغير المستقل ، الصادر قبل الخصومة أو بعدها إلا إذا كان صدوره أمام قاض بمجلس القضاء أو كان مكتوباً وعليه إمضاء المقر أو ختمه أو وجدت كتابة تدل على صحته .

مادة / ١٩٠ : يشترط لصحة دعوى النسب أن تكون مشتملة على سببه.

مادة / ١٩١ : (أ) الخصم فى دعوى النسب هو صاحب الحق فيه ، أو من يتوقف حقه على إثباته .

(ب) ولا تصح دعوى النسب حسبة إلا إذا كانت سبباً لحق فى دعوى حسبة .

مادة / ١٩٢ : (أ) يغتفر التناقض فى دعوى نسب الأبوة والبنوة إذا كان النسب مقصوداً لذاته ولا يغتفر فيما عدا ذلك .

(ب) يرتفع التناقض بالتوفيق الفعلى ، أو بتصديق الخصم ، أو بتكذيبه بقضاء القاضى .

مادة / ١٩٣ : (أ) تطبق بشأن الشهادة بالتسامع على نسب أحكام المواد ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ .

(ب) ولا تقبل الشهادة بالنسب إذا كان طريق علم الشاهد بها الإقرار .

مادة / ١٩٤ : الحكم الصادر فى النسب لا حجة له الا على من كان طرفا فى الخصومة فيه .

الفصل الخامس — اللعان

مادة / ١٩٥ : (أ) فى جميع الأحوال التى يثبت فيها نسب الولد بغير إدعاء نتيجة لفراش مشروع فى زواج صحيح ، أو لدخول فى زواج فاسد ، أو لوطء بشبهة ، يجوز للرجل أن ينفى عنه نسب الولد خلال ثلاثة أيام كاملة من وقت الولادة أو العلم بها بشرط ألا يسبق منه أعتراف بهذا النسب صراحة أو ضمناً وأن يكون نفيه له أمام نصاب الشهادة ومكتوباً وموقعاً عليه منه ، وعليه أن يتخذ إجراءات دعوى اللعان فى ظرف خمسة عشرة يوماً كاملة من وقت الولادة أو العلم بها .

(ب) يجرى اللعان بين الرجل والمرأة فى الأحوال السابقة وان كانت المرأه معتدة أو غير مسلمة أو غير عفيفة أو كانا أو أحدهما أخرس مفهما أو كان الرجل غير أهل للشهادة متى كان مكلفاً .

(جـ) يلتعن الرجل وحده إذا كانت المرأة ميتة أو لم تطلب موجب القذف شرعا أو طلبته وأبت اللعان ، أو كانت غير مكلفة ، أو خرساء ، أو غير مسلمة أو غير عفيفة، متى كان هو مكلفا وأن كان أخرس مفهما، أو لم يكن من أهل الشهادة .

(د) الاقرار بنسب الحمل يثبت به نسبه ويمنع من نفيه بعد ولادته ،ولا يعتد بنفى نسب الحمل ، ولا يترتب عليه لعان ما دام حملا ، وله أن يجدد النفى بعد الولادة .

مادة/١٩٦ : (ا) إذا تم اللعان بين الرجل والمرأة فرقت المحكمة بينهما أن كانت بينهما زوجية قائمة ، ونفت نسب الولد عن أبيه وألحقته بأمه ، وتنفى نسبه على هذا الوجه إذا التعن الرجل وحده .

(ب) الفرقة باللعان فسخ ، والحكم ينفى نسب الولد عن أبيه يترتب عليه خروجه من عصبته وسقوط حقه فى النفقة والارث دون غيرها .

مادة/١٩٧ : في جميع الأحوال إذا اعترف الرجل بعد اللعان بما يفيد كذبه فى نفس النسب لزمه نسب الولد ولو بعد القضاء بنفيه ، وله أن يتزوج الملتعنة فى العدة وبعدها .

الباب الثانى — الرضاع

مادة ١٩٨ : (ا) لا يجب على الأم أرضاع ولدها إلا إذا تعذرت تغذيته من غير لبنها لأى سبب كان .

(ب) إذا امتنعت الأم عن ارضاع ولدها ، ولم يكن واجبا عليها ، فعلى أبيه أن يستأجر من ترضعه أو تقوم بتغذيته عند الأم .

مادة/١٩٩ : الام أحق بأرضاع ولدها ما لم تطلب أجراً على الارضاع ورضيت أجنبية بأرضاعه مجانا أو بأقل مما طلبته الام ولو كان أجر المثل فتقدم الاجنبية على أن ترضعه عند الام .

مادة/٢٠٠ : أجرة الارضاع من النفقة الواجبة للصغير ، وتستحق من وقت الارضاع ولا تسقط إلا بالاداء أو الابراء .

مادة/٢٠١ :(ا) لا تستحق الأم أجرة أرضاع في الاحوال الآتية :

١ — إذا كانت زوجة الاب ، ولو كانت ناشزاً عن طاعته .

٢ — إذا كانت معتدة لها نفقة عليه ، ولو أبرأت منها نظير الطلاق .

(ب) لا تستحق أجرة الارضاع لأكثر من حولين من وقت الولادة .

الباب الثالث — الحضانة

مادة/٢٠٢ : تقوم الحضانة بتربية المحضون وتوجيهه ومراقبة سيره بما لا يتعارض مع حق الولي على النفس .

مادة/٢٠٣ : (ا) يثبت حق حضانة الطفل للأم ثم للمحارم من النساء ، مقدما فيه من يدلى بالأم على من يدلى بالأب ، ويعتبر فيه الاقرب من الجهتين على الترتيب الآتى :

١ ـ الأم .

٢ ـ أم الأم وان علت .

٣ ـ أم الأب وان علت .

٤ ـ الأخوات بتقديم الشقيقة ، ثم الأخت لأم ، ثم الأخت لأب .

٥ ـ بنت الأخت الشقيقة .

٦ ـ بنت الأخت لأم .

٧ ـ الخالات بالترتيب المتقدم فى الأخوات .

٨ ـ بنت الاخت لاب .

٩ ـ بنات الاخ بالترتيب المتقدم فى الاخوات .

١٠ ـ العمات بالترتيب المذكور .

١١ ـ خالات الأم بالترتيب المذكور .

١٢ ـ خالات الأب بالترتيب المذكور .

١٣ ـ عمات الأم بالترتيب المذكور .

١٤ ـ عمات الأب بالترتيب المذكور .

(ب) إذا لم توجد حاضنة من هؤلاء النساء ، أو كانت غير أهل ، أو انقضت مدة حضانة النساء انتقل الحق فى الحضانة إلى العصبات من الرجال بحسب ترتيب الاستحقاق فى الارث .

(ج) فان لم يوجد أحد من هؤلاء انتقل الحق فى الحضانة إلى محارم الطفل من الرجال غير العصبات على الترتيب الآتى :

الجد لام ، ثم الأخ لأم ، ثم ابن الأخ لأم ، ثم العم لأم ، ثم الأخوال بتقديم الخال الشقيق ، فالخال لأب ، فالخال لأم .

(د) إذا رفض الحضانة من يستحقها من النساء أو الرجال انتقل الحق إلى من يليه .

(هـ) فى جميع الأحوال لا يستحق الحضانة عند اختلاف الجنس من ليس من محارم الطفل ذكرا كان أو أنثى .

(و) إذا لم يوجد مستحق للحضانة أو لم يقبلها أحد من المستحقين يضع القاضي المحضون عند من يثق به من الرجال أو النساء ، ويفضل الاقارب على الاجانب عند توافر الشروط .

مادة/٢٠٤ : (أ) يشترط فى الحاضنة أن تكون بالغة ، عاقلة ، أمينة على الولد ، قادرة على تربيته وصيانته ، غير مرتدة عن الاسلام ، ولا ممسكة له عند من يبغضه .

(ب) ويشترط فى الحاضن أن يكون بالغا ، عاقلا ، أمينا على الولد ، قادراً على تربيته المحافظة عليه ، وأن يكون متحداً معه في الدين .

(جـ) المراد بالامانة : الامانة بمعناها الشرعى الشامل للامانة فى النفس والمال.

مادة/٢٠٥ : إذا تعدد أصحاب الحق فى الحضانة اختار القاضى الأصلح للولد.

مادة/٢٠٦ : (أ) الحاضنة غير المسلمة ، أما كانت أو جدة ، تستحق حضانة الولد المسلم حتى يعقل الاديان ، أو يخشى عليه أو يألف غير الاسلام وأن لم يعقل الاديان .

(ب) وفى جميع الاحوال لا يجوز ابقاء هذا الولد عند هذه الحاضنة بعد تمام الخامسة من عمره .

(جـ) ومع مراعاة أحكام الفقرتين السابقتين لا يمنع اختلاف الدارين حكما من حق الحضانة .

مادة/٢٠٧ : (أ) تستحق الحاضنة ، أما كانت أو غيرها ، أجرة حضانة ولو كانت غير محتاجة ما دام المخضون فى سن حضانة النساء الاصلية .

(ب) تستحق أجرة الحضانة من وقت العمل ، ولا تسقط إلا بالاداء أو الابراء .

(ج) لا تستحق الأم أجرة حضانة فى الأحوال الآتية :

١ ـ إذا كانت زوجة للأب ، ولو كانت ناشزا عن طاعته .

٢ ـ إذا كانت معتدة لها نفقة عليه ولو أبرأت منها نظير الطلاق .

مادة/٢٠٨ : (ا) إذا سقط حق الحاضنة فى الحضانة ولم يطالب من له الحق بعدها بانتزاع المحضون منها تبقى مستحقة لأجرة الحضانة ما بقى فى يدها .

(ب) واذا سقط الحق وامتنعت من تسليم المحضون لمن له الحق بعدها فلا تستحق أجرة ولو بقى فى يدها .

مادة/٢٠٩ : (ا) لا تستحق الحاضنة أجرة مسكن حضانة إذا كانت تسكن فى ملكها أو بدون أجر .

(ب) وتستحق أجرة مسكن حضانة إذا أسكن المحضون فى مسكن بأجر . ويقدر القاضى ما يخص المحضون أو المحضونين من هذا الاجر .

مادة/٢١٠ : (ا) إذا تمسكت الحاضنة بأجر الحضانة ولم توجد متبرعة أو وجدت وكانت غير محرم أو غير أهل أعطيت صاحبة الحق الاجر ولو من مال الصغير .

(ب) إذا وجدت متبرعة من المحارم وهي أهل ، فان كان الأب معسراً خيرت صاحبة الحق بين إمساك المحضون بالمجان أو تسليمه للمتبرعه كان للصغير مال أو لا ، وكذلك إذا كان الأب موسراً وللصغير مال .

أما إذا كان الأب موسراً وليس للصغير مال فيعطى لصاحبة الحق أجر المثل .

مادة / ٢١١ : زواج الحاضنة بغير محرم للصغير لا يسقط حقها فى الحضانة، وللقاضى أن يمنعها من الحضانة إذا رأى إستمرارها منافياً لمصلحة الصغير .

مادة / ٢١٢ : حق الحضانة لا يسقط بالإسقاط وإنما يمتنع بموانعه ويزول بزوالها .

مادة / ٢١٣ : (أ) ينتهى حق حضانة النساء متى أتم الصغير سبع سنين والصغيرة تسع سنين .

(ب) وللقاضى أن يأذن بحضانتهن للصغير بعد سبع سنين إلى عشر، وللصغيرة بعد تسع سنين إلى ثلاث عشرة سنة إذا تبين أن مصلحتهما تقتضى ذلك .

(ج) لا تستحق الحاضنة أجرة حضانة فى هذه المدة الإضافية .

(د) وتنتهى حضانة العصبة ببلوغ المحضون الخامسة عشرة من عمره ، وحضانة من يلونه ببلوغ الحلم .

مادة / ٢١٤ : من جاوز حضانة النساء مريضا ، أو معتوها ، أو مجنوناً جنونا هادئاً ، ذكرا كان أو أنثى ، كانت أمه أولى بتمريضه وإمساكه ، ولو جاز حد البلوغ ، وإذا لم توجد الأم وضعه القاضى عند من يراه أصلح لذلك وأقدر عليه .

مادة / ٢١٥ : (أ) ليس للأم حال قيام الزوجية أو فى عدة الطلاق الرجعى أن تسافر بولدها أو تنقله من بيت الزوجية إلا بأذن أبيه .

(ب) ويجوز لها بعد البينونة أن تنتقل به إلى بلد آخر ، إذا لم يكن فى هذا النقل إخلال بتربية الصغير ، ولم يكن مضارة للأب ، وكان لا يكلفه فى النقلة المطالعة أحوال المحضون مشقة أو نفقة غير عاديتين .

مادة / ٢١٦ : (أ) إذا كانت الحاضنة غير الأم فليس لها أن تسافر بالولد إلا باذن وليه .

(ب) وليس للولي أيا كان أو غيره أن يسافر بالولد في مدة حضانته إلا باذن حاضنته .

مادة / ٢١٧ : (أ) إذا كان المحضون عند أحد الأبوين لايجوز له أن يمنع الآخر من رؤيته .

(ب) وفي حالة المنع أو عدم الرغبة في الذهاب لرؤيته في مكان من هو عنده يعين القاضي موعداً دوريا للرؤية بمكان يتفق عليه الطرفان أو تحدده المحكمة إذا إختلفا ، على ألا يكون بأمكنة الشرطة .

مادة / ٢١٨ : (أ) لاينفذ حكم الرؤية جبرا ، ولكن إذا إمتنع من بيده الولد عن تنفيذ الحكم يوقف حقه في الحضانة مدة تقدرها المحكمة وفقاً لما يتبين لها .

(ب) حق الرؤية للأبوين فقط .

مادة / ٢١٩ : (أ) بعد إنتهاء أجل الحضانة يقيم الفتى حيث أحب إلا أن يكون غير مأمون على نفسه فيكون للولي المحرم ضمه إليه .

(ب) وتبقى الفتاة في يد الولي المحرم إلا أن يثبت أنها تضار بالبقاء ، أو أنها مأمونة على نفسها فيجوز لها الإنفراد أو الإقامة مع غيره من أهلها .

(ج) وإذا أمتنعت الكبيرة البالغة عن تنفيذ الحكم بضمها أجبرت على التنفيذ بالوسائل المتبعة ، ولاتحرم من نفقتها ، وإذا بدا من الولي بعد التنفيذ مايضر بصالحها فلا يجبر على الإقامة معه .

مادة / ٢٢٠ : مع مراعاة أحكام المواد من ٢٣ إلى ٢٧ ، ٢٩ ، ٢٠٤ .

يقوم الولي على النفس بالإشراف على شئون المحضون وتربيته وتعليمه وتوجيه حياته وإعداده إعداداً صالحاً والموافقة على التزويج ،وعند الإختلاف فى شأن من شئونه يعمل برأى الولى .

الباب الرابع — نفقة الأقارب

مادة / ٢٢١ : تجب نفقة كل إنسان فى ماله إلا الزوجة ، فان نفقتها على زوجها ولو كانت غنية .

مادة / ٢٢٢ : لانفقة للأقارب مع أختلاف الدين الا للأصول والفروع غير الحربيين .

ولايعتبر حربياً رعايا الدولة التى قطعت بيننا وبينها العلاقات السياسية دون قيام حالة حرب .

مادة / ٢٢٣ : (أ) إذا لم يكن للولد الصغير مال فنفقته على أبيه الموسر .

(ب) وتستمر نفقة الأولاد على أبيهم إلى أن تتزوج البنت أو تكسب فعلا مايكفى نفقتها ، والى أن يتم الغلام الخامسة عشرة من عمره قادراً على الكسب ، فان أتمها عاجزاً عن الكسب لآفة بدنية أو عقلية أو بسبب طلب العلم الملائم لأمثاله اذا كان رشيداً فيه ،أو بسبب عدم تيسر الكسب استمرت نفقته على أبيه .

مادة / ٢٢٤ : (أ) يجب على الولد الموسر، ذكراً أو أنثى، كبيراً كان أو صغيراً ، نفقة والديه الفقيرين ولو كانا قادرين على الكسب ، ما لم يظهر التعنت فى ترك الكسب .

(ب) واذا تعدد الأولاد اشتركوا فى نفقة والديهم بنسبة حصصهم الارثية.

مادة ٢٢٥ / اذا اجتمع لمستحق النفقة ولد أو أولاد موسرون مع والديه الموسرين أو أحدهما أشتركوا جميعاً فى النفقة بنسبة حصصهم الارثية .

مادة / ٢٢٦ : (أ) فيما عدا الأولاد الصلبيين والأب والأم تجب نفقة كل فقير عاجز عن الكسب على وارثه من أقاربه المحارم الموسرين .

(ب) يكون العجز عن الكسب بسبب الصغر أو الشيخوخة أو آفة بدنية أو عقلية أو الإنشغال بطلب العلم الضرورى ، مما ترعاه الدولة ، ولاينافى التعاليم الإسلامية ، وكان مناسبا عرفا لدرجة القرابة بين من تجب له النفقة ومن تجب عليه .

(ج) وتعتبر الأنثى عاجزة عن الكسب حتى تتزوج أو تكسب فعلا .

(د) وإذا تعدد المحارم الموسرون كلف بالنفقة أولاهم بالأرث ، وعند الاشتراك فيه يشتركون فى النفقة بنسبة حصصهم .

مادة / ٢٢٧ : من يكلف النفقة في حال يساره يعتبر كالمعدوم فى حال أعساره ، وتفرض النفقة على غيره ممن تجب عليهم عند عدمه ، سواء كان ذلك المعسر أبا ، أو ولداً ، أو غيرهما .

ماده / ٢٢٨ : (أ) الفقير الذى لاتجب عليه النفقة هو الذى ليس له مال تزيد قيمته على المقدار الضرورى عرفا لحاجته الحالية المشروعة ، وحاجة عياله ، وقضاء ديونه الحالة أو القريبة الحلول ، ولامورد له من حرفة أو من غيرها يكفى ماذكر .

(ب) والفقير الذى تجب له النفقة على غيره هو الذى لايجد ما ينفق منه .

مادة / ٢٢٩ : (أ) الموسر الذي تجب عليه النفقة هو الذى له مال تزيد قيمته على المقدار الذى تتطلبه عرفا حاجته الحالية المشروعة ، وحاجة عياله، وقضاء ديونه الحالة أو القريبة الحلول ، أو له مورد من حرفة أو غيرها يزيد على وفاء الحاجات المذكورة .

(ب) ولا يعتبر من المال الزائد عن الحاجات المذكورة العقار ، ولا رأس ماله الذى يتوقف عليه كسب كفايته ، ولاالبيت الذى لا تزيد قيمته ولا مساحته عن حاجة سكناه وسكنى عياله .

مادة / ٢٣٠ : (أ) اذا تعدد المستحقون للنفقة ، وكان المكلف بها غير قادر على نفقة الجميع أو لم يتعددوا ، وكان غير قادر على جميع النفقة ، كاف بقدر أستطاعته ، واعتبر معسراً بالنسبة للباقى .

وفى حالة التعدد يقدم فى الإعطاء الزوجة ، ثم الولد الصغير ، ثم الولد الكبير الزمن ، ثم غير الزمن ، ثم الأم ، ثم الأب ، ثم يكون سواهم سواء يقسم عليهم مايستطيعه المكلف بالنفقة .

(ب) واذا تعدد من تجب عليهم النفقة ، وكانوا قادرين على النفقة جميعها يدفع كل منهم نصيبه فيها لكل واحد من المستحقين ، ولكل واحد من المستحقين أن يقاضيه بنصيبه المستحق عليه .

(ج) وان لم يكونوا قادرين على النفقة جميعها طبق حكم الفقره (أ) .

مادة / ٢٣١ : فى جميع الحالات اذا كان مستحق النفقة يملك بعضها يجب تكملتها الى كفاية المثل .

مادة / ٢٣٢: تشمل نفقة الأقارب الغذاء ،والكسوة ، والمسكن ومايلزم للعلاج الضرورى والتعليم الضروري بالمقياس المبين بالفقرة (ب) من المادة (٢٢٦) .

مادة / ٢٣٣ : يسرى على نفقة الأقارب حكم المادة (٧٥) .

مادة / ٢٣٤ يقضى بنفقة الأقارب من تاريخ رفع الدعوى ، ويجب أن يشتمل الحكم بها أو بالأمر بأدائها ان كانت مفروضة بالتراضى على اذن

المحكوم له بالإستدانة وإن لم يطلبه ، وتعتبر هذه النفقة دينا من تاريخ القضاء بها أو التراضى عليها ، ولا يسقط هذا الدين إلا بالأداء أو الإبراء .

مادة / ٢٣٥ : (أ) نفقة القريب صغيراً كان أو كبيراً المفروضة بالقضاء أو بالتراضى إذا قام بها أو ببعضها غير من فرضت عليه ، وكانت الحاجة ماسة إلى قيامه بذلك ، ولم يصرح بأنه متبرع يكون مقدار ما قام به منها دينا له هو على من فرضت عليه وإن لم يؤذن بذلك وتكون لهذا الدين أحكام ديون النفقات .

(ب) إن لم يوجد من تجب عليه نفقةالقريب وجبت نفقته من خزانة الدولة ويكون صرفها من الجهة التى يحددها الوزير المختص .

مادة / ٢٣٦ : لاتجرى المقاصة بين نفقة الولد المستحقة على أبيه ودين الأب على الأم الحاضنة .

أحكام عامة

مادة / ٢٣٧ : يكون مسلماً .

(أ) من نطق بالشهادتين على وجه قاطع بالدخول في الإسلام غير محتمل للتحايل ولامقترن بما ينافى الإسلام .

(ب) من أدى عبادة قاطعة بدخول من أداها فى الإسلام .

(جـ) الصبى إذا أسلم أبواه أو أحدهما .

(د) الصبى الذى أرتد أبواه أو أحدهما ، وإن كان حدوثه بعد الرد .

(هـ) يعتبر اللقيط مسلماً إذا التقط بأى مكان من دار الإسلام .

مادة / ٢٣٨ : يصح إسلام المعتوه والصبي المميز ، ولاعبرة بالأعذار التي يراد بهـــا منع صحة الإسلام ، ولايعتبر إسلام المجنون والمكره والهازل والسكران .

مادة / ٢٣٩ : يكون مرتداً :

(أ) من خرج من الإسلام صراحة بالقول أو بالفعل

(ب) من أنكر ما علم من الدين بالضرورة .

(جـ) من أستخف بالكتاب الكريم ، أو بأحد من الرسل ومن الأنبياء ، أو فعل مايستلزم ذلك إستلزاماً بينا .

مادة / ٢٤٠ : لايعتد بردة المجنون والمعتوه والصبي والمكره والسكران .

مادة / ٢٤١ : كل نزاع بين الزوجين يتعلق بمسائل الزواج والطلاق والأولاد وأنسابهم لاتقبل الدعوى به أمام القضاء إلا بعد عرضه على حكمين من أهل الزوجين أو من غيرهم لإنهاء هذا النزاع صلحاً ، فان لم يوفقا أعدا تقريراً بما كان في ذلك ، ترفق صورة منه بأوراق الدعوى ، وينظر الحكمان في هذا النزاع على وجه السرعة ، وإذا لم ينته نظره في الوقت الملائم بسبب لامدخل فيه لصاحب الدعوى قبلت الدعوى بدون إنتظار لنتيجته ، وأرفق بأوراق الدعوى مايدل على ذلك ، وينظم وزير العدل أحكام هذا التحكيم وإجراءاته وكل مايتعلق به بقرار يصدر منه ، وتعفى طلبات التحكيم وجميع وثائقه من جميع الرسوم والضرائب .

مادة / ٢٤٢ : تسرى أحكام الفقرة (أ) من المادة ٨٩ من هذا القانون على دعوى الطلاق والإقرار به .

مادة / ٢٤٣ : القضاة ممنوعين من سماع الدعوى التي مضى عليها خمس عشرة

سنة شمسية مع تمكن المدعى من رفعها وعدم العذر الشرعى له فى عدم إقامتها إلا فى الأرث والوقف فانه لايمنع من سماعها إلا بعد ثلاث وثلاثين سنة شمسية من التمكن وعدم العذر الشرعي ، وهذا كله من الإنكار للحق فى تلك المدة .

مادة / ٢٤٤ : تطبق نصوص هذا القانون فى جميع الحوادث التى تشملها، ويطبق فيما عداها الأرجح من مذهب الإمام أبى حنيفة .

٭ ٭ ٭

وتلكأ المشروع فى مجلس الشعب عدة دورات فأرسل الإمام الأكبر رحمه الله ورضى عنه هذه المذكرة يوضح فيها خطورة الجنوح عن شرع الله إلى قانون البشر .

قال الإمام الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود :

بسم الله الرحمن الرحيم

« الأحوال الشخصية ومجلس الشعب »

« ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة أنك أنت الوهاب » .

من آن لآخر يثار فى المجتمع الإسلامى قانون الأحوال الشخصية ويختلف الكتاب تبعا لأهوائهم : فبعضهم يستجيب للنص القرآنى لا يريد به بديلا ، وبعضهم يأخذ فى محاولة الالتواء بالنص ليقربه مما يجرى العمل به فى الغرب أو ليقربه من أهوائه التى ينحرف بها تلبية لرغبة منحرفة أو لهوى جامح .

ولكنك إذا سألت الجميع فانهم يقولون لك نحن مع الوحى ومع الرأى الإسلامى . ولا يمكنهم أن يقولوا غير ذلك حتى لا يثيروا الرأى العام عليهم وأحب أن أقول :

إن النتيجة الحتمية التى ينتهى إليها كل باحث مخلص : ينتهى إليها تاريخيا وينتهى إليها إسلاميا ، أمران بديهيان وهما من البداهة بحيث لا يمارى فيهما من كان فى قلبه حبة خردل من إيمان .

أما أولهما : فان الطلاق بيد الرجل : يوقعه حينما يشاء لحكمة يراها لا قيد عليه في ذلك ولا تحديد ، ذلك هو الأمر الذى سار عليه التشريع الإسلامى منذ أن نشأ التشريع الإسلامى . وهو الأمر الذى يلجأ إليه الغرب الآن حتى فى إيطاليا نفسها .

فاذا كان الغرب قد أخذ بمبدأ الطلاق وبالتالي فى التقرب إلى الإسلام

فهل نحاول نحن الابتعاد عن الإسلام للتقرب من الغرب القديم فى الوقت الذى يتخلى فيه الغرب عن مبادئه القديمة ؟

أنك مهما حاولت ، حتى ولو متعسفا ، فلن تجد مناصا من القول بأن الطلاق بيد الرجل يوقعه متى شاء حسب حكمة يراها . على أنه من المباح الجائز أن تشترط المرأة عند العقد أن يكون لها حق تطليق نفسها إذا أضيرت ، فيكون الطلاق بيدها توقعه حينما ترى أن مصلحتها تقتضى ذلك .

وعن الطلاق يقول المستشرق الفرنسى « اتيين دينيه » :

« وهل أشد من الحكم على زوجين شابين لم يستطيعا لبعضهما صبراً وقد خاب ظنهما فى الزواج ، ولم يدركا السعادة التى طلباها من وراء ذلك ،.. هل أشد من الحكم عليهما بأن يخلدا يقضيان بقية أيامهما فى عذاب ونكد وشقاء:

كذلك إذا كان أحدهما عاقراً ؟

أو كان غير كفء لزميله ؟

هل يحرم الآخر من أن يبنى لنفسه بآخر ، وأن يقيم له عائلة من جديد ؟

هذا ما يقوله مستشرق غربى .

ويقول الله تعالى :

« الطلاق مرتان : فامساك بمعروف ، أو تسريح باحسان » أما عن تعدد الزوجات فانه من الواضح أن الاسلام يبيحه: ذلك واضح نصا ، وذلك واضح من الوجهة التاريخية ، أن ذلك أيضاً بدهى ، ومهما حاول ذوو الأهواء فانه لا يمكن للدارس إلا أن يقول :

أن التعدد مباح فى الاسلام ، فعله الخلفاء الراشدون ، وفعله الصحابة

كبارهم وصغارهم، وفعله التابعون ، وتابعو التابعين ، قرنا بعد قرن ، والقرآن الكريم ينص عليه والأحاديث الشريفة تدل عليه ، ثم أن الوضع الاجتماعى يوجبه وربما يدهش بعض الناس لقولنا : أن الوضع الاجتماعى يوجبه ونحن فى ذلك نورد أموراً :

١ — فى أحد الأقطار منع زعيم القطر تعدد الزوجات : وحصلت حادثة أمام سمعة وبصره ، هذه الحادثة تتلخص فى أن شخصا من الاشخاص متزوج وعنده أولاد من زوجته ، ثم أصبحت زوجته هذه فى وضع غير صالح من الناحية الجنسية ، فكان هو بين أمرين :

أما أن يزنى ، وأما أن يتزوج ولكن التعدد ممنوع ، فماذا يصنع ؟

إن امرأته الاولى ليست مسئولة عما حدث لها ، هذا قضاء الله بالنسبة لها فما ذنبها لتطلق ؟ ولم يطلقها ؟

إنها لم تسىء إليه ، لم يطلق ، وإنما ذهب وعقد عقداً شرعيا ، على امرأة وتزوجها بحسب الشرع ، وأسكنها فى مسكن ، وكان يذهب إليها ويبيت عندها وبلغ عنه أنه تزوج امرأة أخرى ، والقانون لا يتساهل ، وذهبت الشرطة وضبطوه متلبسا بالجريمة ، جريمة الزواج بامرأة أخرى ، وأتى به للتحقيق ، وقالوا له .

هل تزوجت امرأه أخرى ؟ فقال .. كلا ..

فقيل له : ولكنك كنت عندها .

قال : نعم .

وتنفق عليها ؟ قال . نعم .

قالوا : وقد استأجرت لها هذا المسكن ؟

قال : نعم .

قالوا : و تبيت عندها ؟

قال : و أبيت عندها .

قالوا : ماذا تكون إذن ؟

قال : انها عشيقة .

فقالوا له : أذهب لا ملام عليك ، لا لوم عليك .

حرموها زوجة بالفعل والتحقيق تحقيق البوليس وأباحوها عشيقة وخدينه.

٢ — ويأتى أيضاً فيما يتعلق بالتعدد أن « أتيين دينيه » مستشرق فرنسى كان قد ذهب إلى الجزائر ، فى عهد الفرنسيين وهو فرنسى ، وأقام فى الجزائر فى بلدة أسمها (بوسعادة) استراح إلى الجو ، واستراح إلى الناس ، واستراح إلى الخلق ، وكلها أغرته :

الجو ، الطبيعة ، الصحراء الناس : كلها أغرته بأن يقيم فى الجزائر فأقام.

أقام فى عهدين : عهد كان فيه عدم التعدد ، أو الدعوة إلى عدم التعدد أو الإقلال من التعدد .

فلاحظ ثلاث ملاحظات ، كتبها باللغة الفرنسية فى أحد الكتب ، كتب يقول :

حينما منع التعدد والطلاق ، وجدت ظواهر لم تكن موجودة ، أيام إباحة التعدد والطلاق .

ما هى هذه الظواهر ؟ هذه الظواهر التى وجدت عند مانع التعدد ؟

أولا : كثرة العوانس ، هذا أمر .

الأمر الثانى : كثرة اللقطاء .

الأمر الثالث : كثرة الأمراض السرية .

هـذه المسائل الثلاثة ، حدثت بعد أن منع التعدد ، وبعد أن منع الطلاق ، وليس معنى إباحة التعدد أنه مفروض وليس معنى ذلك أنه لابد من التعدد .

كلا ، وأنتم تعلمون أنه مع إباحة التعدد الآن فى القاهرة فانه لا يزيد عن نصف فى الألف ، إن هـذا النصف فى الألف من الناس فقط هو الذى يعدد الزوجات إنه يعدد الزوجات إلى اثنتين .

أما الثلاث والأربع فلا وجود لها . . وهكذا الأمر ، نعنى : يكاد يكون التعدد مع إباحته معدوماً .

ولكن من الوجهة النظرية فى حالات الندرة ، وفى حالات الحاجة لو فرضنا أن شخصاً من الأشخاص ، إما أن يتزوج ، وإما أن ينحرف يباح له الزواج.

هـذا رأى الكاتب الفرنسى الذى يقول ، ويشاهد ، بالتعداد وبالتجربة ما حدث ، وما كان .

ثم ماذا : ألم يتزوج الخلفاء الأربع كل منهم بأكثر من واحدة ؟ والحسن ؟ والحسين ؟ وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهم؟ وكلهم تزوج بمثنى وثلاث ورباع.

* * *

وبعد فان مما يشبه اليقين عندنا : أن لا ينساق مجلس الشعب وراء أهواء تنحرف بالإسلام : أنه لا قيود على الطلاق الا من ضمير المسلم ولا قيود على التعدد إلا من ضمير المسلم .

« ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم » .

شيخ الأزهر

إمضاء

(عبد الحليم محمود)

لقد بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح للأمة ولمجلس الشعب وترك الدنيا وآب إلى دار الخلود فى مقعد صدق عند مليك مقتدر .. فليعلم الذين خلفوه من بعد أنهم مسئولون يوم القيامة عن الحفاظ على هذه المواريث الجليلة التى هى المحافظة على دين الله وشعائر الإسلام ومناسك الدين الحنيف .

رابعاً : التوسع فى كليات جامعة الأزهر

طبقاً للخطة المرسومة فى ذهن الشيخ رضى الله عنه أن يصير وجه مصر إسلامياً بالعلم والإيمان ، وتلبية لحاجات المواطنين الملحة فى إنشاء فروع لجامعة الأزهر فى المحافظات فقد :

(أ) عمل على إنشاء كليات للدعوة فى :

طنطا

القاهرة

المنوفية

وعمل على إنشاء كليات لأصول الدين فى :

المنصورة

الفيوم

سوهاج

وعمل على إنشاء كليات للشريعة فى :

طنطا

طهطا سوهاج

وبنى سويف ، والزقازيق .

وعمل على انشاء كلية للحديث وعلومه .

وعمل على انشاء كلية خاصة بالقرآن وعلومه .

وعمل على انشاء كلية للاعلام ، والتربية فى المنوفية .

وعمل على انشاء كلية للطب فى بنى سويف .

وعمل على انشاء عدة كليات للبنات : للطب ، والعلوم ، والتجارة ، والدراسات العربية والإسلامية ، والدراسات الإنسانية . وكلية للدعوة .

وعمل على انشاء فرع جامعة الازهر بأسيوط كامل الكليات مثل الجامعة الأم ، وكان يعاونه فى هـذا المجال السيد المحافظ الوزير محمد عثمان إسماعيل محافظ أسيوط . وقد أعان المرحوم الملك فيصل هـذا المشروع بعدة ملايين الله أعلم بمقدارها ... ؟!

وقد أرسل فضيلة الإمام الأكبر مشاريعه إلى المسئولين فى الجامعة وغيرها وتحقق منها ما تحقق وتم منها ما تم ، ولم يكن فى يدى من وثائق فى هذا المجال إلا بعض المذكرات الخاصة باتمام مبنى كلية أصول الدين بالقاهرة . وما يتعلق بتحويل كلية البنات بالقاهرة إلى عدة كليات تخصصية وهى كما يلى :

(أ) تحويل كلية البنات الاسلامية

إلى عدة كليات تخصصية

السيد / رئيس الوزراء .

سلام الله ورحمته وبركاته عليكم . .

وبعـــــــــد :

فلست أرانى بحاجة إلى أن أبسط بين يديكم قيمة جامعة الازهر ورسالتها فى خدمة دين الله والدعوة الى نوره فأنتم على رأس العارفين بذلك ، والمؤمنين بضرورة البذل المادى والمعنوى لتدعيم هذا الصرح بمنارته الهادية .

وأنتم تعلمون أن هذه الجامعة - القديمة الحديثة فى آن معاً - قد اقتضتها أمانة الضمير فى تطويرها الاخير أن تضيف إلى بنائها ركنا لا نبالغ إذا قلنا أنه ركن عدل وانصاف ، آوت إليه المرأة المسلمة .

هذا الركن هو كلية البنات الإسلامية التى تمخض عنها تطوير جامعة الازهر فى عام ١٩٦٢ . ثم أخذت تحبو ، ثم تدرج حتى كمل نموها . وكان عـدد طالباتها أول الامور لايزيد على المائة ، كما كانت يومئذ أربعة أقسام . وأخذ إقبال الطالبات من سائر الاقطار الإسلامية يتوالى ويزداد عاماً بعد عام . فبلغ عدد طالباتها حوالى ثمانية آلاف . وتتسع الدراسة بها فيقتضى ذلك انشاء عدد من الشعب المختلفة منها الإسلامي واللغوى والعلمي . وتضم هذه الشعب مايزيد على خمسين قسما . وفى عـام ١٩٦٦ بدأت الـكلية بانشاء الدراسات العليـا ، ولا زالت تستأنف انشاءها حتى اليوم . ومما يسعد الكلية أنها أخذت تجنى

ثمار هذه الدراسات حيث فاز كثير من طالباتها بدرجة الماجستير والدكتوراه. ولعل أكثر ما يسعد هذه الكلية أنها نجحت فى تخريج متخصصات فى الفقه الإسلامى . ومنهن من يمارسن عملهن فى الكلية بين أعضاء هيئة التدريس بها . ولن نجاوز الحق إذا قررنا أن الكلية هى المورد الوحيد الذى تستطيع المرأة المسلمة أن تنهل منه ثقافتها الدينية . وهى كذلك المعهد الوحيد الذى يعد المرأة المسلمة للقيام بواجبها فى تثقيف بنات وطنها وبنات العالم الإسلامى بثقافة الإسلام.

وقد كان غرض المسئولين فى تطوير جامعة الأزهر فى عام ١٩٦١ من إنشاء هذه الكلية الوصول بها إلى جامعة تضم التخصصات التى تفيد منها المرأة المسلمة . والآن وقد كثرت التخصصات ، وتعددت الأقسام ، وأصبح من المتعذر السير بها إلا عن طريق توزيعها بين كليات خمس هى :

١ — كلية الدراسات الإسلامية والعربية وتضم تسعة أقسام .
٢ — كلية الدراسات الإنسانية وتضم أحد عشر قسما .
٣ — كلية التجارة وتضم أربعة أقسام .
٤ — كلية العلوم وتضم ستة أقسام ،
٥ — كلية الطب وتضم ثلاثة وعشرين قسما .

نقول الآن ـ وقد أصبح هذا وضع الكلية ـ فكر المسئولون فى الجامعة أن الأوان قد آن لجعلها فرعاً من فروع الجامعة ، ونوقش أمر ذلك فى مجلس الجامعة فى ١٩٧٤/١٢/٣٠ ثم فى المجلس الأعلى للأزهر ، ورؤى من الضرورى الإسراع فى التنفيذ .

ولكن صدور اللائحة التنفيذية للجامعة فى مارس ١٩٧٥ التى تتيح بنص المادة ١١١ من موادها لوزير شئون الأزهر أن ينشىء فروعاً للجامعة خارج .

القاهرة ، لم يجعل من حقه إنشاء فروع للبنات فى القاهرة . وأصبح الأمر يقتضى صدور قرار جمهورى بانشاء فرع الجامعة للبنات يضم الكليات الخمس التى ذكرناها . هناك تنظم أمورها الإدارية والدراسية ، وتمضى فى وضعها الأخير على النحو الذي يهدف إلى النجاح .

وأن الأزهر — إيماناً منه برغبتكم الصادقة في معاونته — يسره أن يبعث إليكم بهذا الرجاء مع البيانات المرفقة التى تتضمن الخطوات التى اتخذت فى هذا السبيل .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، ،

١٦ من المحرم سنة ١٣٩٦ هـ .

١٧ من يناير سنة ١٩٧٦ .

شيخ الأزهر

(دكتور عبد الحليم محمود)

(ب) استكمال مباني كلية أصول الدين بالقاهرة
والكليات العملية الأخرى

السيد الفاضل الدكتور رئيس الوزراء .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

وبعـــد :

فقد أنشئت جامعة الأزهر الحديثة سنة ١٩٦٢ م ، وللآن لم يبن بها إلا كليتان : هما كلية الطب وكلية البنات — وسائر الكليات العملية الآن تدرس في كلية الطب وهو أمر غير طبيعي بل هو غير متصور .

أما كلية أصول الدين وفيها ما يقرب من ثلاثة آلاف طالب فانها تدرس في إحدى عشرة غرفة ، وليس فيها غرفة للأساتذة يجلسون فيها في أوقات راحتهم .

ولقد عرضت أن تمول وزارة الأوقاف مشروع مباني جامعة الأزهر كما وضعت في الخطة العشرية التي أقررتموها سيادتكم قبل توليكم رئاسة الوزارة على أن تضع وزارة الخزانة القسط السنوي لحساب وزارة الأوقاف فلم أجد موافقة على ذلك .

ومعنى هذا أن الدراسة في العام المقبل ستكون مستحيلة ، وسنضطر قطعاً إلى إلغاء السنة الأولى في جميع كليات الأزهر في العام المقبل حيث لا مكان للدراسة .

وإني استنجد بسيادتكم في الإذن لوزارة الأوقاف أن تمول المشروع ،

وأن السيد المهندس عثمان أحمد عثمان يستطيع أن ينجز على الأقل كليتين إحداهما من الكليات النظرية والاخرى من الكليات العملية .

وإنى وقد رأيت فى سيادتكم الهمة العالية ، والحسم فى الامور التى تهم الجمهور آمل أن تتفضلوا مشكورين بحسم هذا الأمر بما عرف فيكم من حكمة وسداد فى الرأى وسرعة فى التنفيذ .

إن جامعة الازهر تستصرخكم وتستنجد بكم ، والله يوفقكم ويسدد خطاكم على طريق الخير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

٢٢ صفر سنة ١٣٩٢ هـ
٦ إبريل سنة ١٩٧٢ م

وزير الاوقاف
وشئون الازهر
(د / عبد الحليم محمود)

فلا غرو إذن إذا قرر مجلس كلية أصول الدين بتاريخ ١٣ ٣ ١٩٧٧ إطلاق اسم الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود على قاعة الإحتفالات الملحقة بمبنى الكلية الجديد .

خامساً : التنمية الأخلاقية

كان مولانا الإمام الأكبر رحمة الله تعالى ورضى عنه وأرضاه قد أخذ على عاتقه وحده عبء التنمية الأخلاقية .

والتنمية الأخلاقية تحتاج إلى مؤسسات وإلى تخطيط أعلامي وإلى دعوة مباشرة.

(أ) فيما يتعلق بالمؤسسات فقد أسس المعاهد الأزهرية بكثرتها الكثيرة والحمد لله وهي تربو على ألف معهد من مختلف النوعيات ، كما أفسح لكليات جامعة الأزهر فى الأقاليم بكل أنواعها .

(ب) وفيما يتعلق بالتخطيط فقد قدم للتلفزيون خطة عمل سننشرها فى آخر هذا الحديث .

(ج) وفيما يتعلق بالدعوة المباشرة فقد عمل الإمام الأكبر على نشر الفضلة بصوته وبقلمه .

(أ) لقد حاضر فى كل المستويات :

حاضر في نقابة المحامين على الاجتهاد والثبات فى الشريعة الاسلامية .

وحاضر فى نادى القضاة عن تنظيم المجتمع .

وحاضر فى جميع وحدات الجيش المصرى يهيؤهم ليوم المعركة .

(ب) وسافر إلى جميع المحافظات وحاضر فى كل جامعة أو معـــهد أو مسجـد .

(ج) وأحاديثه فى الإذاعة بشتى برامجها وفى التلفزيون بقنواته عن الأخلاق الإسلامية ،وعن العلم وعن الإيمان وعن الفضائل وعن الرحمة.. ألخ.

(د) ووجه الطاقات إلى العمل الجاد لحماية المجتمع والشباب من الإنحرافات.

وحول هـذا تدور هذه الرسالة التى بعث بها الإمام الأكبر رضى الله عنه إلى السيد الوزير حمدى عاشور .

* * *

خطة التنمية الأخلاقية

تحية للأخ الفاضل حمدى عاشور ، لقد عرفناه صاحب شعور دينى كريم وعرفناه عاملا للاصلاح جهـــد استطاعته ، ونرجو له التوفيق فى كل ما يأتى وما يدع .

وما من شك فى أن كل غيور على مصر يحب لها أن تكون فى أوائل الأمم سلوكا ظاهرا وأخلاقا نفيسة .

ولن يصلحها فى ذلك إلا ازدهار الشعور الإيمانى فى ربوعها .

والإزدهار الذي نرجوه مسئولية كل فرد من أفراد الشعب : إنه مسئولية كل رئيس فى مصلحته ، وكل حاكم فى إدارته ، وكل فرد فى المجتمع .. إن المجتمع كله متماسك وكل فرد فيه مسئول بحسب موقعه .

وإذا كانت دائرة المسئولية تتسع وتضيق بحسب موقع الفرد، فانه لا يوجد من هو خال من المسئولية بالنسبة للمجتمع .

وهذا هو توجيه القرآن الكريم وتوجيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

يقول رسول الله ﷺ فيما رواه النعمان بن بشير رضى الله عنهما وأخرجه البخارى فى صحيحه :

« مثل القائم فى حدود الله والواقع فيهما ، كمثل قوم استهموا على سفينة، فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ، فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وأن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً » .

ويقول رسول الله ﷺ فيما رواه ابن عمر رضى الله عنهما وأخرجه البخارى ومسلم : كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، الإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته ، وكلكم راع ومسئول عن رعيته » .

ويقول الله تعالى : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » .

ويقول سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا » .

إن المجتمع متماسك متضامن ، ويصوره رسول الله ﷺ بالجسم الواحد فيقول فيما رواه النعمان بن بشير رضى الله عنهما ، وأخرجه البخارى ومسلم:

« مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

كل فرد إذن فى المجتمع مسئول عن صلاح المجتمع ، وأوائل المسئولين بالضرورة هم من كانت دائرة اختصاص أوسع .

ومع ذلك فان هناك هيئات اختصاصها : المحاولة المستمرة لإصلاح المجتمع .

وأول الهيئات التى يقع عليها هذا العبء هو الأزهر ، وقد قام بمسئوليته خير قيام طوال القرون الماضية .

ولقد قال رئيس جمهورية مصر العربية هذه الكلمة التى نعتز بها :

« ولولا الأزهر لما كان الإسلام شرقا ولا غربا » .

والأزهر منذ قرون يجاهد جهاداً لا يفتر — فى حدود إمكاناته — من أجل نشر الإسلام ومن أجل الحفاظ على اللغة ، ومن أجل الرقى بالأخلاق .

وهو مستمر فى رسالته: بالتعليم ،ومن فوق المنابر،و بالمقالات، و بالمحاضرات ومع ذلك فانى لا أريد أن أعفى نفسى ولا الأزهر من المسئولية ، وحتى لو حاولت ذلك لما استطعت ولكنى أحب أن أنبه إلى أنه ، مع قيام الأزهر بمسئوليته ، فان هناك بعض الأمور التى نرجو أن تذلل ، وهناك بعض العقبات التى نأمل أن تزول .

أما الأمور التى نرجو تذليلها ، فهو أن مصر والعالم الإسلامي على وجه العموم قد تضاعف عدد السكان فيها ، وكان من الطبيعى أن يتاح للأزهر مضاعفة الامكانات : أن يتاح له مضاعفة الامكانات فى معاهده ، ومضاعفة الامكانات فى كلياته ، ومضاعفة الامكانات على الخصوص ، فيما يتعلق بمكاتب تحفيظ القرآن الكريم .

ونحن من أجل مضاعفة هذه الامكانات نتجه إلى كل من يستطيع من المسئولين راجين أن يولى ذلك عناية تحقيق ما يرجوه الأزهر .

وإذا كنا قد اتجهنا أخيراً إلى الدول العربية لتتحمل شيئاً من مسئوليتها تجاه تمويل الأزهر باعتباره هيئة إسلامية عالمية ، وباعتبار أنه يغذى

معاهدها وجامعاتها بالأساتذة الذين لولاهم لما سارت هذه المعاهد والجامعات على الوضع المرجو . .

إذا كنا قد اتجهنا هذا الإتجاه فان النتيجة كانت ضئيلة ، وإذا كنا نقدم الشكر جزيلا لدولة الكويت ، ودولة قطر ، وإذا كنا نشكر كل من ساهم في التمويل من أفراد ، أو جماعات ، أو دول ، فاننا نحب أن نقول في صراحة .

إن المبلغ الذى وصلنا — جميعه — لا يكاد يكفى إلا لإنشاء خمسة عشر معهد أو هو — جميعه — لا يكفى لإنشاء كلية واحدة من كليات الأزهر . ومع ذلك فاننا نعود نتجه إلى ضمائر المحبين للخير راجين أن يوفقهم الله تعالى إلى أن ينالوا ثواب المساهمة الجادة الفعالة فى نشر كلمة الله تعالى .

إن الأمور التى نرجو تذليلها هي أن ينال الأزهر كلما يرجوه من إمكانات تمكنه من نشر رسالته على أحسن وأتم الأوضاع .

ولا ننسى فى هذا المجال أن نشكر الحكومة المصرية على ما تقدمه — بحسب ظروفها — من تيسير مشكور لأمور الأزهر .

أما العقبات التى نأمل أن تزول فانها كل هذه الفتن التى تسير بالشباب نحو الإنحراف ومنها على سبيل الأمثلة .

١ — الكتب والمقالات التى تتعرض للدين أو لجانب من جوانبه بالسخرية أو التشكيك .

٢ — القصص المثيرة لغرائز الشباب والتى يصل بها الأمر أحياناً أن تضفى على الخائن أو على الخائنة جوا من التقدير .

٣ — الصور الخليعة ، والإعلانات المثيرة عن محلات للعبث ، وعن رقص عار أو شبه عار .

٤ — هـذا الطوفان من التبرج الفاضح فى الشارع وفى المحلات التجارية وبين الموظفات فى المكاتب .

٥ - وجود هذه المحلات نفسها ناشرة للانحراف في إسراف مسرف .

٦ - عـدم اهتمام وسائل الإعلام على اختلافها بما يصلح الخلق ويرقى بالسلوك .

هذه العقبات التى ذكرناها وغيرها مما يعرفه المهتمون باصلاح المجتمع هي التى تحد نسبياً من الإنطلاق للكلمة الطيبة والدعوة الصادقة التى تنبعث عن الأزهر .

والأزهر فى جهاده المتتابع يرجو أن :

١ — يصلح المشرفون على وسائل الإعلام من أمرها .

٢ — أن لا يسمح بنشر ما يسىء إلى الدين أو إلى الفضيلة .

٣ — أن تدعم الدولة كل من يقف فى وجه الفساد من هيئات أو جمعيات أو بوليس آداب .

وإذا كنا قد تحـدثنا عن الأزهر فى جهاده ، وتحدثنا عن المعوقات التى نرجوا ملحين أن يهتم بازالتها السيد وزير الثقافة والإعلام والسيد وزير الداخلية وهما من المجاهـدين فى سبيل إصلاح المجتمع ، فاننا نصل الآن إلى عامل من أهم العوامل فى نشر الإيمان والخلق الفاضل حينما يسير على هــدى من التوجيه .

إن العامل الثانى الذى نحب أن نتحـدث عنه فيما يتعلق بنمو الشعور الإيمانى إنما هو التعليم الدينى فى المدارس ومن أوائل المسئولين إذن عن الأخلاق وزارة التربية . وعلى رأس وزارة التربية الآن وزير نثق فى اتزانه وحكمته وفى حبه للاصلاح وتحب البـلدان العربية لا تستجيب إلى النداء المتكرر من الحريصين على نمو الشعور الدينى الذين يرجون أن يكون للدين مجال مرموق

فى مناهج المدارس أن يكون له مجال مرموق : نظرياً وعملياً

* أما من الوجهة النظرية :

١ — أن تكون الكتب ممثلة للوضع الدينى السليم فى المبادىء التى تشرحها .

٢ — وأن تكون سهلة فى أسلوبها ، مناسبة لمستوى التلاميذ .

٣ — وأن يكون الزمن المتاح لها مناسب لأهميتها .

* وأما من الوجهة العملية فيجب :

١ — أن يكون فى كل مدرسة مسجد أو مصلى وليس ذلك بالأمر الصعب فالمسجد الذى نعنيه إنما هو قاعة كبيرة مهيأة للصلاة بصورة عادية.

وليس من المعقول فى بلد إسلامى أن يؤذن المؤذن للصلاة والتلاميذ فى دروسهم وفصولهم لا يتحركون .

٢ — وأن يكون للدين مدرسون يقتصرون على تدريسه كلما أمكن ذلك .

٣ — وأن يكون المدرسون والمدرسات قدوة فى السلوك الحسن .

على أنه يجب أن تبذل عناية كبيرة فى اختيار الآيات والآحاديث وأن يقتصر الكتاب على ذلك فلا يكون تأليفا وإنما يكون تخيراً ومهمة المدرس شرح هذه الآيات والأحاديث وتفسير كلماتها اللغوية .

ويؤسس هذا الإختيار على الجوانب التى تتصل بالعقيدة وبمكارم الأخلاق وبما يحتاج إليه التلميذ من أوائل أمور دينه فى العبادات .

ويكون المنهج إذن :

١ — آيات وأحاديث التوحيد ومن أوائلها : « قل هو الله أحد » .

٢ — آيات وأحاديث مكارم الأخلاق التى تحث على التقوى واحترام الوالدين وحب الجار واحترام حقوق الغير والحفاظ على كرامة نى الإنسان والصدق فى المعاملة والإخلاص فى العمل والإحسان فى كل ما يأتيه الإنسان وما يدعه ، ووجوب العمل وأن لا يكون الإنسان عالة على الآخرين .

٣ — الأيات والأحاديث الخاصة بالوضوء والصلاة والزكاة والصدقة والصيام والحج وفى القرآن والأحاديث عن ذلك الكفاية كل الكفاية ولا يحتاج مع الآيات والأحاديث إلى غيرها .

٤ — وأن تكون كتب المطالعة وما يملى على التلاميذ من قطع الإملاء مزودة بحظ وافر من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وخطب الخلفاء الراشدين .

على وزارة التربية إذن مسئولية كبرى فيما يتعلق بالتربية الأخلاقية فى المجتمع وأننا لعلى يقين من أن السيد الدكتور مصطفى كمال حلمى أهل لأن يتحمل المسئولية ويقوم بها خير قيام .

أما العلاج فيما نرى فانه تطبيق الإسلام ككل ، لطبيعته من حيث إقامة الحدود وتطبيقه من حيث أداء الزكاة وتطبيقه من حيث منع المسكرات والقمار وتطبيقه من حيث منع الربا ومنع كل تعامل يقوم على الربا من قرب أو من بعد : تطبقه من حيث هو نظام إلهى متكامل متماسك معصوم ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . وفى هذه الحالة لا يكون هناك اختلاف بين الأحزاب فى الغاية لأنه إذا كان الإسلام حاكما فلا يتأتى أن يكون هناك خرم إبرة لأى نظام دخيل منحرف ملحد مثل الشيوعية وإذا قامت أحزاب فانها تقوم على الإختلاف فى الوسيلة فقط التى يطبق بها الإسلام .. بيد أن هذا الإختلاف مهما بلغ من شأنه فانه لا يبلغ أن يكون مبرراً لوجود أحزاب تستزول من نفسها حين لا يوجد سبب كاف

لقيامها وإذا طبق الإسلام فلسنا بحاجة إلى أحزاب وإذا طبق الاسلام فان المجتمع يأمن كل فرد فيـه على نفسه وعرضه وماله وينعم بالطمأنينة تحيطه من كل جانب .

وإذا طبق الإســـلام وهو دين خلق كريم ، وعمـل دائب ، وجهاد مستمر — فان الله سبحانه وتعالى يتكفل بالنصر والرخاء بل ويضمنهما يقول سبحانه : ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز — ويقول : ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ..

لقـد دعا الأزهر دائماً لتطبيق الشريعه ككل دعا إلى تطبيقها فى آلاف الخطب من فوق المنابر وفى مقالات لا تحصى وفى كتب تؤلف : وتنشر لقد دعا إلى تطبيقها فى كل مكان وصلت إليه كلمته فى مصر وفى خارج مصر من أقطار العالم الاسلامى وهو يؤيد كل داع إلى تطبيقها .. وأرجو الله أن يجزيه عن أمته ودينه خير الجزاء إذا استجابت الأمة ممثلة فى مجلس الشعب إلى هدى الله فانها تفوز بالحسنين السعادة فى الدنيا والسعادة فى الآخرة .

وأما عن كتبه ومقالاته فقد كتب كثيراً يوجه السلوك والأخلاق وكتبه معروفة ومشهورة ، وأما مقالاته فلم تخل مجلة إسلامية فى الشرق العربى من مقالة لفضيلته كما لم تخل موجة إذاعية فى الإذاعات العربية والإسلامية من تسجيل لحديث من أحاديثه .

وكم كنت أشفق على فضيلته من كثرة هذا العمل وكنت أقترح أن يوزع على المستشارين وكبار العلماء فى الجامعة والمعاهد .. وكنت ألح على فضيلته إن يستريح من عناء العمل وكثرة الأسفار .. وما كنت أعلم أنه قرر أن يتحمل وحده مسئولية نشر الفضيلة والدعوة إلى تنمية الأخلاق .. فلم يدع مجالا من مجالات الأعلام والنشر إلا وسلكه تأدية للرسالة كأنما كان وحده الذي قيل له : لا تكلف إلا نفسك .

وأنه لشرف جليل ، ورسالة عظيمة أن يقوم بأعباء الدعوة اختياراً رجل فى هـذه السمة ولديه من الأعمال الجسام تلك التى ظهرت فى كثرة المعاهد وكثرة الـكليات وكثرة الأسفار ، وكثرة المحاضرات .

ولقد كان من طبعه أن لا يجـبر أحـداً على عمل شىء مادام الـكل قد كلف من الله بالتبليغ فما يمنع أحدأحدا وما يجوز أن يدعى أحد إلى أداء الواجب ما دامت القدوة وهي الرياسة العليا فى الأزهر تلزم نفسها بأداء الرسالة التى نيطت بكل واحد من العلماء صغاراً كانوا أو كباراً .

وأما فيما يتعلق بالخطة التى وضعها للتعاون بين الأزهر والتلفزيون فها هى كما رسمت دون تطوير فى حرف منها :

* * *

خطـــة

التعاون بين الأزهر والتليفزيون

فى البرامج الدينية

محتويات المذكرة

١ ـ التخطيط العام .

٢ ـــ اقتراح المواد .

٣ ـــ اقتراح بالبرامج المحددة .

٤ ـ اقتراح بالجانب الادارى

التعاون بين الأزهر والتليفزيون

فى البرامج الدينية

بناء على العرض الذى تقدم به جهاز التليفزيون باسم المدير العام للقناة رقم(٥) السيدة همت مصطفى فى اجتماعها بفضيلة الأمام الاكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر – وبحضور الاستادة : شيروبت شافعى .. والاستاذ بكر رشوان – عن التليفزيون – والاستاذ الدكتور محمد عبدالرحمن بيصار – وكيل الازهر – والاستاذ موسى صالح شرف – والدكتور يحيى هاشم من الازهر .

وبناء على توجيهات فضيلة الامام الاكبر شيخ الازهر بوضع الخطوط العامة لتنفيذ التعاون الذى تم الاتفاق عليه .

نعرض الآتى :

أولا : التخطيط العام للبرامج والمواد الدينية :

نرى أن يكون هذا التخطيط فى المستويات الآتية :

١ – مستوى عال : يوجه للمفكرين .

يناقش قضايا العصر من وجهة نظر الاسلام ، ويدافع عنها ، ويتبع فيه أسلوبان : أسلوب الندوة ، وأسلوب الدرس .

٢ – مستوى العامة :

يعرض المبادىء الاسلامية فى أسلوب تعليمى يستفيد منه المسلم العادى فى المواسم الدينية وتتبع فيه أسلوب :

١ ـ الدرس الواضح . ٢ ـ حلقات السؤال والجواب .

٣ ـ التمثيليات . ٤ ـ الاغنية الدينية .

٣ ـ مستوى الشباب :

يعرض عليهم المبادىء الاسلامية عرضاً واضحاً مقنعا ، ويراعى فيه مستويات الشباب المختلفة :

١ ـ فى الجامعات ٢ ـ فى المصانع ٣ ـ فى الحقل .

وذلك بالدرس : التمثيليات . والمسابقات

٤ ـ مستوى الاسرة :

ويهتم ببيان حكم الاسلام فى التقاليد والعادات الاجتماعية وموقف الاسلام من :

١ ـ زينة المرأة ٢ ـ نشاطها العام ٣ ـ حق العمل

٤ ـ اختيار الزوج أو الزوجة .

وذلك بأسلوب :

١ ـ الدرس ٢ ـ الندوة ٣ ـ التمثيلية ٤ ـ الاغنيـة

٥ ـ المناقشة ٦ ـ المسابقة

« المـــواد »

أولا : ما يختص بأصول الاسلام :

١ ـ تفسير :

(ا) التفسير المتابع (ب) التفسير الموضوع

آيات الاخلاق

آيات التشريع

آيات نظام المجمع

آيات الجهاد

آيات القصص القرآنى

آيات العقائد

٢ ـ الحديث :

السيرة متصلة متتابعة

أحاديث الاحكام

أحاديث الاخلاق

ثانياً : الحضارة الإسلامية :

١ ـ دعوات القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف إلى التفكير والتدبر والعلم وتنفيرها من الجهل وتعطيل التعقل .

٢ ـ نهضة المسلمين العلمية: بواعثها ، الابتكار الذى بلغوه ، تعريف ببعض علمائهم ، تعريف ببعض رواد الفكر الاسلامى ، تعريف ببعض تراثهم بيان ألوان من فضلهم عن الغرب .

٣ ـ نظمهم السياسية والادارية والقضائية ، ديوان المظالم .

ثالثاً : العالم الاسلامى المعاصر :

١ ـ أضواء على العالم الاسلامى المعاصر للتعريف بمواضع أقطاره ومساحاته وخيراتها وسكانها وعاداتها وصلات بعضها ببعض .

٢ ـ لمحات عامة إلى صادراتها ووارداتها .

٣ ـ الاهتمام بأخبار العالم الإسلامى .

رابعاً : لمحات عن التاريخ الإسلامى :

١ ـ التعريف ببعض المعارك الظافرة .

٢ ـ التعريف ببعض الابطال فى هذه المعارك .

٣ ـ نتائجها وآثارها .

خامساً : أبطال السلام :

١ ـ تعريف ببعض أبطال السلام فى الدعوة إلى الحق والعدل والخير فى مجتمع ظالم ضال فاسد .

٢ ـ تعريف ببعض الابطال الذين احتملوا الاذى فى نصرة الحق .

٣ ـ تعريف ببعض الابطال الذين آثروا العقيدة ورضوان الله تعالى على المال والجاه والحياة .

سادساً : القصص الدينى :

١ ـ تمثيليات قصيرة تتصل بالحضارة والبطولات والمعارك المشهورة .

٢ ـ تمثيليات قصيرة للتعريف ببعض الشخصيات التاريخية .

٣ ـ تمثيليات قصيرة للتعريف ببعض الاحداث الكبار .

ملاحظة : يجب اجتناب ما يتصل بالصحابة وآل البيت .

سابعاً : مسابقات دينية :

إعلان عن مسابقات دينية فى الموضوعات السابقة بين طلبة المدارس والمعاهد الثانوية والجامعات .

ثامنا : الاغانى الدينية مستمدة من الشعر الصوفى والمدائح النبوية وما يؤلف حديثا مناسبا للعصر الحديث .

تاسعا : الاناشيد الدينية :

يلهج بها الاطفال بدلا من الاغانى الخليعة المبتذلة :

عاشراً : اقامة ندوات حرة لعلاج موضوع اسلامى مع اباحة الاسئلة والاجوبة .

حادى عشر : رأى الاسلام يتناول المشكلات والشبهات القائمة وفيه يتم الرد على المستشرقين والمبشرين والمنحرفين بطريقة غير مباشرة .

ثانى عشر : القوانين السماوية والقوانين الوضعية لإبراز كمال التشريع الإسلامى ونقص القوانين البشرية فى شتى الموضوعات .

ثالث عشر : مسائل وقضايا الفقه : بحيث تتناول :

مانهانا الله عنه — الأمراض الإجتماعية العديدة التى عالجها الإسلام علاجا حاسماً ليقدم للعالم : « خير أمة أخرجت للناس » .

توصيات وقواعد عامة تراعى فى تقديم المواد والبرامج :

اللغة : يلتزم باللغة العربية الفصحى المبسطة .

المـدة : لاتقل المدة فى مجموعها عن مجموع مدة الأغانى .

التوقيت : يكون فى الوقت الأفضل ولا يقتصر على أول السهرة أو آخرها .

طريقة العرض : تكون على مستوى فنى رفيع ، ويتوفر لها الوضوع والبساطة والجاذبية .

* * *

تنقسم البرامج المقترحة إلى نوعين :

الأول : له الصفة الدينية المستقلة كما هو جار عليه العمل الآن .

الثانى : له صفة التغلغل فى البرامج الأخرى وهذا ينبغى أن نعطيه عناية كبرى .

النوع الأول : البرامج المستقلة :

إلى جانب البرامج القائمة حالياً نقترح البرامج الآتية :

١ ـ المكتبة الإسلامية : يقدم فيها نوعان من الكتب :

الأول : أحدث الكتب الإسلامية ذات القيمة :

الثانى : كتاب من التراث الإسلامى (يقدم أسبوعيا لمدة ١٥ ق) .

٢ ـ فى أروقة البحث الإسلامى :

تنتقل فيه الكاميرا إلى قاعات البحث والمحاضرة والمناقشة فى الأزهر لتسجيل بعض وقائعها مع التعليق والتوضيح .

(يقدم لمدة نصف ساعة كل أسبوع) .

٣ ـ مع قراءة الكتب الإسلامية فى الجامعات .

يقدم على مسابقة بين الشباب فى قراءة كتاب إسلامى يتناسب مع المستوى الجامعى غير المخصص .

(يقدم لمدة ساعة أو ٤٥ ق) .

٤ ـ الفتاوى : (يقدم لمدة ١٥ دقيقة كل أسبوع) .

يرد على رسائل الفتاوى .

ويستعين بأرشيف لجنة الفتوى .

ويتناوب الرد فى هذا البرامج نخبة من المتخصصين على رأسهم أعضاء لجنة الفتوى بالأزهر .

٥ ـ فى يوم الجمعة من كل أسبوع يقدم الاذان بالشكل الآتى :

(أ) دقيقتان قبل الاذان فى قراءة حديث أو آية تتعلق بالصلاة .

(ب) الاذان .

(ج) دقيقتان أو ثلاث بعد الاذان فى شرح الحديث أو الاية السابق قراءتها .

النوع الثانى : البرامج : المتغلغة (وهى أهم فى نظرى) :

١ ـ من ٣ ـ ٥ دقائق شرح حديث أو آية مناسبة لموضوع الحلقة التى تقدمها البرامج للفئات الآتية :

١ ـ الشباب . ٢ ـ العمال . ٣ ـ الفلاحين . ٤ ـ الجنود .

٥ ـ الأطفال .

٢ ـ تمثيلية سهرة كل شهر على الأقل .

ترتكز على الآداب والتعاليم الإسلامية باعتبارها الحل المشاكل العصرية التى يعانى فيها الفرد أو المجتمع .

وتقدم من واقع المجتمع المعاصر .

وتقدم فى ثوب فنى رفيع ، بعيداً عن الارتجال والاستخفاف .

تظهر فيه القيمة الاسلامية عن طريق الايحاء ، بعيداً عن الخطابة والوعظ .

٣ ـ العلم والايمان .

علاوة على البرامج القائم حالياً :

تعد مواد من هذا القبيل لتتداخل مع البرامج التى تقدم عن النواحى الطبية والفلكية والزراعية والثروة الحيوانية وما أشبه .

(٥ دقائق لهذه المادة ضمن البرامج العام) .

٤ ـ الأغنية :

يبدأ بتشجيع أذاعة أغانى فرقة الانشاد الدينى التى تمارس عملها حالياً ضمن فرقة الموسيقى العربية على مسرح سيد درويش .

٥ ـ يخصص وقت من ٣ ـ ٥ دقائق لبيان رأى الدين فى المشاكل الاجتماعية والعاطفية ضمن البرامج التى تخصص لذلك .

٦ ـ يقدم رأى الشريعة الاسلامية ـ بجوار الفقه القانونى الحديث ـ ضمن البرامج المخصص لحل المشاكل القانونية للجماهير .

الجانب الإدارى المتعلق بالأزهر :

أولا : تؤلف لجنة باسم : (اللجنة الاستشارية لشيخ الأزهر لشئون الاذاعة المرئية) .

١ ـ مهمتها : تقديم الرأى فى كل مايتعلق بتعاون الأزهر مع التليفزيون .

وذلك من حيث :

١ - اقتراح المواد والبرامج ، ونقدها .

٢ - ترشيح الشخصيات وتقييمها .

٣ - التخطيط والمتابعة لبرامج المواد الدينية .

وتنظر اللجنة في :

المسائل التي تحول إليها عن طريق مكتب شيخ الأزهر .

٢ - تؤلف اللجنة من :

١ - أحد الوعاظ .

٢ - أحد مفتشي العلوم الشرعية بمعاهد الأزهر .

٣ - أحد مدرسي الدعوة بكلية أصول الدين .

٤ - مدير مكتب شيخ الأزهر .

٥ - مدير البحوث والنشر بمجمع البحوث الإسلامية .

٦ - صحفي متدين .

٧ - مخرج تليفزيوني متدين .

٨ - كاتب إسلامي .

٩ - باحث إسلامي .

١٠ - ممثل أزهري — أو متدين .

ثانياً : تكلف إدارة الشئون العامة بالنواحي التنفيذية فتقوم بالآتي :

١ ـ متابعة البرامج بالوسائل الآتية :

(أ) مراجعة ما يكتب حولها فى الصحف والمجالات وغيرها من وسائل الاعلام .

(ب) مكاتبة المعنيين بالجوانب الدينية في التليفزيون : مثل :

أساتذة الأزهر .

الكتاب الاسلاميين .

أئمة المساجد .

الوعاظ . . . إلخ .

وتكون علي إتصال مستمر بهم بالمكاتبات البريدية . . برجاء موافاتها بتعليقاتهم وأفكارهم وخواطرهم حول البرامج التى يشاهدونها .

٢ ـ وتصنف الردود والتعليقات وتبوب وتلخص وتأخذ طريقها للعرض علي اللجنة الاستشارية .

٣ ـ وتقوم اللجنة بالتحضير لاجتماعات اللجنة الاستشارية .

٤ ـ يخصص لهذا الغرض موظفان متفرغان لهذا الشأن .

سادساً : تعبئة الأمة نحو :

تحرير الأرض

صد التيار الشيوعى

صد التيار الصليبي

* * *

(أ) تعبئته لتحرير الارض المحتلة

لقد جاهد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود فى تعبئة الجهود من أجل استرداد الوطن السليب والأرض المحتلة .

لقد ذهب إلى كل كتيبه فى الجيش :

ذهب إلى البحرية فى الأسكندرية .

وذهب إلى البحرية فى سفاجة .

كما ذهب إلى قوات الطيران .

والقوات المسلحة الأخرى .

ولقد أخطأنا يوم تركنا تحركات الشيخ فى هـذا المجال دون تسجيل أو إحصاء فما كنا ندرى أننا قد نكون فى حاجة إلى هذا الإحصاء .

إن تكثيف محاضرات الشيخ فى القوات المسلحة المصرية كانت عاملا مهما لرفع الروح المعنوية فى ضباطنا وعساكرنا .

ولقد كان حريصاً رحمة الله عليه على أن يؤكد لكل الوفود التى زارته فى المكتب من جامعـــات أوربا وأمريكا على حقوق الأمة العربية فى مسائل ثلاثة :

(أ) فى استرداد الأراضى التى أغتصبتها إسرائيل عام ١٩٦٧ .

(ب) فى استرداد بيت المقدس عربياً إسلامياً .

(جـ) فى حصول الفلسطينيين على حقوقهم المشروعة .

ولقد حضرت عديداً من هـذه اللقاءات ... كان يدور فيها الحوار بين

مولانا الإمام الأكبر وجموع أساتذة الجامعات الزائرين لمصر وكنت أحس بأن واجب المشيخة نحو الوطن العربى قد أدى كاملا .

ويوم المعركة أسهم بجهد مشكور فى :

(أ) عيادته للأبطال الجرحي فى المستشفيات وتوزيع المصحف الشريف رمزاً لتقديرهم وإعزازهم .

(ب) أصدر بياناً حث فيه المسلمين على الجهاد بالنفس والمال .

وإليكم هذا البيان :

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وسيد المجاهدين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الأطهار الميامين » .

أيها المسلمون فى أنحاء العالم شعوباً وحكومات :

تمر أمتنا العربية وعالمنا الإسلامى بظروف عصيبة تخوض فيها جيوشها وشعوبها حرباً مقدسة ضد العدو الإسرائيلى لتقاوم اعتداءاته المتكررة ولتدفع جيوشه عن أرض الإسلام .

وإن إسرائيل بهذه الإعتداءات وبالإصرار على انتهاك حرمات الأراضى الإسلامية والعربية ومقدساتها — فى نظر الإسلام — عدو لله ولرسوله وللعرب والمسلمين .

وقد فرض الله على المسلمين جميعاً فى جميع أنحاء العالم الإسلامى - فى حالة دخول أعداء الإسلام أرض المسلمين - الجهاد المقدس والذود عن أراضيهم وبذل كل ما يمكن من أنفس وأموال وجهود لدرء أخطاره الداهمة وشروره المتفاقمة .

لذلك :

يعلن شيخ الازهر وعلماؤه بأن الجهاد المقدس أصبح الآن فرض عين على المسلمين جميعاً فى كل بقاع العالم شعوباً وحكومات وعلماء — تلبية لواجبهم الدينى واستجابة لنداء الله عز وجل — أن يهبوا وأن يقوموا قومة رجل واحد ليخلصوا أرض الإسلام المغتصبة وحقوق المسلمين المسلوبة ومقدساتهم المنتهكة من شر هذا العدو الغاصب .

إن الله سبحانه لم يرض للمسلمين المهانة والذلة ، وإنما كتب لهم العزة والمنعة . فانه يقول وقوله الحق :

«ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين».

ولكن عزة المسلمين لا تتحقق ولا تصان إلا إذا جاهدوا فى سبيلها وضحوا من أجل نصرة دينهم وأوطانهم وثابروا فى البذل والفداء ، وفى جهادهم المقدس حتى تكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى وعندئذ يحق الله الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين .

أيها المسلمون فى مشارق الارض ومغاربها ، إن قول الله تعالى :

« انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله» لم يدع عذراً لمعتذر ، وهو عام مطلق ، فأجمعوا أيها المسلمون صفكم ، وقوموا بواجب الجهاد المقدس حتى تنتصروا على عدوكم فتصبحوا ظاهرين .

« وإنكم باذن الله لمنتصرون » .

« وإن جندنا لهم الغالبون » .

(ب) وقفته الشجاعة ضد التيار الشيوعى

لقد وقف الإمام الأكبر رضى الله عنه ضد الشيوعيين بقوة قوية ، وقد هيأه لهـذا الموقف فضلا عن إيمانه الراسخ وشخصيته الفذة القوية ثقافته الواسعة وخبراته الكثيرة .

فهو رجل جمـع بين ثقافات أوربا والثقافة الإسلامية وهو رجل طاف بلاد العالم كله ، وعلى يديه تتلمذ جمع غفير من كبار رجال العلم والأدب والإدارة . .

وكانت وقفة مولانا ضد الشيوعية لها ثلاث زوايا :

(أ) الزاوية الإسلامية وفى هذا أصدر فتواه التى تسعد بنشرها فى آخر هذا الحديث .

(ب) الزاوية العلمية فقد كتب عن الشيوعية عدة كتب توهى قيمتها العلمية ، وتفضح أساليبها اللا إنسانية .

من هذه الكتب :

* الإسلامية والشيوعية .
* أبو ذر الغفاري والشيوعية .
* فتاوى عن الشيوعية .

(جـ) الزاوية الإعلامية : فقد تصدى لهم إعلامياً فكتب مجموعة مقالات فى جريدة الأخبار ، وتحدث عن ذلك فى الإذاعة والتليفزيون .

لقد كان الإمام الأكبر جريئاً فى الحق لم يخش فيه لومة لائم لا سيما إذا كانت المسألة تتعلق بالعقيدة ، وكانت سياسة الماركسين فى مصر تريد أن تجعل من الإسلام شريكا للشيوعية تضليلا وخداعا ... فهب فضيلته رحمه الله — فى وجه هـذا التيار الخبيث وكشف غطاءه ليرى الناس وجه الماركسيين القبيح .

وكم وجه إليه الشيوعيون تهديداً ممـا جعل المسئولين فى الدولة يضعون مجموعة من رجال الأمن لحراسته ، وما علموا أن الله خير حافظ وهو أرحم الراحمين . ولكنهم تركوا أحباب الشيوعيين يزاولون تجاه الإمام الأكبر إساءاتهم فمكنوا لهم فى الصحافة وفى المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، فقد كان الشيخ رضى الله عنه صاحب جاذبية تخشى وشكيمة يحسب لها ألف حساب ، فلم يقدروا عليه ليدور فى فلكهم وفى نفس الوقت كانوا فى حاجة ماسة إلى مثل شخصيته فلم يكن معهم ولم يكن يعاديهم بل كان للاسلام والعروبة ولمصر وطنا وشعباً .

فتوى ضد الشيوعية

أما من الفتوى التى أصدرها الامام الأكبر فى تكفير الشيوعيين فهى : فتوى عن الشيوعية لفضيلة الامام الاكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر :

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

لقد بدأ الكفر بالدين مع « ماركس » منذ ابتداء الشيوعية .

فقد قال « ماركس » كلمته المشهورة :

« إن الدين أفيون الشعوب » .

ولقد تلقف « لينين » هذه الكلمة « لكارل ماركس » وأعلن أن هذه الكلمة هى حجر الزاوية فى الفلسفة الماركسية فيما يتعلق بالدين . أنه يقول حرفيا :

« قال ماركس : إن الدين هو أفيون الفقراء ، وهذا هو حجر الزاوية فى الفلسفة الماركسية جميعها من ناحية الدين ، وتعد الماركسية الديانات جميعاً والكنائس وكل أنواع المنظمات الدينية آلة لردالفعل البرجوازى الذى يستهدف الاستغلال بتخدير الطبقة العاملة » .

وفى المقدمة التى كتبت لكتاب « لينين » ما يلى نصاً :

« الإلحاد جزء طبيعى من الماركسية لا ينفصل عنها » .

ونتابع أقوال الشيوعيين عن الدين :

يقول « لونا شارسكى » الذى كان يوماً وزير للتعليم فى حكومة الشيوعيين :

« نحن نكره المسيحية والمسيحيين ، وحتى أحسن المسيحيين خلقاً نعده شر أعدائنا . وهم يبشرون بحب الجيران ، والعطف والرحمة ، وهذا يخالف مبادئنا ، والحب المسيحى عقبة فى سبيل تقدم الثورة ، فليسقط حبنا لجيراننا ، فان ما نريده هو الكراهية والعداوة ، وحين ذاك نستطيع غزو العالم » .

أن تبشير المسيحية أو — بتعبير آخر — تبشير الأديان بحب الجيران والعطف والرحمة يثير الكراهية فى نفس الشيوعى ، إذ أنه لا يعرف إلا الحقد والكراهية والعداوة . وبهذه الكراهية والعداوة يستطيع — فيما يزعم — غزو العالم !!

والزعيم الشيوعى « لينين » يعلن فى وضوح سافر عن الصلة بين الدين والشيوعية بكلمات قليلة حاسمة . أنه يقول :

« الماركسية هي المادية ، ومن ثم معادية للدين » !!

أما البرنامج الذى وضع للمؤتمر الدولى الشيوعى السادس الذى عقد فى عام ١٩٢٨ فانه يقول حرفياً :

« إن الحرب ضد الدين وهو أفيون الشعوب تشغل مكاناً هاماً بين أعمال الثورة الثقافية ويلزم أن تستمر هذه الحرب بأصرار وبطريقة منظمة » .

ولا يكاد لينين يمل الحديث عن الأديان ، ووجوب تحطيمها ، أنه يتحدث عنها بمناسبة وبدون مناسبة .

ولقد كتب فى يوم خطاباً للكاتب الروسى « مكسيم جوركى » يقول فيه :

« إن البحث عن الله لا فائدة فيه . ومن العبث البحث عن شيء لم تضعه فى مكان تخبئه فيه . وبدون أن تزرع لا تستطيع أن تحصد . وليس لك إله ، لأنك لم تزرعه بعد : والآلهة لا يبحث عنها ، وإنما تزرع . يخلقها البشر ، ويلدها المجتمع » .

ومما سبق نرى :

أن الشيوعية فى العقيدة : معارضة للاسلام !!!

وهى فى الأخلاق : معارضة للاسلام !!!

وهى فى الإقتصاد : معارضة للاسلام !!!

وهى فى كل هذه المعارضات : منكرة متعمدة ، بل سافرة مستهزئة .

فهى إذن ملحدة ، لا يشكون هم في ذلك ولا يشك فيه غيرهم . والواقع يكذب كل مماراة لهم . وهم فى موقفهم أشد انحرافاً عن الإسلام من المشركين .

ولقد بين الله الأحكام بالنسبة للملحدين والمشركين :

من هذه الأحكام : الأحكام الخاصة بالزواج مثلا :

يقول تعالى :

« ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ، ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم . ولا تنكحوا المشركين حتي يؤمنوا . ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم وأولئك يدعون الى النار، والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بأذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون » (٢٢١ البقرة) .

فالمسلمة إذن لا تحل لشيوعى . فاذا كان اعتنق الشيوعية بعد الزواج فانها تصبح محرمة عليه .

والمسلم لا تحل له الشيوعية . فاذا كانت اعتنقت الشيوعية بعد الزواج فقد أصبحت محرمة عليه .

وإذا مات الشيوعى أو الشيوعية ، فانه لا يصلى عليه ، ولا يدفن فى مقابر المسلمين ، ولا يرثه وارث مسلم ، ولا يرث هو من الأقارب المسلمين .

وإذا تاب الشيوعى : فان باب التوبة مفتوح ، والله يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل .

ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم .

شيخ الأزهر
دكتور عبد الحليم محمود

(جـ) صد التيار الصليبي

أحب في مستهل الحديث عن موقف الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود أن أنبه إلى عدة حقائق :

الحقيقة الأولى : أن فضيلة مولانا الإمام الأكبر لم يقف من التيار الصليبي موقفاً متشدداً لنعرة عصبية خالية من الفهم العلمي لبطلان التبشير المسيحي ذلك لأن فضيلته عاش في فرنسا وتخصص في مقارنة الأديان وعرف كيف تدرس هذه المادة ومنهج تدريسها وإتجاهه منهج العكس والمغالطة قصداً من علماء أوربا في بحثها ودراستها .

الحقيقة الثانية : أنه رضى الله عنه كان يتخذ الأساليب المشروعة غير الغوغائية في معالجة هذه القضايا الحساسة دون أن يثير ضجيجاً أو يدعو إلى ثورة أو يحرك انفعالا .

الحقيقة الثالثة : أنه كان يعتقد أنه بدون مصر وأزهرها الشريف فسوف تبطىء حركة الدعوة الإسلامية أو تكاد تموت .

الحقيقة الرابعة : وهي الأهم : أنه كان يحاول أن يحصل على مقاصده للاسلام بالحسنى وبالتي هي أحسن ما أمكن إلى ذلك سبيلا .

في ضوء هذه الحقائق واجه مولانا الإمام الاكبر التبشير المسيحي والتيار الصليبي بعدة أساليب :

أولا : بالتأليف :

ولقد كان حذقا ذكياً عبقرياً .. لانه لم يتطوع بالتأليف في هذه المسألة

رغم أهليته الأصيلة والعلمية فى هذا الميدان ، ولكنه عمد إلى كتاب ألفه مسيو شارل جنبي بير رئيس قسم الأديان فى جامعة بفرنسا ونقله إلى العربية وطبع فى بيروت معقل المسيحية فى العالم العربى : والكتاب هو : المسيحية : نشأتها وتطورها .

وملخص فكرة الكتاب : أن عيسى عليه السلام لم يدع أنه المسيح ، وأن الحواريين بدلوا شريعته من إقامة مملكة الله إلى عودة المسيح ، وأن شاول بدل هذه الغاية إلى تفسير عبد الله بابن الله ، وإلغاء الشريعة التى جاء بها موسى واستقلال المسيحية وإدعاء صكوك الغفران ... ألخ .. وأن الأناجيل قد ألفت من كاتبيها وليس ثمة دليل يؤكد صدقها ونسبتها إلى المسيح .. ألخ.

وتكون المسيحية بهذا قد انهارت بيد واحد من علمائها المسيحيين أنفسهم .. كما كتب عن موقف الأوربيين من الإسلام . وضح فيه جانبين :

الجانب الأول : أن المثقفين الصادقين فى ثقافتهم من علماء أوربا قد دخلوا فى الإسلام عن طواعية بعد فهم وإدراك .

الجانب الثانى : أن عداوة أوربا للاسلام عداوة مبعثها الجهل بالإسلام ، والحرص على استعمار العالم العربى والعالم الإسلامي وأن المسلمين من أبناء هذه الديار ينصحون الأوربيين بالرجوع عن موقفهم هذا ، ومصادقة العرب أفضل من معاداتهم ، والإسلام لهم خير مما هم عليه من دين .

ذلك ملخص سريع لكتاب : أوربا والإسلام .

ثانيا : بما أصدره من بيانات متكررة حول الأقليات الإسلامية يستصرخ فيها هيئة الأمم المتحدة ، ودول العالم المحبة للسلام ، ودول العالم الإسلامي ليقفوا فى وجه الطغيان الصليبي الذى يدمر المسلمين فى الفلبين ، وأرتيريا ، وبورما وقبرص ... ألخ .

وفيما يلي بعض من هذه البيانات :

بيان

من فضيلة الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر
عن الأحداث التي يتعرض لها المسلمون في الفلبين

حضر إلى إدارة الأزهر وفد من لجنة المتابعة لمسلمي الفلبين يحملون أنباء العدوان الصارخ الصليبي الذي يستهدف سحق المسلمين في الفلبين وإبادتهم وهتك أعراضهم وقتل أطفالهم، ومصادرة ممتلكاتهم في وحشية غادرة وتخطيط عنيد وهمجية تأباها الوحوش .

يحدث ذلك تحت سمع العالم وبصره ، وعلى الرغم من الأصداء القوية لهذه الأحداث الدامية ، فما رأينا إلا مزيداً من العدوان على العقائد وعلى الديار والأنفس والأعراض .

تجاوب مع هذه الأحداث كل من : مؤتمر علماء المسلمين لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، كما تجاوب مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية في جدة ، وتجاوبت رابطة العالم الإسلامي في مكة ، وشكلت لجنة لتقصي الحقائق في مواقع العدوان ، وبرغم ذلك كله ، وتحت سمع وثيقة حقوق الإنسان وبصرها ، وتحت سمع المنظمات الدولية وبصرها تمضي جحافل العدوان مصرة على إبادة المسلمين في الفلبين .

إن الشعوب المتحضرة والدول الرشيدة تعرف للانسان حقه في الحرية والكرامة ، ولقد عايش النبي ﷺ أهل الكتاب في ظل معاهدة تكفل لهم حرية العقيدة ولا تكلفهم إلا أن يتعاونوا مع المسلمين في الدفاع عن الوطن

المشترك فى المدينة ،وماقاتلهم رسول الله ﷺ بعدها إلا دفاعاً بعد أن أرادوا أن يستأصلوا الإسلام والمسلمين ، وعقد النبي ﷺ بعدها صلح الحديبية مع المشركين ، برغم أنهم صدوه عن البيت الحرام ، وظل حفيظاً عليه حتى خانوه ونقضوا أيديهم منه .

نعم حدث ذلك ، مع أن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ومع أننا فى القرن العشرين نرى الدولة فى الفلبين تطلق يد الجيش ليواصل عداوانه ضد المسلمين ، وليحكم ضدهم الحصار السياسى والإقتصادى والعسكرى والثقافى ، ولقد جاءنى الوفد بصور لبعض الضحايا تقشعر منها الأبدان ، وقد أذن الله للذين يقاتلون بأنهم ظلموا .

ويرى الأزهر حسم الموقف على خطوتين :

أولاهما :

أن تنبعث على الفور نداءات من شتى الدول المتحضرة فى العالم ، فى مقدمتها الدول الإسلامية ، ليتدخل الرئيس (ماركوس) كى يضع حداً لهذا العدوان الأثيم ، ولا شك أنه قادر على ذلك لو أراد .

وثانيتهما :

أن يتجاوب المسلمون في بقاع الدنيا لنجدة إخوانهم فى الفلبين على النحو الذى يفرضه كتاب الله على كل مسلم .

ما كنا نود أن تصل بنا الاحداث إلى كل هذا ، ولكنه عدوان واقع علينا وعلى أخوتنا باصرار وعناد وتصميم ، ومن حق المعتدى عليه أن يدافع عن نفسه وماله وعرضه ،ومن واجب المسلمين أن يكونوا جسداً واحد وبنياناً مرصوصاً ، فالمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله .

أيها المسلمون :

« كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم . والله يعلم وأنتم لا تعلمون » .

٢٩ من ذى القعدة سنة ١٣٩٥ هـ

٢ من ديسمبر سنة ١٩٧٥ م شيخ الأزهر

(دكتور عبد الحليم محمود)

ثالثا : بتوريطه وفد الفاتيكان فى اعترافه بضرورة التخفيف عن الأقليات الإسلامية إن كانت النية صادقة فى لقاء صادق بين المسلمين والمسيحيين وقصة ذلك :

إن وفداً من الفاتيكان برياسة الكاردنيال سيرجيو بنيدولى رئيس أمانة شئون غير المسيحيين بالفاتيكان .. قد حضر مع وفد إلى مصر من أجل مقابلة شيخ الأزهر بقصد التفاهم فى بعض المسائل الإنسانية التى تهم العالم الإسلامى والعالم المسيحى .

حضور هـذا الوفد سابقة أولى فى تاريخ الأزهر . . فهل يوافق الإمام الأكبر على استقباله ؟ أو هل يفرض استقباله؟

على عادة الشيخ رضى الله عنه أخذ الآراء وسكت وفكر . . ثم قرر استقبال الوفد .

قرر استقبال الوفد إحياء للأسلوب النبوى فى استقبال الوفود بالمسجد المؤسس على التقوى من أول يوم من أجل تبليغهم دعوة الله حتى لا تكون لهم معذرة بعد ذلك .

وقرر استقبال الوفد لأمور هيأها فى نفسه سوف يعرضها عندما تحين مناسبتها وسوف يقدم بها خدمة لدينه ولأمة المسلمين .

وقرر الشيخ استقبال الوفد دون أن يفصح لأحد عن غايته . . وحضر الوفد يوم الأربعاء ٤ من جمادى الاولى ١٣٩٨ هـ الموافق ١٢ من إبريل سنة

١٩٧٨ ، وكان مع الوفد أوراق عمل . . وكان فى ذهن الشيخ عدة مطالب محددة ، وكان معه كذلك ورقة عمل ماخصها فى أربع نقاط :

١ — أن يشيع فيما بين المسلمين والمسيحين احترام الانبياء والرسل جميعاً وأن نتفق على أن يكون سيدنا محمد صلى الله عليـــه وسلم له تقديره فى أحاديث المسيحين .

٢ — السعى إلى إصلاح المجتمع الإنسانى ببذل كل الجهود فى وجه الانحرافات الخلقية والإلحاد .

٣ — أن نتكاتف لنشر عاطفة الرحمة فى الشرق وفى الغرب ، وأن نجنب العالم ويلات الحروب .

٤ — أن نتكاتف فى وجه التفرقة العنصرية .

ولا شك إذا سلم الجانب الفاتيكانى بهذه المبادىء فعليه أولا وقبل كل شىء أن ينهى القساوسة الذين يذهبون فى كل بلد يسبون نبى الاســلام عليه الصلاة والسلام ، وعليهم كذلك أن يرفعوا أيديهم عن تعذيب المسلمين فى الدول المسيحية ، وعليهم كذلك أن يتوجهوا إلى الشيوعية الملحدة بدل المسلمين الذين يريدون تنصيرهم وسواء فهم الفاتيكان هـذا أو لم يفهم فان المسائل المترتبة على قبولهم هذه المبادىء لامناص أنها داخلة فيها يدركها الذكى وغير الذكى على السواء .

وقبل وفد الفاتيكان هذه المبادىء كأسس للقاء بين المسلمين والمسيحيين .

فكان ذلك عاملا مساعداً ، لأن يتقدم الإمام الأكبر بمطالبة مباشرة للكاردينال ممثل الفاتيكان فوجه إليه مطلبين اثنين فى الجلسة الثانية التى انعقدت ظهراً فى نفس اليوم الذى افتتح فيه اللقاء .

وهذان المطلبان هما :

أولا : الأقليات الاسلامية الموجودة فى أقطار مسيحية تعانى من الظلم والعسف والاضطهاد .

وتسأل الامام الأكبر :

هل هناك أمل فى أن يخفف عنهم شىء من ذلك ؟

ففى الفلبين مثلا يعانى المسلمون كبير المعاناة من الدولة الحاكمة هناك وأن ما يقع من تعذيب وتنكيل شىء فظيع جداً .

ثانياً : هناك حملة قوية ترصد لها ميزانية ضخمة تقدر بالملايين الكثيرة من أجل التبشير فى الأجواء الاسلامية ، وفى البلاد الاسلامية هذه الحملة يراد بها تحويل المسلمين عن دينهم ، فهل هناك من أمل أن توجه هذه الحملة إلى الوثنيين أو إلى غير المؤمنين فيخفف بذلك عن المسلمين من ضغوط ثم يكون الأمر بالنسبة للوثنيين كما تشاء الكنيسة ؟

إننى أحب أن أقول : أن هذين الموضوعين لهما فى نفوس المسلمين أثر كبير والتخفيف منهما يكون عامل مودة وتعاون ومحبة بين المسلمين والمسيحيين .

وخرج وفد الفاتيكان من الأزهر وهو يحمل :

أولا : أنه لا تعاون ، ولا ثقة بين الفاتيكان والأزهر ما لم تنته هذه الموجة من التبشير ، وتلك الغلظة على المسلمين والأقليات المسلمة فى البلدان المسيحية .

ثانياً : أنهم مطالبون بتنظيم علاقاتهم مع المسلمين على أسس احترام جميع الأنبياء ونشر الرحمة ، والفضيلة ومحاربة الالحاد .

كما أنهم خرجوا وقد تركوا فى أوراق العمل التى كتبوها بخط أيديهم أنهم ما زالوا يجهلون الكثير عن الاسلام . . وهذه الحقيقة إذا نشرت عرف الباحثون أن كل الطعون التى قام بها المستشرقون والمبشرون كانت قائمة على جهل بالإسلام وبني الإسلام . . وإذن فهم مجانبون للحقيقة العلمية ومخالفون للقيم الأخلاقية .

ويحسن بى أن أنشر هنا نص كلمة الإمام الأكبر فى هذا اللقاء .. توضيحاً لسياسته فى مواجهة مثل هذه المواقف .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد خاتم النبيين ، وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه إلى يوم الدين ..

وبعـــد :

فمرحبا بالوفد المسيحى وأهلا به : مرحباً بوفد الفاتيكان وأهلا به .

ونرجو له إقامة طيبة بمصر ، ونرجو أن يهدينا الله إلى الصراط المستقيم ، وليس هناك من تحية لكم أفضل من أن نذكر لكم بعض آيات من القرآن الكريم ، تتحدث عن مكانة المسيح عليه السلام عند الله ، وعن مكانة أمة المطهرة .

يتحدث القرآن الكريم عن أم العذراء حين وضعتها فقالت : متجهة إلى الله سبحانه وتعالى بقولها وبدعائها :

« رب إنى وضعتها أنثى . والله أعلم بما وضعت . وليس الذكر كالأنثى . وإنى سميتها مريم . وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم . فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً . وكفلها زكريا . كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً . قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله . إن الله يرزق من يشاء بغير حساب » .

ويقول القرآن الكريم :

« وإذ قالت الملائكة يا مريم . إن الله اصطفاك ، وطهرك واصطفاك على نساء العالمين » .

أما عن سيدنا عيسى عليه السلام ، فيقول القرآن الكريم :

« إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً فى الدنيا والآخرة ، ومن المقربين ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين » .

« قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر . قال كذلك الله يخلق ما يشاء ، إذا قضى أمراً فانما يقول له كن فيكون ، ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ورسولا إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً باذن الله . وأبرىء الأكمه والأبرص وأحيي الموتى باذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ، إن فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين » .

أما عن موقف الاسلام من الرسل السابقين فان الله تعالى يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم :

« قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط . وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » .

وأما عن موقف الاســـلام من أهل الأديان الأخرى ، فان الله تعالى يقول :

« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ، ان الله يحب المقسطين » .

وفى هذه الآية الكريمة ينبه الله سبحانه الى أمرين :

١ — البر بهم ، أى اسداء المعروف اليهم .

٢ — العدل بالنسبة لهم .

وذلك يمشى فى انسجام تام مع الهـــدف الذى من أجله نزل الاسلام ، يقول تعالى :

« وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » .

وكل ما يتنافى إذن مع الرحمة الحقيقية فانه يتنافى مع الاسلام .

والرحمة فى الجو الاسلامى ليست رحمة خاصة ، وانما هى رحمة عامة يدخل فى نطاقها البشر على مختلف ألوانهم ، وعلى مختلف بيئاتهم ، ويدخل فى نطاقها الحيوانات .

ولقد دخلت امرأة النار فى هرة حبستها ، فلا هى أطعمتها وسقتها ، ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض .

وشكر الله لرجل وجد كلباً يلهث من العطش فبذل جهده حتى سقاه ، فأدخله الله الجنة بسبب رحمته .

والله سبحانه هو الرحيم الودود ، ورسوله ﷺ هو نبى الرحمة .

أما عن موقف الاسلام بالنسبة للتفرقة العنصرية فانه يحسن بنا أن نقول كلمات موجوزة حول موقف الاسلام بالنسبة لكثير من الأمور .

ما الاسلام ؟ لقد سئل رسول الله ﷺ عن الاسلام ما هو ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : الاسلام هو أن يسلم لله قلبك . واسلام القلب لله تعالى إذن هو الاسلام . . الاسلام هو الاسترسال مع الله تعالى على ما يحب وهو يتحقق بقوله تعالى :

« اياك نعبد واياك نستعين » .

ويتحقق الإسلام كاملا فى الهجرة الكبرى إلى الله تعالى ، والتى تتمثل فى قوله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم :

« قل إن صلاتى . ونسكي . ومحياى . ومماتى . لله رب العالمين . لا شريك له » .

وهذا المعنى الخالد للاسلام لا يعرف تفرقة عنصرية ، ومن هنا فانه لم يوجد فى الإسلام فقط مبدأ التفرقة العنصرية ، التى ظهرت فى بعض البلاد بصورة تتنافى مع الإسلام ، ومع الإنسانية .

ومن أجل مفهوم الاسلام الذى ذكرناه كان إكرام الناس عند الله تعالى لا يرجع إلى بيئة ، ولا إلى وطن ، ولا إلى جنس ، ولا إلى لون ، ولا يرجع إلى المنصب ، ولا إلى الثراء ، وإنما يرجع إلى التقوى .

يقول تعالى :

« إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

والتقوى : هي أن يسير الانسان فى أضواء الايمان متقرباً إلى الله تعالى ، وأن يبتعد الإنسان عن ظلمات المعاصى والآثام .

هى مقياس الاكرام الالهى وهى مقياس الشرف الانسانى ، ومن هذا الذى ذكرنا يتحدد ـ إسلامياً ـ الجو الذي يسود تفاهمنا .

وذلك :

أولا : أن يشيع فيما بيننا احترام الأنبياء والرسل جميعاً .

إن احترام سيدنا عيسى عليه السلام ، والاعتراف به وبرسالته ، جزء من إيماننا ، إنه جزء من إسلامنا .

إننا نؤمن بعيسى ، وموسى ، وإبراهيم ، وبقية الأنبياء والرسل ، وأول أمر نحب أن نتفق عليه هو أن يكون محمد عليه الصلاة والسلام له تقديره فى أحاديث إخواننا المسيحيين ، وفى كتاباتهم .

إن الأسلوب الذى يتناول به الغربيون سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم يجافى المودة والانصاف أحياناً ، ويسيء إلى شعور المسلمين ، ويحدث سوء تفاهم نتمنى أن لا يحدث .

وإذا كان تقدير رسول الاسلام هو ما نأمله ، فاننا نأمل مثله بالنسبة لمبادئ الاسلام فى المعاملات ، وفى الأحوال الشخصية .

وأما ثانياً : فاننا كمؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، ونرى أن المجتمع لا يصلح إلا بذلك ، ونرى أن الله سيحاسبنا على فساد المجتمع وسيجزينا خيراً إذا عملنا على إصلاحه ، فانه يجب علينا أن نتكاتف تكاتفاً تاماً فى القيام فى وجه كل انحراف يريد أن يسير بالانسانية إلى الالحاد ، وفى العالم الآن عوامل كثيرة تصرف الانسان عن ربه ودينه ، ونرجو الله سبحانه أن يمكننا من ارضائه فى مقاومة ذلك .

وأما ثالثاً : فانه يجب علينا أن نتكاتف ، فى نشر عاطفة الرحمة ، فى الشرق وفى الغرب ، وأينما كنا وحيثما حللنا .

إن أقطاراً تدمر ، وإن قرى تحرق ، وإن أطفالا تيتم ، تحت سمع الانسانية وبصرها ، وعلينا أن نعمل بقدر ما نستطيع لايقاظ الضمير العالمى .

وما من شك : فى أن ذلك ليس سهلا ، ولكن علينا أن نعمل فى حقل يحبه الله تعالى ، وتحبه رسل الله عليهم الصلاة والسلام .

وأما رابعاً : فانه علينا أن نتكاتف فى الوقوف فى وجه التفرقة العنصرية ، لقد شاهدت بنفسى صوراً رمزية ، من صور التفرقة العنصرية فى بلاد تزعم لنفسها حضارة ومجداً ، وهى تتردى هابطة إلى مستويات من القسوة يمقتها الله ، ويمقتها الصالحون من عباده .

وبعد : فاننا نعود فنرحب بالوفد الفاضل ، ونرجو الله تعـالى أن يجعل نتيجة عملنا المشـــترك خيراً للانسانية ، ورحمة بها ، وأمناً ، وطمأنينة ، وسلاماً .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

وأخيراً

مشروع الدستور الاسلامى

لقد أدى فضيلة مولانا الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود رسالته نحو :

- الإتباع .. فأحيا سنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنهى دور الكلام فى مفهوم السلفية وجعلها سلوكا عملياً لمن شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا.

- وأعاد إلى مشيخة الأزهر مكانتها ووظيفتها .

- وانشر المعاهد الأزهريةفي محاولة لتهيئةالمجتمع لتطبيقالشريعة الاسلامية.

- وجعل التعليم العالى قريباً فى كل محافظة ليبسر على المسلمين تعليم أبنائهم وليعيد إلى الإسلام دور علمه الأولى فلم يكن الأزهر وحده الذى يمنح الشهادات بالقاهرة .. بل كان الجامع الأحمدى بطنطا يسهم بنفس المستوى والقدر فى منح مثل هذه الأجازات العليا .. فأعاد الشيخ عبد الحليم هذه السنة بانتشار كليات الأزهر في الأقاليم .

- وقنن الشريعة تيسيراً للقضاة إذا أحبوا الاطلاع عليهاوالاحتكام إليها .

- وقنن أحكام الله فى الحرابة ، والردة ، والسرقة ، والزنا ، والقذف والشرب لتحل محل القانون الوضعى ليعذر بذلك مجلس الشعب الذى يتحمل أمام الله مسئولية حماية القوانين وسنها .

- ووقى الرسم العثمانى من محاولات التحريف ، أو التحصيف بما بذله من جهد فى تحقيق الرسم العثمانى بجهود الأزهر ثم بما بذله من جهود مضنية فى

طباعة المصحف . . حتى صار للأزهر الشريف رسمياً مصحف هو العمدة فى الاعتماد على التعرف على الرسم العثمانى والوقف والاملاء الخاصين بالمصحف الشريف.

ــ ودافع عن الاسلام بكل ما يملك من قدرة وقوة وسيلة فى وجه الشيوعيين ، والعلمانين والمستشرقين ، والمبشرين .

ــ وقدم لوطنه خدمات جليلة فى الوادى الجديد ، وفى صعيد مصر ، وفى أنحاء الوطن كله .

ــ ودافع عن القدس الشريف ونافح هناك فى الكونجرس الأمريكى ، وفى محادثاته مع الرئيس كارتر .

ــ وسافر إلى أقطار العالم الاسلامى يسعى إليهم ليتعرف على أحوالهم وليحل ما يمكنه حله من مشكلاتهم فلا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها .. وقد أثر كثيراً فى هذه الزيارات فى يقظة الحركة الاسلامية مع هدوئه الهادىء ووقاره الرزين الثابت فلم يبق أمامه إلا أن يضع دستوراً إسلامياً تحتذى حذوه كل بلد إسلامى يريد أن يقيم حياته التشريعية على أساس من دستور إسلامى . . فكان هذا الدستور .. وكان خاتمة أعمال المجيدة .. فقد إنتهى الدستور طباعة يوم ١٥ أكتوبر سنة ١٩٧٨ ، وكانت وفاة مولانا رضى الله عنه يوم ١٧ أكتوبر سنة ١٩٧٨ . . فكانت خير خاتمة لرجل عالمى فى ربانيته وسلفيته .

بسم الله الرحمن الرحيم

مشروع الدستور الاسلامي

مقدم من

الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية

١ – جاء في قرارات وتوصيات المؤتمر الثامن لمجمع البحوث الإسلامية الذى أنعقد بالقاهرة في ذى القعدة سنة ١٣٩٧ ﻫ الموافق أكتوبر سنة ١٩٧٧م « يوصى المؤتمر أن يقوم الأزهر ومجمع البحوث الإسلامية بصفة خاصة بوضع دستور إسلامي ليكون تحت طلب أية دولة تريد أن تأخذ بالشريعة الإسلامية منهاجا لحياتها ، ويرى أن تؤخذ فى الاعتبار عند وضع هذا الدستور أن يعتمد على المبادىء المتفق عليها بين المذاهب الإسلامية كلما أمكن ذلك » .

٢ – تنفيذاً لهذه التوصية قرر مجلس مجمع البحوث الإسلامية بجلسته المنعقدة فى ١١ من المحرم سنة ١٣٩٨ ﻫ الموافق ٢١ من ديسمبر سنة ١٩٧٧ م إسناد وضع هذا المشروع إلى لجنة الأبحاث الدستورية الإسلامية بالمجمع على أن يدعى لهذه اللجنة الشخصيات التى يمكن أن تسهم فى وضع هذا المشروع .

٣ – بناء على ذلك قام فضيلة الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر ورئيس مجمع البحوث الإسلامية بتأليف لجنة عليا بجانب السادة أعضاء لجنة الأبحاث الدستورية بالمجمع نخبة من كبار الشخصيات المشتغلين بالفقه الإسلامي والقانون الدستورى لتتولى هذه المهمة .

٤ — قررت اللجنة العليا المشار إليها عند اجتماعها برئاسة فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر تأليف لجنة فرعية منبثقة عن اللجنة العليا تقوم بوضع الدراسات والبحوث واعداد مشروع هذا الدستور على أن يعرض بعد انجازه على اللجنة العليا .

٥ — تابعت اللجنة الفرعية اجتماعاتها أسبوعيا بصفة دورية حتى انتهت من اعداد المشروع ووضعه فى صيغته النهائية ثم رفعته إلى اللجنة العليا .

وقد تضمن هذا المشروع تسعة أبواب تحتوى على ثلاث وتسعين مادة مفصلة على الوجه الآتى :

الباب الاول	الأمة الإسلامية	٤ مواد
الباب الثانى	أسس المجتمع الإسلامى	١٣ مادة
الباب الثالث	الإقتصاد الاسلامى	١٠ مواد
الباب الرابع	الحقوق والحريات الفردية	١٦ مادة
الباب الخامس	الإمام	١٧ مادة
الباب السادس	القضاء	٢٣ مادة
الباب السابع	الشورى والرقابة وسن القوانين	مادتان
الباب الثامن	الحكومة	مادتان
الباب التاسع	أحكام عامة انتقالية	٧ مواد

* * *

والأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلاميه تتقدم بهذا المشروع للعرض على المؤتمر التاسع للمجمع تنفيذاً لتوصية المؤتمر الثامن .

الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية

دكتور الحسينى عبدالمجيد هاشم

مشروع

الدستور الإســلامى

« بسم الله الرحمن الرحيم »

الباب الأول

الأمة الإسلامية

مادة/١ : (ا) المسلمون أمة واحدة .

(ب) والشريعة الإسلامية مصدر كل تقنين .

مادة/٢ : يجوز أن تتعدد الدول فى الامة الإسلامية وأن تتنوع أشكال الحكم فيها .

مادة/٣ : يجوز للدولة أن تتحد مع دولة اسلامية أكثر فى الشكل الذى يتفق عليه .

مادة / ٤ : يقوم الشعب بمراقبة الإمام وأعوانه وسائر الحكام ومحاسبتهم وفق أحكام الشريعة الإسلامية .

* * *

الباب الثانى

أسس المجتمع الإسلامى

مادة ٥ : التعاون والتكامل أساس المجتمع .

مادة ٦ : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض ويأثم من يقصر فيه مع القدرة عليه .

مادة ٧ : الأسرة أساس المجتمع ، قوامها الدين والأخلاق وتكفل الدولة دعم الأسرة وحماية الأمومة ورعاية الطفولة وتهيئة الوسائل المحققة لذلك .

مادة/٨ :حماية الأسرة واجب الدولة بالتشجيع على الزواج وتيسير أسبابه المادية بالاسكان والمعونات الممكنة وتكريم الحياة الزوجية وتهيئة الوسائل لحسن تبعة المـــرأة لزوجها وخدمة ألاودها واعتبار العناية بالأسرة أول واجباتها .

مادة/٩: العناية بسلامة الامة وصحة الأفراد واجب الدولة وعليها توفير الخدمات الطبية المجانية للمواطنين من وقائية وعلاجية .

مادة/١٠ : طلب العلم فريضة والتعليم واجب الدولة وفقا للقانون .

مادة/١١ : التربية الدينية منهج أساسى فى جميع مراحل التعليم .

مادة/١٢ : تلتزم الدولة بتعليم المسلمين الأمور المجمع عليها من الفرائض وتدريس السيرة النبوية وسيرة الخلفاء الراشدين دراسة وافية على مدار سنوات التعليم .

مادة/١٣ : تلتزم الدولة بتحفيظ ما تيسر من القرأن الكريم للمسلمين فى سنوات التعليم حسب أنواع الدراسة كما تنشىء معاهد خاصة بالقرآن الكريم لتحفيظه لغير الطلاب وتطبع المصحف الكريم وتيسر تداوله .

مادة/١٤ : التبرج محظور والتصاون واجب وتصدر الدولة القوانين والقرارات لصيانة الشعورالعام من الابتذال وفقا لأحكام الشريعة الإسلامية.

مادة/١٥ : اللغة العربية اللغة الرسمية والتاريخ الهجرى واجب ذكره فى المكاتبات الرسمية .

مادة / ١٦ : الولاية العامة منوطة بمصلحة الرعية وخاصة حماية الدين والعقل والنفس والمال والعرض .

مادة / ١٧ : لا يكفي أن تكون الغايات مشروعة بل يجب في جميع الحالات أن تكون الوسائل مطابقة لأحكام الشريعة الإسلامية .

* * *

الباب الثالث

الأقتصاد الإسلامي

مادة / ١٨ : يقوم الاقتصاد على مبادىء الشريعة الإسلامية بما يكفل الكرامة الإنسانية والعدالة الاجتماعية ويوجب السعى فى الحياة بالفكر والعمل ويحمي الكسب الحلال .

مادة / ١٩ : حرية التجارة والصناعة والزراعة مكفولة فى حدود الشريعة الإسلامية .

مادة / ٢٠ : تضع الدولة خططاً للتنمية الاقتصادية وفقاً للشريعة الإسلامية .

مادة / ٢١ : تقاوم الدولة الاحتكار ولا تتدخل فى الأسعار إلا للضرورة .

مادة / ٢٢ : تشجع الدولة على تعمير الصحراء وتوسيع رقعة الأرض المزرعة .

مادة / ٢٣ : لا يجوز التعامل بالربا أخذاً أو عطاء أو أن يستر أى تصرف معاملة ربوية .

مادة / ٢٤ : للدولة ملكية ما فى باطن الأرض من المعادن والخامات وغيرها من الثروات الطبيعية .

مادة / ٢٥ : كل مال لا مالك له يكون مملوكا لبيت المال . وينظم القانون طريقة تملك الأفراد له .

مادة / ٢٦ : تصرف الدولة الزكاة التى يقــــدمها إليها الأفراد فى مصارفها الشرعية .

مادة / ٢٧ : الوقف على الخيرات جائز ويصدر قانون بتنظيمه من جميع النواحي .

الباب الرابع

الحقوق والحريات الفردية

مادة / ٢٨ : العدل والمساواة أساس الحكم وحقوق الدفاع والتقاضى مكفولة، ولايجوز المساس بها .

مادة / ٢٩ : الإعتقاد الدينى والفكرى وحرية العمل وإبداء الرأى بالقول والكتابة أو غيرها وإنشاء الجمعيات والنقابات والإنضمام إليها والحرية الشخصية وحرية الانتقال والاجتماع كلها حقوق طبيعية أساسية تكفلها الدولة فى حدود الشريعة الاسلامية .

مادة / ٣٠ : للمساكن والمراسلات والخصوصيات حرمة والتجسس محظور. ويحدد القانون مايرد على هذه الحرمة من قيود تمارسها الدولة فى جرائم الخيانة العظمى أو الخطر الداهم ولاتكون تلك الممارسة إلا بأذن قضائى ،

مادة / ٣١ : حق التنقل داخل البلاد وخارجها مباح ولايمنع المواطنون من السفر إلى الخارج ولا إلزامهم البقاء فى مكان دون آخر إلا بحكم قضائى يبين القاضى أسبابه ولايجوز نفى المواطنين .

مادة / ٣٢ : تسليم اللاجئين السياسيين محظور وينظم تسليم المجرمين العاديين باتفاقات مع الدول المعنية .

مادة / ٣٣ : تعذيب الأشخاص جريمة . ولاتسقط الجريمة أو العقوبة

طول حياة من يرتكبها ويلتزم فاعلها أو الشريك فيها بالمسئولية عنها في ماله فإن كان بمساعدة موظف أو بموافقته أو بالسكوت عنها فهو شريك في الجريمة جنائياً ومسئول مدنياً وتسأل معه الحكومة بالتضامن .

مادة / ٣٤ : يعاقب بعقوبة التعزير الموظف الذي تقع في إختصاصه جريمة تعذيب علم بها ولم يبلغ السلطات المختصة عنها .

مادة / ٣٥ : لايطل دم في الاسلام وعلى الدولة تعويض المستحقين من قتلى لايعرف قاتلهم أو عجزة لايعرف من أعجزهم أو عرف ولم يوجد لديه مال يكفل التعويض .

مادة / ٣٦ : لكل إنسان حق تقديم الشكوى عن جريمة تقع عليه أو على غيره أو على أختلاس المال العام أو تبديده .

مادة / ٣٧ : حق العمل والكسب والتملك مكفول ولايجوز المساس به إلا بمقتضى أحكام الشريعة الاسلامية .

مادة / ٣٨ : للمرأة أن تعمل في حدود أحكام الشريعة الاسلامية .

مادة / ٣٩ : تكفل الدولة حرية الملك وحقوق الملكية وحرمتها ولاتجوز المصادرة العامة بأية أداة كانت أما المصادرة الخاصة فلا تكون ألا بحكم قضائي.

مادة / ٤٠ : لاتنزع ملكية أحد ألا للمصلحة العامة ومقابل تعويض كامل وفقاً لأحكام القانون المنظم لذلك.

مادة / ٤١ : إنشاء الصحف مباح والصحافة حرة وذلك كله في حدود أحكام الشريعة الاسلامية .

مادة / ٤٢ : للمواطنين حق تكوين الجمعيات والنقابات على الوجه المبين

فى القانون ويحظر منها مايكون نشاطه معاديا لنظام المجتمع أو سريا ذا طابع عسكرى أو مخالفاً بأى وجه من الوجوه لأحكام الشريعة الاسلامية .

مادة / ٤٣ : تمارس الحقوق وفقاً لمقاصد الشريعة .

* * *

الباب الخامس

الامام

مادة / ٤٤ : يكون للدولة أمام وتجب الطاعة له وأن خولف فى الرأى .

مادة / ٤٥ : لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق ولا للامام فى أمر مقطوع بمخالفته للشريعة .

مادة / ٤٦ : يبين القانون طريقة البيعة العامة فى أختيار الامام على أن تتم البيعة العامة تحت أشراف القضاء . وتكون البيعة بالأغلبية المطلوبة لأصوات المشتركين فى البيعة .

مادة / ٤٧ : يشترط للمرشح لرئاسة الدولة : الاسلام والذكورة والبلوغ والعقل والصلاح والعلم بأحكام الشريعة الاسلامية .

مادة / ٤٨ : يتم تعيين الامام ببيعةعامةمن جميع طبقات الأمةطبقاً للقانون ويجوز للمرأة أن تطلب الاشتراك فى الانتخاب متى أستوفت شروطه وتمكن من الانتخاب[1] .

مادة / ٤٩ : لاجناح على من أبدى رأيه ضد البيعة للامام قبل تمامها .

---

(١) رأت اللجنة أن تكون الفقرة الأخيرة موضع دراسة عند بحث هذا المشروع لأقراره .

مادة / ٥٠ : لأصحاب الحق فى البيعة عزل الإمام متى تحقق سببه وبالطريقة التى يبينها القانون .

مادة / ٥١ : يخضع الإمام للقضاء وله الحضور أمامه بوكيل عنه .

مادة / ٥٢ : يتمتع رئيس الدولة بكافة الحقوق التى يتمتع بها المواطنون ويلتزم بما يلتزمون به وتسرى فى حقه الأحكام المالية التى يحددها القانون .

مادة / ٥٣ : لاتجوز الوصية للامام أو الوقف عليه أو على أقاربه حتى الدرجة الرابعة إلا أن تكون وصية ممن يرثه الإمام . كما لايجوز للأمام أن يشترى أو يستأجر شيئاً من أملاك الدولة أو أن يبيع أو يؤجر شيئاً من أملاكه إليها .

مادة / ٥٤ : الهدايا للامام غلول ومايتم منها يضاف إلى بيت المال .

مادة / ٥٥ الإمام قدوة للرعية فى العدل والإحسان والعمل الصالح وهو يشارك غيره من أئمة المسلمين فى كل ما يهم الجماعة الإسلامية كما يبعث بعثاً للحج كل عام يشارك به فى مؤتمرات المسلمين الرسمية وغير الرسمية .

مادة / ٥٦ : الإمام مسئول عن قيادة جيشه لجهاد العدو وحفظ الثغور وتراب الوطن وإقامة الحدود وعقد المعاهدات بعد إقرارها .

مادة / ٥٧ : الإمام مسئول عن تمكين الأفراد والجماعة من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وأداء الفرائض .

مادة / ٥٨ : يعين الإمام موظفى الدوله ويجوز أن يخول القانون غيره تعيين الموظفين من غير المستويات العليا .

مادة / ٥٩ : العفو عن الجرائم فيما عدا الحدود لايكون إلا بقانون .

وللامام العفو عن عقوبات الجرائم فى ظروف خاصة فيما عدا عقوبات الحدود والخيانة العظمى .

مادة / ٦٠ : للامام عند الضرورة أتخاذ تدابير إستثنائية يبينها القانون إذا قامت قلاقل أو قام ما ينذر بحدوث قلاقل أو تهديد كيان الدولة أو حرب أهلية أو حرب مع إحدى الدول على أن يعرضها على المجلس النيابى خلال أسبوع من إتخاذها . وإذا لم يكن قد تم إنتخاب المجلس فيدعى المجلس القديم وتبطل هذه التدابير إن لم يتبع فيها هذا الإجراء . ويصدر قانون بتنظيم هذه التدابير الإستثنائية والآثار المترتبة عليها والجهات المختصة بأتخاذها وكيفية تسوية الآثار المترتبة عليها فى حالة عدم إقرارها .

* * *

الباب السادس

القضاء

مادة / ٦١ : يحكم القضاء بالعدل وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية .

مادة / ٦٢ : الناس سواسية أمام القضاء ولايجوز تمييز أحد أو فئة بمحاكم خاصة .

مادة / ٦٣ : لايجوز إنشاء محاكم خاصة أو حرمان صاحب قضية من قاضيه الطبيعى .

مادة / ٦٤ : لايجوز منع القضاء من سماع الدعوى ضد الإمام أو الحاكم .

مادة / ٦٥ : تصدر الأحكام وتنفذ باسم الله الرحمن الرحيم ولايخضع القاضى فى قضائه لغير الشريعة الاسلامية .

مادة / ٦٦ : تنفيذ الأحكام مسئولية الدولة والامتناع أو التراخى فى تنفيذها جريمة يعاقب عليها .

مادة / ٦٧ : تكفل الدولة إستقلال القضاء والمساس باستقلاله جريمة .

مادة / ٦٨ : تختار الدولة للقضاء أصلح المؤهلين له من الرجال وتيسر أداءه لعمله .

مادة / ٦٩ : يشترط في جرائم الحدود أن يحضر المتهم المحاكمة وأن يحضر معه محام يختاره هو أو تندبه الدولة إن لم يختر هو محامياً .

مادة / ٧٠ : مجلس القضاء علني وللعامة حضوره ولايجوز جعله سرياً إلا لضرورة شرعية .

مادة / ٧١ : توقع عقوبات الحدود الشرعية في جرائم الزنا والقذف والسرقة والحرابة وشرب الخمر والردة .

مادة / ٧٢ : يحدد القانون التعزيزات التي يوقعها القاضي في غير جرائم الحدود .

مادة / ٧٣ : يبين القانون أحكام القسامة ولايجوز أن تجاوز المسئولية المدنية مقادير الديات .

مادة / ٧٤ : يبين القانون شروط قبول التوبة وأحكامها .

مادة / ٧٥ : لايحكم بالاعدام في جناية إلا إذا امتنع الصلح أو عفو ولي الدم .

مادة / ٧٦ : يجوز التصالح في القصاص على أكثر من الدية .

مادة / ٧٧ : يجوز أن تتساوى المرأة والرجل في الدية .

مادة / ٧٨ : شروط القصاص في الجروح التماثل الكامل ، وكمال اليقين بذلك القاضي .

مادة / ٧٩ : الجلد هو العقوبة الأساسية في التعزيزات والحبس محظور إلا في جرائم معدودة ولمدد محدودة يبينها القاضي .

مادة / ٨٠ : لايجوز أذلال المحبوس أو إرهاقه أو الاساءة إلى كرامته .

مادة / ٨١ : تنشأ محكمة دستورية عليا تختص بالفصل في مدى مطابقة

القوانين واللوائح لأحكام الشريعة الاسلامية وأحكام هذا الدستور ويحدد القانون إختصاصاتها الأخرى .

مادة / ٨٢ : ينشأ ديوان للمظالم يحدد القانون تشكيله وإختصاصاته ومرتبات أعضائه .

الباب السابع (١)

الشورى والرقابة وسن القوانين

مادة / ٨٣ : يكون للدولة مجلس للشورى يمارس الاختصاصات الآتية :

(١) سن القوانين بما لايتعارض مع أحكام الشريعة الاسلامية .

(٢) إعتماد الموازنة السنوية للدولة وحسابها الختامى .

(٣) ممارسة الرقابة على أعمال السلطة التنفيذية .

(٤) تقرير مسئولية الوزارة عن أعمالها وسحب الثقة بها عند الأقتضاء .

مادة / ٨٤ : يحدد القانون شروط الانتخاب وطريقة أحداثه وشروط العضوية ، وذلك على أساس من الشورى على وجه يكفل مشاركة كل بالغ عاقل حسن السمعة فى إبداء رأيه ، وكذلك كيفية معاملة أعضاء المجلس من الناحية المالية ، ويضع المجلس لائحته الداخلية .

* * *

الباب الثامن

الحكومة

مادة / ٨٥ : تتولى الحكومة مسئولية إدارة شئون الحكم وتحقيق المصالح

---

(١) يحذف هذا الباب فى الدول التى ليس لها مجالس للشورى :

الشرعية المعتبرة وتكون مسئولة أمام الإمام[1] .

مادة / ٨٦ : يحدد القانون شروط تعيين الوزراء والأعمال المحظورة عليهم أثناء تولى مناصبهم ، وطريقة محاكمتهم عما يقع منهم فى عملهم .

الباب التاسع

أحكام عامة وانتقالية

مادة / ٨٧ : مدينة (...) حاضرة البلاد .

مادة / ٨٨ : يبين القانون علم الدولة وشعارها ويحدد الأحكام الخاصة بكل منها .

مادة / ٨٩ : تسرى القوانين على ما يقع من تاريخ نفاذها ، ولا تسرى بأثر رجعى إلا فيما تنص عليه ويلزم لذلك موافقة ثلثى أعضاء المجلس النيابى ولا تجوز الرجعة فى المسائل الجنائية .

مادة / ٩٠ : تنشر القوانين فى الجريدة الرسمية خلال أسبوعين من يوم إصدارها ويعمل بها بعد شهر من اليوم التالى لتاريخ نشرها إلا إذا حدد لذلك ميعاد آخر .

مادة / ٩١ : لكل من الإمام والمجلس النيابى طلب تعديل مادة أو أكثر من مواد الدستور ويجب أن يذكر فى طلب التعديل المواد المطلوب تعديلها والأسباب الداعية إلى هذا التعديل ، فاذا كان الطلب صادراً من المجلس النيابى وجب أن يكون موقعاً عليه من ثلث أعضاء المجلس على الأقل .

وفى جميع الأحوال يناقش المجلس مبدأ التعديل ويصدر قراراً فى شأنه بأغلبية ثلثى أعضائه فاذا رفض الطلب فلا يجوز إعادة طلب تعديل المواد ذاتها قبل مضى سنة على هذا الرفض .

---

(١) تحذف هذه الفقرة فى الدول التى لها مجالس للشورى .

وإذا وافق المجلس النيابى على مبدأ التعديل يناقش بعد شهرين من تاريخ هذه الموافقة المواد المطلوب تعديلها فاذا وافق على التعديل ثلثا أعضاء المجلس عرض على الأمة لإستفتائها فى شأنه .

فاذا وافق على التعديل اعتبر نافذاً من تاريخ إعلان نتيجة الإستفتاء .

مادة / ٩٢ : كل ما قررته القوانين واللوائح من أحكام قبل صدور هذا الدستور يبقى صحيحاً ونافذاً ومع ذلك يجوز إلغاؤها أو تعديلها وفقاً للقواعد والإجراءات المقررة فى هذا الدستور ، فاذا كانت مخالفة لأحكام الشريعة الإسلامية وجب إلغاؤها واستبدالها بغيرها .

مادة / ٩٣ يعمل بهذا الدستور من تاريخ إعلان موافقة الأمة عليه فى الإستفتاء .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

قرار شيخ الأزهر رقم (١١)

بتاريخ ٢٥ من المحرم ١٣٩٨ ﻫ

الموافق ٥ من يناير ١٩٧٨ م

شيخ الأزهر :

بعد الإطلاع على القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ بشأن إعادة تنظيم الأزهر والهيئات التى يشملها والقوانين المعدلة له .

وعلى قرار السيد رئيس الجمهوريه رقم ٢٥٠ لسنة ١٩٧٥ باصدار اللائحة التنفيذية للقانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ المشار إليه .

وعلى قرارات وتوصيات المؤتمر الثامن لمجمع البحوث الإسلامية المنعقد بالقاهر فى شهر ذى القعدة سنة ١٣٩٧ ﻫ الموافق أكتوبر سنة ١٩٧٧ م المتضمنة فى توصيته الأولى وضع دستور إسلامى ليكون تحت طلب أية دولة تريد أن تأخذ الشريعة الإسلامية منهاجاً لحياتها .

قـــرر

مادة / ١ : تشكل لجنة عليا لوضع مشروع دستور إسلامى ليكون تحت طلب أية دولة تريد أن تأخذ الشريعة الإسلامية منهاجاً لحياتها على أن

تؤخـذ فى الإعتبار الإعتماد على المبادىء المتفق عليها بين المذاهب الاسلامية كلما أمكن ذلك .

وللجنة أن تشكل لجنة فرعية من بين أعضائها .

مادة / ٢ : يكون تشكيل اللجنة العليا المشار إليها على الوجه الآتى :

١ — فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحيم محمود رئيساً

٢ — فضيله الاستاذ الدكتور الحسينى هاشم .

٣ — الاستاذ المستشار السيد عبد العزيز هندى .

٤ — فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف .

٥ — فضيلة الاستاذ الدكتور عبد الجليل شلبي .

٦ — فضيلة الاستاذ الشيخ عبد الجليل عيسى .

٧ — الاستاذ المستشار عبد الحليم الجندى مقررا

٨ — الاستاذ المستشار عبد الفتاح نصر .

٩ — الاستاذ المستشار الوزير عبد المنعم عماره .

١٠ — الاستاذ المستشار على على منصور .

١١ — فضيلة الاستاذ الدكتور محمد حسن فايد .

١٢ — فضيلة الاستاذ الشيخ محمد خاطر محمد الشيخ .

١٣ — الاستاذ المحامى محمد عطية خميس .

١٤ — فضيلة الاستاذ الدكتور محمود شوكت العدوى .

١٥ — الاستاذ المستشار مصطفى عفيفى .

١٦ — الاستاذ المستشار الدكتور مصطفى كمال وصفى .

وفى حالة غياب رئيس اللجنة يتولى رئاستها أكبر الاعضاء سناً .

مادة / ٣ : تقوم السكرتارية الفنية لمجمع البحوث الاسـلامية بأعمال السكرتارية ويجوز أن يضم إليها بعض الفنيين بقرار من شيخ الأزهر .

مادة / ٤ : يعمل بهذا القرار من تاريخ صدوره ويلغى ما يخالف ذلك من القرارات وعلى الجهات المختصة تنفيذه .

شيخ الأزهر

(عبد الحليم محمود)

بسم الله الرحمن الرحيم

قرار شيخ الأزهر رقم (١٢)

بتاريخ ٢٥ من المحرم سنة ١٣٩٨ ﻫ

الموافق ٥ من يناير ١٩٧٨ م

شيخ الأزهر :

بعد الإطلاع على القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ بشأن إعادة تنظيم الأزهر والهيئات التى يشملها والقوانين المعدلة له .

وعلى قرار السيد رئيس الجمهورية رقم ٢٥٠ لسنة ١٩٧٥ الصادر به اللائحة التنفيذية للقانون المشار إليه .

وعلى قرارنا رقم ١١ بتاريخ ١٩٧٨/١/٥ ، بشأن تشكيل لجنة عليا لوضع الدستور الإسلامى تنفيذاً لتوصية المؤتمر الثامن لمجمع البحوث الإسلامية .

قـــرر

مادة (١) : تشكل لجنة فرعية منبثقة من بين أعضاء اللجنة العليا لوضع الدستور الإسلامى على الوجه الآتى .

١ — فضيلة الأستاذ الدكتور الحسينى هاشم .

٢ — الأستاذ المستشار السيد عبد العزيز هندى (مقرراً) .

٣ — فضيلة الأستاذ الشيخ حسنانين محمد مخلوف .

٤ — الأستاذ المستشار عبد الحليم الجندي .

٥ — الأستاذ المستشار عبد الفتاح نصار .

٦ — الأستاذ المستشار الوزير عبد المنعم عماره .

٧ — فضيلة الأستاذ الشيخ محمد خاطر محمد الشيخ .

٨ — الأستاذ المحامى محمد عطيه خميس .

٩ — الأستاذ المستشار مصطفى عفيفى .

١٠ — الأستاذ المستشار ياقوت العشماوى .

١١ — الأستاذ المستشار مصطفى كمال وصفى .

١٢ — فضيلة الدكتور محمود شوكت العدوى .

ويتولى رئاسة اللجنة أكبر الأعضاء سناً من الحاضرين ، وفى حالة حضور فضيلة الإمام الأكبر اجتماعات اللجنة تكون له الرئاسة .

مادة (٢) : تقدم اللجنة الفرعية ماتنتهى إليه من بحوث ودراسات بشأن مشروع الدستور الاسلامى إلى فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر .

مادة (٣) : على الجهات المختصة تنفيذ هذا القرار كل فيما يخصه .

شيخ الأزهر
(عبد الحليم محمود)

أسفاره الميمونة المباركة

كانت أسفاره – والله شهيد عليها – تعبا ومشقة وكفاحاً مريراً فى سبيل تبليغ الرسالة كانت تعبا ومشقة وكفاحاً مريراً من حيث :

— سنه وضعف بنيه .

— ومشقة السفر الطويل .

— وزحمة الأعمال وكثرة الترتيبات .

— وتعقد المشكلات وتشابكها بين المسلمين .

— وقلة ذات اليد واتساع رقعة المحتاجين .

ولكنه مع هذا كان يجاهد ويقدم كل ما يملك من حلول .

ولقد شهد الذين سافروا معه مرافقين فى ركبه أنهم كانوا يتعبون من متابعته وكان يتحمل وحده مشقة العمل والنشاط فى الرحلة .

إنه لم يسافر كما يتخيل البعض للنزهة فإن مشكلات العالم الإسلامى لا تدع فرصة للراحة الذهنية فضلا عن التنزة .

وكان يتخيل البعض أنه يحصل على هدايا وساء ظنهم فالذين سافروا معه يعرفون بكم كان يرجع مولانا محملا بالأثقال لحل مشكلات العالم الإسلامى .

لقد كان يسافر تأدية الرسالة .. وكانت أسفاره كثيرة لأن رسالته كانت واسعة فهى رسالة الدعوة الاسلامية :الدعوة العالمية للأبيض والأحمر والأسود وهى بقية الخلافة الاسلامية يشعر بالواجب المقدس على عاتقه يدفعه ليبلغ

الناس ما نزل إليهم من ربهم « إن عليك إلا البلاغ » ، « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها » على هذين الأساسين : وجوب التبليغ ، والتكليف بقدر الطاقة .. كان يسافر ليبلغ ، وكان يحل المشكلات بقدر ماتسعفه الميزانية أو بقدر ما كان يتصرف حسب جهوده المباركة .

لقد كان سافر إلى ماليزيا مرتين : أحدها : وهو وكيل الأزهر فوضع خطة الدراسة ومنهجها للكلية الاسلامية بجامعة ماليزيا القومية والثانية : وهو شيخ للأزهر دعى لحضور احتفال ..٤ أسرة دخلت الاسلام حديثاً فى ولاية صباح بماليزيا الشرقية .

وسأعرض هنا الفقرة الثانية من التقرير الذى كان قد أعد أثر عودته ليرى الباحث كيف كان رضى الله عنه يعمل فى أسفاره .

المحاضرات العامة والدروس الدينية

في يوم الجمعة ٣١/٥/١٩٧٤ كان يوما حافلا بالعمل العلمي

ففي الصباح الساعة التاسعة توجه الركب إلى مبنى الإذاعة والتليفزيون وسجلت عـدة أحاديث في الإسلام تتلاءم مع ظروف البيئة وتناسب مع نفسية الأمة التي ما زالت على الفطرة وتدعى إلى الدخول في الإسلام ، كما تضمنت كذلك توجيهات للدعاة والمشتغلين في حقل الدعوة الإسلامية .

كما سجلت عدة تلاوات للانتفاع بهـا في أيام رمضان والمواسم الإسلامية الأخرى .

وصلينا الجمعة في المسجد (الجامع) وكان موضوع الخطبة التي ألقيناها « العلم والإيمان » كأساس للحياة الإسلامية المعاصرة .

وبعد صلاة المغرب ألقينا محاضرة في نفس الجامع .. وكان موضوعها : (إن الدين عند الله الإسـلام) . إن الغاية العظمى للاسلام هي الرحمة العامة لجميع الناس .

وفي يوم السبت ١/٦/١٩٧٤ : نظم لنا لقاء مع القوات المسلحة الفدرالية الموجودة في مدينة كينابالوا عاصمة ولاية صباح .

وطلب قائد اللواء أن نتحدث للضباط والجنود عن أثر الإيمان في نصرة الجيش الإسلامي .

وكانت فرصة طيبة إن نعرض في ذلك الاحتفال الرائع الضخم في

القوات المسلحة الماليزية معركة الشرف التى خاضها جيشنا المصرى الباسل فى ١٠ من رمضان المجيد ولقد تحدثنا عن تأييد الله سبحانه وتعالى للجيش المصرى فى حرب رمضان وعن الكرامات التى تمت فى أماكن عديدة وإن الأساس بعد الاستعداد المحكم والخطة الدقيقة والتوقيت الحصيف كان مرجعه الإيمان القوى بالله سبحانه وتعالى الذى كان طابعاً عاما يشعر به رئيس الدولة وجميع مستويات القيادة عسكرياً وحكوميا وسياسيا وشعبيا .

لقد كان الايمـان بالله سبحانه وتعالى والطمأنينة النفسية التى ألفت بين قلوب الشعب المصرى فالتف حول قائده المؤمن فكان العبور (وكانت الله أكبر) تدوى فى أجواء سيناء فانخلعت قلوب الاسرائيليين وجبنوا وأصابهم الارتباك حتى عبر الجيش المصرى فى أمان الله ونصره .

ولقد قوبلت هذه المحاضرة بكثير من الارتياح النفسى .. فقد أزالت كثيراً من التساؤلات عن حرب ٦٧ كما تحدث بذلك القائد تليفونيا إلى فضيلة المفتى الذى لم يحضر هذا الحفل لمشاغله الكثيرة .

وفى يوم الأحد ١٩٧٤/٦/٢ : فى إحدى ضواحى مدينة كينابالوا ألقينا محاضرة عامة فى مسجد ليكس LEKUS وكان موضوعها قوانين التقوى : (الراحمون يرحمهم الرحمن) . . (من لا يرحم لا يرحم) . . (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) .

وفى يوم الأثنين ٣ / ٦ / ١٩٧٤ : ســافرنا إلى دائرة بيلوت BELOT وصلينا المغرب فى مسجد « تاون جرس » باحـدى الضواحى ، ثم ألقينا محاضرة فى المدرسة الاسلامية المجاورة للمسجد وكان موضوعها : صفات المؤمنين فى سورة التوبة التى تدور حول (التائبون العابدين الحامدون ... إلخ الآية) . . .

وفى يوم الخميس ٦/٦/١٩٧٤ : بدعوة من تن سرى عبد الجليل حسن ناظر مسجد الكلية الاسلامية بكوالا لومفور ألقينا محاضرة بعد صلاة المغرب عن العلم فى الجو الاسلامى وواجب العلماء فى العصر الحديث ، وقد شاهد هذه المحاضرة لفيف من أساتذة الجامعة والمشتغلون بالدراسات الاسـلامية .

هذا وقد كان للوفد المرافق لنا بعض من هذه النشاطات العلمية .. كما إن غالبية هذه المحاضرات سجلت فى الاذاعة الحكومية لولاية صباح .

وكان شريط الأنباء فى التليفزيون الماليزى يعرض باستمرار مقابلاتنا الرسمية ومحاضراتنا العامة .

° ° °

المهمة الرسمية

تتلخص المهمة الرسمية فى شطرين :

الأول : تفقد خطة الدعوة التى أعدتها جمعية الدعوة الاسلامية وتساندها الحكومة .

الثانى : حضور إحدى حفلات إشهار إسلام عدد كبير من المواطنين كنوع من التدليل على أن الأمة الاسلامية لها ملجأ يرجع إليه وهو الأزهر .

أما فيما يتعلق بالشطر الأول :

فى يوم الأحد ٢ / ٦ / ١٩٧٤ : دعينا إلى زيارة غرفة العمليات بالمركز الرئيسى للدعوة الاسلامية (أوسيا) وقد راعنا دقة الاحصاءات والبيانات المتعلقة بالوضع السكانى والجغرافى والدينى للقاطنين فى ولاية صباح ، كما أدهشنا ثقل الحكومة المحلية فى تدعيم حركة الدعوة الاسلامية حيث تعطيها الحكومة ١٪ الناتج من المناجم والمعادن التى تحصل عليها من باطن الأرض مثل البترول والذهب والنيكل والقصدير ، كما أعطت الحكومة قطعة من أرض الغابات الخشبية مساحتها ٤٠ كم ٢ كوقف ينفق من عائده على الدعوة الاسلامية .

وقد جهزت حركة الدعوة بالسيارات البرية واللنشات البحرية لتنقل الدعاة .

ويتولى رئاسة الجمعية : تون مصطفى رئيس الوزراء ويشرف عليها الشيخ المفتى ومعه ١١٧ واعظا وداعية أكثرهم متخرجون من الأزهر الشريف بمصر وبعضهم من جامعات المملكة العربية السعودية .

وقد قسمت المناطق حسب كثافة السكان فى التدين فهناك مناطق فيها نسبة من المسلمين من ٦٠ إلى ٩٠٪ وهذه لها خطة خاصة فى الدعوة : المحافظة على المجتمع الاسلامى من سطو المبشرين .

والدعوة بالرفق والأناة لغير المسلمين .

وفى المجتمعات الأخرى التى تقل فيها نسبة المسلمين توضع دراسات محلية إقليمية لظروف كل حى أو بيئة ، ثم توضع لها الخطة حسب الظروف الخاصة.

ومما يجدر ذكره إن رئيس الدولة : تن سرى محمد فؤاد ـ قد دخل الاسلام بفضل هذه الجهود منذ عام ونصف .

وإن بعض الوزراء مثل السيد : عبد الغنى جيلونج ـ كذلك قد دخل فى الاسلام نتيجة جهود هذه الجمعية .

وقد لمسنا فى السيد رئيس الوزراء حماسا بالغ الحد لنشر الدعوة الاسلامية إلى درجة إنه يتحمل مؤونة الحج لمن يدخل فى الاسلام على نفقته الخاصه ، وقد بلغ عددهم حتى الآن ثلاثة آلاف حاج من المسلمين الجدد .

وبفضل جهود هذا الرجل المسلم الذى ينتمى إلى أصل عربى فهو من سلالة سلاطين صولو العرب الذين فروا من الارهاب الاستعمارى الاسبانى إلى صباح ثم استوطنوا فيها ، بفضل جهود هـذا الرجل ارتفعت نسبة الاسلام فى هـذه الولاية من ٣٨٪ عام ١٩٦٢ إلى ٥٣٪ عام ١٩٧٣ ، ولهـذا فقد أعلن إن الاسلام هو الدين الرسمى لهذه الولاية .

وبعد أن استمعنا إلى البيانات الدقيقة فى غرفة العمليات قدمنا لهم عدة توصيات أهمها :

١ ـ العناية بشئون الداخلين فى الاسلام حديثا من حيث التثقيف والرعاية الاجتماعية والصحية .

٢ ـ تأسيس المساجد واعطائها وظيفتها الأولى كمدرسة وجامعة ومركز إشعاع عام للحي ودار لرعاية المحاويج .

٣ ـ بناء المدرسة الإسلامية حسب الحاجة وتمكينها من وظيفتها في نشر الأخلاق والوعي الإسلامي .

٤ ـ إعادة منهج تدريب الأئمة والوعاظ بحيث يشمل موضوعات تمثل الواقع الحيوي للمسلمين في المنطقة ويكون التدريب في فترة زمنية كافية .

٥ ـ العمل على سد منافذ المعصية في وسائل الإعلام حتى يسلم المجتمع الإسلامي من سموم الأعداء .

٦ ـ نشر وسائل مبسطة عن الإسلام في المجالات التي يرى أنها ضرورية ويمكن للأزهر أن يمدكم بالموضوعات وبالكتب التي تقترحونها .

٧ ـ نشر مكتبات في المساجد تساعد المعتكفين على التفكير .

٨ ـ يستحسن الاستعانة بالخبراء من العلماء والمسلمين وخاصة علماء الأزهر فيما يتعلق بخطة الدعوة وسيرها وتدريب الأئمة .

أما فيما يتعلق بالشطر الثاني :

وهو حفل إشهار الإسلام في منطقة بيلود/BELOT فقد كان حفلا رائعاً جداً . لقد حضرت العائلات بأطفالهم الرضع وجلسوا في صفوف منتظمة :

الرجال والغلمان في جانب .

والسيدات والفتيات في جانب آخر .

وكانت الحفلة في برلمان الدائرة ، وأخذ القائمون على شأن الحفلة في توزيع الملابس والحلوى على الحاضرين من هؤلاء الذين سيدخلون في الإسلام .

وكان المفروض أن يحضر هذا الحفل تون مصطفى غير أنه أناب عنه تن سرى سعيد وزير الزراعة وقد حضر الحفل المحافظ ورئيس المدينة والمفتى ولفيف من العلماء وأعضاء البرلمان وقد ألقينا فى هذا الحفل محاضرة عن محاسن الإسلام : إنه دين التوحيد والرحمة ودين الإخلاص ودين العمل والتعاون والصدق والعدل والإخاء .

ثم أعلن كل فرد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وانتهى الحفل وعدنا إلى عاصمة صباح مدينة كينا بالوا فى نفس اليوم الثلاثاء ٤/٦/١٩٧٤ .

النتائج :

لقد كانت نتائج هذه الرحلة موفقة إذ ان المسلمين فى هذه الولاية بالذات يشعرون بالضغط المسيحى من ناحية الفلبين والضغط الشيوعى المركز من ناحية سراواك ولكل من هذين الاتجاهين مصدره الذى يغذيه .

وجاءت رحلتنا هذه متنفسا للمسلمين الذين ارتبطوا نفسيا وتاريخيا بمصر وأزهرها الشريف فهو قبلتهم وملاذهم دائما .

كما أن السيد رئيس الوزراء قد رحب بكل الأفكار والتوصيات التى قدمناها لخطة الدعوة الإسلامية أثناء زيارتنا لغرفة العمليات .

ولقد قال بالحرف الواحد : إن هذه الزيارة قد أعطته الثقة بنفسه وملأته بروح جديدة . . وأنه يطلب منا أن نذكره بالخير دائما وأن ندعو الله تعالى له أن يوفقه ويسدده .

ولقد كان لقاؤنا بالقوات المسلحة من أجل النتائج فقد أزلنا من الأذهان نهائيا ما حدث فى ٦٧ وركزنا فى أذهان اللواء الذى التقينا به دقة الخطة المحكمة وروعة الإيمان المنتصر فى حرب رمضان المجيد .

ولا شك إن هذه اللقاءات توطيد للعلاقة بين البلاد الإسلامية ومصر — مصر الأمل والملجأ والملاذ .

ولا شك إن العمل الإسلامى إذا بعدت ريادته عن مصر والأزهر ، فان سلامته يقل احتمالها .

ومن هنا فان ارتباط خطة الدعوة الاسلامية فى صباح أوفى غيرها بأزهر مصرهو نتيجة مرضيه مرغوب فيها لاستمرار نجاح العمل الاسلامى وارتباطه بالأزهر الشريف .

* * *

ه ثم سافر إلى **أندونيسيا** لحضور الاحتفال بعيدها القومى فى الفترة من ١٤ أغسطس إلى ٢٧ أغسطس ١٩٧٦ .

وفى خلال هذين الأسبوعين طاف بجزيرتى : جاوا ، وسومطره وألقى هذه المحاضرات .

فى جاكارتا من ١٨/١٥ أغسطس .

اجتماع مع وزير الشئون الدينية لمناقشة العلاقات بين الأزهر وأندونيسيا ورسم خطة للمنح الدراسية والتبادل الثقافى بين البلدين .

وفى نفس اليوم لقاء مع وزير التربية والتعليم (ثم محاضرة فى جامعة الشريف (هداية الله عن) . (موقف الاسـلام من الحضارة الحديثة) (ثم اجتماع بالليل مع مجلس علمـاء جاكارتا ، ومحاضرة عن : (دور العلماء فى توجيه النهضه الحديثة) .

هذا مع استمرار عقد الاجتماعات مع الوزارة خلال هذه الأيام التى كان يجرى فيها هذه المحاضرات وهذه اللقاءات .

من ١٩/ ٢٣ أغسطس .

السفر إلى جاوا التى جابها مدنية مدنية وحاضر فى كل مدارسها وجامعاتها فألقى هذه المحاضرات :

• الإسلام والقضايا المعاصرة .

فضح وحطم فيها مخطط الاستعمار ووضح المفاهيم المغلقة ودعا إلى يقظة ترد العزيمة إلى المجاهدين .

• عناصر الدعوة وصفات الدعاية :

توجيهات لأسلوب العمل الإسلامى ومواصفاته ، وحث على إعداد نوع من الدعاة .

• كيف يسهم العلماء مع الحكام فى النهضة الحديثة ؟

بين منزل العالم وحكمة الحاكم وأن التوازن بينها ينتج عنه مجتمع طيب .. وحذر العلماء من التهاون فى شأن الشريعة الاسلامية ، وحذرهم من الخطر المحدق بالاسلام والمسلمين .

• شمول الهدف عند الداعية ، وأهمية الاخلاق فى نشر الدعوة .

حدد فى هـذه المحاضرة عدة مفاهيم عن الحرية ، والقومية ووضح معالم الطريق لكل داعية .

• ميثاق الله على العلماء أن يقيموا شريعته :

حث العلماء على العمل من أجل تطبيق الشريعة الإسلامية والعمل على إعداد جيل يسعى لتحقيق هذه الغاية .

فى سومطرة من ٢٤/ ٢٦ أغسطس :

سافر فيها إلى سومطرة الشمالية وإلى سومطرة الغربية وألقى هـذه المحاضرات :

• العلم والإيمان ومنزلة العلماء :

وضح فيها لأساتذة الجامعة وظيفة العلماء ومنزلتهم وواجبهم نحو الله والوطن والأمة الإسلامية .

• اللغة العربية لغة الإسلام وواجب العلماء في نشرها :

حث فيها علماء سومطرة على وجوب العناية بتعليم وتعلم اللغة العربية لأنها الوسيلة الوحيدة لمعرفة أسرار القرآن الكريم والسنة النبوية وأحكام الفقه الإسلامي .

• نظريات الاستعمار في الوطن الإسلامى وكيف نجابهها ؟

تحدث عن المخطط الاستعمارى ووضع عدة خطوات وأساليب لمواجهتها .

• منهج الدعوة وحاجتها إلى العمل :

بين فيها أن الدعوة ليست خطباً بل هي قدوة وعمل وتطبق وأسوة تأتى الكلمة من بعد ذلك لتوضح الطريق .

ومع هذه الجهود العلمية كانت هناك لقاءات رسمية ومقابلات شعبية .

حتى قبل السفر بدقائق كان هناك مؤتمر صحفى مع وزير الشئون الدينية لإعلان البيان المشترك الذى سأرفقه بهذه العجالة عن سفر مولانا رضى الله عنه وأرضاه[1] :

---

(١) راجع مجلة الأزهر عدد نوفمبر ١٩٧٦ ص ١٤٩٣/١٥٠١ .

بسم الله الرحمن الرحيم

البيان المشترك

الصارد عقب انتهاء زيارة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر الدكتور عبدالحليم محمود لإندونيسيا فى الفترة من ١٤ إلى ٢٨ أغسطس سنة ١٩٧٦ .

١ – بناء على دعوة سعادة وزير الشئون الدينية بجمهورية إندونيسيا السيد الدكتور الحاج عبدالمعطى على ، فقد قام فضيلة الأمام الأكبر الدكتور عبدالحليم محمود شيخ الجامع الأزهر بزيارة لإندونيسيا فى المدة ما بين ١٤ إلى ٢٨ أغسطس ١٩٧٦ ، ويرافق فضيلته الدكتور متولى يوسف شلبى رئيس قسم الدعوة بكلية أصول الدين والدكتور منيع عبدالحليم أستاذ التفسير بكلية أصول الدين .

٢ – وقد حضر فضيلة الامام الأكبر شيخ الجامع الأزهر حفل الاستقبال الذى أقيم بالقصر الجمهورى بمناسبة ذكرى عيد الاستقلال الواحد والثلاثين لجمهورية اندونيسيا .

٣ – وقد استقبل فخامة السيد رئيس جمهورية إندونيسيا جنرال سوهارتو فضيلة الامام الأكبر شيخ الجامع الأزهر حيث نقل فضيلته إلى فخامة الرئيس سوهارتو تحيات الرئيس المؤمن محمد أنور السادات رئيس جمهورية مصر العربية وتهنئته لسيادته وللشعب الاندونيسى بعيد استقلال إندونيسيا .

٤ – كما قام فضيلة الامام الأكبر شيخ الجامع الأزهر بزيارة مجاملة للسيد

رئيس مجلس النواب الإندونيسى سعادة الدكتور كياى الحاج أدهم خالد وسعادة وزير الخارجية الحاج آدم مالك وسعادة وزير الداخلية أمير محمود وسعادة وزير التربية والتعليم والثقافة البروفيسور دكتور شريف طيب والسيد محافظ جاكرتا الحاج على صادقين .

٥ — وخلال المباحثات الرسمية التى جرت بين سعادة وزير الشئون الدينية وفضيلة الامام الأكبر شيخ الازهر يوم ١٥ أغسطس ١٩٧٦ تم بحث أوجه التعاون بين كل من جمهورية إندونيسيا وجمهورية مصر العربية فى مختلف المجالات الدينية والتعليمية والثقافية .

وبجانب ذلك فقد قام فضيلة الامام الأكبر شيخ الجامع الازهر بتفقد عدد من الهيئات التربوية والجامعات الاسلامية فى جاكرتا ومنطقة جاوة الشرقية ومحافظة جوكجاكرتا وجاوة الوسطى وسومطره الشمالية وسومطره الغربية ، كما قام فضيلة الامام الاكبر بمقابلة وتبادل الرأى مع مجلس العلماء الاندونيسى وكثير من العلماء والزعماء فى كل منطقة قام فضيلته بزيارتها .

٦ — وقد كان لجولة الامام الاكبر شيخ الجامع الازهر أعظم الأثر فى تقدم العلاقات مع إندونيسيا ويرى فضيلته أن الثقافة الإسلامية الإندونيسية التى شاهدها تعطى الفرصة الواسعة لإنتشار الإسلام وصيانته . ومن أجل ذلك ، فقد اتفق الجانبان على أهمية استمرار الحفاظ على علاقات الصداقة الوطيدة بين إندونيسيا ومصر والعمل على رعايتها وتنميتها وخاصة فى مجال الدين والتربية والتعليم .

كما وافق الطرفان على أهمية العمل والتعاون لإنشاء المركز الإسلامى بجاكرتا من أجل تقوية أواصر الاخوة الإسلامية بصفة عالمية .

٧ — وقد أبدى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر وسعادة وزير

الشئون الدينية بجمهورية إندونيسيا احترامهما وتقديرهما للجهود العظيمة والسياسة الرشيدة التى ينتهجها كل من فخامة الرئيس سوهارتو وفخامة الرئيس محمد أنور السادات والتى تخطط بكل حكمة لإزدهار ورفاهية كل من الشعبين وذلك على طريق بناء الإنسان الاندونيسى على أساس التكامل البدنى والروحى وكذلك تنمية وتطوير دولة مصر على أساس من العلم والإيمان .

٨ — وبهذا الشعور، فقد وافق الطرفان على زيادة التعاون بينهما فى كافة المجالات التعليم الإسلامى وخاصة التعليم العالى عن طريق تبادل المعلومات والابحاث والكتب المتعلقة بهذا الهدف .

٩ — وفى الختام ، تقدم فضيلة الامام الاكبر شيخ الجامع الازهر بجزيل الشكر ووافر الاحترام إلى حكومة وشعب إندونيسيا على الاستقبال الحار والحفاوة البالغة التى لقيها فضيلته والوفد المرافق خلال زيارته لإندونيسيا[١] .

وقد وجه فضيلة الامام الدعوة لسعادة وزير الشئون الدينية لزيارة مصر وقد تقبل سعادة الوزير هذه الدعوة بوافر الشكر .

صدر هذا البيان فى جاكرتا بتاريخ ٢٨ أغسطس ١٩٧٦ الموافق الثانى من شهر رمضان ١٣٩٦ .

وزير الشئون الدينية	فضيلة الامام الاكبر
لجمهورية إندونيسيا	شيخ الجامع الازهر
الدكتور الحاج عبدالمعطى على	الدكتور عبدالحليم محمود

(١) فى زيارتى الأخيرة لإندونيسيا من ٣/١٣ يونيو سنة ١٩٧٩ لحضور المؤتمر السادس والعشرين لجمعية نهضة العلماء طلبت من المؤتمر العمل على أحياء هذا المشروع مع الحكومة وقد استجاب المؤتمر لهذا الطلب .

* ثم سافر إلى لندن فى الفترة من ٣٠ يونيو إلى ١٥ يوليو سنة ١٩٧٧ .

* وسافر إلى الهند مرتين وسافر إلى كراتشى ، وكشمير ، وسافر إلى دولة الإمارات العربية ، وقطر ، والكويت .. إلخ .

لقد سافر إلى جميع أنحاء العالم وخاصة إلى أمريكا وكان له دور بارز فى التمسك بالقدس العربى فى حديثه مع الرئيس كارتر ومع الكونجرس الامريكى .. وأحب أن أرفق فى ذيل هذه العجالة عن أسفاره ملحقا بالتقرير الرسمى الذى رفعه إلى الدولة عن هذه الرحلة ليتبين الناس كيف كان رضى الله عنه يجاهد فى سبيل الحق بقدر ما كان يملك من وسائل وإمكانات ...

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

ملحق

بالتقرير الخاص بزيارتى للولايات المتحدة الامريكية

لتقديم بعض المقترحات

إلحاقا بتقريرى المقدم إلى الرئيس المؤمن السيد محمد أنور السادات بشأن رحلتى إلى الولايات المتحدة مارا بأوربا .

أرجو أن أضيف بعض الملاحظات التى تعين على تقدير قيمة ما أقدمه من إقتراحات .

١ ـ اجتمعت خلال الفترة القصيرة التى أقمتها فى باريس بعدد من ممثلى الجمعيات الإسلامية الذين يمثلون أكثر من مليونى مسلم متفرقين فى انحاء فرنسا والذين يملكون عدداً من الاصوات الانتخابية له وزنة وتأثيره .

٢ ـ خلال زيارتى لسبع من المدن الامريكية الرئيسية قمت بزيارة عدد كبير من المساجد والجمعيات الاسلامية ، ولاحظت أن حركة تكوين الجمعيات الاسلامية فى انحاء الولايات المتحدة وكندا حركة نشيطة ، وأن أعداد المسلمين هناك تتزايد عاما بعد عام سواء بالتكاثر الطبيعى أو عن طريق الهجرة أو باعتناق الامريكيين أنفسهم للاسلام .

٣ ـ المرحلة الحالية تعبر عن اعتزاز كل جمعية بذاتها ، وحرصها على الاستقلال بنشاطها ولكنهم سوف يجدون أنفسهم فى مرحلة مقبلة مضطرين

إلى التجمع فى صورة جمعيات كبرى ذات فروع ، أو فى صورة اتحادات ، أو فى صورة أخرى من صور التعاون .

وقد ظهرت بوادر ذلك بالأمل ، فى تكوين مجلس الأئمة فى أمريكا وكندا ، كما قمنا بتوجيه الفكرة إلى ممثلى الجمعيات الإسلامية الذين اجتمعوا إلى فى باريس ووجدت منهم تفهما وتجاوبا .

٤ — من خلال المقابلات الفردية والشخصية والجماهيرية ، الرسمية منها والودية ، وجدت شعوراً سائداً بالقلق والخوف من مستقبل حياتهم الدينى فى هذه البلاد الغربية ذات التقاليد والقيم المختلفة ، خاصة بالنسبة للاجيال المقبلة والتى لا تتاح لها الفرصة للتربية الإسلامية كما هى فى البلاد الإسلامية الأصلية ، وهذا شعور صحيح ، له ما يبرره فى الواقع وفى مجريات الحياة هناك .

٥ — جميع من قابلتهم سواء كانوا أعضاء فى الهيئات الإدارية لهذه الجمعيات أو أعضاء مشتركين ، يكنون للازهر ولمصر ، ولشخص الرئيس المؤمن السيد محمد أنور السادات أعظم الحب والتقدير .

وعلى قدر هذا الحب وهذا التقدير ينظرون إلى مصر وإلى رئيسها نظرة ملؤها الأمل والرجاء فى أن يوليهم شيئاً من عنايته ورعايته ، بحيث يخفف عنهم بعض متاعبهم النفسية ، ويزيل أسباب مخاوفهم وقلقهم على مستقبلهم ومستقبل ابنائهم الدينى .

وتجاوبا مع هذه المشاعر النبيلة ، وعملا على تدعيمهم ومساندتهم بحيث يصبحون قوة لها ثقلها وتأثيرها فى مجتمعاتهم ، أرجو أن أضع تحت رعايتكم هذه المقترحات .

١ - أن يعمل الأزهر على ايفاد عدد من الاساتذة إلى اوربا لا يقل عن عشرة ، علاوة على من يكون موفدا هناك بالفعل .

٢ - أن يعمل الأزهر على ايفاد عدد من الاساتذة إلى الولايات المتحدة الامريكية لا يقل عن خمسة وعشرين علاوة على من يكون موفداً هناك بالفعل .

٣ - أن يعمل الازهر على ايفاد عدد من الاساتذة لا يقل عن عشرة علاوة على من يكون موفدا هناك بالفعل .

٤ - أن يعمل الازهر على انشاء معهد إسلامى أو أكثر فى كل من أوربا والولايات المتحدة وكندا ، بحيث يلتزم كل منها بالمناهج المحلية المعترف بها فى بلده، وبحيث يهيء خريجيه للالتحاق بالجامعات المحلية ، وبجامعة الازهر كذلك ، وهذا يهيء الفرصة لايجاد دعاة ومرشدين دينيين فى كل بلد منها بلسان قومه ، ولا يخفى أن ذلك أكثر فعلا وأعمق تأثيراً .

٥ - أن يعمل الازهر على إيفاد عدد لا يقل عن عشرة سنوياً من المستعدين من خريجيه لدراسة اللغات المختلفة الاوربية ، تمكينا له من إيفاد الاعداد المطلوبة المؤهلة لغويا لهذه البلاد .

أرجو أن تحظى هذه الاقتراحات برضاكم وعنايتكم .. وسوف نحاول استكمال ما ينقصنا فى الميزانية لتنفيذها ..

وبالله التوفيق ،

شيخ الازهر

(دكتور عبدالحليم محمود)

« ولقد كانت آخر سفرة له إلى المملكة العربية السعودية فى الفترة من ١٤/١٢ سبتمبر ١٩٧٨ لمناقشة البرنامج التفصيلى لصندوق التضامن الاسلامى.

وإن رابطة العالم الاسلامى لم تعرف لها مع الازهر يدا للتعاون والاخاء إلا بعد أن جاء إلى الازهر الشريف العارف بالله الامام الاكبر الشيخ عبد الحليم محمود ، وأن من أجل اثاره على العمل الاسلامى المشترك بين الازهر ورابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة هو تأسيس : المجلس الاعلى العالمى للمساجد الذى كان ثمرة مؤتمر رسالة المسجد الذى انعقد بمكة المكرمة فى الفترة من ١٨/١٥ رمضان ١٣٩٥هـ الموافق ٢٣/٢٠ سبتمبر سنة ١٩٧٥ .

هكذا كانت اسفاره خيراً وبركة ويمنا على الاسلام والمسلمين ولقد أنهاها الله فى شهر سبتمبر ١٩٧٨ وعاد من بعدها الامام الاكبر بعد أن اعتمر وزار قبر الرسول ﷺ ليلحق بالدار الآخرة فى مقام صدق عند مليك مقتدر وقد رضى الله عنه وأحب لقاءه كما رضى عن ربه وأحب لقاءه .. فطوبى لمن أحب لقاءه .

إلى مقعد صدق

فى مقعد صدق عند مليك مقتدر

فى أوبتى من اليمن بعد رحلة دامت أسبوعا كنت فيها مدعواً بمعية استاذى الجليل الشيخ الدكتور عبدالجليل عبده شلبي وكانت دعوة شخصية من علماء اليمن للمشاركة فى التخطيط للدعوة الاسلامية وانشاء معهد للدعوة هناك .. تذكرت قصة حكاها لى الأخ الدكتور عبدالفتاح بركة وقد كان مرافقا لفضيلة الامام الاكبر أثناء رحلته الوحيدة إلى أمريكا كما قال : أنه فى صباح ذات يوم دعى من الامام الاكبر وحده فلما حضر قدم له كوبا من ماء زمزم فشربه الدكتور عبدالفتاح بركة ولم يسأل من اين جاء هذا الماء إليه فى أمريكا .

تذكرت هذه القصة عند أوبتى من اليمن وكنا فى طريق إلى مكة المكرمة والشيخ عبدالجليل شلبي مؤنس فى السفر وفى السفر معه لذة ومودة فهو يملأ الطريق بالعلم والادب لا تعرف عنه غيبة ولا يطرق خياله إلا ذكر عمل صالح ودعاباته لطيفة ووقاره سمح مليح يبعث على الارتياح والانس به .. وكان هو الذى اقترح هذه العمرة بدل الاوبة مباشرة إلى مصر .. ورأيتها فرصة لأحمل معى إلى مولانا ماء زمزم فقد كان ايامها يعانى من المرارة نتيجة اجهاده عند سفره إلى بلاد الصعيد . فماء زمزم لما شرب له .

واعتمرنا وعدنا وذهبت بماء زمزم إلى مولانا صبيحة يوم العودة وأخبرته بما تم فى الرحله وأننا دعونا الله تعالى له بالشفاء فى الأماكن المقدسة ، وسألنى عن صديقه الحميم الشيخ أحمد عبدالجواد فاعلمته أننا تقابلنا أمام الحضرة الشريفة .

ولم تمض أيام حتى أعلن عن سفر مولانا إلى السعودية ولم يكد ماء زمزم الذى حملته له يفرغ فقد دعى لحضور مؤتمر بالسعودية وفرحت كثيراً فسوف يغمر مولانا بالبركات هناك فى مكة وفى المدينة المنورة ، وسوف يأتينا معافا أن شاء الله .

ولأول مرة فى تاريخ حياته يأمرنا جميعا بعدم توديعه إلى المطار ولأول مرة نتخلف عن توديعه ، ولما قرب موعد العودة كانت نفس الأوامر لن يستقبله أحد حتى ولا أبناؤه .

لقد شاء الله أن يبلغ التجرد إلى هذا الحد لقد اختاره الله إلى جواره فراح يتجرد من كل شيء ويتأهب للقاء ربه .

ولم يفهم الناس معنى هذا التجرد فأطلقوا الاشاعات حتى مع هذا المقام الرفيع من الخلق والسماحة والرحمة .. ولم تمض أيام حتى أعلن بعد شفائه عن رحيله إلى ربه فى مقعد صدق عند مليك مقتدر صباح الثلاثاء ١٥ من ذى القعدة ١٣٩٨ الموافق ١٧ من أكتوبر سنة ١٩٧٨ السابعة والنصف صباحاً .

وكان يوما مشهوداً فقد فيه الازهر شيخه الذى وضعه بالفعل على طريق الرسالة .

وفقد فيه المسلمون أمامهم الذى عبد لهم الطريق إلى الله وهداهم إلى العبادة الصحيحة ودلهم على طريق النجاة وأنار لهم طريق المحجة البيضاء .

وفى صلاة العصر بالجامع الازهر الشريف احتشدت الولاف من جماعات المسلمين وجاءت الدولة كلها وصلى عليه العصر وصلاة الجنازة وفى موكب مهيب جليل كبير طويل انطلقت به السيارة البيضاء ومن خلفها مئات السيارات تحمل محبيه وأصدقاءه وأبناءه . وهناك فى قرية السلام على شاطئ ترعة الاسماعيلية

ثوى جثمان أعظم شيوخ الأزهر .. ثوى لا بين المقابر ولا فى القفار ولا بين الكهوف وإنما ثوى بين الباقيات الصالحات التى قدمها لدينه وأمته .. ثوى بين ست معاهد أزهرية يسمع العلم الذى يتلى فيها ويسمع أذان المؤذن فى المسجد الذى يليه .. ويزوره أصدقاؤه وتصلى عليه قطرات المياه التى تجرى أمامه وتدعو بالرضوان له نسمات الصباح التى عطرها بذكر الله وقراءة القرآن الكريم .. واليد العليا التى كانت تمتد فى خفاء خفى إلى المحاويج وأصحاب الحاجة ولقد ثوى والدنيا تسمع صوته وهو يتحدث عن الرحمة .. تلك الصفة التى ظل يدعو لها ويمارسها فى سلوكه فقد كان آخر حديث له فى الاذاعة واذيع صباح وفاته وأعيد ساعة دفنه .. كان يقول : وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميد . .

* * *

برقية من المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام تقول :

[أقمنا بها يوما ، ويوما وثالثا

ويوم له يوم الترحل خامس]

و لقد تسلمت هذه البرقية فى الصباح المبكر على عادتى فى الحضور كمستشار لفضيلة مولانا الأكبر .. وكان أسبوعها مريضا وظننت أن البرقية أرهاص شفاء ، وما كنت أدرى أنها أول كلمات التأبين وأن عام ١٩٧٨ وهو العام الخامس لمشيخة مولانا الشيخ عبدالحليم محمود رضى الله عنه فقد تولى المشيخة فى ابريل ١٩٧٣ ومضمون البرقية أن الرحيل سيكون فى العام الخامس وهو عام ١٩٧٨م .. لكن هذا الفهم لم ندركه إلا بعد أى رجعت الوديعة إلى ربها راضية مرضيا عنها والحمد لله .

وبرقية أخرى وجدتها فى أوراق الشيخ عند ولده الأكبر الدكتور محمد عبد الحليم السفير بوزارة الخارجية ، وقد كنت سمعت بها من قبل وقرأتها

ولم أع معناها ونص البرقية وهي كذلك قادمة من المدينة المنورة من الشيخ العالم الجليل الشيخ أحمد عبد الجواد المجاور لصاحب الروضة الشريفة الملازمة دكة الأغوات بالمسجد النبوي الشريف قال فيها :

[يا قبلة الأنصاف الفئة الظالمة تريد على الأمن الإشراف هذه الإشارة لمن أكل البصارة .. فسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم .. نصر من الله وفتح] .

ومازالت رموز هذه البرقية غير واضحة .. وإنما هي كلمات تأبين جاءت قبيل وفاة مولانا الإمام الأكبر رضى الله عنه بأيام قلائل .

إذن التأبين قد بدأ من أحبائه من المدينة المنورة ولعله قد أدرك مضمون هذه البرقيات التى خفيت علينا رموزها ... وماكنت أعلم أن موته سوف يهز العالم الإسلامي تلك الهزة الرهيبة فلقد أهتز العالم الإسلامى بصدق لوفاته .

فأبنته الهيئات الإسلامية فى أندونيسيا ، والهند ، وباكستان ، وإنجلترا وفرنسا ، وأبنته الجامعة الإسلامية فى أم درمان بالسودان ، والشئون الدينية فى أبو ظبي ودولة الإمارات العربية ولبنان .

وقد نعاه إلى العالم الإسلامى خلق كثير فى عدة صحف ومجلات عربية وأوربية وقد صدر ببعض هذه الرثاءات كتيب عن دار كتاب الفكر الذى يديرها السيد الأستاذ عمر الشطبي ..

وقد نظمت الأمانة العامة لمؤتمر الهيئات الإسلامية حفلا كبيراً لتأبين الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود تحدث فيه الوزراء والفقهاء ورجال الدعوة الإسلامية وإعلام الفكر. ولكن حسبي من كلمات التأبين كلمات أربع.

(أ) كلمة رئيس الجمهورية .

(ب) كلمة الأستاذ الدكتور عبد الجليل عبده شلبي .

الأمين العام السابق لمجمع البحوث الإسلامية .

(ج) كلمة الأستاذ الدكتور صدقي السعدني .

مدير المركز الإسلامي بلندن .

(د) كلمة الأعتصام .

١ — كلمة السيد رئيس الجمهورية :

العالم الإسلامي فقد بوفاة شيخ الأزهر داعية تسامح وعالم صالح .

بعث الرئيس السادات برقية تعزية في وفاة المغفور له شيخ الأزهر إلى الدكتور عبد الرحمن بيصار وزير الأوقاف والدولة لشئون الأزهر قال فيها :

إن مصر والعالم الاسلامي فقدا بوفاة الدكتور عبدالحليم محمود شيخ الأزهر عالماً جليلا عاش حياة حافلة عنوانها الفضل والمجد والفخار .

لقد عرف العالم الاسلامي فقيدنا الراحل ومكانته ومنزلته إذ أستطاع بنافع علمه وكثير منجزاته أن يربط بين حاضرنا وماضينا داعياً وموجها إلى لغة الحب والعدل والتسامح والعمل الصالح وقراءة صحف السالفين من عظمائنا لنسلك مسلكهم ونعمل عملهم .

وإني إذ أعتز بما أدى من أمانة وبما حمل من رسالة وما قدم من علم وجاهد في سبيل رفعة وطنه وأمته العربية والاسلامية لأدعو الله العلي القدير إن يسكن فقيدنا الراحل فسيح جناته وإن ينزله منازل الصديقين والشهداء ، وإنا لله وإنا إليه راجعون[1].

---

(١) راجع جريدة الأهرام ص ١ العدد ٣٣٥٤٩ السنه ١٠٤ الصادر في يوم الأربعاء ١٨ ١٠ ١٩٧٨ .

(ب) ليس المنصب الذى خلا .

بل خلت الحياة من قدوة كانت تحتذى

لفضيلة الدكتور عبد الجليل عبده شلبي

الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية (سابقاً).

إنه من العزيز علينا جميعاً — ولاريب — إن يكون إجتماعنا لتأبين الامام الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود ،وكنا نود أن يكون إجتماعاً لتكريمه لا لرثائه ، كما كنا نود أن تطول حياته أكثر وأكثر لما فيها من نفع للاسلام والمسلمين .

ولو أردت أن أجمع حياة الشيخ عبد الحليم فى كلمة ، وأصوغ مبادئه وأعماله كلها فى فكرة لقلت أن ذلك كله كان يجتمع فى إطار واحد هو تقوى الله ، ويعنى ذلك الرغبة فى التقرب إليه سبحانه وتعالى وتحاشى مايغضبه ، وكأن هذا المبدأ خصيص الشيخ عبد الحليم وديدنه فى كل مواقفه ، وهو سر نجاحه فى كل عمل عمله ، وهو أيضاً خلقه منذ صباه ، لأنه — رحمه الله — نشأ فى بيئة دينية وفى وسط يعنى بعبادة الله ويحذر كل ماهو أثم أو يجر إلى الحرام .

هذا المبدأ هو الذى حمل الشيخ عبد الحليم على ممارسة التصوف العملى وتقدير ذوى التصوف منذ زمن بعيد - كان - ولما يزل طالبا بالأزهر — يمتاز بورعه وتقواه ، ولما سافر إلى فرنسا ليدرس الفلسفة الاسلامية ، أختار التصوف الاسلامى موضوعاً لدرسه والبحث الذى ينال فيه درجته العلمية .

وأول ما رجع الشيخ من فرنسا كان أول مابدأ به عمله أن كتب منهجاً وافياً لدراسة الاخلاق قدمه للمسئولين ، كما طالب أن تكون هناك توجيه عملى لأبناء الازهر بقصد تقويم سلوكهم وتدريبهم على سلوك سليم خاص

يمتازون به عن الآخرين ، فدل بذلك على أنه لا يريد العلم لمجرد المعرفة ولكن ليكون منهجاً عملياً وطاقة فعالة .

وتقلد تدريس الفلسفة الاسلامية والفكر الاسلامى فى كلية أصول الدين فوجه تلاميذه توجيها خاصة في الدراسة ، وكانت دراسته تقوم على المناقشة والبحث ، وكان التلاميذ يدهشون لما يبديه من سعة الصدر للمناقشة وطول الحلم والاناة حتى يفهم الجميع ويقتنعون .

ثم تولى عمادة الكلية فلم يقف بجهوده عند العمل الادارى ، بل ظل يحاضر فى الكلية وغير الكلية ، كما أدخل عليها مناهج وأساليب جديدة يعرفها الجميع .

كان يرى أن الدعوة الاسلامية هى رسالة ورسالة كل أزهرى ولهذا عمل جهده على تدريب أبنائه على النهوض بهذا الواجب المقدس الذى هو رسالة الأنبياء والمرسلين ، ومن الناحية العلمية بدأ هو نفسه بالدعوة فى كل مكان فى المساجد والأندية والمجتمعات ، وألقى الله محبته ومحبة أحاديثه فى قلوب الناس .

فى الستينيات الماضية كنت أشرف على الموسم الثقافى لمجمع البحوث الاسلامية وكان يتضمن سلسلة محاضرات تلقى فى قاعة الشيخ محمد عبده مساء كل ثلاثاء وفى هذا اليوم كان الشيخ عبد الحليم محمود يلقى محاضرة أسبوعية فى دار المؤتمر الاسلامى بالزمالك ، فكان طلبة الجامعة الأزهرية ، والذين يقيمون فى حى الأزهر من محبي العلم يؤثرون الرحلة الطويلة إلى الزمالك على سماع محاضرة فى قاعة الشيخ محمد عبده ، وأستدعيته مرة ليلقى بها محاضرة فكانت الصالة والشرفات والممرات كلها تغص بالمشاهدين .

وإبرز ما فى محاضراته أخلاصه للعلم وللدعوة ، لهذا لم يكن يعنيه أو يسترضى حاكما أو يتزلف إلى كبير ، ولكن كان همه أن يسترضى الله وحده ، كانت

دار المؤتمر الإسلامى داراً حكومية تتسم بالرسمية فى كل شىء، ولكن الشيخ لم يتردد ولم يتهيب أن يلقى عدداً من المحاضرات يعارض فيها آراء ومبادىء كانت الحكومة تدعو إليها ، ولم يكن العصر يتسم بشىء من اللين أو يسمح بصوت للمعارضين ، ومع هذا عارض الشيخ أهم ماعنوا به ودعوا إليه، وكان الله خيرا حافظاً وهو أرحم الراحمين .

وتولى وزارة الأوقاف فاعتبرها بيت مال لبيوت الله والمعوزين ، لقد ضم إليها عدداً من المساجد قيل إنه نحو ألف وستمائة مسجد كانت أهلية وكانت شبه معطلة ، وعين لكل مسجد أماماً ومؤذناً وقارئاً وعمالا ، أى أنه فتح ما يزيد على ثمانية آلاف من بيوت المسلمين وأجرى الرزق على آلاف من المعوزين .

وقد أتسعت ميزانية الأوقاف لهذا كله ولم تؤزم ، ومثار العجب أنها لم تتسع بعد الشيخ عبد الحليم لمسجد واحد ، بل نضبت ميزانيتها وجف معينها .

وأعد بعثة الحج السنوية ، فلم يجعلها للمقربين ولا للموظفين البارزين بل جعلها لعمال المساجد وضعاف الموظفين ، فحج فى عهده مئات من الفقراء لم تكن تتاح لهم فرص الحج لولاه ، وأيضاً لم تتسع ميزانية الأوقاف بعده لحج فقير واحد بينما أتسعت لأغراض كثيرة أخرى .

وعندما تولى مشيخة الأزهر أنشأ ووسع المعاهد الكثيرة ، حتى أدخلها القرى ، ودعا إلى التبرع لها والأقبال عليها، ثم بدأ عدداً من المشروعات الرائدة المفيدة - دائرة معارف قرآنية ، وتفسير جديد للقرآن ، ونشر الأحاديث النبوية ، ومشروع للدستور الإسلامى ، ومشروع لتقنين الشريعة ، ومشروع لإحياء التراث الإسلامى ، ومشروع لتحفيظ القرآن، ومشروع لإرسال معلمين ووعاظ للجمعيات الإسلامية فى المدارس والجامعات . . وهكذا كانت عقليته

ولودا ، ونشاطه متجدداً كل ذلك يؤدى فى صمت وهدوء، وبدون لجؤ إلى دعاية وإعلانات .

وهذه المشروعات كلها ماتزال غرساً لم تنضج ثماره ، وبناء لم يتكامل سموه ، فهل ستجد العناية والرعاية بعده، أم سيروى الزرع ويقف تسامى البناء.

يذكر فى هذا بما قاله حافظ إبراهيم فى رثاء الشيخ محمد عبده إذ قال :

غرست لنا غرساً فأخرج شطئه ومت ولما نجتن الثمرات
فوا هاله إلا يصيب موفقاً يشارقه والأرض غير مرات

° ° °

ويسبب تقوى الشيخ وصلاحه بارك الله له فى عمره ، فقد أخرج فيضا من الكتب كان يكفى أن يشغل وقت شخص منقطع للتأليف والبحث ولاعمل له غير ذلك . وقد ألف فى مختلف الجوانب العلمية ــ فى التفسير والحديث والفلسفة والفكر الإسلامى ، كما حقق وراجع كتباً أخرى ، ولكنه خص التصوف بمزيد من عنايته لأن التصوف هو خلقه وطريقه فى الحياة ، وإذا كانت سمة الصوفية هي الزهد فى الحياة والعفة عن المال ، فان الشيخ عاش ومات لم يقتن ضيعة ولم ينشىء عمارة ، ولم يشارك فى تجارة ، ولقد كان فى كتبه وأحاديثه الاذاعية مايكفى لأن يعمل لنفسه أكثر مما عمل الآخرون ولكنه عمل لآخرته مالم يعملوا ولا يستطيعون .

والذين أتصلوا به عن قرب ليعرفون مدى ما كان ينفق فى سبيل البر وما كان يبذل من إحسان، وهناك قوائم تضم أسماء أسر تيتمت بموت الشيخ، وأيتام هددت حياتهم وطلاب فى المدارس والجامعات وعاجزين عن الكسب يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ، والله وحده يتولى هؤلاء جميعاً .

ويعرف المتصلون بالشيخ أيضاً ما كان له من منهج في العبادة – صوم بالنهار وتهجد بالليل وإحياء له بقراءة القرآن والأوراد الصوفية وخلق بعد ذلك كله سام نبيل .

ليس عجباً أن يكون له خصوم ، فما قام أحد بمثل ما قام به إلا تحركت له الاحقاد ، ولكن العجب العاجب هو عفة لسانه واعراضه ، عن أراجيف الخصوم ، ولعل هؤلاء لو أدركوا ما كان في هذا الصمت من إزدراء لهم وإحتقار ، وترفع عنهم وتسام عن وضاعتهم لمقتوا أنفسهم وشعروا بصغارهم .

وبعد فليس المنصب الرسمي هو الذي خلا من الشيخ ، ولكن أيضاً خلت الحياة من قدوة كانت تحتذى ، ومثل أعلى كان يتبع ، وروحانيات يرفع الله بها مقته عن الناس ، ولئن لم نيئس من روح الله ولطفه أننا نتلفت فلا نجد ، ونتفحص فلا نرى مرة أخرى أذكر قول حافظ إبراهيم :

مددنا إلى الإعلام بعدك راحنا | فردت إلى أعطافنا صفرات
وجالت بنا تبغي سواك عيوننا | فعدن وآثرن العمى شرفات
لقد كنت فيهم كوكباً في غياهب | ومعرفة في أنفس نكرات

° ° °

رحم الله الشيخ عبد الحليم وجعل له لسان صدق في الآخرين . .

(ج) فقيدنا وفقيد الاسلام

إنا على فراقك لمحزونون

الدكتور صدقى السعدنى

عضو المركز الإسلامى بلندن

عرفتك ولقيتك أول مالقيتك وأنت أستاذ زائر لجامعة الزيتونة فى تونس فى أعوام كنت فيها مهاجراً خارج البلاد، وما زلت أذكر حديثك معى فى فندق العاصمة التونسية وروحك الوثابة القوية تملأ جوانحى ولم أكن من مريديك تصوفاً ولا من موظفيك أزهراً، ولكن نقدر رسالة الأزهر عبر التاريخ الاسلامى للشرق والغرب.

هذه الرسالة التى حملها بعض رجاله الأفذاذ خلافة لقاعدة إنشائه العريضة أيام المعز لدين الله الفاطمى حاكم مصر على مذهب الفاطمية الذى ورد من شمال أفريقيا بعد ضياع دولة المسلمين فى أسبانيا.

وبدأت الفلسفة الفاطمية بالأزهر ثم صار الأزهر قلعة علمية لكافة المسلمين. ولم يتأثر كثيراً برأى واضعى سياسته العامة.

.. وانتقلت أجيال وأجيال وتعاقبت على الأزهر أيام وأيام وجاءه كثير من المشايخ والقادة برز منهم الكثيرون فى علوم الإنسان ومعالم الفكر الإسلامى. وصار الأزهر قبلة المسلمين شرقا وغربا. ولم تفلح الحكومات الفردية المطلقة فى تحويل الأزهر عن رسالته، وفشلت محاولاتهم عقب ما أسموه بتطور حياة

الأزهر ودراسته على أيدى بعض رجاله ، وقد بدأ مسيرته الكبرى لحياة الأزهر العلمية بعد صرخة الإمام محمد عبده أحد أبناء الأزهر المجددين . . وجاء دور الفقيد الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود وأتم رسالته مع تطوير الازهر وأداء رسالته يملأ الدنيا بنور الله من متطلبات العصر ويصلح ما أعوج من رسالة الطهر والإيمان على أيدى جحافل الظلم والطغيان . . ويدعو مخلصا لعودة هيئة كبار العلماء .

. . رأيتك وعرفتك فى المؤتمرات الإسلامية الأخيرة وهى من سمات هذا العصر الذى نعيش فيه . . ولم أجد فيك إلا الغيرة الصادقة المخلصة على أحوال المسلمين ، وما آل إليه أمرهم من فوضى خلقية ، وضياع روحى فكنت لهم نعم القائد والمرشد واتهمك البعض بالتطرف فى الصوفية .

. . ورأيتك تجدد مسيرة الطوائف الروحية وتبث فيها من حرية فكر وصلابة عمل وبناء متصل .

. . ورأيتك أخيراً وقبل إجراء الجراحة القاتلة وأنت على فراش المرض مبتسما راضيا بقضاء الله وأنا أعرض فى كلمات هامسة لك بضرورة إجراء الجراحة بالخارج . . ورأيت إصرارك على أصالة الايدى المصرية وإخلاصها فى عملها رغم أحداث السنين الطوال مع هؤلاء الأقزام من أعداء الإسلام . وكررت عليك فى اللقاء ضرورة الذهاب لبريطانيا مثلا وعلى نفقة المركز الإسلامى الدولى هناك الذى أقوم بالإشراف عليه ، واعتذارك الرقيق بأن لديكم ما يكفى للعلاج ولكنك تفضل العلاج هنا . .

وكأنك تسير سيرك الحثيث إلى لقاء ربك . . ولم استطع إطالة الحديث متمنيا لك الشفاء ولوجود جوقة كبيرة من الزائرين بالخارج ، ومع كل هذه الأوجاع لم تتوجع ، بل أخذت تحدثنى عن ثبات المشروع العظيم لإرساء

قواعد الدستور الاسلامي ، وهو مايعجز عنه الكثيرون ممن تربعوا على عرش الازهر خوفاً وتراجعاً .

ولم تعرف في حياتك العلمية الطويلة الخوف ولا التراجع ، رغم قوة المعارضين وأموال المخربين والمنحرفين . وكان بودى استكمال الحديث معك بعد عاجل الشفاء .

فكان الفراق الطويل الذى ارجوه قصيراً حتى نلحق بك على درب الخالدين ، ولن نتراجع لحظة ، ولن نتوانى دقيقة فى العمل من أجل تحقيق رسالتك التى حملتها واثقاً ، مؤمناً ، راضيا بقضاء الله حتى لقيته خاشعاً متبتلا بعد جراحة لم تبرأ من آثارها ، وإن برئت بها إلى ربك إجلالا وأعمالا وامتثالا .

.. وجاءت لحظة الفراق ، ولم نرك بعدها يا شيخنا الجليل وأستاذ الجيل إلا محمولا على الأعناق للدار الآخرة .. وهزنى إلى مثاليتك وجد وحزن جعلنى أكرر قول رسول الله عليه الصلاة والسلام يوم فراق أبنه إبراهيم وهو يدمع دمعة أخيرة ويقول : إنا على فراقك لمحزونون .

.. فهل يسير معنا من تنكب الطريق حتى يتم نجاح مؤتمرك القادم لقوافل العلماء المسلمين لأرساء قواعد دستور عام لقوافل المؤمنين ، وليرفرف علم الاسلام كما أردته خفافاً بالدستور الاسلامي الكامل الشامل المتكامل بصيحة الحق .. فتهدأ فى قبرك فقد أديت دورك للرسالة ، وبلغت الأمانة ، فندعو لك مع الخالدين والصديقين .

.. فاللهم صبراً على فراقك وشكراً على صادق إخلاصك وحتى يخرج علينا المؤتمر القادم باقرار دستور حياة للمجتمع المسلم وأنت قد سلمت الراية ونفذت رغبة القائد المؤمن ووصية رئيسنا وزعيم المسلمين الرئيس السادات .

فانعم بجنات الخلد مثواك ودارك الباقية مأواك يا رجل التقى والزهد والورع والله على ما نقول شهيد .

ونحن ماضون فى قيادة القافلة على الدرب الطويل حتى نحقق ما أردت لأمة الإسلام والمسلمين : « ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين »[1] .

---

(١) الأخبار ٣٠/١٠/١٩٧٧ .

الأثنين العدد ٨٢٢٩ .

السـنة ٢٤

٢٨ من ذى القعدة ١٣٩٨ هـ .

(د) مات الامام الأكبر

فاهتز العالم الإسلامى كله حزناً عليه

مجلة الاعتصام

مات الإمام الأكبر والعالم المجاهد والعابد الزاهد الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر وشيخ الإسلام فرحمه الله ورضى عنه . فالموت حق . . ولا نملك إلا أن نقول ما أمر به ربنا : « إنا لله وإنا إليه راجعون » .

وإنها لمهمة قاسية على النفس أن تكتب عن حبيب عزيز . . وإنها لأشد قسوة على أنا بالذات ان أكتب عن الدكتور عبد الحليم محمود .. ذلكم العالم العامل .. الصالح التقى .. ولا نزكى على الله أحداً .. ولكن نقول ما نحسبه فيه وما رأيناه منه فلقد صاحبته وعرفت عنه الكثير من صفحاته المطويات التى لا يعرفها الغالب أو الكثيرون من الناس . . وما عرفناه إلا لله وفى الله . . وما أحببناه إلا لله وفى الله .

كم تولى مشيخة الأزهر فى العقود الأخيرة شيوخ وعلماء .. ومضوا إلى ربهم .. ولكن ما حزن الناس فى مصر وفى العالم الإسلامى كله كما حزنوا لفقد الدكتور عبد الحليم محمود . . لقد بكته مصر كلها . . وبكاه العالم الإسلامى كله . . وهزت وفاته قلب كل مؤمن أحب الإسلام وأحب مصلحة الإسلام .. فالدكتور عبد الحليم محمود كان طرازاً فريداً من شيوخ الأزهر فى العقود القديمة والحديثة . . كان صاحب مدرسة فريدة فى العلم وفى الخلق وفى الزهد وفى الجهاد وفى التجرد لله .

وصل إلى أعلى المناصب .. فما اقتنى عمارة ، ولا بنى « فيلا » وكان يقيم فى شقة متواضعة من أربع حجرات فى حى الزيتون يستأجرها ولا يملكها .. بينما نجد الكثيرين حتى من صغار العلماء كانوا يقتنون العمارات الشاهقة ، والفيلات الضخمة .. فقد كان رحمه الله زاهداً فى الدنيا وفى كل مظاهرها .

هذا كله بالرغم مما كان يأتيه من دخول وأموال سواء من مرتبه أو مكافآت عن كتبه ومحاضراته فى الإذاعة والتليفزيون .. ولكنه كان يؤثر بهذه المبالغ كلها بيوتاً من الفقراء والمحتاجين .. يجرى عليهم الرواتب الشهرية دون أن يعلم بهذا أحد إلا القلة من المقربين إليه .. وكان لا يجرى على البيت الواحد من بيوت الفقراء جنيها أو جنيهين أو ثلاثة أو خمسة أو عشرة .. بل كان يجرى على بعض هذه البيوت بعض العشرات من الجنيهات كل شهر .. وهو راض بكل هذا ومفضلا له عن أن يقتنى عمارة أو يسكن قصراً من القصور .. وهو شيخ الأزهر وشيخ الإسلام الذى يتردد عليه كل يوم عشرات الناس من كبار العلماء والزوار من مختلف أنحاء العالم الإسلامى .

بل لقد وصل حبه وإيثاره لفعل الخير أن باع قطعة أرض من أطيانه التى ورثها ليعطى ثمنها كاملا لأسرة كانت فى حاجة إلى هـذا المبلغ الكبير الذى كان لا يملكه فى ذلك الوقت وهو مدرس بكلية أصول الدين .

هـذه صفحات مطوية من صفحات كرمه وجوده وإيثـاره الغير على نفسه .

* * *

الإعتصام تذيع لأول مرة سر الاستقالة المسببة

لفضيلة الدكتور عبد الحليم محمود

استقالته فى سنة ١٩٧٤ :

وصفحة أخرى من صفحات شجاعته وغيرته على الإسلام وعلى الأزهر لم يكتب لها النشر من قبل فى مصر ولكن عرف بها العالم كله . . وأقصد بها صفحة استقالته من مشيخة الأزهر ،

فى يوليه ١٩٧٤ صدر القرار الجمهورى رقم ١٩٧٤/١٠٩٨ بتنظيم وزارة شئون الأزهر وتحديد مسئولياتها . . وتضمنت المادة الثالثة منه نصاً على أن يتبع وزير شئون الأزهر ، الأزهر والبيئات التى يشملها .

ورأى فضيلة الإمام رضى الله تعالى عنه إن هـذا القرار بهذه الصورة فيه عدوان على استقلال الأزهر وحصانته ، وجعل المسئولية الشرعية تحت وصاية وقوامة المشروعية الوضعية . . وذلك على خلاف إرادة الأمة التى عبرت عنها فى الدستور حينما نصت على أن دين الدولة هو الإسلام ، وعلى خلاف القانون ١٠٣ الذى جعل تبعية الأزهر لرئاسة الجمهورية . . فما كان منه رحمه الله تعالى إلا أن قدم استقالته إلى رئيس الجمهورية احتجاجاً على هذا القرار الجمهورى. وكتب فى استقالته المؤرخة ١ من أغسطس سنة ١٩٧٤ إنه بدلا من صدور اللائحة التنفيذية للقانون ١٠٣ سنة ١٩٦١ فوجىء بهذا القرار . . وقال فى خطاب استقالته .

لقد انحط القرار بقيمة الأزهر انحطاطاً كبيراً . . وإن المحافظة على الأزهر كانت وما تزال من أخطر المهام التى قامت بها مصر فكان لهـا بذلك مجد من أفخر أمجادها التاريخية ، وكانت لهـا بذلك مكانتها القيادية فى العالم العربى والإسلامى .

وكانت لها رسالتها التي تؤثر بها في المجال الفكري في العالم كله . . أما القرار فقد انحط بهذه القيمة درجات . . ثم قال :

وبينما الأزهر والأزهريون ينتظرون بفارغ الصبر صدور هذه اللائحة التي تضع الأمور في نصابها : تمكن الأزهر من تصفية أوضاعه ، وترد له ولشيخه مكانتهما ، وتضع نهاية لتدخل وزير الأزهر في أمور نص القانون على أن تحل اللائحة محل تدخله فيها مدى أربعة أشهر من صدوره .

ومن هنا فانني رأيت في القرار :

انسلاخاً عن القانون في مواضع عديدة . . وإنكاراً لمبدأ سيادة القانون الذي ناديتم به . . وتهديداً عاماً للأوضاع كلها في الأزهر . .

فقدمت استقالتي لاكشف ذلك أمام سيادتكم . .

وظل الإمام الاكبر يتعرض لكيد الكائدين طوال ثلاثة أشهر بعد هذه الاستقالة . . ولكنه ثبت وأصر عليها وأعاد السيارة الحكومية وطلب عدم إرسالها إليه ثم طلب من وكيل الأزهر القائم بعمله تسوية معاشه بخطاب مؤرخ ١٩٧٤/١٠/٢٧ .

وبفضل هذا الموقف الشجاع وإصراره على الحق وتبين رئيس الجمهورية لسلامة موقفه سارعت الحكومة إلى إصدار اللائحة التنفيذية للأزهر التي تعطل صدورها اثنى عشر عاما فسحب استقالته وعاد إلى منصبه . . وقد وجد في استقباله هناك بعد هذا الموقف الرائع الشجاع رئيس الحكومة ورئيس مجلس الشعب ولفيف من الوزراء وكبار العلماء . . كما وجد أيضاً طلاب الأزهر يستقبلونه بالهتاف .

موقفه من الكتب المشتركة :

وصفحة أخرى من صفحاته الخالدة المطوية . . موقفه يوم أن عرضت فكرة تأليف الكتب المشتركة في الدين والأخلاق يشترك في وضعها علماء المسلمين ورجال الدين من غير المسلمين و بعد أن عرضت هذه الفكرة بيومين أو ثلاثة توجه إليه أحد الوزراء ليدرس معه خطوات تنفيذ هـذه الفكرة والبدء بها . . ولكنه ـ رضى الله عنه ـ قال للوزير :

من أذنك بهذا وطلبه منك ؟ إن مثل هذه الفكرة إذا طلبت ، فانما توجه إلينا من كبار المسئولين مباشرة . ويوم يطلب منا مثل هذه الكتب المشتركة فلن يكون ردى إلا تقديم استقالتى . .

فاعتذر الوزير الفاضل وقال له : أنا ما جئت إلا لأستطلع رأي فضيلتكم وأعرف حكم الدين ، ويوم أن تقدم أنت استقالتك لهذا السبب فسأقدم أنا استقالتى أثرك مباشرة . وهكذا ماتت فكرة الكتب المشتركة بفضل هذا الموقف الكريم للامام الأكبر .

موقفه من سخرية عبد الناصر بالعلماء :

وصفحة رابعة مطوية من صفحاته . . كان رضى الله عنه غيوراً على الأزهر وعلى كرامة الأزهريين . . كان رضى الله عنه يلبس من قبل (البدلة) بعد أن عاد من فرنسا . . وظل مرتديا لها وهو مدرس بالأزهر الشريف وفى يوم من أيام الرئيس الراحل جمال عبد الناصر . . وقف هذا الرئيس يعرض بعلماء الأزهر الذين يفتون الفتاوى من أجل ديك يأكلونه .

« كذا » وشعر الأزهر بهذه المهانة ، وهذا التعريض الشائن . . فما كان من الدكتور عبد الحليم محمود — رحمه الله — إلا أن ارتدى الزي الأزهرى ،

ونادى زملاءه أن يعودوا إليه ، تحدياً للزعيم الراحل فيم قال ، واعتزازاً بالأزهر والأزهريين .

ومن ذلك اليوم ظل فضيلته ـ رحمه الله ـ محافظاً على هذا الزى مناشداً كل عالم وكل طالب أن يعودوا إلى هذا الزى وأن يحرصوا عليه .

موقفه من قانون الأحوال الشخصية :

وموقف آخر من مواقفه طويت صفحاتها ومنعت الصحف من نشرها بين الناس .

روج بعض المسئولين للدعوة إلى تعديل قوانين الأحوال الشخصية وتقييد الطلاق ، وتعدد الزوجات ، حتى تمسخ الأحوال الشخصية التى نزلت من عند الله ، فما كان من فضيلته إلا أن أصدر بياناً يوضح فيه خطورة هذا الأمر ، وأرسله إلى جميع أعضاء مجلس الشعب والمسئولين وإلى الصحف وقد جاء فى آخر هذا البيان :

« وبعد : فان مما يشبه اليقين عندنا : أن لا ينساق مجلس الشعب وراء أهواء تنحرف بالإسلام : إنه لا قيود على الطلاق إلا من ضمير المسلم ولا قيود على التعدد إلا من ضمير المسلم . . ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم » .

ومنع البيان حينذاك من النشر ، واجتمع الوزراء لينظروا فى أمره .

وما انتهى الموضوع إلا بعد أن تمت الزيارة بينهم وبين رئيس الوزراء فى ذلك الوقت ، وأعلنت الحكومة إنه ليس هناك تفكير على الإطلاق فى تعديل قوانين الأحوال الشخصية الآن ، وقال له رئيس الوزراء فى ذلك الوقت .

— تأكد يا فضيلة الإمام الأكبر إننا لانصدر قانوناً للأحوال الشخصية إلا إذا عرض عليكم ووافقتم عليه فضيلتك بالذات .

موقفه من المحكمة العسكرية :

وصفحة أخرى من صفحاته المطوية .. موقفه من المحكمة العسكرية العليا فى قضية الجماعة المعروفة بجماعة التكفير والهجرة .. فقد أرادت هذه المحكمة أن تجر الأزهر وعلماءه للشهادة فى قضية ليست أمامهم جميع وقائعها .. فرفض الأزهر وعلماؤه .. فما كان من المحكمة إلا أن نددت برجال الأزهر وعلماء المسلمين ومجمع البحوث الإسلامية ، وكالت لهم التهم جزافا ، وألصقت بهم ظلما أنهم تهربوا من أداء رسالتهم .

فما كان من الامام الأكبر رضى الله عنه إلى أن أصدر بياناً يكشف فيه حقيقة الموقف وقال فى بيانه :

« كان من واجب المحكمة أن تتريث وأن تصمم على الحصول على الرأى - أى رأى الأزهر - مهما يكلفها ذلك من وقت ، فذلك منطق العدالة الذى لا محيص عنه ، وقد كان يجب عليها على أقل تقدير أن تضم إليها قضاة شرعيين ، يقفون موقفها ويشاركونها المسئولية ويتمكنون مثلها من الاطلاع كقضاة على جميع ظروف القضية ونواحيها ، فيتمكنون بعد ذلك من اصدار الحكم الصحيح » .

« وهذا للاسف الشديد هو الأمر الذى لم تشأ المحكمة أن تمكن منه علماء الأزهر وأن بحث علماء الأزهر فى هذه القضية الفكرية وغيرها لا يمكن ، أن يكون متسرعا مرتجلا على النحو الذى حاولت المحكمة أن تضطرهم إليه

وليس من شأن العلماء أن يخضعوا لظروف العجلة التي من المحتمل أن تكون الهيئة القضائية واضعة أياه في الإعتبار ، فالحكم العلمي لا يمكن أن يخضع لغير البحث الدقيق الرصين مهما احتاج إلى زمن ..

وهذا لا شك موقف شجاع في قضية كانت موضع اهتمام الرأي العام على العموم والحكومة على وجه خاص :

موقفه من قانون الخمر :

كان رضي الله عنه مهتما بأمر الشريعة الإسلامية اهتماما لم نلحظه في أكثر شيوخ الأزهر الذين تولوا هذا المنصب .. فهو لم يقتصر في منصبه على أن يكون شيخاً للازهر يكتفي بمجرد تصريف شئون الأزهر الإدارية .. ولكنه جعل من منصبه أن يكون شيخا للاسلام يهتم بشئون المسلمين وفي مقدمة ذلك العمل على تطبيق الشريعة الإسلامية .

لقد ندد في المحافل الرسمية بموقف السلطة التشريعية التي تراجعت عن مشروع قانون تحريم الخمر وأباحته في أماكنمعينة . . وقال :

إن الإسلام لا يعرف أن تكون الخمر حلا لا مباحاً في الأماكن السياحية محرمة في غيرها .

موقفه من شركة مصر للطيران :

موقفه من شركة مصر الطيران ويوم امتنع الطيارون والمضيفون في شركة مصر للطيران عن تقديم الخمر على طائراتهم ، وتعرضوا لحرب رهيبة من المسئولين وقف رضي الله عنه يساندهم .. وكتب إلى المسئولين بهذه الشركة مؤيداً هؤلاء الغيورين على دينهم .. وقال للمسئولين : « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » .

تقنين الشريعة الإسلامية :

ومنذ أن تولى امانة مجمع البحوث الإسلامية كان أول عمل قام به أن شكل لجانا لتقنين الشريعة الاسلامية على المذاهب الاربعة توطئة لعمل تقنين عام مأخوذ من هذه المذاهب بما يتفق مع المصلحة والظروف وبما لا يخرج عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وتكونت هذه اللجان من كبار علماء لجنة الفتوى بالأزهر الشريف وكبار المستشارين القانونيين ، وقد انتهت هذه اللجان من تقنيناتها فى المعاملات والحدود بكل مذهب تقنينه مصحوبا بالمذكرات الشارحة من فقه المذهب . وقد طبعت أجزاء من بعض هذه التقنينات ولا ندرى ماذا سيحدث بعد ذلك فى هذا العمل الجليل .

وقد شكل لجنة عليا لتقنين مشروع للحدود من المذاهب الاربعة ، وتم طبعه ثم قدمه فضيلته إلى المجلس التشريعى لكى يقيم الحجة عليهم إذا توانوا فى تطبيق الشريعة .. ولكن المجلس المذكور لم يعر هذا المشروع اهتمامه .

تقنينه للدستور الاسلامى :

وكان من أعظم الاعمال التى أقدم عليها فضيلة الامام الاكبر أنه قرر إعلان مشروع دستور اسلامى للحكم وكون لجنة لهذا الغرض من كبار علماء الأمة ومن كبار المستشارين ورجال القانون . . ولقد قامت اللجنة بعملها وكانت فى انتظار شفاء فضيلته لإبداء الرأى فيه وإدخال التعديلات في نقاط الخلاف بين الأعضاء وبينما كانت اللجنة مجتمعة لادخال اللمسات الأخيرة على المشروع ، أبلغت اللجنة أن فضيلة الامام الاكبر يوصى من فراشه بالمستشفى بضرورة الانتهاء من المشروع ليرسله إلى علماء المسلمين فى العالم الاسلامى كله ليتخذوا قرارهم بشأنه فى مؤتمر العلمـــاء المزمع انعقاده فى شهر نوفمبر الحالى .

اهتمامه بالدعوة الاسلامية :

وكان رضى الله عنه مهتما بأمر الدعوة الاسلامية والتخطيط لها وشكل لهذا الغرض لجنة عليا من كبار رجال العلماء وكبار رجال الدعوة الاسلامية في مصر . وقد اجتمعت هذه اللجنة جلسات عديدة . وكانت تضم هذه اللجنة من الدعاة الأساتذة عمر التلمسانى ، الشيخ محمد زكى إبراهيم ، وحسن عاشور وعلى عبد العظيم ، وإبراهيم البطاوى ، والدكتور سليمان ربيع ، وكاتب هذه السطور بخلاف شيخ مشايخ الطرق الصوفية ومدير عام الوعظ والإرشاد ، وأمين مجمع البحوث الإسلامية ، والأستاذ محمود مهدى محرر الصفحة الدينية بجريدة الأهرام وغيرهم وغيرهم .

ولقد اتخذت هذه اللجنة قرارات عديدة ، وكانت تعد للاحتفال بالقرن الخامس عشر الهجرى .

حربه ضد الشيوعية والإلحاد :

وكان رضى الله عنه حربا على الشيوعيين والإلحاد .. وفى الوقت الذى اعترفت فيه الدولة بالمنبر اليسارى والحزب التقدمي أصدر فضيلته وكتب الكتب والبيانات والمقالات التى حكمت بالكفر على الماركسية والماركسيين والشيوعية والشيوعيين .

موقفه من الوفد البابوى :

هذا قليل من كثير من الصفحات المطويات من تاريخ الإمام الاكبر الذى فقدناه .. ولقد شعرنا نحن .. أحبابه وتلاميذه باليتم يوم فقدناه .. فقد فقدنا بفقده الاب الروحى والإمام الرائد والعالم الذى كان لا يفتأ يفكر ليل نهار فى قضايا المسلمين ومصالحهم .

إن تاريخ عبد الحليم محمود يحتاج إلى سفر كامل نتناول فيه كل ما ألمحنا إليه بالتفصيل ، وإلى موقفه مع وفد البابا بولس الثالث الذين أرادوا التعاون بينهم وبين المسلمين ضد الإلحاد فكشف لهم عن استحالة هذا التعاون وهم يحاربون الإسلام ويقاتلون المسلمين وينالون من نبي الإسلام .

ما مصير الأزهر بعده ؟

بقى سؤال يجب أن يطرح : ما هو مصير الأزهر بعد عبد الحليم محمود ؟! كيف يتحقق الإستقلال والحصانة للأزهر ؟ هل سيظل الأزهر مجالا لتعبث به الأهواء السياسية والحزبية ؟

لقد كان رضى الله عنه ينادى إلى وجوب إعادة تشكيل هيئة كبار العلماء وتوضع الشروط لاختيارهم من ناحية الكفاءة العلمية ومن ناحية حسن السمعة والورع ، والتقوى فى الافتاء ، وأن تقوم هذه الهيئة باختيار العلماء الذين يشغلون المناصب الشاغرة ويقومون هم باختيار شيخ الأزهر ووكيله وجميع المناصب الرئيسية فيه .

إن مجمع البحوث الإسلامية يعين رجاله بقرارات جمهورية دون معايير معينة ودون أن يكون لرجال الأزهر وأعضاء المجمع رأى فى اختيارهم وقد خلت كثير من مناصب مجمع البحوث الإسلامية بوفاة الشيخ على السايس والشيخ محمد أبو زهرة ، والشيخ فرج السنهورى ، وأخيراً الدكتور عبد الحليم محمود رحمهم الله جميعاً ورضى عنهم .. ولم تشغل أماكنهم بعد .. حتى تصدر قرارات جمهورية بتعيين من يحل محلهم !!

هيئة كبار العلماء :

لا .. يجب أن تعود هيئة كبار العلماء .. ويجب أن توضع معايير اختيارهم وتعيينهم .. ويختار العلماء فيما بينهم كبارهم .. فهذا ما يحدث مثله فى

مجمع اللغة العربية الذى لا يبلغ خطورته وأهميته مبلغ هيئة كبار العلماء ومجمع البحوث الإسلامية .

نقول هذا . . لأننا نخشى على الأزهر فى الأيام القادمة بعد موت الامام الأكبر ، وبعد أن ترك فراغا عظيما .

إننا على ثقة بأن للاسلام رباً يحميه . . وإننا على ثقة أن فى علمائنا خيراً كثيراً . . وأن الله سيخلفنا عن إمامنا الراحل خيراً . . ولكن يجب أن نأخذ بالأسباب وأن نعمل لما فيه خير الاسلام والأزهر . .

والله ولى التوفيق

التصور العلمى والأخـــلاقى
لمدرسة الشيخ الإمام نحو شيخهم:

غزالى القرن الرابع عشر

للأستاذ الدكتور / عبد الفتاح بركة

قل فى بلاد الإسلام من لم يسمع باسم حجة الإسلام الإمام أبى حامد الغزالى وباسم كتابه الشهير « أحياء علوم الدين »[1] .

وندر بين الباحثين فى الإسلام من لم تستلفت نظره الشخصية الشامخة بكثرة إنتاجها ، وتنوع معارفها ، وعمق تأثيرها فى تيار الثقافة الإسلامية وما تأثر بها من ثقافات أخرى .

ولقد ذاع هذا الإسم ، وانتشر هذا العلم ، ولا يزال محتفظاً بقدرته على الذيوع والإنتشار ، لما يمتلك من طاقة وحيوية فياضة ، ولما عالج من مسائل ومشاكل عامة ومتجددة ، ولما فيه من بساطة ووضوح ، وحسم ويقين .

ومن أهم القضايا التى واجهها الإمام الغزالى وعالجها فى عزم وحسم قضية الدين والعقل وقد برزت هذه القضية فى أتم صورة فى ميدانيين هما ميدان علم الكلام ، وميدان الفلسفة .

ولم يكن لمثل هذه القضية أن تحتاج إلى مواجهة وإلى علاج ، لو أنها

---

(١) ما بين الأقواس منقول ببعض تصرف من كتاب الإمام الأكبر عبد الحليم محمود . التوحيد الخالص .

ظلت فى حدودها التى يقتضيها العقل نفسه ، ويرسم لها قواعدها وغاياتها ووسائلها ، ولكن العصر الذى نبغ فيه الغزالى كان قد شهد انحرافاً هائلا فى طريقة استعمال العقل تحت حماية مظلة دينية ، وكان من تحت هذه المظلة الدينية يعمل على تقويض دعائم الإيمان وقواعد الدين نفسه .

هذه المظلة الدينية التى كان العقل البشرى يحتمى وراءها هى دعوة الإسلام على لسان كتابه ورسوله إلى تحرير العقل والإعتماد عليه ، ونبذ التقليد وترك الجمود ، حتى يمكن للعقل أن يميز بين الحق والباطل ، ويمكن للانسان اعتماداً على عقله أن يلتزم بالحق وأن يهجر الباطل .

وقد وضع الإسلام على لسان كتابه ورسوله أمام الانسان الحقائق الإلهية والدينية التى لا يستطيع بعقله أن يتوصل إليها على استقلاله ، وطلب منه أن يعتبر ليهتدى بها فى عقائده وأخلاقه وتشريعاته ، حتى تستقر حياته فى الدنيا على قواعد من الحق ، ومبادىء من العدل ، وأسس من الخير .

ودعوة الإسلام إلى استعمال العقل صريحة واضحة لا تحتمل شكا ولا تأويلا ولا تزال هذه الدعوة قائمة تميز الإسلام كدين إلهى صحيح عن كثير غيره من الأديان .

ولقد فهم المسلمون الأوائل هذه الدعوة ، واستجابوا لها ، وعرفوا قواعدها فلزموا حدودها ، وظل الأمر على ذلك حتى تسللت بين أفكار المسلمين وبين عناصر ثقافتهم عوامل غريبة تعتمد على ترجمة تراث اليونان فيما وراء الطبيعة وفى مجال الأخلاق .

وبدأ بعض المسلمين يفهمون دعوة الإسلام إلى استعمال العقل والاعتداد به بطريقة تجاوز به حده ، وتجشمه التطلع إلى أفق أعلى من مستواه ، فبدأ التفلسف وظهرت الفلسفة ، وبدأت مسائل العالم الغيبى مما تسميه الفلسفة ما وراء

الطبيعة وفوقها تعالج بالعقل في ميدان الفلسفة ، بعد أن حددها الوحى وبينها الدين ، وعندما كانت نفس المسلم العادى تختلج بشيء من الريب والتشكك تجاه هذا الاتجاه العقلى الجديد ، كانت الفلسفة تتذرع بذريعة من الدين نفسه من حيث حثه على العقل وعلى استعماله،وعلى تحريره من ربقة التقليد والجمود، وكانت الفلسفة تدعى تلك الدعوى البديهية ، أن الحق لا يناقض الحق ثم أن العقل بما يتوصل به إلى الحق يكون ظهيراً لما أتى به الوحى من الحق . وأنه حين يظهر شيء من الخلاف أو الاختلاف بين مقولة الوحى ، ونتائج العقل ، فلابد أن يكون هنا مجال للتوفيق بينهما بطريقة تزيد الحق وضوحاً ويقيناً .

ومثل هذه الأقاويل ، وأن بدأ عليها سمة من القبول تخول العقل سلطات أكبر من طاقاته ، وتزج به في ميدان أوسع من قدراته ، ثم توائم بين سلطانه وسلطان الدين نفسه ، ثم ترفع بعد ذلك سلطانه فوق سلطان الدين نفسه لتجعل منه حكماً فى كل ما أتى به الدين من أخبار عن عالم الغيب ، ومن قواعد للأخلاق ، ومن قوانين للتشريعات .

ولو كانت طاقات العقل وقدراته تخول له هـذا السلطان ، وتمكنه من التجول فى ساحة الغيب ، ومن الثبات فى ميدان التشريع ، ومن التبحر في مجال الأخـلاق ، لما ظلت الانسانية فى فترات انقطاع الوحى والرسالات تتشوق إلى أنوارها ، وتستشرف إلي هدايتها ، ولما كان الوحى حين يستجيب لها يستجيب بذلك في غير ترديد ولا تشكيك ، ولا حسم .

ولـكن الدين حسم كل هذه الأبواب ، ومهدها أمام العقل ليتفهمها ، ويستهدى بها لا لـكي تـكون مجالا للقبول أو الرد ، أو محلا للزيادة والنقص ، أو لمساومة العقل فيها ترديداً وتشكيكا ، وذلك لأن العقل — بكل ما فيه من قوى وطاقات — معزول عن التحكم فى هذه المساحات ،أو السير فى مسالكها بغير هاد ولا دليل .

ولا شك أن للعقل مجالاته التي يستطيع أن ينشط فيها وهو آمن مطمئن أنه يحقق فيها أفضل النتائج بعد أن يضع أقدامه على أساس من الدين فيما يتعلق بالغيب والشريعة والأخلاق ، هـذه المجالات هي المجالات الحسية والمادية ، أو هي مجالات الطبيعة بكل ما فيها وهي مجالات تختلف عن مجالات ما وراء الطبيعة من حيث أن العقل إذا أخطأ فيها أمكن له بمعاودة البحث والنظر أن يصحح أخطاءه وأن يقوم – من جديد – مساره .

ولذلك نجد الدين يترك هذا المجال للعقل بغير تحديد ، ولا تقييد ، بل ينبهه ويحثه ، ويحفزه ويستفزه ، للاستفادة بكل طاقاته في هذا المجال .

ولكن الفلاسفة – والعقلانيين على وجه العموم – لم يقبلوا هـذا التحديد الدقيق واتسعت أمامهم دائرة العقل فظنوا أنها بغير حدود ولا قيود ، وظنوا أن الدين نفسه يظاهرهم ويؤيدهم على ذلك فتوسعوا ما شاءت لهم أوهامهم حتى طرقوا بعقولهم أبواب الغيب يريدون أن يكتنهوا أغواره ، ويعبروا أسراره ، فتخبطوا ، واختلفوا وتفرقوا .

واستمرار هذا التخبط ، والإختلاف ، والتفرق باسم الدين تنكث غزله وتوهي أركانه وتنقض بنيانه .

لذلك انتهض الإمام الغزالي لمقاومة هذا الإتجاه العقلاني الذي تمثل في عصره في مظاهر مختلفة كان من أبرزها : الفلسفة .

«وحمل الامام الغزالي على الأساس الذي تقوم عليه الفلسفة وهو «العقل» حملة عنيفة وهجم عليه هجوماً قوياً » في كثير من تآليفه وتصانيفه ، وخرج على العالم كله بهذا التراث الخالد « تهافت الفلاسفة » الذي سوف يظل إلى الأبد فيصلا في بيان قصور العقل ومحدوديته وعدم قدرته على تجاوز تلك الساحات المنيعة ، والعتبات الرفيعة التي اختصت بها الأديان الصحيحة .

ولم يكن الإمام الغزالى بدعا فيما أتى به ، ولم يخرج فيه بشىء جديد لم يكن فى الإسلام من قبل ، أو لم يكن علماء الإسلام على وعى كامل به ، ولكن أصالته وإبداعه تظهر فى قدرته على استخدام العقل نفسه فى بيان حدوده ومداه ، وعلى مناقشة الفلاسفة بمنهجهم وأسلوبهم ، وعلى وضع هذه القضية وضعاً منهجياً منظماً مستقلا فى مواجهة ظروف جديدة على العالم الاسلامى كادت تزيف عليه ثقافته ، وتفسد عليه فكره ، وتفتنه فى دينه وإيمانه ، ولو أردنا أن نعبر عن هذه الظروف ببعض عبارات العصر لقلنا أنها غزو فكرى وثقافى ، أو معركة بين الأصالة والتغريب أو ما شاكل من هذه المصطلحات الجديدة .

« لقد كان كتابه « تهافت الفلاسفة » محاولة موفقة كل التوفيق ، جريئة كل الجرأة ، طريفة كل الطرافة ، وما كان المقصد الأول ، والهدف الأساسى لهجومه هدم الآراء فى نفسها ، فبعضها صحيح موافق للدين ، ومع ذلك فقد هدم الامام الغزالى المنهج العقلى الذى استندت إليه هذه الآراء . . إنه لم يلتزم فى هذا الكتاب إلا تكدير مذهبهم والتغبير فى وجه أدلتهم بما يبين تهافتهم ، ويقول : أنا لا أدخل فى الاعتراض عليهم إلا دخول مطالب منكر ، لا دخول مدع مثبت ، فأبطل عليهم ما أعتقدوه ، مقطوعا بالزامات مختلفة .

« وما من شك فى أن حملة الامام الغزالى أنما كانت مواجهة أولا وبالذات إلى العقل ، والقضية المتنازع عليها هى : قضية استطاعة العقل الوصول إلى المعرفة اليقينية فى عالم « ما وراء الطبيعة » ، الامام الغزالى ينكر ، ويثبت إنكاره بالاخفاق المتتابع للفلاسفة ويثبته أيضاً بهدم العقل لكل ما بناه العقل نفسه فى هذا الميدان .

« والتعارض إذن بين الامام الغزالى والفلاسفة إنما هو تعارض كلى ،

ولذلك فان المحاولات الكثيرة المتعددة لتصحيح آراء الفلاسفة أو لتصحيح بعضها ، و نقد الإمام الغزالى فى حملته على هـذا الرأى أو ذاك ، والانتصار لوجهة النظر الفلسفية فى هـذه أو تلك ، إن ذلك كله غير مجد فى القضية التى أثارها الامام الغزالى ، وهى محاولات جهل القائلون بها موضوع النزاع على حقيقته أو تجاهلوه .

« ومن هنا كانت محاولة ابن رشد ـ وهو أكبر المدافعين عن الفلاسفة ـ تصويب آراء الفلاسفة فى كتابه : « تهافت التهافت » عملا غير مفيد فى حسم النزاع » .

وإذا صح أن التاريخ يعيد نفسه فاننا سوف نجد كثيراً من التشابه بين هذه الحقبة التى نعيش فيها وتلك الحقبة التى عاش فيها الامام الغزالى .

فلقد ورثنا تركة مثقلة من ركام الثقافة الغربية بتأثير الاستعمار الذى جثم على صدورنا ردحاً من الزمن ، ورثناها تحت مظلة الدين وحمايته ، من حيث أن الدين لا يتعارض مع العقـل ، ولا مع أعمـاله وتحريره من ربقة التقاليد .

ومن حيث أن الدين يحفز العقل ويستنهضه ليجول فى ميدان العلوم قدر وسعه وطاقته ، خاصة وقد شعر العالم الاسلامى حين أبتلى ببلاء الاستعمار أنه قد تخلف كثيراً فى ميدان العلم ومحيط الثقـافة ، وأن هذا التخلف هو الذى هيأه للوقوع فريسة فى أيدى أعدائه ، فأصبح وقد ازداد اقتناعه ـ بالاضافة إلى ما فى دينه من دوافع وحوافز ـ بضرورة العمل على معالجة هـذا الداء ، وتلافى هذا النقص .

ولقد كان من الممكن أن يكتفى فى مجال العقيدة والشريعة والأخلاق بما فى تراثه الإسلامى العريق ، وأن يلتمس علاج نقصه وتلافى أسباب تخلفه

فى النواحى العلمية المادية التى كان مقصراً فيها كل التقصير ، ولكن الخطأ الذى وقع فيه الفلاسفة من أسلافه لحسبوا أن مظلة الإسلام تبيح للعقل أن يتجاوز حدوده فيبحث من جديد فى الأسس والقواعد التى فرغ الدين من بيانها وتحديدها مساعدة للعقل فى ميدان لا يستطيع أن يستقل بالبحث فيه ، هذا الخطأ الذى وقع فيه الفلاسفة من أسلافهم كان هو الخطأ عينه الذى وقع فيه بعض رواد الفكر فى هذا العصر بوعى منهم أو بغير وعى ، وكان من نتائج ذلك أن تابعنا الحضارة الغربية فى أخطائها الفكرية والثقافية بل حتى فى أوهامها وخيالاتها العقلانية .

ولقد نلتمس لأصحاب هذه الحضارة بعض العذر فى اتجاهها العقلانى ، حيث نشأت هذه الحضارة ونمت بعد فترة « كانت الكنيسة فيها مسيطرة على العالم الأوربى سيطرة تامة : ما كان هناك شىء يفعل ، أو شىء ينتهى فيه الأمر ، ولا شىء يقام أو يهدم ، وما كان إنسان يقدم على أمر ، وما كان إنسان يحجم عن أمر إلا باستئذان الكنيسة ، وباستئذان رجال الدين ، ولكن الكنيسة ورجال الدين تعسفوا فى استعمال سلطتهم ، حتى لقد أنشأوا محاكم التفتيش » .

وشهرة محاكم التفتيش مستفيضة ، كتب عنها الكثيرون من أهلها ومن غير أهلها فصوروا بشاعتها وقسوتها ، فكانت أبشع صورة وأسوأ مظهر ، كتب عنها الكاثوليك كما كتب البروتستانت ، وكتب الإنجليز كما كتب الفرنسيون ، وكتب المسيحيون كما كتب غيرهم ، وقد وضح مما كتبوا أن الانفجار الإنسانى ضد الدين قد كان له هناك ما يبرره من هذا الكبت العنيف الذى كان يغمر أوربا فى هذا العصر .

« وأخذ قادة الحضارة — مبتدئين من هذا الاتجاه الانسانى — يقررون أن الانسان له كيانه ومكانته ، له شخصيته وذاتيته ، له حدوده وتقديراته ،

له كرامته التى يجب أن يتمتع بها ، وأن يحتـــل من أجلها المكانة التى تليق به .

ومن هنا كانت كلمـــة الانسانية التى تطلق كرمز مميز على هذه الحضـارة .

« ولكن حينما بدءوا يتحدثون عن الانسان فى ثورة عواطفهم القوية وفى غمرة نفورهم الشديد من رجال الدين ، كانت كلمة الانسانية توحى — عند قادتهم — بانفصال الانسانية عن الآلهية ، أو انفصال الانسانية عن الـكنيسة ، أو انفصال الانسان عن الدين ، أو بالتعبير الحديث انفصال الدين عن الدولة » .

« وتلفت ممثلوا هـذه الحضارة يلتمسون الأصول والقواعد التى يمكنهم أن يقيموا عليها نظمهم البشرية وتساءلوا : ماذا يمكن أن يحل محل الدين ؟

إن الدين نظام اجتماعى وتشريعى وأخلاقى ، فاذا أردنا أن نتخلص من هـذه النظم لأنها نظم دينية يقوم عليها رجال الكنيسة ورجال محاكم التفتيش، فما هي المصادر والمنابع التى نستقى منها إذا أردنا أن يسود الاطمئنان فى المجتمع ؟

« أما المصادر فما كان يمكن — خارج نطاق الدين — إلا أن تـكون فى مصدرين .

١ — العقل فى ناحية ما وراء الطبيعة .

٢ — الضمير فى ناحية الأخلاق » .

ومن الواضح أن مثل هـذه المبررات لم يكن لها وجود فى المجتمعات الاسلامية حتى تلجأ لتلك المصادر البشرية بعيداً عن عصمة الوحى فى الأمور

التي تتعلق بالغيب والتشريع والأخلاق ، ولكن التوسع في فهم وظيفة العقل وفي حث الاسلام على استعماله في مجاله وفي ميدانه جعل رواد الفكر في هذا العصر يوحى من شعورهم الخاص ، وبتشجيع من رجال الاستعمار ، وبطريقة أو أخرى من طرق الايحاء النفسي ، يتجهون إلى تقليد العقل من مقاليد الحكم والبحث ما لا قبل له من ناحية ، وما صرفه عن التركيز والابداع فيما كان ينبغي عليه من ناحية أخرى .

وهكذا أمكن تحت وطأة الاستعمار من جانب ، وفي غفوة الشعور والوعي الديني من جانب ، أن يعزل الدين عن مجال التشريع ، وأن ينصب العقل في مجـال التفلسف ، وسرت إلينا تلك الدعاوى والقضايا الفلسفية والاجتماعية التي سيطرت على الحضارة الغربية بوجهها المادي الأصم ، بأسسها وقواعدها ومبادئها التي لا يهديها دين ، ولا يعصمها وحي .

وقد ترتب على ذلك أن تعددت المذاهب واختلفت الآراء ، وتعارضت الأفكار وتضاربت الإتجاهات ، وازدادت الأمة الاسلامية وهنا على وهن ، وتفجرت جراحها الداخلية بأعنف وأقسى مما تفجرت به جراحها الخارجية ، وأصبحنا فاذا بنا نجد من بيننا من يدعو إلى بدعة الوجودية ، واللامعقول ، والعبث ، ومن يدعو إلى الشيوعية أو الاشتراكية العلمية ، أو الرأسمالية الغربية ، ومن ينادي بالديمقراطية اشتراكية أو رأسمالية ومن ينعق بالقومية والوطنية ، والأنسانية بمفاهيمها العنصرية والمذهبية .

ووراء هـذا الركام الذي حطبناه في ليل الهزيمة من حصاد العقلانية المفتونه ، وخلف هـذا الغثاء الذي أفرزناه في غشية الوعي من كبرياء العقلانية الواهمة ، كانت حقائق الدين الجلية الناصعة ، وكان هتاف الوحي المعصوم النقي القوي ينتظر رجلا كالامام الغزالي ليصبح بالعقل تلك الصيحة المجلجلة أن يكفف من غلوائه ، وأن يلزم الحدود التي تهيأ لها بفطرته ، وأن

يلتمس هداية الدين وإرشاده فيما يمكن له أن يتلقاه عن الدين في باب الغيب الأخلاق والتشريع، وليؤذن بين المسلمين بذلك الآذان المدوى أن حي على الصلاة، حي على الفلاح، وأن عودوا إلى رشدكم، وثوبوا إلى دينكم، وأعملوا عقولكم في إتباع هذا الدين.

هذا هو غزالي القرن الرابع عشر! إنه أستاذنا الإمام الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود.

إنه من الصعب أن يجد الإنسان نفسه في متاهة ذات مسالك متشعبة ومتضاربة ثم يجرد من نفسه إنساناً يتسامى ليشرف بنظره طائر على هذه المتاهة فيعرف أسرارها ويحيط بعثراتها وعقباتها، ويرسم لمن معه سبيل النجاة والخلاص منها.

وإنه لمن العسير على من وقع في حمأة من الطين الرخو الذي يبتلع ما يلقى فيه أن يسكن في التماس الحيلة للنجاة حتى يتبين لقدمه موقعها الصلب من بين هذا المستنقع.

وإذا كان التيار جارفاً يستسلم له الجميع، ويعتبرون الحصافة في الاستسلام له، فمن المتعذر أن تجد من بينهم من ينظر للعواقب ويدبر في نجاة نفسه ونجاة قومه من عاقبة هذا التيار المدمر.

لقد كان غزالي القرن الرابع عشر الامام عبد الحليم محمود - رحمه الله - هو الذي أستطاع أن يتسامى بنفسه بعيداً عن هذه الحمأة، نجياً من هذه المتاهة، مشرفا من أفقه الرفيع على منبع التيار ومصبه، فلم تستغرق فكره تلك القضايا العابثة، ولم تستحوذ عليه تلك المشاكل المفتعلة، ولم تلهه تلك الأقاويل والمذاهب المصطنعة، وإنما ظل محتفظاً بنقاء فطرته، وصفاء فكرته، وسهل عليه لذلك أن يتبين ما في هذا الركام الفكري من زيف يأخذ صورة الاصالة، وعبث

يسلك مسلك الجد ، وكان مقياسه الذى لايخطىء فى إفراز هذه القضايا ، ومعرفة ماتستحقه من قدر وقيمة ، هو العقل نفسه ، حين حدد له حدوده الفطرية ، وقدراته وطاقاته الحقيقية ، ووظائفه ومهماته الأصلية وكل قضية لاتدخل فى نطاق الدائرة التى يسرى عليها سلطان العقل ، فهى قضية مزيفة عرضت على غير أهلها ، وفى غير محلها .

ولذلك يكون من العبث أن يصرف الانسان جهده الفكرى والعقلى فى معظم القضايا الفكرية التى يموج بها محيطنا الثقافى ، وهي بذلك إنفاق للجهد والوقت فى غير طائل فوق أنها تضليل ومضيعة للانسان .

ولقد كانت هذه الحقيقية ملازمة لأمامنا لاتفارقه فى وقت من أوقاته ، ولافى حال من أحواله ، كان يدندن بها فى محاضراته ، ويتغنى بها فى ندواته ، ويلفت إليها الأنظار فى مساجلاته ، وكانت محور تآليفه ومصنفاته .

ولقد كان يعلم يقينا أن هذه الحقيقة هي الأصل الذى ينبغى الركون إليه ، والاعتماد عليه فى تزييف تلك المذاهب البشرية ، والآراء العقلانية التى إبتدعتها الكبرياء الانسانية فى مواجهة الرحمة الإلهية ، ومن هنا أختلف منهجه فى مناقشة تلك المذاهب عن مناهج الآخرين ، أو لعله كان له — دونهم — منهجه فى مناقشة هذه المذاهب ، إنه يعمد مباشرة إلى الأساس الذى يتباهون به ويفتخرون فيهدمه فى بساطة وإقتدار .

لقد وجدنا من يناقش الوجودية والشيوعية والالحادية والمادية وغير ذلك من هذه الأسماء والمبتدعات ولاشك أن الباحثين المسلمين قد أبلوا فى مناقشة كل هذه الآراء البلاء الحسن الجميل ولكن الذى يمكن أن يلاحظ أنه مامن مناقشة ألا ويصح أن تعقبها مناقشة ، ومامن جدل إلا ويمكن أن يتولد عنه جدل ، ومادام العقل هو الفيصل ، وهو الحكم ، فالعقل قسمة بين الأطراف ،

والقضية بذلك معكوسة أو مقلوبة ، لأنها تجعل الدين وقضيته رهن فوز العقل في طرف من هذه الأطراف وماهكذا تؤخذ قضية الدين .

إن مبادىء الدين وقواعد الاسلام لاتحتاج من العقل إلى حماية أو دفاع، وإنما تحتاج إلى تسليم وإقتناع ، ولاتحتكم إلى العقل ليحكم لها بالصدق والصواب ، وإنما تحكم العقل وتوجهه إلى الصدق والصواب .

ولقد أثبت العقل عجزه عن الحكم الصحيح في مسائل أقل إشكالا من تلك التى أختص بها الدين ، أثبته من خلال أختلاف الفلاسفة وعباقرة المفكرين ، وهو بلا شك أكثر عجزاً في الميادين التي اختص بها الدين والتى أتى فيها بالحسم واليقين .

لايصح إذن أن يكون الدين بقضاياه – غيبية وتشريعية وأخلاقية – موضع بحث عقلي للحكم بالصدق والصواب والصلاحية وإن كان يجب أن تكون موضع بحث عقلي للفهم والاستيعاب والاتباع .

« والاسلام بهذا المعنى هو دين العقل . إنه هاد للعقل ومرشد له في جميع الأمور التي لو ترك العقل وشأنه فيها ضل السبيل ، وعجز عن الوصول إلى الحقيقة وهذا الأمور هي :

(أ) العقائد .

(ب) المبادىء الأخلاقية إجمالا وتفصيلا .

(ج) التشريع في قواعده العامة ، وفي بعض تفصيلاته التي تبقى مع الزمن وهو مبادىء يفهمها العقل في سهولة ويسر .

وهو لايتناقض مع العقل .

وهو ملجأ للعقل في كل ما ينبني عليه .

أما الطبيعة والكون من سمائه وأرضه ، ومن جباله وبحاره ، ومن

كواكبه وشموسه وأقماره ، أما المادة والطاقة ، أما أعماق البحار وآفاق السماء وأجواز الفضاء .. إن كل ذلك قد تركه للانسان يدرسه فى مصنعه ومعمله ، ويستخدمه بأدواته وآلاته ، وقد حثه على أن يجول فى ذلك ما استطاع إليه سبيلا ، حتى يكتشف سنن الله الكونية ، ونواميسه الطبيعية ، ويرى صنع الله الذى أتقن كل شىء ، ولم يحجر الدين على الإنسان فى هـذا المجال ، اللهم إلا الواجب الذى ينبغى أن يكون شعاره دائماً : وهو أن يكون هدفه من كل ذلك الخير » .

الإسلام إذن هو دين العقل بكل هذه المعانى فاذا تجاوزها إلى الغيبيات نفيا أو اثباتاً قيل له : لا . ليس هذا من شأن العقل ، وإذا تجاوزها إلى الأخلاقيات قيل له : لا . ليس هـذا من شأن العقل ، للعلاقة الوثيقة بينها وبين الغيبيات ، وهكذا بالنسبة للتشريعات .

وإذا تم وضع هـذا الأساس لم يعد هنالك مجال لتجدد الجدل واحتدام النقاش وتولد البحث ، ولاستقام المنهج واتضحت الغاية .

وإذا كان ذلك صالحاً لبيانه فى مواجهة كل ثقافة وكل فكر ، فان المقصود به أولا ، وبالذات هو أمتنا الاسلامية حتى تستفيق من غمرة هذه التيارات الوافدة التى أخذت الفكر من أقطاره ، وإذا كانت الحضارة الغربية قد وجدت لها مبرراً فى هذا الفصام الفكرى والثقافى عن الدين فالأمة الاسلامية ينبغى أن تبرأ من هذا الداء لأنها لا تزال تمتلك بين يديها الوحى المعصوم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

وإنه ليكفينا نحن أمة الاسلام أن ننظر إلى نتائج هـذا العقل الإنسانى فى محيط الحضارة الغربية بعيداً عن ميدان المادة والطبيعة لكى نحمد الله على جزيل نعمته علينا بهذا الدين الذى جاءنا بالقول الفصل والحكم اليقيين ، ذلك أن مانراه فى محيط الحضارة الغربية يعطينا صورة واضحة عن الاضطراب الفكرى والتناقض المذهبى ، والبلبلة المستمرة بين عدة أطراف متطرفة ،

يحاولون أن يضفوا عليها ثوب الحقيقة بادعاء فكرة التطور مرة ، وبادعاء فكرة التناقض أخرى ، وما ذلك إلا بسبب الاحتكام إلى العقل في أمور ليست من شأنه ، ولا تدخل في محيط سلطانه ، وعندئذ لا يكون الحكم هو العقل ، وإنما هو الهوى .

يقول الشيخ الجليل أبو سليمان المنطقي :

« إن منازل الناس متفاوتة في العقل ، وأنصباؤهم مختلفة فيه اهـ » .

« ومعنى ذلك أن هذا الذي يروق لشخص عقلياً ، ربما لا يروق لغيره عقلياً ، ويجب من أجل ذلك أن لا يتدخل العقل في الدين ، وإلا لاختلف الناس باختلاف عقولهم ، وادعى كل أن ما هو عليه انما هو الحق ، وما عليه غيره هو الباطل ، ونتج عن ذلك اتباع كل هواه .

ولقد كانت هذه الفكرة من الوضوح لدى غزالي القرن الرابع عشر إمامنا عبد الحليم محمود رحمه الله ، بحيث قاس بمقياسها تاريخاً طويلا ، أنه تاريخ البشرية منذ كان لها تاريخ ، فلقد بدأت قضية الاحتكام إلى العقل في المسائل الإلهية عند إبليس الذي كان يوما ما يدعى بطاووس العباد ، « لكثرة عبادته وتفانيه في العبادة لكنه لما سمع الأمر الإلهي بالسجود لم يسجد لقد أبى ، واستكبر ، وهذا الكبرياء كما تمثل في مخالفة الأمر الإلهي ، تمثل في المحاولة التي أراد هذا المتمرد أن يبرر بها موقفه ، مستنجداً بمنطقه وعقله قائلا «أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين» ، ولم يكن هذا إلامنطق الهوى ، ومنطق الكبرياء » .

والأمر الإلهي لا يقابل اذن بتحكيم العقل ، وإنما ينبغي أن يقابل باستسلام العقل .

ولقد سرت هذه الإبليسية بين البشر ، عرف ذلك من تاريخ فلاسفة

اليونان خاصة، عند كبيرهم أرسطو الذى كان قوة خارقة وعبقرية هائلة : ذكاء وبحثا ومعرفة ، لكنه استعمل كل ماله من عبقرية فى النزول بالإنسانية إلى درك الحيرة والنقص والشك .

ومنذ أن وجد الإنسان ، وجد معه روح من أمر الله وهو الوحى يرشده ويهديه ويبين له المبادىء ويوضح القواعد ، فى المسائل التى لا يصل تفكيره البشرى إلى حل فيها ، وهى مسائل ما وراء الطبيعة ، ومسائل السلوك الصحيح تشريعا كان ذلك أو أخلاقا .

وجاء عهد على اليونان حرمت فيه من هذا الروح ، فأقام الإنسان من نفسه رسولا ومشرعا بغير إذن من السماء ، وكانت نتائج هذه النزعة أن اختلف كل فيلسوف عن سابقه حتى وصل الأمر إلى أرسطو الذى أراد أن يعصم الذهن عن الانحراف والخطأ فاخترع المنطق آلة تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ فى الفكر ، ومع ذلك فقد اعترف تلاميذه بأن هذه الآلة لم تعصم حتى مخترعها عن الخطأ ، وعجزوا هم عن أن يدافعوا عن أخطاء أستاذهم .

« واستمر تيار الانحراف الذى قاد أرسطو الإنسانية فيه سائراً يتخطى القرون قرنا بعد قرن ، حتى وصل إلى الجو الاسلامى فى عهد العباسيين ، وأخذ المسلمون يختلفون بعد اتفاقهم ، ويتفرقون بعد تجمعهم » .

فاذا انتقلنا إلى العصر الحديث فاننا نجده يحدثنا عن خلفاء إبليس قائلا :

« وخلفاء ابليس هم أولا وبالذات : الملاحدة » .

« إنهم على نسق التعبير الجارى : ابليسيون أكثر من ابليس نفسه ، ذلك أن ابليس لم ينكر وجود الله ، ولم ينكر بعثا ولا رسالة ، ولكن هؤلاء أنكروا كل ذلك » .

« والالحاد درجات ، وأخس درجات الملحدين لا شك إنما هى درجة

هؤلاء الذين اعتقدوا ـ على حد تعبير الغزالي ـ « أن العالم لم يزل موجوداً كذلك بنفسه ، وبلا صانع ، ولم يزل الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان كذلك كان ، وكذلك يكون أبدا » .

« وإن من أحدث اختراعات إبليس في هذا الزمن الحاضر إنما هو المذهب المسمى بالوجودية ، وهو مذهب يدعو كل إنسان لأن يحقق وجوده حسبما يرى وتبعا لما يريد ، غير متقيد بعرف ولا عادات ولا تقاليد ولادين .. وأحسن تشبيه للوجودي هو ما قاله أحد كبار الكتاب الغربيين :

إن الوجودي مثله كمثل الكلب الذي يجري دائما حول نفسه ليمسك بذنبه فلا هو يدرك ذنبه ، ولا هو يكف عن الجري ، وهي لعبة يلعبها الكلاب حينما يجدون الفراغ فيلهون بما لا نتيجة له .

« خلفاء إبليس ثانيا هم : طائفة الفلاسفة العقليين الالهيين » .

ويخرج غزالي القرن الرابع عشر الامام عبد الحليم محمود من جولته التاريخية بهذا المقياس ليبدي لنا هذه الملاحظة مع تبريرها العلمي :

« والظاهرة الملاحظة في كل الأوساط على مر التاريخ أنه كلما كان الدين يقينيا ثابتا ، وكلما كان الدين قويا مسيطراً قل النزوع إلى الفلسفة ، وقل البحث العقلي في مجالات الغيب » .

« أما السبب في ذلك فهو من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى بحث عميق ، وذلك أن موضوع الفلسفة هو نفسه ـ على التقريب ـ موضوع الدين ، فالدين يجيب في اختصار أو في استفاضة عن أسئلة الفلسفة ولكن في صورة حاسمة عازمة لا تعرف التردد ولا الشك » .

وهو يرى أن كل فلسفة تطرق هذه الميادين معتمدة على العقل وحده

إنما هى كالفلسفة اليونانية فلسفة وثنية ، حتى حين تثبت وجود الله ، أنها وثنية بالمبدأ الذى تقوم عليه وهو مبدأ تألية العقل البشرى .

وهو فى نهاية ذلك كله ، أو من خلال ذلك كله يهيب بالأمة الاسلامية أن تنبذ كل هذه التيارات الوافدة فى هذه المجالات التى اختص بها الدين لوفاء الإسلام بهـا فى حسم وعزم ويقين ، وأن ينهضوا للأخذ بكافة أسباب النهضة العلمية فى ميادين الطبيعة . فذلك ما يحتهم عليه دين العقل : الإسلام .

وهذه الصيحة المدوية التى راح الأمام عبدالحليم محمود رحمه الله يجأر بها فى مختلف بلاد الاسلام وبـكل ألوان البلاغ لم تكن شيئاً جديداً أو بدعا فى الإسلام أو لم يكن علماء الإسلام على وعى كامل به، ولكن أصالته وابداعه تظهر فى قدرته على التخلص من أسر هذه المتاهة التى أحاطت بالمسلمين ، واستمساكه بصفاء بصيرته ، ونقاء عقيدته ، وطهارة فطرته حتى أبصر مالم يبصره الآخرون ، ووضح أمامه النهج الذى حاول أن يطمسه المزيفون ، وتظهر فى قدرته على مواجهة كل هذه التيارات فى وقت تحكمت فيه وأحاطت بمختلف نوافذ الفكر والرؤية والاستبصار ، وأن هذه النظرة العميقة لم تفارقه ولم تتأخر عن نشاطه العلمى ، وانما واكبته واستمرت منذ بدأ نشاطه العلمى إلى آخر رمق من حياته ، فجعل منها قضيته الأولى ، وشغله الشاغل رعاية لدينه ورعاية لأمته ، ورعاية لوطنه ، ورعاية لمعهده ، ورعاية لعلمه .

ولقد ظلت هذه القضية تتبلور وتتبلور فى منهج متـكامل يسميه: « منهج الاتباع » وهو يوجد متفرقا فى ثنايا كتبه وتصنيفاته ، ولكنه قد ركزه فى كتاب هام من كتبه هو « التوحيد الخالص أو الإسلام والعقل » الذى قال فى مقدمته :

وما أظن أني فرحت في يوم من الأيام بظهور كتاب لي بمقدار ما فرحت حين ظهر هذا الكتاب في طبعته الأولى .

وذلك أنه يعبر عن منهجي الخاص في حياتي الفكرية : منهج الاتباع .

رحم الله غزالي القرن الرابع عشر : الامام الأكبر الشيخ عبدالحليم محمود .

ا. د عبد الفتاح عبدالله بركة

° ° °

إن ذلك الذي عرضه الأخ الأستاذ الدكتور عبد الفتاح بركه رئيس قسم العقيدة والفلسفة في كلية أصول الدين — جامعة الأزهر — بالقاهرة هو الرأي الذي تستقر عليه أفكار مدرسة الشيخ الإمام رضي الله عنه ، وهو المحور الذي تدور حوله أخلاقهم وسلوكهم أولا ، ثم فكرهم وثقافتهم وتآليفهم ثانيا ، وقد أخرج الأخ الدكتور يحيي هاشم أحد أبناء الشيخ كتاباً حول هذا المحور سماه : التسليم .

الإدراك الصحفى المستنير

تجاه منهج الشيخ وأعماله

الإمام الراحل الدكتور عبد الحليم محمود فى ذكراه

للأستاذ / محمد شلبي

أرسل الرئيس السادات برقية تعزية إلى أسرة الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود يوم وفاته جاء فيها (وإنى لأذكر بكل تقدير وإجلال لفقيد مصر والأمة العربية والإسلامية جهاده فى سبيل خدمة الإسلام .

فما وهن ضد ظلم ، بل كان قويا جريئاً مدافعاً عن الإيمان والمثل العليا ، ويذكر الأجيال بماضى الأمة العربية والإسلامية المجيد وحاضرها المشرق فى ظل إيمان قوى ، ونهج سليم ، وضرب مثلا قوياً فى الصبر والتضحية .

وقال الرئيس فى برقية أخرى بعث بها إلى الأزهر : (وإنى إذ أعتز بما أدى من أمانة ، وبما حمل من رسالة ، وبما قدم من علم وجهد فى سبيل رفعة وطنه وأمته العربية والإسلامية ، لأدعو الله العلى القدير أن يسكن فقيدنا الراحل فسيح جناته ، وأن ينزله منازل الصديقين والشهداء ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

• ولد الإمام الراحل الدكتور عبد الحليم محمود يوم ١٠ مايو سنة ١٩١٠ فى قرية بناحية بلبيس سماها قرية « السلام » بمحافظة الشرقية .

• حفظ القرآن فى القرية التى نشأ بها .

• التحق بالأزهر إلى أن أتم الدراسة به ، ونال الشهادة العالمية عام ١٩٣٢ .

• سافر إلى فرنسا عام ١٩٣٢ على نفقته الخاصة ، وأخذ فى الدراسة بجامعة السربون ، حيث درس فيها علم النفس وعلم الاجتماع ، وتاريخ الأديان وحصل فى كل مادة من هـــذه المواد شهادة عليا من الجامعة واستكمل دراسة الليسانس .

• عام ١٩٣٧ ألحق بالبعثة الأزهرية فدرس الدكتوراه وكانت فى موضوع التصوف الإسلامي « أستاذ السائرين المحاسبي » ونوقشت عام ١٩٤٠ مناقشة علنية ونال درجة الامتياز بمرتبة الشرف الأولى .

• عاد إلى مصر وعين مدرساً لعلم النفس بكلية اللغة العربية .

• عام ١٩٥١ نقل أستاذاً للفلسفة بكلية أصول الدين .

• عام ١٩٦٤ عين عميداً لكلية أصول الدين .

• عام ١٩٦٤ عين عضوا بمجمع البحوث الاسلامية .

• عام ١٩٦٩ عين أميناً عاماً لمجمع البحوث الاسلامية .

• وعام ١٩٦٩ مثل الأزهر فى مهرجان الامام الغزالى الذى عقد بدمشق .

• عين وكيلا للأزهر عام ١٩٧٠ .

• عين وزيراً للأوقاف وشئون الأزهر عام ١٩٧١ .

• عين شيخاً للأزهر عام ١٩٧٣ .

• سافر إلى تونس أستاذاً زائراً لجامعة الزيتونة ثلاث مرات استغرقت كل منها ثلاثة شهور .

• سافر إلى ليبيا أستاذاً زائراً للجامعة الاسلامية ثلاث مرات أيضاً استغرقت كل منها شهراً .

* سافر إلى الفلبين أستاذاً زائراً لجامعة (ميندا ناوا) .

* سافر إلى أندونيسيا أستاذاً زائراً لجامعة (جاكارتا) .

* سافر إلى باكستان أستاذاً زائراً لجامعة (كابول) .

* سافر إلى السودان أستاذاً زائراً لجامعة (الخرطوم) .

* سافر إلى ماليزيا أستاذاً زائراً للمركز الاسلامى لالقاء محاضرات دينية.

* سافر إلى الكويت بدعوة من حكومتها لالقاء محاضرات دينية فى شهر رمضان المعظم .

* سافر إلى العراق بدعوة من حكومتها لتنظيم وزاره الأوقاف العراقية . ودراسة المؤسسات الدينية ووضع تقرير لاصلاحها ، ومكث هناك شهراً .

* سافر إلى دولة الامارات العربية لافتتاح الموسم الثقافى لعام ١٩٧٤، لالقاء محاضرات دينية وذلك بدعوة من حكومتها .

* سافر إلى ماليزيا بدعوة من حكومتها عام ١٩٧٤ لحضور إشهار إسلام عدد كبير من المواطنين الماليزيين يبلغ تعدادهم ٤٠٠٠ أربعة آلاف مواطن .

* حضر المهرجان التعليمى لندوة العلماء فى الهند عام ١٩٧٥ وكان من أهم المهرجانات الاسلامية فى شبه القارة الهندية .

* زار الولايات المتحدة الأمريكية فى نوفمبر ١٩٧٧ بدعوة من المراكز الثقافية الاسلامية فى واشنطن .

* صدر قرار جمهورى خاص فى ٢٤ أبريل ١٩٧٧ بتجديد خدمة الامام الأكبر شيخاً للأزهر ٣ سنوات تبدأ من مايو ١٩٧٧ .

* كان أول قرار أصدره بعد تجديد خدمته إنشاء إدارة القرآن الكريم بالمحافظات .

* توفى إلى رحمة الله تعالى صباح الثلاثاء ١٧ أكتوبر سنة ١٩٧٨ .
(وإنا لله وإنا إليه راجعون) .

مؤلفاته : تشمل عشر مجالات فى إحياء المفاهيم الاسلامية :

١ — القرآن والنبى .
٢ — الاسلام والايمان .
— العبادة .
٤ — الإسلام والعقل .

قضية التصوف :

٥ — المنقذ من الضلال .
٦ — المدرسة الشاذلية .

مع الرسول صلى الله عليه وسلم :

٧ — دلائل النبوة .
٨ — الرسول صلى الله عليه وسلم :
٩ — السنة الشريفة .
١٠ — الحج المبرور .
١١ — فى رحاب الأنبياء والرسل .

فى العبادات والذكر :

١٢ — الحج إلى بيت الله الحرام .
١٣ — الجهاد والنصر .
١٤ — جهادنا المقدس .

١٥ — القرآن فى شهر رمضان .

١٦ — فاذكرونى أذكركم .

١٧ — يا رب .

فى قضايا الفلسفة :

١٨ — التفكير الفلسفى فى الإسلام .

١٩ — فلسفة ابن طفيل .

٢٠ — الفلسفة والحقيقة .

موقف الإسلام من الشيوعية :

٢١ — الإسلام والشيوعية .

٢٢ — فتاوى فى الشيوعية .

٢٣ — أبو ذر الغفارى والشيوعية .

٢٤ — منهج الإصلاح الإسلامى .

كتب مترجمة :

٢٥ — الفلسفة اليونانية .

٢٦ — الأخلاق فى الفلسفة الحديثة .

٢٧ — المشكلة الأخلاقية والفلسفة .

٢٨ — وازن الأرواح .

٢٩ — المسيحية نشأتها وتطورها .

٣٠ — محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كتب مختلفة :

٣١ — أجزاء فى التفسير .

٣٢ — فتاوى فى الأخلاق والمعاملات .

٢٣ — أوربا والإسلام .

٣٤ — الحمد لله هذه حياتى .

٣٥ — أبحاث ومقالات ومحاضرات وأحاديث فى عدة مجلدات .

أعلام الفكر الإسلامى :

٣٦ — أحمد البدوى .

٣٧ — سفيان الثورى .

٣٨ — شمس الدين الحفنى .

٣٩ — عبد الله بن المبارك .

٤٠ — الحارث المحاسبى .

٤١ — إبراهيم بن أدهم .

٤٢ — أبو العباس المرسى .

٤٣ — على زين العابدين .

٤٤ — أبو مدين الغوث .

٥ — سعيد بن المسيب .

٤٦ — أبو بكر الشبلى .

٤٧ — أبو الحسن الشاذلى .

٤٨ — أبو اليزيد البسطامى .

٤٩ — الفضيل بن العياض .

٥٠ — بشر الحافى .

٥١ — ذو النون المصرى .

٥٢ — الليث بن سعد .

٥٣ — السهل بن عبد الله .

٥٤ — عبد السلام بن بشيش .

تحقيقات فى التراث :

٥٥ — الرعاية لحقوق الله .

٥٦ — اللمع .

٥٧ — الفلسفة الهندية .

٥٨ — التعرف على مذهب أهل التصوف .

٥٩ — الرسالة القشيرية .

٦٠ — الطريق إلى الله أو كتاب الصدق .

٦١ — عوارف المعارف .

٦٢ — غيث المواهب العلية .

٦٣ — حكم ابن عطاء الله .

٦٤ — لطائف المنن .

وفى مقال نشر فى عـدد سبتمبر من مجلة « البنوك الإسلامية » بعنوان (البنوك الإسلامية ودورها فى المجتمع) قال الإمام الأكبر :

(إن الأمة الاسلامية في حاجة اليوم إلى تدارك الكثير مما فاتها وهى فى حاجة إلى أسلوب سريع فى التنمية ، وإلى منهاج صالح للاستثمار . ولا نقاش

فى أن البنيان الأقتصادى يعتمد على الانسان والموارد فى أقطار الأرض جميعها لكنه يختلف من أمة إلى أمة ، ومن زمن إلى زمن .

إن من أسباب الاستقلال الاقتصادى أن تقوم بنوك إسلامية تتولى حراسة الاقتصاد ، وتوجيه العمل وريادة الطريق للثروات الاسلامية إلى أفضل وجوه الاستثمار .

والمشكل الذى يواجه هذه البنوك أن النظام السائد اليوم هو النظام الربوى وهو نظام يرفضه الاسلام ، يرفضه من أساسه لأنه وليد المادية ، ولأنه نتاج الاضطراب فى العلاقات البشرية ، ولأنه وسيلة استغلال القوى للضعيف ، ولأنه أداة من أدوات الاحتكار الدولى العالمى . وهذه الذاتيات فى الربا تجعله مرفوضاً ومحرما فى الدين لأنه مناقض للغايات التى يستهدفها ، فانما يستهدف الدين إقامة علاقات روحية رحيمة عادلة متكاملة بين الناس .

ولذا فانه من الواجب على البنوك الاسلامية الجديدة أن تضع لمعاملاتها نظاماً يتفق والأحكام الشرعية ويلائم طبيعة هذه الأمة ، ويطمئن إليه المسلمون فيجمعوا لهذه البنوك مدخراتهم المطروحة فى البنوك غير الاسلامية أو الربوية .

لقد دعونا الله أن يبارك الدعوة إلى انشاء البنوك الاسلامية ، وأن يأخذ بأيدى أصحابها إلى طريق السداد ، فاذا نجحت البنوك الإسلامية فى وضع نظامها جميعه على أساس من الحلال الطيب كان وجودها خير الاسلام وعزة للمسلمين .

حضرات السادة :

من هذا المنطق يمكننا أن نقول كما جاء فى كتاب : (الخمينى والدولة الإسلامية) للأستاذ محمد جواد مغنية (إن الدولة الإسلامية لا تعنى سيطرة

الشيوخ على الحكم ، واحتكارهم لسلطان السياسة ، وإنما تعنى أن الشريعة الإسلامية هي الإطار والمعيار لقوانين الدولة وتصرفاتها ، فكل ما يتفق وهذه الشريعة يجب تنفيذه ، ولا يسوغ الطعن فيه ، وما ثبت تعارضه معها يحكم ببطلانه وإلغاء آثاره .

والخلاصة أن الشرط الأساسي في الدولة الإسلامية هو الإخلاص والكفاءة والعدل والأمانة . أما هدف الحكومة الإسلامية ومثلها الأعلى فهو إحقاق الحق ، وإزهاق الباطل ، هو أن يأمنها ويثق بها كل محق وبرىء ويهابها كل مجرم ومبطل سواء أكانت الفئة الحاكمة من الشيوخ وأهل العمائم أم من الشباب المهتدى الصالح والطامح لكل ما هو خير وعدل .

وقال العالم الكبير والمصلح الشهير « أبو الكلام إزاد » : نحن لم نتعلم السياسة إلا بالدين ، فالدين هو الذى خلق السياسة ، فكيف نفرق بينه وبينها ؟ .

لا شيء أدعى للخزى والمهانة من أن ينحنى المسلمون أمام أفكارهم السياسية ، فالإسلام لا يسمح لهم أن يكونوا ذيولا فى أفكارهم بل عليهم أن يدعوا غيرهم إلى مشاركتهم فيما يؤمنون ويفكرون ، ولو أنهم خفضوا رؤوسهم لله وحده لخفض العالم رأسه أمامهم ، لقد أوضح الإسلام للمسلمين طريق الخلاص ، فلماذا يستعيرون الطريق من غيرهم ؟ .

متى بدأت الدولة الإسلامية ؟

لا شك أن رسول الله ﷺ هو المؤسس الأول للدولة الإسلامية ، ولكن أين نشأت هذه الدولة ؟

يقول المؤلف : (حين استجابت المدينة المنورة لدعوة الاسلام ، وجد

النبي ﷺ الشعب الاسلامى يستقر عليه آمناً،فهاجر إلى المدينة هو والصحابة وأنشأ أول دولة إسلامية .

وبمجرد قيام هـذه الدولة ، وقبل أن تمتد وتتسع أرجاؤها ، وضع النبي ﷺ مخططاً يبين أهـدافها والغاية منها ، وقد جاء فيه : « إنما المؤمنون أخوة ، فالرابط الأساسى بين المسلمين هو الدين وليس اللغة أو الأرض أو الجنس أو أى شيء آخر .

فالدولة الاسلامية الأولى فى المدينة المنورة قامت بتنظيم الدفاع ، وحماية الأمن ، ونشر العلم والعدل ، وعقد المعاهدات ، وفصل الخصومات،أما الحرية فهى مكفولة لكل الناس ، وبخاصة حرية الأديان .

لقد أسس الرسول صلوات الله وسلامه عليه دولة السلام والمحبة ، والرحمة والانسانية ، وانتشلت ملايين المعذبين فى الأرض من رعايا الامبراطورية الرومانية المسيحية والامبراطورية الفارسية المجوسية ، ورحب الكثيرون منهم بالاسلام والمسلمين ليتحرروا من ظلم القادة وطغيانهم ، وينعموا فى ظل العدل والرحمة ، فالشريعة الاسلامية ليست عبادة وكفى ، بل عقيدة وعبادة وقوانين لشتى جوانب الحياة .

وفى العدد ١٥٦ من مجلة الجديد الصادر فى أون يوليو سنة ١٩٧٨ ، كتب المغفور له الأمام الأكبر مقالا عنوانه « أسس النهضة الإسلامية » إلى اين نتجه ؟ ما هو الطريق ؟ كيف نبنى أمتنا ؟ كيف ننهض بوطننا ؟ وفى خاتمة الموضوع يقول :

يتلخص فى النهاية الحديث الذى أريده ، أنه من أجل نهضة الأمم الاسلامية يجب أو نأخذ بالعلم المادى إلى أقصى ما يمكن أن نأخذ به فى هذا الجانب المادى .

أما الجانب الآخر : الروحى والاجتماعى ، فاننا نأخذ بما رسمه الله سبحانه وتعالى فى الأخلاق ، وما رسمه الله سبحانه وتعالى فى العقائد ، ونأخذ بما رسمه الله تعالى فى نظام المجتمع .

لا يتأتى مطلقا لأمة مسلمة أن تحيد عنه وإلا تخلت عن رسالتها ، وأعود فأكرر ما قلته أن المبرر الوحيد لوجود الأمة الاسلامية انما هو هذه الرسالة ، هذه الرسالة التى كلفت بها ، فاذا تخلت عنها ، فانها تصبح ولارسالة لها . ومع كل ذلك فاننا متفائلون باذن الله .

وأننا نرى على مر الزمن نوعا من البعث الاسلامى ، هذا البعث الإسلامى يقوى إذا تكاثف هؤلاء الذين يدعون إلى النهضة الإسلامية الحقيقية ، إذا تكاتفوا وتعاونوا ، وأصبحت تربط بينهم وبين بعضهم الصلات الوثيقة ، فان هذا البعث الإسلامى يقوى باذن الله ، وكفى بربك هاديا ونصيراً .

* عام ١٩٧٧ أمر بطبع مصحف للازهر الشريف مضبوطاً بالشكل لأول مرة فى تاريخ جمهورية مصر العربية وقد تم طبع ٥٠ ألف نسخه منه .

وفى عام ١٩٧٨ وهو العام الذى توفى فيه صدرت الطبعة الثانية منه ، وقد تم طبع ٢٠٠ ألف نسخة وهى طبعة متقنة وزعت على نطاق واسع فى جميع أنحاء الأمة الاسلامية بثمن زهيد ، وذلك أولا من أجل تعميم الأنتفاع بكتاب الله مصدر الهداية للأمة الأسلامية ومنبع قوتها ، وثانياً من أجل سد الطريق أمام التزييف .

* الموسوعة الإسلامية : إن الأمة الإسلامية على سعتها تهتم كل الاهتمام بالموسوعة التى ألفها المستشرقون وهى موسوعة لاحظ الكثيرون أنها مليئة بالأخطاء ، ومليئة بالتشويه لوجه الحضارة ، الإسلامية ، ومن الخير أن يكتب الاسلاميون تاريخهم العلمى والحضارى من جديد .

* إخراج التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، وقد صدر منه حتى الآن ١٦ جزءاً ، ويشترك فى هذا العمل أكثر من ثلاثين عالما من خيرة علماء الأمة .

* شجع وتبنى إذاعة القرآن الكريم منذ بدء إنشائها وكذلك برنامج « نور على نور » فى التليفزيون .

* دعا إلى الحجاب بين الفتيات المسلمات فانتشرت هذه الظاهرة الإسلامية انتشاراً ملموساً .

* الاستمرار فى فتح المعاهد الأزهرية التى كانت ٦٠ معهداً فأصبحت ما يقرب الألف ما بين ابتدائى وإعدادى وثانوى .

* المطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية فالإسلام دين ودولة .

* مشروع الدستور الإسلامي (وقد سبق ذكره وشرحه) .

* تعميم معاهد القراءات فى جميع محافظات الجمهورية باعتبارها تسد حاجة مصر والعالم الإسلامى من القراء .

* تدعيم المناطق التعليمية الأزهرية ، وانشاء الإدارة العامة لشئون القرآن الكريم .

* رصيد مكافآت تشجيعية لطلبة معاهد المعلمين الأزهرية .

* كليات للدعوة الاسلامية فى طنطا والمنوفية والقاهرة .

* التوسع فى إنشاء فروع للجامعة الأزهرية فى أسيوط وطنطا والمنصورة والزقازيق والمنوفية وسوهاج .

* إصدار اللائحة التنفيذية للأزهر التى تعطل إصدارها ١٢ عاما .

قالوا عن الامام عبد الحليم محمود :

. . . وعلى الصعيد الاسلامى فقد صدر فى الهند عقب وفاته عدد ديسمبر

١٩٧٨ من مجلة « البعث الاسلامى » وهو يضم ست مقالات عن الامام الأكبر هي : وداعا شيخ الأزهر — شيخ الأزهر فى ذمة الله وذمة التاريخ — كلمة عزاء — فضيلة الامام الأكبر فى ذمة الله — للشيخ عبد الحليم محمود — شيخ الأزهر فى ذمة الله) .

قال الأستاذ سعيد الأعظمى الندوى :

« لولا شيخ الأزهر لم يقض على الشيوعية فى مصر ، هو الذى أعان الحرب ضدها ، وهو الذى أفتى بمحاربة كل فكر شيوعى ، وشن الحرب على أوكار الشيوعين ، وتم على يديه إجلاء هذه اللعنة من أرض الاسلام والمسلمين » .

وقال أيضاً : وفعلا قام شيخ الأزهر بجلائل الاعمال .

وأجل من كل شىء فيما أرى هو صموده فى وجه الظلم والطغيان ، ورفضه بيع الضمير رغم كل ترغيب من الجاه والمنصب ، وكل ترهيب من الحديد والنار ، أنه ثبت على عقيدته وإيمانه كالجبل الراسى ، وألح على الحفاظ على مكانته عند الله وعند الناس ، فلم يوجل ولم يفرق ، ولم يلن ولم يساوم ، وثبت على جادة الحق غير مبال بالمصير . ولما ساق الله إليه الوزارة قام أول ما قام باعادة اعتبار الازهر ومكانته إلى النفوس ، وأزال جميع العوائق والعراقيل التى وضعت فى طريقه ، وفتح باب الازهر على مصراعيه للوافدين من طلاب العلم والدين .

فعاد الازهر من جديد إلى مكانة القيادة التعليمية والتربوية فى العالم الاسلامى ، وعلق به الناس آمالا بعد أن كانوا قد قطعوا عنه الرجاء ، ورأوا أنه نهض لأداء رسالته بعد كبوة دامت به سنين طوالا .

ثم قال :

« كان أمة فى ذاته ، فاذا جلس فى مكان تحول ذلك المكان إلى مسجد

ومدرسة ، يطلب من الناس أن يتبرعوا في سبيل الله لإنشاء المساجد والمدارس والمعاهد فيلبون نداءه ، حتى وجد في كل مدينة من مدن مصر معاهد الأزهر ومدارس الأزهر ، ومساجد للصلاة .

وكان الناس يؤمونه من الجهات البعيدة ليستفيدوا منه العلم والدين والربانية.

وعن موقفه من القضايا العالمية والقضية الفلسطينية ، قال الأستاذ سعيد الأعظمى الندوى :

(وباطلاعه الواسع على ما يوجد فى العالم اليوم من مؤامرات ومخططات لهم وللاسلام ، كان يحرص على أن يحضر المؤتمرات والمناسبات ، فيرفع صوته ضد هذه الدسائس الخطيرة ، وقد وفق إلى ذلك ، وكان له رأى حصيف فى السياسة ، ومواقفه من قضية فلسطين معلومة محمودة ، وكان يرى أنه لا سلام إلا باعادة حقوق الفلسطينين إليهم) .

وقال الأستاذ محمد زكى عبد القادر :

(لم يتوقف عن الدعوة إلى الدين سواء بالتأليف أو الكتابة أو الرد على المعترضين والزائفين ، أو الاشتراك فى الإذاعة والندوات والخطابة فى المساجد فى جموع المصليين .

وهكذا جعل من منصب شيخ الأزهر مناراً للهداية ، والعمل الدائب ، والنزول إلى الجماهير ، والدعوة إلى الدين الصحيح . وقد ساعده أفقه الفسيح وعلمه الغزير ، ومزجه بين الثقافتين الشرقية والغربية على أن يضطلع بهذا الواجب أتم ما يكون الاضطلاع تأثيراً فى الناس . وجذبا لهم إلى طريق الهداية والنور) .

وقال الأستاذ حافظ محمود :

(كان الإمام عظيم العقيدة إلى الدرجة التى جعلته يتحول بمنصب شيخ

الأزهر إلى داعية من دعاة الله فما كان يوم يمر دون أن نسمع للشيخ خطاباً أو محاضرة أو نقرأ له كتاباً أو مقالا فى الدعوة إلى دين الله ، وقد أنشأ دراسة إعلامية فى الأزهر ، وكان هو خير مثال لهذا الجانب الإعلامى .

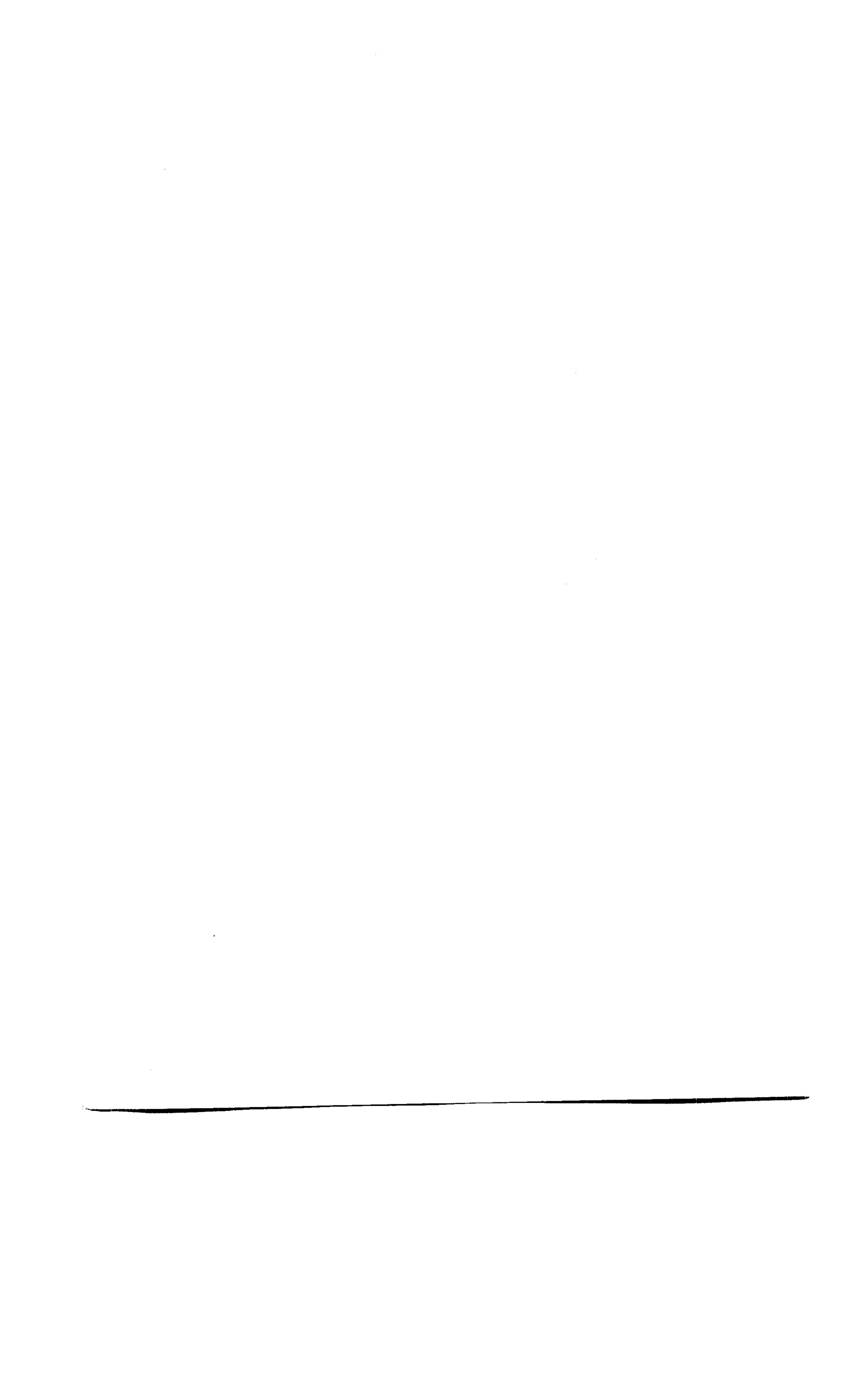
لقد تخطى نشاطه الإعلامى فى سبيل الله صحف القاهرة إلى كثير من العواصم العربية .

كنت تشعر وهو يخطب أن الكلمات ينطق بها قلبه قبل لسانه .

لقد كتب الإمام الاكبر الشيخ عبد الحليم محمود قصة حياته تحت عنوان « الحمد لله هذه حياتى » فالحمد لله هو آخر دعاء أهل الجنة . . (دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) .

وكانت آخر كلمة نطق بها (لا إله إلا الله ـ الله حق) ، وظل يرددها يوما كاملا قبل وفاته ـ وبعد ـ فقد كانت هذه جولة فى فكر الإمام الاكبر الدكتور عبد الحليم محمود ودوره فى بناء الدولة الإسلامية الحديثة ، رأيت أن أسجلها فى ذكرى مولده ، اعترافاً بفضله ، ووفاء لحقه ، وتقديراً لفكره وأدبه ، فجزاه الله عن الإسلام وأهله خير الجزاء .

محمد شلبى



قصيـــدتا رثاء

(أ) للأستاذ الدكتور محمد كمال جعفر
رئيس قسم العقيدة والفلسفة
بكلية دار العلوم

(ب) للأستاذ إبراهيم أحمد عبد الفتاح
الموجه بالتربية والتعليم سابقاً

رثاء الإمام الأكبر

فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود

للأستاذ الدكتور كمال جعفر

١٩٧٨/١٠/٢٦

أين راحت حمامة الإسلام　　واحة الأنس وراحة الأيام
كيف ولى الهديل ساحر اللحن　　ونابت نوائح الآلام
كيف تاه الدليل فى سائر الركب　　وزلت ثوابت الأقدام
فيم هذا الذبول يا ربة الروض　　وفيم الذهول فى الأحلام
رقرق الدمع فى المآقى حبيسا　　والبرايا ضنينة بالكلام
ما دها الصحب يا حبيبة قولى　　ما غراهم بجنة فى الظلام
فاجأ الخطب يا حبيبة قومى　　ورماهم من قهره بسهام
أطفأ الموت بالديار سراجا　　وكساها بحالك الإقدام
غاب عبد الحليم عن أفق النا　　س وخلى جمونهم فى الكلام
وبكاء الشيوخ من كل فج　　ورثته شبيبة الإسلام
كان جم التقى نقى الطوايا　　واسع العلم حاسم الإحكام
مطلق الكف فى سبيل المعالى　　هادىء الطبع فى لجاج الحكام
مشرق الروح فى خضم المآسى　　رابط الجأش فى الأمور العظام
ظل يذكى على الطامع حربا　　ويؤاخى زهاده بالسلام
بات سفيان يرتضيه خليلا　　وسمات البصرى تحكى أمامى

لا تراعى حمامتى إن قومى أوفياء بعهـــده والذمام
لن يكلوا ولن تخور قواهم بل سيمضون عنى مضاء الحسام
لا تقولى تهدم الصرح حتى عاد فيها بقية من ركام
لا تقولى قد نما من نبع الأمانى واستبدا لروى يخيم باكرام
إن ربى عطاؤه لا يبارى لن يزال المفيض بالإنعام
فاذا خرفى النضال شهيد سبقتـه الألطاف بالإنعـام
دين ربى يصونه من عواد من غلاظ القلوب والأفهام
ويمد الجنود بـكر الجواد فى طريق الهدى بخير الأنام
رحمـة الله مالها من نفـاد وهى تمضى بعناية الإحكام
أرتجيها لشيخنـــا فى ثراه ومقـام يحف بالإكرام
قادة الدين لا أراكم وقوفاً ويفوز الغريب بالإقدام
إن دين الإله يطلب بذلا بعميم النفيس والإعـــلام
بنقاء الضمير من أجل ربى وسراج الحظوظ والأقسام
فى دياجى الحياة كونوا هداة وأعزوا الحياة بالإســلام
لا تذل الصعاب إلا لقوم واصلوا العزم بموفور الوئام
وأعدوا بدينهم خير زاذ لصراع الحيـاة والأيـام
وأحالوا النصوص نبضاً قوياً ليريحوا النفوس من أسقام
إنما الدين طاقة وحيـاة فى حمـاها معاقـل الإبرام

* * *

أم درمان لا عدمت رجالا هم مناط العـلا ونيل المرام
منك كان الوفا بمحمود سعى يذكر الفضل سابقاً للامام

من بنى مصر للفقيــد التياع وبسودان لاذع الآلام
هز وقع المصاب فيها قلوباً جاوبتها مواطن الإســلام
أيها النيل كم حملت لمصر من ســبران شيق الأنسام
كم تدانت حناجر الحب حتى أطربتنا بساحر الأنغـام
رب سدد خطاهما في كفاح وتمهد فيهما درب السلام

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

رثاء الوفاء لفضيلة الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود

للأستاذ إبراهيم عبد الفتاح

في ذكراه في ١٠ / ٥ / ١٩٨٠

كيف آثرت عبد الحليم الرحيلا وهجرت الأحباب هجراً طويلا
الذين أصطفيتهم لك أبناء وكنت الأب العطوف الجليلا
من رأوا فيك صحبة ليس تنسى وداداً مستعذباً سلسبيلا
والهدى والرشاد والبر والإخـ ـلاص والحب والإخاء الأصيلا
وسجايا كالزهر والمسك في الطيـ ـب وقلباً بربه موصولا
قد بكي الأصفياء فيك وفاء نادر النوع لا يلاقي مثيلا
أرأيت الأسكندرية تبكى لك عهداً بها حميداً جميلا
لو علمنا البكاء يجدى لظلت أعين الأوفياء تهمى همولا
غير أنا بحكم ربك نرضى أنه كان أمره مفعولا
لست أنساك في الشباب زميلا لم أجد مثله طول عمرى زميلا
كم أياد أسديتها أعجزتنى لا أوفى جميلها تقبيلا
جئت أرثيك هل يوفى رثاك من أياديك يا صديقى قليلا
يا ضياء القلوب فى ظلمة الشـ ـك سناه يهدى الحيارى السبيلا

* * *

كم أزالت إشارة منك هما كان يجثوا على الصدور ثقيلا
كم أضاءت إشراقة منك قلباً فغدا مبصراً وكان كليلا
كنت تشفي بالحال لا القول من جا ءك يشكو إليك قلباً عليلا
كنت للسالكين أكرم هاد وبإرشادهم حفيا كفيلا
كنت للزاهدين خير مثال وإماماً للمتقين جليلا
ورع القلب في صفاء وصدق دائم الذكر بكرة وأصيلا
قد ورثت الرسول علماً وآدا باً وقربى فنلت مجداً أثيلا
كنت للناس منهل العلم والخـ ـير وظلا للقاصدين ظليلا
كنت تعطى من درب نورك فيضاً مستساغ المذاق يشفي الغليلا
كم رويت الحديث غضاً ندياً يلهم الرشد أنفسا وعقولا
تنثر الدر توأما وفريداً حينما كنت تشرح التنزيلا
كم قضايا أبنتها ببيان قد أجاد التدليل والتعليلا
تتلقى الأرواح منك حديثاً منطقياً سلسلا مقبولا
وكنور المشكاة توقد في كل فؤاد من زيتها قنديلا
كنت للحق عاشقاً وحبيباً كنت لله والرسول خليلا
كنت تحيي الرسول ذاتاً ومعنى في زمان يكاد ينسى الرسولا
كم كتاب ألفته لست أحصى قد حوى الفضل والهدى لا الفضولا
كتبت تنصر الشريعة بالرأ ي وترعى فروعها والأصولا
سوف تبقى مثل النجوم وأبهى ملء أبصارنا تنير السبيلا

* * *

كنت للدين حارساً تمنع الأيـــام أن تستبيح منه فتيلا

حين قيل التمثيل في الدين يجدى قلت كلا : لا نقبل التمثيلا

إن طه وصحبه فى السمـ ـوات نجوم تأبى لأرض نزولا

لو أتى أكبر الممثلين يؤدى الر د عنهم بدا ضئيلا هزيلا

ونجـاح التمثيـل عنـد ذويه أن يجيدوا فى الأنفس التهويلا

منهم للغـلو أدنى وهـــذا قد يشيع التبديل والتدجيلا

إن خلط التمثيل بالدين إثم يجلب الشر والبـلاء الوبيلا

كنت يا شيخنا العظيم حكيما تصدر الرأى مقنعاً معقولا

تستشير القرآن فى كل أمر أو ليس القرآن أقوم قيلا

قد عهدنا فيك الشجاعة لم تصـــرف عن الحق والجهاد نكولا

ولـكم مالت الرجال عن الحـــق لأمر ولم تـكن لتميلا

عشت ماعشت للفضائل والأخـــلاق عشت المبارك المأمولا

كنت تنأى عن الدنايا نزيها مستقيما فى كل أمر نبيلا

كنت عبد الحليم بالحلم تسمو تتعالى فلا تجـارى جهولا

كم حسود علمت ما دس سراً لك بالغيب يبتغى أن تزولا

قد دعاه الحقد الدفين فقال الز ور ماينهاه الضمير عن أن يقولا

ثم لاقيته بقلب ســـليم فحنا رأسه إليك خجولا

لم تعاتبه فى الذى كان منه وكأن ما قال لم يكن قد قيلا

هيبة فى اللقاء تملأ كل القلو ب إذ تلتقى بـكم تبجيلا

٭ ٭ ٭

وتهش القلوب حين ترى منـ ـك ابتساماً حلواً وقولا جميلا
في سبيل الإسلام جاهدت للـــه جهاداً موفقاً مقبولا
كم أساس أرسيته لبنـــاء صار العلم معهداً مأهولا
كم صروح أعليتها شامخات كرواسي الجبال عرضاً وطولا
مشرفات الذرى منارات علم بسناها تغزو الربى والسهولا
إن إنشاءها لرى ظماء للهدى قد أضاف للنيل نيلا
هي تروى العقول والنيل يروى لغذاء الأجسام تلك الحقولا
لست أنسى تكبيرة لك كبرى كزئير الأسود تحمى الغيلا
فرحا بالبناء يبنى لوجه اللـــه تعلى التكبير والتهليلا
كان تكبيركم تهز قلوبا تنفض اليأس جانباً والخمولا
تتبارى للخـــير خلف إمام من أولى العزم فى العصور الأولى
قد رأت فيه ناهضاً للمعالى كالحسام البتار يمضى صقيلا
بمساعيه فى يقين وصدق قد رأينا ما يشبه المستحيلا
دائب السعى لا وصولا إلى دنـــيا ولكن لله يبغى الوصولا
كل أعماله إلى الله يرجو عنده وحده والرضا والقبولا
نسأل الله أن يثيبك عنـا يا إمام الهدى الثواب الجزيلا
سوف تبقى صفاتك الغر تروى بين أهل الصلاح جيلا فجيلا
نلت من ربك الرضا مثلما رمــــت ومن خلقه الثناء الجميلا
طبت حيا وطبت ميتا ولا زا ت على منهج الفلاح دليلا

* * *

قال هـذا الرثاء إبراهيم أحمد عبد الفتاح من أبناء الإمام الأكبر في الطريق إلى الله بالأسكندرية وزميله منذ كانا طالبين بمعهد الزقازيق الديني عام ١٩٢٥ ، وظلت الصـداقة إلى أن انتقل الإمام إلى جوار ربه .

وأنا أسأل الله تعالى أن يلحقني به في مستقر الرحمة — وأسأل من يقرأ هذه القصيدة أن يدعو لي وللامام الراحل صالح الدعوات .

راجي عفو الله إبراهيم أحمد عبد الفتـاح .

والله ولي التوفيق

وبعـد :

فهذا هو : شيخ الإسلام الإمام عبد الحليم محمود

سيرته الطيبة

وأعماله الصالحة

قدوة طيبة ونبراساً مضيئاً لمن شاء القدوة وأحب الصراط المستقيم .

رءوف شلبي

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة
مشكلة الصفات	١٣٧
الفرق الدينية	١٥٦
البحث فى الذات والصفات	١٥٨
وكلتا يديه يمين	١٦٢
المذاهب الفقهية	١٦٦
ثانيا : تحديد موقف المسلم من الحضارة الحديثة	١٧٣
ثالثاً : موقف الإسلام من العلم	١٩٥
رابعاً : تنظيم المجتمع	٢١٩
ثانياً : تجربته الشخصية :	٢٤٠
والاتباع هو : السجود لله رب العالمين	٢٥٧
نشاطه فى مجمع البحوث الإسلامية :	٢٦٨
أولا : مصحف الأزهر الشريف	٢٧٤
ثانياً : تقنين الشريعة	٢٧٥
ثالثاً : إنشاء سلسلة البحوث الإسلامية	٢٧٩
رابعاً : وضع قاموس مفهرس للسنة الصحيحة	٢٨٣
خامسا : التفسير الوسيط	٢٨٤
سادساً : خطة عمل مرحلية للجان المجمع وأروقته	٢٨٧
مشيخته الزهراء :	٢٩٨
مقدمة لابد منها	٢٩٨

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

الإنتاج العلمي للدكتور رءوف شلبي

اسم الكتاب	الناشر
١ ـ الدعوة الإسلامية في عهدها المكي مناهجها وغاياتها	الطبعة الثالثة دار القلم بالكويت
٢ ـ بشائر النبوة الخاتمة	الطبعة الثانية دار القلم بالكويت
٣ ـ الوحي في الإسلام وأهميته في الحضارة الإنسانية	الطبعة الأولى مطبعة حسان بالقاهرة
٤ ـ استوصوا بالنساء خيراً	الطبيعة الأولى عيسى الحلبي بالقاهرة
٥ ـ سيكلوجية الرأي والدعوة	الطبعة الثانية دار القلم بالكويت
٦ ـ يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء	الطبعة الثانية دار الاعتصام [نفذ]
٧ ـ المسيحية الرابعة	مكتبة الأزهر بالقاهرة [نفذ]
٨ ـ أضواء على المسيحية	الدار القومية بالكويت [نفذ]
٩ ـ آلهة في الأسواق	مكتبة الأزهر بالقاهرة طبعة أولى الطبعة الثانية دار الشروق بيروت
١٠ ـ تفسير الطيب من القول	دار الأنصار بالقاهرة

اسم الكتاب	الناشر
١١ ـ الشيخ حسن البنا ومدرسته الإخوان المسلمون	الطبعة الثانية دار القلم بالكويت
١٢ ـ السنة الإسلامية بين اثبات الفاهمين ورفض الجاهلين	الطبعة الثالثة دار القلم بالكويت
١٣ ـ التضليل الماركسي	الطبعة الثانية دار القلم بالكويت
١٤ ـ منهج القرآن فى إثبات العقيدة الإسلامية	الطبعة الأولى : مكتبة الأزهر بالقاهرة
١٥ ـ المجتمع العربى قبل الإسلام	الطبعة الأولى الدار الحديثة بالقاهرة
١٦ ـ ندوة للشباب فى شهر رمضان	الطبعة الأولى مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر [نفذ]
١٧ ـ الجهاد فى الإسلام منهج وتطبيق	الطبعة الأولى مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر [نفذ]
١٨ ـ الإسلام فى أرخبيل الملايو ومنهج الدعوة إليه	الطبعة الثانية مطبعة السعادة بالقاهرة
١٩ ـ المشكلة الاقتصادية فى ضوء تعاليم الإسلام	دار الاعتصام بالقاهرة
٢٠ منهج المحدثين فى ضبط السنة	مطبعة السعادة بالقاهرة
٢١ ـ العمل الاقتصادى من وجهة نظر الإسلام	دار الاعتصام بالقاهرة

	اسم الكتاب	الناشر
٢٢	شيخ الإسلام الإمام عبد الحليم محمود سيرته وأعماله	دار القلم بالكويت
٢٣	الدولة الإسلامية فى فطانى وفى جزر الفيلبين	دار القلم بالكويت
٢٤	تصورات فى الدعوة والثقافة الإسلامية	دار القلم بالكويت
٢٥	أصول المجتمع الإسلامى فى سورة الحجرات	مجلة الأزهر ـ القاهرة
٢٦	الحديث النبوى وأحوال الرواة	دار الاعتصام ـ القاهرة

كتب تحت الطبع

الدعوة الإسلامية فى عهدها المدنى مناهجها وغاياتها

دار القلم بالكويت

العود أحمد إلى النبع الصافى فى العقيدة والسلوك

دار القلم بالكويت

الأديان فى العالم قبل الإسلام مطالعة فى مكتبة علماء الملايو

دار القلم بالكويت

منهج العلماء فى تدوين السيرة النبوية الشريفة

دار القلم بالكويت